

تأليف

عبد الرحمن البرقوقي

منشئ البيان والموظف بمجلس الشيوخ

الجزء الأول

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠ م

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى

« أما بعد » فهذا شرح ديوان المتنبي * أُخْرِجُهُ بعد شرحى ديوانَ حَسَّان الذى أخرجته فى العام الماضى ورآه القراء وعرَفوا من مقدمته ما كابدتُ فيه ،

---

* أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة فى محلة تسمى كندة فنسب اليها وليس هو من كندة التى هى قبيلة بل هو جعفى القبيلة « بضم الجيم وسكون العين » وهو جعفى بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان ، نشأ بالكوفة كما ترى ويقال ان أباه كان سقاء بالكوفة ثم انتقل إلى الشام بولده ونشأ ولده بالشام وإلى هذا أشار بعض الشعراء فى هجو المتنبي حيث قال

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الفَضْـ ـلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا
عَاشَ حِيناً يَبِيعُ فِي الكُوفَةِ المَا ءَ وَحِيناً يَبِيعُ مَاءَ المُحَيَّا

قدم الشام فى صباه وجال فى أقطاره وما زال إلى أن ادعى النبوة فى بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه ومن ثم سمى المتنبي ، ثم التحق بالأمير سيف الدولة ابن حمدان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه النحوى كلام فى مجلس من مجالس سيف الدولة فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه فغضب وفارق سيف الدولة وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين

وفي الحق أني لم أُعانِ في المتنبي ما عانَيْتُ في حسان على بُعد ما بينهما ، وذلك أنّ المتنبي رَبٌّ المعاني الدِقاق — كما قال — فَللذِهن في شِعره جولان ، وما دامَ هناك ذِهنٌ يَلقف، وذوق يستدقّ ، وملكة بيانية ، وبَصَرٌ بمذاهب الشعر ، أمكن ادراكُ ما يَترامَى اليه مِثلُ المتنبي ولو بشيء من الجُهد اللّذّ والتعب المريح

وثلاثمائة ومدح كافورا الاخشيدي، وكان يقف بين يدى كافور وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق، ولما لم يرضه كافور هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى فلم يلحق، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله فلما رأى تغاليه فى شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال ياقوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدعى المملكة مع كافور ؟ فحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق يغشاه فى علته فلما أبل انقطع عنه فكتب إليه : وصلتنى — وصلك الله — معتلا ، وقطعتنى مبلا ، فان رأيت أن لا تحبب العلة إلى ، ولا تكدر الصحة على ، فعلت إن شاء الله : ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمى فأجزل جائزته (وكذلك مدح ابن العميد) ولما رجع من عند عضد الدولة قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة فى شعبان لثمان خلون منه عرض له فاتك بن الجهل الاسدى فى عدة من أصحابه وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه فقاتلوهم فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية وقيل جبال الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد عند دير العاقول وذلك يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قتل رثاه أبو القاسم مظفر بن على الطبسى بقوله

لاَ رَعَى اللهُ سِربَ هَذَا الزَّمَانِ ... إذْ دَهَانَا فِى مِثْلِ ذَاكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَ الْمُتَنَبِّي ... أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ

كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ ... وَفِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ

هُوَ فِى شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ... ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِى الْمَعَانِي

ذلك إلى أن المتنبي مخدوم وشروحه مُتوافِرة ، ومادته زاخرة ، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا لينا لا ارهاق فيه لخاطر ، ولا اعنات لروية . وهنا قد يبدو لك أن تقول . واذا كان المتنبي مخدوماً وشروحه متوافرة كما تزعم فعلام هذا الشرح وما حاجتنا اليه ؟ فَعَلَى رسْلك يا هذا . فالمتنبي وان كانت شروحه كثيرة الا أنها

« اه ملخصا من ابن خلكان »

شيء من أخلاقه وشمائله

حدث علي بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة وذلك أنه ما كذب ولا زنا ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة وذلك أنه ماصام ولا صلى ولا قرأ القرآن . . . أما هذه الاخيرة وهي أنه ماقرأ القرآن فأني أظن الراوي يريد أنه ماقرأ القرآن تهجداً وتعبداً والا فأن مثل المتنبي فى فضله وأدبه ودهائه لايفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ! وأي قيمة لأديب لم يقرأ القرآن ! وقال ابن فورجه : كان المتنبي رجلا داهية مر اللسان شجاعا حافظا للآداب عارفا بأخلاق الملوك ولم يكن فيه ما يشينه إلا بخله وشرهه على المال . . . أقول وهذا بخل المتنبي هو على الحقيقة مما استتبعه طماحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والمجد والعلا . وقد سئل فى ذلك فقال: إن للبخل سببا وذلك إني أذكر وقد وردت فى صباي من الكوفة إلى بغداد فاتخذت خمسة دراهم فى جانب منديل وخرجت أمشي فى أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة فرأيت خمس بطيخات باكورة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التي معي فتقدمت اليه وقلت بكم هذه الخمس بطاطيخ . . . فقال بغير اكتراث اذهب فليس هذا من أكلك ، فتماسكت معه وقلت أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن فقال ثمنها عشرة دراهم ، فلشدة ماجبهني به ما استطعت أن أخاطبه فى المساومة ، فوقفت حائراً ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهبا إلى داره فوثب اليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال يامولاي هابطيخ باكورة باجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ ويحك بكم هذا ؟ فقال بخمسة دراهم فقال بل بدرهمين فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ودعا له وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل ، فقلت ياهذا مارأيت

كثرةُ قِلّة . . . ذلك أن المتنبى وان كان مِن حسن حظه أن شرحه وعلق عليه ونقده وتعصب له وعليه نَيِّف وخمسون أديباً بَيْدَ أَنَّ المُتداوَل من شروحه إنما هو العُكْبَرى والواحدى واليازجى حَسْبُ ، أمّا الواحدى فلأَنَّهُ لمْ يُطْبَع إلاَّ فى أوربّه وفى الهند فقط كانت لذلك نسخة قليلة التداول فى أيدى الناطقين بالضاد لِنَدْرَته وغلاء ثمنه، ومن ثَمّ كان فى حكم غير المتداوَل . ثم هو — الواحدى — وَمِثلهُ العُكبَرى كلاهما موضوعٌ ذلكَ الوَضعَ الخلَقَ البالىَ العقيم — بَعثرَةَ الأبياتِ واثباتَ البيت ثم شرحه ، وهكذا دَوَاليْك — وَضعٌ لا يتفّقُ ومزاج هذا الجيل ولا سيما من يبتغى حفظ الديوان واستظهاره ، هذا الى التحريف الكثير الذى ألمّ بالواحدى والعُكبرى معًا ، وهنا لايسع المرْء إلا أن يأسفَ كلَّ الأسف وتتقطعَ نَفْسُه حَسَرَاتٍ جرّاء ذلكَ الداءِ الخبيثِ العُياء الذى ألَمَّ ولايزال يُلِمُّ بالمطبوعات العربية — داءِ التصحيف والتحريف — حتى لايكاد يسلم مِنه كتاب

أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولا ، فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لاأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون ان أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار . . .

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور وكان ذا طماح وزهو وكبرياء بل كان لايطاق غطرسة وشموخا وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الحاتمى وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء داء جنون العظمة ... وكثيراً ما يصيب هذا الداء النوابغ العبقريين ولك أن تجعله علة ولك أن تجعله معلولا . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لايطبيه النساء . . وكان لايشرب الخمر . . وجملة القول ان أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة وكان عظيما وكان عبقريا وكانت حياته لذلك غاصة بكل ما يجلب له الحب والاشفاق والاجلال من قوم وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين ، شأن كل عبقرى عظيم والله أعلم . . .

عربى . فذهب بجمال التواليف وشوّه خَلْقها وصارَ بها إلى حيثُ تنبو عنها الأحداق ، وتتجافى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر ، ولست أدرى ما مصدر هذا الداء ولا مَن تقع عليه تَبِعَةُ هذا الجُرْم هل هو الناسخ بل الماسخ ؟ ولقد حاولتُ أخيراً أن أنسخ رسالة فى سرقات المتنبى بدار الكتب المصرية وكلفت أحد النساخين فى تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نَقْلَ الكُرّاسة الأولى ذهبت اليه وأخذنا نقابل ما نسخ على الأصل فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ووجدت ما نسخ منه ضِغثاً عَلَى إبّالَة . . فما كان إلا أن انصرفَتْ نفسى عن المسألة برُمَّتِها . . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه ! ولقد لقيت الألاقى فى تصحيح « بروقات » أوتجارب المتنبى ، ومن قبله حسان حتى لأأكون مغالياً اذا قلت إنَّ الجهد الذى يُبذلُ فى سبيل التأليف أهونُ على المرْء من الجهد الذى يقاسى فى سبيل التصحيح . وتصَوّرْ مقدار ما يَعرُو الانسان من المضض والامتعاض حين يرى الكتاب بعد هذا العناء الذى يبذل فى التصحيح لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يفطن إلى الخطأ المطبعى أثناء التصحيح ويمر به مَرّاً ، وعذره فى ذلك واضح وهو أنه انما يقرأ مافى ذهنه لاما هو بين عينيه ومنْ هُنا كان له — للمؤلف — هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وان كان عذره فى ذلك قائما . . .

أقول إنَّ عابَ الواحدى والعكبرى هو ما ذكرت ، وَضْعٌ لايتفق وروح العصر ، وتحريف كثير شائع فى الكتابين ، ذلك إلى هفواتٍ تلحق كُلاًّ عَلَى حِدَتِه وَقُصُورٍ أو تقصير أو إقصار يُلِمُّ بسَاحَتِه ، فاذا أردت أن تجتزئ بالعكبرى مثلا وتستغنِى به عن غيره فانه لايغنى كل الغَناء ، وكذلك الواحدى ، ويزيد الواحدى على العكبرى بأنه لايَحفل بتفسير المفردات ولا بالأعراب ، وبأنه لايفسر كثيراً من الأبيات فكأنه موضوع للمنتهين . ولذا لايوافق الشادين . أما اليازجى

أو اليازجيان الشيخ ناصيف وابنه الشيخ ابراهيم فهما على فضلهما الذى لاينكر وعلى ماطنطن به الثانى فى ذيل الشرح مما قد يخرج منه القارئ وهو مفعم يقيناً بأن هذا الشرح هو سيد الشروح وهو وحده الشرح الذى طَبَّق المفصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية — أقول إنهما على الرغم من ذلك يَصْدُق عليهما قول الواحدى فى ابن جنى : وأما ابن جنى فانه من الكبار فى صنعة الأعراب والتصريف ، والمحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه اذا تكلم فى المعانى تبلد حماره ، وَلجّ به عثاره . . نعم وحسبك أن ترجع إلى ماقالاه — أى اليازجيان — فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته

لحَا اللهُ ذِى الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى ان من لا هم له لا يخلو فيها من العذاب ، فما الظن بصاحب الهموم ! ولست أدرى كيف لم يفطنا إلى معنى هذا البيت وهو من الوضوح والجلاء كما ترى . . . على أنهما فى شرحهما عامة — لافى شرح هذا البيت — لم يحيدا عن الواحدى والعكبرى قِيدَ أُنْمُلَة فهما عمدتاهما وعليهما معولهما فاذا هما حاولا أن يتفصّيا منهما و يستقلاّ بالشرح دونهما و يأتيا بشئ من عندهما زلت قدماهما وكبا جواداهما أو تبلد حماراهما . . . ووقعا فى مثل ماوقعا فى هذا البيت . . . ذلك إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قَصّر فيه وَمَرّض ولم يتعرض لشرح المعانى وانما اقتصر على شرح المفردات — وإلى أنهما — اليازجيين — تركا كثيراً من شعر المتنبى الذى يريان فيه خمشاً لوجه الأدب . وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبى وذكر الأشباه والنظائر أصلا ، وهذه مزية من المزايا قد وفيناها حقها فى هذا الشرح ...على انّا لانبخس الناس أشياءهم ولا ننكر خصائص الطبائع البشرية وما قد يعروها الْخَطْرَةَ بَعْدَ الخَطْرَةِ من الفتور والانتكاس،وانغلاق الذهن ،وتبلد الحس،وإظلام البصيرة ، وغؤور الروح ، وخمود الذكاء،حتى لقد يخفى أحياناً على العيلم الألمعى وجه الصواب

وهو منه على حبل الذراع وطرف الثمام كما يقولون فيتعسف الطريق ويتخبط تخبط العشواء . . وهذا ابن جنى الامام العالم المجتهد الثبت ، بل فيلسوف اللغة العربية العليم بخصائصها الطَبُّ البصير بدقائقها تراه فى شرحه على المتنبى — على الرغم من ذلك ومن أنه كان معاصراً للمتنبى متعصباً له محامياً عنه وكان اذا سأل المتنبى سائل عن معنى بيت من أبياته يقول اسألوا الشارح ـ يعنى ابن جنى ـ وكان ـ ابن جنى ـ يراجع المتنبى فى كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذى يغزوه ـ وبرغم ذلك تراه فى كثير من المواضع ـ كما قال الواحدى ـ وقد تبلد حماره ، ولج به عثاره . وهكذا تتبعت جميع من تعرض للمتنبى بالشرح أو النقد كابن فورجه والعروضى والتبريزى وابن وكيع وابن القطاع وابن الأقليلى فوجدتهم جميعاً بجانب حسناتهم سيآت ، وإلى سَدادهم زلات وهفوات . وهذا حقاً من غريب طبائع البشر فسبحان من تفرد بالكمال ، ولقد وجدت ذلك من نفسى مع أن الطريق معبّد والمادة متوافرة ، فقد أكون فى بعض الأوقات مستجما نشيطاً مهزوزاً مُرهَفَ الطَبْعِ مَصْقولَ الذهن صافِىَ الحس منبسط النفس فأشرح ما أشرح من قوافى المتنبى فآتى بما أرضى به عن نفسى ويعرونى له من الطرب مايستخفنى ، وأكون فى أوقات أخرى منقبض النفس مظلم الحس مغلق الذهن فَدما بليدا لاأكاد أذْهَنُ شيأ ، وأكون مضطرا الى العمل فأشرح وأنا على هـذه الحال بعض الأبيات ثم أعود فى وقت أكون فيه على جمام من نفسى إلى ماشرحت وأنظر ماذا قلت فأدهش كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم وأتهم نفسى حتى لاأكاد أصدق أن شيأ من هذا نَدَّ به القلم . . ثم لاتنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات وان هذا ينزع فى تفكيره نزعة لغوية وذاك نزعة نحوية وذلك نزعة فلسفية منطقية وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخيل ، وأن هذا أصح تمييزاً من ذاك وأنفذ بصيرة وأبعد مدارك وأصفى نفساً وألطف حساً وأكثر ألمعية إذا أذِنَتْ أذناه شيأ شآها ذهنه . فاذا هم أراغوا تأويل بيت من أبيات المعانى الدقاق تشعبت

آراؤهم وذهب كل فى تاويله مذهباً قد يباين مذهب الآخر تبعاً لتباين قرائحهم ومحصولاتهم كما قال المتنبى

وَلَـكِنْ تأْخُذُ الآذَانُ مِنْهُ   عَلَى قَدرِ القَرَائِحِ وَالعُلُومِ

وإليك شيأ يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح فى تأويلاتهم لمثل شعر أبى الطيب ، ذلك أن المتنبى كان رجلا ماكراً باقعة داهية فكان من دهائه يعمد إلى بعض المعانى التى سُبق اليها فيحاول أن يبعدها عن أصلها ويُعميها على الناظر فيها ، ويريغها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفْطَن الى أن غيره أبو عُذْر هذا المعنى فيلجأ الى التعمية والجمجمة والتعقيد والابهام لأن تلك طريقته كما سنبينه فيجىء البيت متنافر اللحمة ملتاث التعبير لايشف ظاهره عن باطنه ، ولايتجاوب أوله وآخره حتى لكأنه ضرب من الرقى فيظن بعض الشراح أن هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكد ذهنه ، ويجهد فكره ، ويسافر فى طلب المعنى أميالا وهو لايفوت أطراف بنانه ، وينضى اليه رواحل ذهنه وهو على حبل ذراعه، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب كما قال المتنبى

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النّجَاحُ بِهِ الـ   ـطَبْعُ وَعِنْدَ التعَمُّقِ الزَّلَلُ

وهاك شيأ يرجع إليه ذلك التعقيد الذى نراه فى بعض شعر المتنبى ، هو أن أبا الطيب له حُسَّاد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة فى حلب وتقع عينه عليهم أنى ذهب — فى الشام وفى مصر وفى بغداد وفى فارس ، وكانوا له بالمرصاد يتلمسون له الهفوة والمأخذ ، وكان كثير ممن يمدحهم كذلك شعراء أدباء وناهيك بسيف الدولة وابن العميد ، فكان لذلك كله يحتشد لكثير من قصائده ويتعمل لها ويتنطس فى ألفاظه ومعانيه ويحتفل ويمعن فى الاحتفال إلى ما وراء طبعه فيجىء بعض نظمه كزّاً جافا معقداً حُرِم طُلاوة الطبع ورونقه وفقد نصف الجمال الشعرى . . .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفطن إليه أحد أو فطنوا إليه ولم يَصفوه أو وصفوه ولـكن لم يصفوه الوصف الذى هو به أليق ، ذلك أن المتنبى للأسباب التى أسلفناها ولسبب آخر سنبينه تراه فى أكثر شعره ينقصه التعبير الشعرى ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه فى الصنعة والاحتفال بالمعنى وهو أبو تمام . وإنى لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهى : إنما حبيب

أبو تمام — كالقاضى العدل يضع اللفظة موضعها ويعطى المعنى حقه بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع يتحرى فى كلامه ويتحرج خوفاً على دينه ، وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعَنوة ، أو كالشجاع الجرىء يهجم على ما يريده ولا يبالى مالقى ولا حيث وقع . . انتهى . فأنت إذا نظرت إلى أبى تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة وترى المعانى الدقاق وترى الصنعة من الجناس والمطابقة وما إليهما، وترى مع ذلك كله التعبير الشعرى، أى ترى النصاعة والاشراق ووضوح المعالم واطراد النظام وتساوق الأغراض وإحكام الاداء والروعة والجمال والروح القوى الذى يطالعك من بين فِقَره ، ومن هنا يفضل أبو تمام أبا الطيب . قال ابن الاثير : هؤلاء الثلاثة — أبو تمام والبحترى والمتنبى — هم لات الشعر وعُزَّاه ومَناتهُ ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، « أما أبو تمام » فانه رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شُهد له بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الاغراب ، الذى برّز فيه على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقير ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه ، أطاعته أعنة الـكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، فخذ منى فى ذلك قول حكيم ، وتعلم ففوق كل ذى علم عليم . « وأما أبو عبادة البحترى » فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز

طرفى الرقة والجزالة على الاطلاق ، فبينا يكون فى شظف نجد إذ تشبث بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى ، ولعمرى إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فان أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ، مع قربه إلى الافهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، ورقى فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية ، « وأما أبو الطيب المتنبى » فانه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى فى شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالابداع فى وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولا لست فيه متأثماً ، ولا منه متلثما ، وذاك أنه إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا ، فطريقه فى ذلك تضل بسالكه ، وتقوم بعذر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى اليه عيانه ، وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء[1] ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الأطراء ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لاَ تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَتِهِ ... إنَّ الكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا

وَلا تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ ... قَدْ أُفسِدَ القَوْلُ حتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ[2]

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التى ما ضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة ، خمس فى الغاية التى انفرد بها دون غيره ، وخمس

---

(١) خاتم الشعراء على الحقيقة هو أبو العلاء المعرى فانه لم يظهر بعده شاعر فحل يصح أن يلز مع هؤلاء فى قرن . . .

(٢) لو أن أبا الطيب عاش حتى ادرك المعرى لما قال مثل هذا القول

من جيد الشعر الذى يساويه فيه غيره ، وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس فى الغاية المتقهقرة التى لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ، فانهـا هى التى ألبسته لباس الملام ، وجعلت عِرضَهُ غرضاً لسهام الاقوام . . انتهى كلام ابن الأثير . وقد آن لنا أن نقول ان هذا الذى يعاب على أبى الطيب ويُظن أنه يَتَخَوَّنه ويَشِينُه هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليـد الذى لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق . . . فالـكلام انما هو من الـكلام ، وانمـا يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليـد ، وبطريقته فى التوليـد تقوم طريقته فى الشعر ، فمن ثَمَّ يختلف الشعراء ويمتاز واحد من واحد ، وتَبين طَرِيقةٌ منْ طريقة وان تواردوا جميعا على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول . ولقد يأتى مائة شاعر بالمعنى الذى لا يختلف فى الطبيعة ولا فى السياق ولا فى الفهم فيديرونه فى مائة بيت تكون فى مائة ديوان ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ، وصناعتهم فى أخذه مختلفة ، وتراهم قد تناولوه بوجوه كثيرة تُحقق فيه عمل أمزجتهم ، وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجرى به فى طرق حوادثهم كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ[1] فهو مع هذا قوى ومع الآخر جبار ومع الثالث ضعيف ومع رابع متهالك ، وتارة ندين وأخرى هزيل وثالثة بينهما وهكذا . ولولا ذلك لم يكن الكلام الا تكرارا وبطل فيه عمـل العقل ، وأصبح رثا باليا وذهب مع الذاهبين الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر الا اقامة الوزن ،

---

(١) ومن هنا لا ينبغى لك أن تظن حين ترى فى شرحنا هذا مثل قولنا ـــ بعد شرح بعض الأبيات ـــ ان هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر اليه ، أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء وإنما هو التوليد الذى هو من خصائص النوابغ . وإنما ذِكْرُنَا هذه الأشباه والنظائر هو لترى كيف يكون التوليد ، ولتختار ما يحلو ...

ولو كان هذا لنسخ لقب الشاعر من الارض ولم تعـد للبيان صناعة ولا بقيت فى القرائح مادة إلهية من الالهام

وشأن المتنبى كالشأن فى نوابغ الدنيا ، فالشاعر النابغة لايمهر بارادته ولا ينبغ بأن يخلق فى نفسه مادة ليست فيها وانما هو يولد مُهَيّاً بقوى لاتكون إلا فيه وفى أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد أو الذهب على النحاس . ثم تتفاوت هذه القوى فى النوابغ فتتنوع وتتباين وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثَمَّ يجتمع لـكل منهم شخصية ويستقل منها بطريقة ومذهب ، فاذا تناول معنى من المعانى تناوله على طريقته فاما حذف منه وإما زاد فيه وإما غيره وقَلَبَهُ وإما صبَّ على حذوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه أو لايكون فيه إلا أنه جاء على طريقه حسب ، فكثيراً مايقرأ النابغة كلاماً لغيره أو يتأمل خاطراً أو يشهد أمراً فاذا كل ذلك قد أوحى اليه وانعكس على مرآة ذهنه بمعان مبتكرة طريفة لاتشبه ما كان بسبيله وجهاً من الشبه لاقريباً ولا بعيداً وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق وهو بعدُ لم يتعمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لايدرى ماهى ولا أين هى . . .

وكما يُختار النبى يُختار النابغة وليس كل الناس أنبياء ولا كلهم نوابغ ولا يصنع النبى أكثر من أن يتلقى عن الوحى وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهى تكون فيه هو وحده بمقام المَلَك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين على حين تكون فى سواه بمقام الأنسان من الناس . فالرجل الذكى أشبه بانسانين أحدهما هو والآخر بصيرته وهو بذلك أقوى من غيره ، ولـكن النابغة وبصيرته أشبه بانسان وملك أو انسان وشيطان فهو دائماً أقوى من القوة وهو دائما متصل بشىء فوق الانسانية .

واذا تقرر هـذا فليس للنابغة اختيار فيما يأتى به وليس عليه إلا أن يأخذ مايؤتاه كما يتهيأ له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبي يأتى أحياناً بالتعقيد المستكره واللفظ المتكلف وتراه يتعسف و يتخبط وَيُسف" ومع ذلك لاينفى مثل هذا من شعره ولا يحذفه وهو قادر على أن يَغْنَى عنه وليس فى حاجة اليه ولـكنه بعض طريقته التى انطبع عليها فلا يستطيع حين يجيئه الردئ أن يجعله جيداً وليس إلا أن يأخذه كما هو لأنه هو الذى انبثق له عن الجيد كما تضرم النار من مادة فاذا هى شُعَل ودخَان ثم تضرمها من مادة أخرى فاذا هى لهب صاف يتألق . ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجىء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معا .

وهذا سر لم يتنبه اليه أحدممن كتبوا عن المتنبي فاشْدُدْ يدك عليه وادرس المتنبي علىهذه الطريقة فستجده نابغة فى جيده ورديئه، وستجده لايستطيع غير المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضا لأنه كذلك أُلْهِم وعلى ذلك ركب طبعه وكان ظلامه ظلاما لتسطع فيه النجوم .

* * *

أما الأفاضة فى ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك فلا يأتى فيها أحد بجديد . . وقد أصبح المتنبي دون غيره من شعراء العربية كأنه فى غير حاجة إلى الترجمة اذ هو كالقطعة من تاريخ الأدب فالكلام عنه متداول مشهور وهذا بعض ما اختص به، فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ولـكنك لاتحتاج من أبى الطيب إلا إلى شعره وترى شعره ترجمة روحه ولذلك اجتزأنا فى هذه الكلمة ببيان سره الشعرى[1] ثم أنت بعد ذلك فى حقيقة الرجل ،أى شعره وشرح شعره الذى نقدمه اليك . . .

---

(١) ومع ذلك لم نرمندوحة عن اجمال ترجمته وأخلاقه واذا أبيت الا التوسع فى هذا فعليك بكتاب صديقنا الفاضل محمد كمال حلمى بك « أبو الطيب المتنبي » حياته وخلقه وشعره وأسلوبه .

***

وبعد فأما هذا الشرح فلا يُلْقَيَنَّ فى رُوعك أنه بِدْع فى الشروح وأنه شىء مبتكر جديد ، وهل غادر الشُّرّاحُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ؟ و إنما كل مزية هـذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شىء من التهذيب والتنقيح والتحوير، أو بعد أن خلصت من عَكَرِها خلاص الخمر من نَسْجِ الفِدَام كما يقول أبو الطيب ، و بذلك توافر فيه مالم يتوافر لأى شرح من شروح المتنبى على حدته فليس يغنى عنه شرح ولكنه هو ـ بحمد الله ـ يغنى عن سائر الشروح ، فهو كما يقول أبو الطيب

يُدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كلُّ فاخرٍ وَقَدْ جَمعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ المعَانِيَا

عبد الرحمن البرقوقى

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ
٥ اكتوبر سنة ١٩٣٠ م

(قافية الهمزة)

قال وقد طلب اليه سيف الدولة أجازة أبيات لأبي ذر سهل بن محمد الكاتب [1]

عَذْلُ العَوَاذِلِ حَوْلَ قلبِ التَّائِهِ ... وَهَوَى الأَحِبَّةِ منهُ في سَوْدائِهِ [2]

يَشْكُو ٱلْمَلاَمُ إِلَى اللَّوائِمِ حَرَّهُ ... وَيَصُدُّ حِينَ يَلُمْنَ عَنْ بُرَحائِهِ [3]

---

(١) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور، وكان شيخ سيف الدولة

يالائمي كُفَّ المَلاَمَ عن الذي ... أَضناهُ طُولُ سَقامه وشقائِه

إن كُنْتَ ناصحَه فَداوِ سقامَه ... وأعِنْهُ مُلتمساً لِأمرِ شِفائِه

حتى يقالَ بأنّكَ الخِلُّ الذي ... يُرجَى لِشدّة دهرِه ورَخائه

أَوْلاَ فدَعْه فما به يكفيه مِن ... طول الملام فلستَ مِن نُصحائه

نَفْسي الفِداءُ لمن عَصَيْتُ عواذلي ... في حُبّه لم أخشَ من رُقَبائه

الشمس تطلعُ من أَسِرَّة وجهه ... والبَدرُ يَطلُع من خِلال قَبائه

(٢) يعني بالتائه نفسه وسوداء القلب وسويداؤه العلقة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد. يقول: ان لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه واذن لا يصل اللوم الى قلبي وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم

تَغَلْغَلَ حيثُ لم يبلُغ شرابٌ ... ولا حُزنٌ ولم يبلغ سرور

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي وليس هناك لانه لا يقال تاه قلبه. وقال قوم: المعنى أن قلبي يتيه على عذلهم، من التيه بمعنى الكبر، قال الواحدي: وليس بمستحسن

(٣) البرحاء شدة الحرارة، من برحاء الحمى وهي شدتها. يقول: ان اللوم يشكو حرارة قلبي الى اللوائم كأنه يقول لهن لا تبعثنني اليه لاني أخشى برحاء قلبه واذا لمنني أعرض اللوم عن قلبي خشية أن تلفحه ناره يعني بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطيق أن يصل الى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب. وليس يخفى ما في هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل

وَبِمُهْجَتِي يَاعَاذِلِي الْمَلِكُ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَائِهِ (١)

إِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ (٢)

الشَّمْسُ مِنْ حُسَّادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرَنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ (٣)

أَيْنَ الثَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ (٤)

مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزْنَ عَنْ نُظَرَائِهِ (٥)

---

(١) الباء فى بمهجتى للتفدية ويريد بالملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله ياعاذلى يامن يعذلنى وهذا اقتضاب عدل به عن النسيب الى المديح . يقول : انى بالأمى أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد لوما منك فلم اتركه وات غيره واسخطت لوامى جميعا فى سبيل مرضاته

(٢) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستوى حبه عليها مادام قد ملك الدنيا

(٣) والنصر من قرنائه أى أنه اينما كان فهو منصور والسيف من أسمائه لانه يعرف بسيف الدولة

(٤) الخلال جمع خلة وهى الخصلة والأباء أن يأبى الذل ولايرضاه والثلاثة الشمس والنصر والسيف يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من ابائه أى أنه أشد اباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء السيف من مضائه

(٥) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الأبيات فان الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف الى مثل هذا الغلو والمتنبى كثيرا ما يلجأ فى شعره الى الافراط وقد ذمه قوم من المتقدمين وإنى معهم)

﴿ واستزاده فقال ﴾

أَأَلْقَلْبُ أَعْلَمُ يَاعَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ (١)

فَوَمَنْ أُحِبُّ لَأَعْصِيَنَّكَ فِى الْهَوَى قَسَماً بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ (٢)

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٣)

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللُّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ دَعْ مَا نَرَاكَ ضَعُفْتَ عَنْ إِخْفَائِهِ (٤)

---

(١) الضمير فى مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود الى القلب والمراد بمائه دموعه يقول : القلب أدرى منك أيها اللائم بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتمس شفاءه فى البكاه ويأمر الجفن به * وان شفائى عبرة مهراقة * والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الاكبر وأنت أيها العذول خليق بأن تعصى ولا اكتراث بنهيك

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطعتك أيها اللائم فيه

(٣) الاستفهام فى أأحبه انكارى يقول: لا أجمع بين حبه وبين النهى عن حبه لأن الملامة معناها النهى عن حبه وقد ناقض بذلك قول أبى الشيص

أَجِدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً حُبًّا لِذكركِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّمُ

وقال الواحدى: معنى قوله ان الملامة فيه من أعدائه ان صاحب الملامة أى اللائم هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا تكلف لاموجب له فالمتنبى يقول ان اللوم من أعداء حبيبه فلا يجمع بينه وبين حبه إياه أى انه لايصغى للوم اللوام ولايقبله

(٤) وقولهم عطف على اللحاة والوشاة جمع واش وهو النمام لأنه يشى الكذب أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب واللحاة جمع لاح وهو العاذل اللائم يقول : ليس هناك الا واش أولاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لاتطيق كتمانه والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائلين اذا لم يطق كتمانه كان عن تركه أعجز يعنى : انى وان كنت ضعفت عن اخفاء هذا الحب بيد انى لا أتركه

مَا الْخِلُّ إلاَّ مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِهِ وَأرَى بِطَرْفٍ لاَيَرَى بِسَوَائِهِ (١)

انَّ المُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ (٢)

مَهْلاً فإِنّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ (٣)

وَهَبِ المَلاَمَةَ فِي اللّذَاذَةِ كالكَرَى مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وَبُكَائِهِ (٤)

---

(١) الخل والخليل الصديق والطرف العين وسوى اذا قصرته كسرته واذا مددته فتحته . يقول : ليس الصديق الا من لافرق بيني وبينه فاذا وددت فكأني أود بقلبه واذا نظرت فكأني أنظر بعينه والمعنى صديقك من وافقك في كل شيء فيود ماوددت ويرى ماترى وقال ابن جني :المعنى ليس لك خليل الا نفسك وهو كقوله

خَليلُكَ أنت لامَنْ قُلتَ خِلِّي وَإنْ كَثُرَ التجَملُ وَالكلامُ

(٢) الصبابة رقة الشوق . والاسى الحزن والاخاء الاخوة وربها أي صاحبها والضمير للصبابة يقول: ان الذى يعين على صاحب الصبابة بأيراد الحزن عليه بلومه اياه أولى بان يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال في طلب الخلاص له من ورطة الهوى وهذا في عراض قول أبي ذر المتقدم * ان كنت ناصحه فداو سقامه *

وجعل ايراده الحزن عليه عونا على معنى أنه لا معونة عنده الا هذا كقولهم عتابك السيف وحديثك الضرب وقوله على الصبابة أي على صاحبها كما قلنا والمعنى معما أنافيه من الصبابة

(٣) يقول : دع اللوم أيها اللائم فاني سقيم واللوم يزيدني سقما على سقم وترفق في لومك فان السمع — والمراد الاذن — من أعضائي فلا تسمعها ما يزيدها سقما

(٤) هب أي احسب والسهاد الارق والكرى النعاس قال ابن جني المعنى : اجعل ملامتك اياه في التذاذكها كالنوم في لذاذته فاطردها عنه بما عنده من الارق والبكاء أي لاتجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أي فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلتزل ملامتك اياه وهذا معنى صحيح مستساغ ولكنه لم يعجب الواحدي اذ يقول : هذا كلام من لم يفهم المعنى وظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامة كاستلذاذك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملامة فانه ليس بألذ من النوم أي فان جاز أن لاتنام جاز أن لاتعذل . . .

لَا تَعْذُلِ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ ... حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ (١)

إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ ... مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ (٢)

وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبُهُ ... لِلْمُبْتَلِى وَيَنَالُ مِنْ حَوْبَائِهِ (٣)

لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ الْحَزِينِ فَدَيْتُهُ ... مِمَّا بِهِ لَأَغَرْتَهُ بِفِدَائِهِ (٤)

وُقِيَ الأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ ... مَالَا يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ (٥)

يَسْتَأْسِرُ الْبَطَلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ ... وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ (٦)

(١) لا ناهية ويروى لاتعذر فتكون نافية يقول : لاتلم العاشق حتى تحب مثل ما يحب وهذا من قول البحتري

اذا شئت أن لاتعذل الدهر عاشقاً ... على كمدٍ من لوعة البين فاعشق

(٢) مضرجا في الموضعين نصب على الحال والمضرج الملطخ بالدم من ضرجت الثوب اذا صبغته بالحمرة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالمقتول تهويلا لامر الهوى يقول : ان القتل انما هو باستنزاف الدم فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات

(٣) المبتلى العاشق الذى امتحن بالحب والحوباء النفس والواو فى قوله وينال واو الحال . يقول : ان العشق حلو القرب كقرب المعشوق وان كان ينال من نفس العاشق أى يتلفها أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم وأغرته أى بعثته على الغيرة وقوله بفدائه أى بفدائك اياه فأضاف المصدر الى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت مابك من برح الهوى بى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم مايلاقيه

(٥) وقى أى وقاه الله والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من الهوى لانه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والامير وان كان من الشجاعة والجود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى ألطف من ذلك

(٦) يستأسر أى الهوى أى يجعله فى الاسر والبطل الشجاع والكمى لابس السلاح والعزاء التجلد يقول : ان الهوى يأسر البطل الشجاع المستلئم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصبره وجلده على الرغم من بطولته . وهذا ينظر الى قول جرير

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا

إِنِّى دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً ... لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ (١)

فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ ... مُتَصَلْصِلاً وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ (٢)

مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سَمِيَّهَا ... فِى أَصْلِهِ وَفِرِنْدِهِ وَوَفَائِهِ (٣)

طُبِعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْنَاسِهِ ... وَعَلِىٌّ الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ (٤)

---

(١) النوائب الشدائد وسامعها سيف الدولة والاكفاء جمع كفء وهو القرن والنظير يقول : انى دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك الى نظرائك لجلادها لانك فوق الشدائد

(٢) المتصلصل الذى له صلصلة وحفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فاحتطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول الى وحميتنى بذلك منه وهذا قريب من قول أبى نواس

تَغَطَّيتُ مِن دَهْرِى بِظِلِّ جَنَاحِهِ ... فَعَيْنِى تَرَى دَهْرِى وَلَيسَ يَرَانِى

(٣) ضمير تكون للسيوف أى بأن تكون السيوف سميها أى مثل سميها وفرند السيف جوهره ووشيه وهو مايرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار استعاره هنا للممدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والاصل النجار والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيوف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه وهذا كقوله * تظن سيوف الهند أصلك أصلها *

(٤) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود الى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور فى موضع نصب خبر كان وعلى مبتدا والمطبوع صفة له ومن آبائه فى موضع رفع خبر والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبى الهيجاء بن حمدان التغلبى . يقول : ان السيوف مصنوعة من الحديد فهى تنزع الى أصلها الذى صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المعرق له فى الكرم فانه ينزع الى أصله فى المجد والفعال فهى وان شاركته فى الاسم تخالفه فى الأصل وشتان مابينهما

وَقَالَ يمدح الحسين بن اسحاق التنوّخى وكان قوم قد هَجَوْه ونحلوا الهجاء إلى ابى الطيب فكتب إليه يعاتبه فكتب أبو الطيب إليه

أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ اسْحاق إِخَائِى وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِى مِنْ إِنَائِى (١)
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عِلْمِى بِأَنَّكَ خَيْرُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ (٢)
وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا وَأَمْضَى فِى الأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ (٣)
وَمَا أَرْبَتْ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِّى فَكَيْفَ مَلِلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ (٤)
وَمَا اسْتَغْرَقْتُ وَصفَكَ فِى مَدِيحِى فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْأً بِالْهِجَاءِ (٥)
وَهَبْنِى قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيَعْمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ (٦)

---

(١) الاستفهام للتعجب واسحاق مصروف للضرورة والاخاء المصادقة وتحسب تفتح عينه وتكسر أى تظن والماء والاناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتنكر مؤاخاتى إياك وتظن أن ماهجيت به صادر منى ؟

(٢) الهجر القبيح من الكلام يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علمى أنك خير الناس،وهذا مبالغة

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير فى البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت اكره طعما على العدو من طرف السيف وأنفذ فيما تريد من الأمور من القضاء، وهذا من مبالغات المتنبى المعروفة

(٤) ماحرف نفى وأربت زادت والسن العمر ومللت سئمت. يقول : وما زادت سنى على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك اذ أنى بتعرضى لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة

(٥) وماعطف على ما قبله واستغرقت استوفيت يقول : ولم أستوف الى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائيك وأنا باستتمامها أولى منى بالاخذ فى الهجاء

(٦) يقول : وقدر إننى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعالك لا يخفى على أحد كضياء الشمس وهل يعمى العالمون عن الضياء

تُطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرْءٌ ... جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمُ فِدَائِى (١)

وَهَاجِى نَفْسِهِ مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ ... كَلَامِى مِنْ كَلَامِهِمِ الْهُرَاءِ (٢)

وَإِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِى ... فَتَعْدِلَ بِى أَقَلَّ مِنَ الْهَبَاءِ (٣)

---

(١) مرء لغة فى امرؤ يقول : تصغى الى الحساد وتنزل على تهمتهم اياى بهجائك وأنت أسمى من أن يهجوه مثلى لأنى فداه له لماله من الايادى أما هؤلاء الحساد فهم فداءلى لأنى أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب الشراح أكثرهم الى أن جملة جعلت فداءه دعائية جعلت وصفا لمرء وهو نكرة على تقدير محذوف أى مستحق لان أسأل الله أن يجعلنى فداءه على حد قول الراجز

مَا زِلْتُ أَسْعَى مَعَهُمْ وَأَخْتَبِطْ ... حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ المختلط

جَاؤا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ *

أى جاؤا بضيح يقول من رآه هل رأيت الذئب قط، وفى هذا من التكلف ما فيه

(٢) من لم يميز مبتدا مؤخر وهاجى نفسه خبر مقدم والهراء الكلام الساقط الذى لا خير فيه قال ذو الرمة

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحريرِ وَمنطِقٌ ... رَخِيمُ الحواشى لاهُرَاءٌ ولانَزْرٌ

يقول: ان من لم يفرق بين كلامى وبين كلامهم الساقط فانما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من أن لا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك

(٣) أن ترانى مؤول بمصدر اسم أن ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعدل عطف على ترانى وأقل صفة لموصوف محذوف أى شيأ أقل من الهباء وعدله به ساواه وأقل أخس والهباء مايرى فى شعاع الشمس من دق الغبار قال

بَرَانِى الهوى بَرْىَ المُدَى وَأَذَابَنِى ... صدودُكِ حتى صرتُ أنحلَ مِنْ أَمْسِ

فلَسْتُ أرَى حَتَّى أَرَاكَ وإنما ... يَبِينُ هَبَاءُ الذَّرِّ فى أَلَقِ الشمسِ

يقول : من العجب أن ترانى وتعرفنى ثم تسوى بينى وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء

---

* الضيح اللبن المخلوط شبه لون الضيح بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لان لونه يشبه لون المذق وهو الضيح

وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزِّنَاءِ (١)

وقال يمدح أبا على هرون بن عبد العزيز الأوراجى الكاتب وكان يذهب الى التصوف

أَمِنَ ازْدِيَارَكِ فِى الدُّجَى الرُّقَبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ (٢)

قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهْىَ مِسْكٌ هَتْكُهَا وَمَسِيرُهَا فِى اللَّيْلِ وَهْىَ ذُكَاءُ (٣)

(١) سهيل نجم تزعم العرب أنه اذا طلع وقع الوباء فى الارض وكثر الموت والزنا يمد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادى وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسدالى

(٢) أمن فعل والرقباء فاعل وازديارك مفعول مقدم واذ تعليليه وأنت ضياء مبتدا وخبر اضيفت حيث الظرفية الى جملتهما ومن فى من الظلام للبدل ويروى

☆ اذ حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدا محذوف الخبر أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ... والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : ان الرقباء قد أمنوا أن تزورينى ليلا لأنك اذا زرتينى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام واذ ذاك تفتضحين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة العكوك

بِأَبِى مَنْ زَارَنِى مُكْتَتِماً حَذِرًا مِن كُلِّ واشٍ فَزِعَا
طَارِقاً نَمَّ عليه نُورُه كيف يُخْفِى الليلُ بَدرا طَلَعَا
رَصَدَ الخلوة حتى أمكنَتْ ورَعَى السامِرَ حتى هَجعَا
كابَدَ الأهوالَ فى زَورَتِه ثُمَّ ما سَلَّمَ حتى وَدَّعا

(٣) قلق مبتدا وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بقلقها حركتها والمسك طيب من دم دابة كالظبى تدعى غزال المسك وهتكها أى انتها كها وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : أن المليحة مسك فاذا تحركت انهتك سترها وافتضح بتضوع رائحتها، وهى شمس فاذا سارت ليلا رآها الناس، ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قال البحترى

وحاوَلنَ التَّرَحل فى الدُّجَى فَنَمَّ بهِنَّ المِسكُ لمَّا تضوعا

أَسَفِي عَلَى أَسَفِي الَّذِي دَلَّهتَنِي ... عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَلَيَّ خَفَاءُ[١]

وَشَكِيَّتِي فَقْدُ السَّقَامِ لِأَنَّهُ ... قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ[٢]

مَثَّلْتِ عَيْنَكِ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً ... فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاءُ[٣]

وقال :

وكانَ العَبيرُ بها واشياً ... وجَرْسُ الحُليّ عليها رقيبا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة

ثلاثةٌ منعَتْها من زيارتِنا ... وقد دَجا الليلُ خوفَ الكاشحِ الحَنِقِ

ضَوءُ الجبينِ وَوَسواسُ الحُليّ وما ... يَفوحُ من عَرق كالعنبر العِبقِ

هَبِ الجبينَ بفضل الكُمّ تَستُرهُ ... والحَلْيَ تَنزَعه ما الشأن في العرق

(١) أسفي على أسفي مبتدا وخبر وخفاء مبتدا وبه من فبه جار ومجرور خبره والأسف الحزن والمدله الذى أذهب العشق عقله وأذهله . يقول : انى آسف على أن شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبي يعني : انى احزن لذهاب عقلى لما لقيت في هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى انما يدرك باللب وليس لى الآن لب

(٢) الشكية الشكوى يقول : انما اشكو عدم السقم لان السقم انما كان حين كانت لى اعضاء يعروها السقام فاحسه بأعضائى فاذا طاحت الاعضاء من جراء الجهد الذى ادركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم وهذا المعنى أوضحه البستى بقوله

ولو أبقى فراقكَ لي فؤاداً ... وَجفناً كُنت أَجزعُ مِن سُهادى

ولكنْ لارُقادَ بغيرِ جَفنٍ ... كما لا وَجْدَ إلاّ بالفؤاد

(٣) جراحة مفعول ثان لمثلت أو تمييز وقوله فتشابها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهتا حملا على المعنى كأنه قال فتشابه الأمران كما قال

إنّ السماحة والمُروةَ ضُمِّنا ... قبرًا بِمروَ على الطريقِ الواضح

ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة ، يقول : لما نظرت الى صورت فى قلبى مثال عينيك جرحا يشبه عينيك فى السعة

نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرُبَّمَا   تَنْدَقُّ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ (١)

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَازُوحِمَتْ   وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنَّنِي الْجَوْزَاءُ (٢)

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَبِيِّ فَعَاذِرٌ   أَنْ لا تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ (٣)

شِيَمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي   صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاءُ (٤)

---

(١) نفذت أي العين والسابرى فى الاصل الدرع نسبة الى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرى قال ذو الرمة

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه   على عصويها سابرى مشبرق

والصعدة القناة التى تنبت معتدلة فلا تحتاج الى تقويم يقول — اذا كان يريد بالسابرى الدرع —: اخترقت عينك الدرع الى قلبى فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . واذا كان المراد بالسابرى الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت الى قلبى فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله الى لمكانى من الشجاعة ، والشجاع موقى والاول اظهر

(٢) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتعاورها من السيول ومن ثم جعلت مثلا فى الثبات لان السيوف تجرف ماحولها ولاتستطيع اقتلاعها والجوزاء من ابراج الفلك يقول : اذا زوحمت لم يقدر على ازالتى عن موضعى كصخرة الوادى واذا نطقت كنت فى علو المنطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال أن الجوزاء بيت عطارد فيكون المعنى منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولد فيها البراعة والنطق

(٣) الغبى الغافل القليل الفطنة وقوله فعاذر أى فأنا عاذر فهو خبر عن محذوف والمقلة العين يقول : اذا خفى مكانى على الغبى فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأنا عاذر له لانه كالأعمى الذى لايرى الاشياء والأعمى معذور فكذلك الغبى الجاهل، وهذا المعنى ينظر الى قول بعضهم

وقد بَهَرْتَ فما أخْفَى على أحد   الا على أكْمَهٍ لا يَعرِفُ القمرا

(٤) صدرى يريد أصدرى فحذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الفلاة سميت كذلك لان الشأن فيمن سلكها أن يبيد والشيمة العادة وشككه حمله على الشك وأفضى من الفضاء وهو الاتساع يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبتى فترمينى

فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِدًا فى نَيِّهَا إِسْآدَهَا فى المَهْمَهِ الإِنْضَاءِ (١)
أَنْسَاعُهَا مَمْغُوطَةٌ وَخِفَافُهَا مَنْكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ (٢)
يَتَلَوَّنُ الخِرِّيتُ مِنْ خَوْفِ التَوَى فِيهَا كَمَا يَتَلَوَّنُ الحِرْبَاءُ (٣)

بطول الاسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لوجعل مكان البيداء أم البيداء أفضى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناتى وتجلدى وصبرى على المشقات والاسفار. وتشبيه الصدر بالبيداء فى السعة معنى قد اعتوره الشعراء قال أبو تمام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد

وقال البحترى

كريم اذا ضاق الزمان فانه يضل الفضاء الرحب فى صدره الرحب

(١) الأسآد إدمان السير أو سير الليل خاصة والنى الشحم والسمن والانضاء مصدر أنضاه ينضيه اذا هزله والمهمه الصحراء ومسئدا حال من ضمير تسئد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الانضاء وأسآدها مفعول مطلق عامله مسئدا وتقدير البيت: تبيت هذه الناقة تسئد مسئدا الانضاء فى نيها اسآدا مثل اسآدها فى المهمه يقول : تبيت ناقتى تسير سائرا فى جسدها الهزال مثل سيرها فى الصحراء وهذا المعنى ينظر الى قول أبى تمام

رَعَتْهُ الفَيافِى بَعدَ ما كانَ حِقْبَةً رَعاها وَماءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ ساكِبُهْ

(٢) الانساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرحل ، والمغط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت انساعها فطالت ، وخفافها منكوحة أى منقوبة بالحصى وكنى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحة أى مدمية من الحصى واستعار النكاح لوطئها الارض وادماء الحصى اياها، وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التى لم تفتض

(٣) الخريت الدليل سمى خريتا لاهتدائه فى الطرق الخفية كخرت الابرة كانه يعرف كل ثقب فى الصحراء والتوى الهلاك والحرباء دويبة على شكل سام أبرص ذات قوائم اربع دقيقة الرأس مخططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف دارت وتتلون ألوانا بحر الشمس يقول : ان هذه الارض طريقها صعبة يتلون الدليل فيها خوف الهلاك كما يتلون الحرباء وفى هذه المعنى يقول هدبة

بَيْنِى وَبَيْنَ أَبِى عَلِيٍّ مِثْلُهُ شُمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ[١]
وعِقَابُ لُبْنَانٍ وكَيْفَ بِقَطْعِهَا وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ[٢]
لَبَسَ الثُّلُوجُ بِهَا عَلَىَّ مَسَالِكِى فَكَأَنَّهَا بِبَيَاضِهَا سَوْدَاءُ[٣]
وكَذا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِبَلْدَةٍ سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ

يظل بها الهادى يقلب طرفه من الهول يدعو ويله وهو لاهف

ويقول الطرماح

اذا اجتابها الخريت قال لنفسه أتاك برحلى حائن بعد حائن

(١) شم الجبال بدل من قوله مثله ونصب مثلهن على الحال لانه نعت للنكرة المرفوعة فقدم عليها فنصب على الحال كقولك فيها قائما رجل وكقول ذى الرمة

وَتَحْتَ الْعَوَالِى والقَنَا مُسْتَظِلَّةً ظِباءٌ أعارتها العيونَ الجآذِرُ

يقول : بيني وبين هذا الممدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهذه الجبال

(٢) وعقاب عطف على شم الجبال وعقاب جمع عقبة وهى المرتقى الصعب من الجبل والباء فى بقطعها متعلقة بمحذوف تقديره وكيف أقوم بقطعها أو كيف الظن مثلا وكيف استفهام فى المعنى الانكارى وواو وهو الشتاء للحال والضمير ضمير الشأن يقول : وكذلك بيني وبينه عقاب جبل لبنان وكيف استطيع قطعها والوقت شتاء وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها

(٣) لبس الشىء ولبسه عماه قال تعالى : «وللبسنا عليهم مايلبسون» والضمير فى بها للعقاب والضمير فى كأنها للثلوج أو للمهالك وباء ببياضها متعلقة بمعنى كأن أى التشبيه يقول : ان الثلوج فى هذه الجبال اخفت على طرقى فلم أهتد لكثرتها وبياضها وكأنها اسودت اذ ضللت فيها لان الاسود لايهتدى فيه وهذا معنى حسن كما ترى

(٤) النضار الذهب والنضار أيضا الخالص من كل شىء وقام الماء جمد ومعنى هذا البيت متصل بالذى قبله لانه يقول بياض الثلوج يعمى فقام مقام السواد ، والبياض اذا عمل عمل السواد فقد نقض العادة ، كذلك الكريم اذا أقام ببلدة نقضت العادة فيكون الذهب سائلا والماء جامدا وانما قال هذا لانه أتاه فى الشتاء عند جمود الماء يقول : ان الكريم اذا أقام ببلدة أعطى المال وتخرق فى الكرم حتى لكأن المال ماء سائل فلما رأى الماء هذا الكرم وقف متبلدا متلددا جامدا وهو تخيل بديع

جَمَدَ الْقِطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كما تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الْأَنْوَاءُ (١)
فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الأَهْوَاءُ (٢)
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ مَغِيبَهُ الْأَقْذَاءُ (٣)
مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَالَا تَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعَرَاءُ (٤)

(١) الانواء فاعل رأته ويجوز أن ترتفع الانواء ببهتت وتتبجس وفاعل ترى يعود على القطار ويروى بدل ترى رأي أى القطار ولكن ترى أحسن لأن القطار مؤنثة والقطار جمع قطر وهو المطر وبهتت دهشت وتحيرت وتتبجس تتفجر والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع رقيبه من الشرق وهى منازل القمر والعرب تنسب اليها الامطار يقولون سقينا بنوء كذا وقد نهى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ويريد بجمود القطار الثلوج يقول : ان المطر جمد لما رأى كرم هذا الممدوح ولو رأته الانواء كما رآه المطر لتحيرت ودهشت ولم تتفجر بالثلج استعظاما لما يأتيه وخجلا من جوده

(٢) المداد الحبر والاهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون اليه شغفا به وافتتانا بحسنه ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجود يقول : لايوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس الى خطه، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أى أن كتبه تقوم مقام الجيوش لان الناس ينقادون اليه غريزة وطبعا، وكل هذا فيما أرى بعيد والاقرب أن المراد أن الناس لحبهم اياه وشغفهم برؤيته يتهافتون على كل ما يكتبه لان فيه بعض مايشتهون على حد قولهم المكاتبة نصف المشاهدة

(٣) قرة العين كناية عن السرور قرت عينه بردت ودمع الفرح بارد والاقذاء جمع قذى وهو ما يقع فى العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة يقول: كل عين تسر بقربه ورؤيته وتتأذى بغيبته فكأنها تقذى اذا غاب فلم تره فكأن غيبته قذى للعيون

(٤) من بمعنى الذى خبر ضمير محذوف تقديره هو الذى يهتدى فى الفعل الى مالا يهتدى الشعراء اليه فى القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود الى من والشعراء فاعل يهتدى يقول : انما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفعاله من المكارم والمساعى العظام فاذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحكوا ما فعله

فى كُلِّ يَوْمٍ لِلقَوَافى جَوْلَةٌ فى قَلْبِهِ وَلِأُذْنِهِ إِصْغَاءُ(١)

وَإِغَارَةٌ فِيما احْتَوَاهُ كأَنَّمَا فى كلِّ بَيْتٍ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ(٢)

مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤَمَاءَ فى تَكليفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمُ لَهُ أَكْفَاءُ(٣)

وَنَذِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ(٤)

---

(١) القافية القصيدة لان بعضها يقفو بعضا أى يتبعه أو تسمية للكل باسم البعض يقول : ان الشعراء تمدحه كل يوم فيعى ذلك فى قلبه ويصغى اليه بأذنه حبا للشعر واعطاء الشعراء

(٢) اغارة عطف على جولة واحتواه جمعه واقتناه من مال والفيلق الكتيبة من الجيش انثه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التى غلب بياضها على سوادها يريد صافية الحديد يقول : وللقوافى كل يوم اغارة على ماله حتى لكأن كل بيت كتيبة تنهب ما احتواه

(٣) من بمعنى الذى خبر مبتدا محذوف تقديره هو الذى يظلم الخ واللئيم الخسيس الاصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والاكفاء النظراء والامثال يقول : ان اللئام يحاولون التشبه به حسدا له وهم لايقدرون على ذلك فكأنه ظلمهم ، أو كلفهم أن يماثلوه ولكنهم لم يستطيعوا قال الواحدى مامعناه ليس فى هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ فى المدح أن يقول الكرماء بدل اللؤماء ، وروى الخوارزمى نظلم بالنون وقال اذا كلفنا اللئام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلمناهم فى تكليفهم مالايطيقون

(٤) ذامه كذمه وقوله ونذيمهم مما يؤنس ماذهب اليه الخوارزمى فى روايته البيت السابق من نظلم بالنون يقول المتنبي : ونحن نذم اللئام ولولاهم ما عرفنا فضله لان الاشياء انما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كراما لم يعرف فضله وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار

وكُنَّ جوارى الحى مادمتِ فيهم قِباحاً فلما غبْتِ صِرْنَ مِلاحاً

وقال أبو تمام

وليسَ يَعْرِفُ طيبَ الوصلِ صاحبُه حتى يُصابَ بنأى أو بهِجران

وقال

والحادثاتُ وإنْ أصابك بُؤْسُها فهو الذى أنباكَ كيف نَعيمُها

مَنْ نَفْعُهُ فِي أَنْ يُهَاجَ وَضَرُّهُ فِي تَرْكِهِ لَوْ تَفْطَنُ الأَعْدَاءُ[١]

فَالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ[٢]

يُعْطِي فَتُعْطَى مِنْ لُهَى يَدِهِ اللُّهَى وَتُرَى بِرُؤْيَةِ رَأْيِهِ الآرَاءُ[٣]

وقال

سَمُجَتْ ونَبَّهَنَا على اسْتِسْماجِها ما حولها من نَضرةٍ وجمال

وكذاكَ لم تُفْرِطْ كآبةُ عاطلٍ حتى يُجاوِرَها الزمانُ بِحالى

وقال البحترى

وَقَدْ زادها أَفراطَ حُسنٍ جوارُها خَلائقَ اصفْارٍ من المجـد خُيَّبِ

وَحُسنُ دراريِّ الـكواكبِ أَنْ تُرَى طَوَالِعَ فى داجٍ من الليل غَيْهَبِ

بيد أن المتنبي صرح بالمعنى وبين أن مجاورة المضادة هى التي تثبت حسن الشيء وقبحه

(١) من بمعنى الذى بدل من الاول يقول : وهوالذى اذا هاجه اعداؤه واستثاروه للحرب استباح أموالهم وحريمهم فانتفع بذلك واذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلو فطن اعداؤه لهذا منه لسالموه فتسببوا الى مضرته

(٢) السلم بفتح السين وكسرها ضد الحرب والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره للمال لأنه موطن القوة والنوال العطاء ومامن قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : أنه فى الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته فى السلم وبذلك يكون السلم سببا فى نقص أمواله والحرب سببا فى توافرها وفى هذا المعنى يقول أبو تمام

اذاما أغاروا فاحتوَوا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللهى العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي فى الاصل القبضة من الحبوب يلقيها الطاحن فى فم الرحى فشبهت العطية بها يقول : أنه يعطى عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسؤلا، وهو من جودة الرأى وسداده بحيث اذا نظر الناس الى رأيه تعلموا منه سداد الآراء.

مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى ... فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ (١)

وَكَأَنَّهُ مَا لاَ تَشَاءُ عُدَاتُهُ ... مُتَمَثِّلاً لِوُفُودِهِ مَا شَاؤُا (٢)

يا أَيُّها الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ ... إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ (٣)

اِحْمَدْ عُفَاتَكَ لاَفُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ ... فَلَتَرْكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءُ (٤)

لاَ تَكْثُرُ الأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةٍ ... إِلاَّ إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الأَحْيَاءُ (٥)

---

(١) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء ولكنه مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفعاله تصدر عن عزم جميع ورأى مستحصد وأصل هذا المعنى للبيد

مُمْقِرٌ مُرٌّ على أعدائه ... وعلى الأدنين حُلْوٌ كالعسل

« ممقر أى مر » وقال النابغة الجعدى

فتًى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقه ... على أن فيه مايسوء الأعاديا

(٢) ما فى الشطرين موصولة وهى فى الاول خبر كأن ومتمثلا منصوب على الحال يقول : وكأنه صور على مايكرهه أعداؤه من ارغامهم وحملهم على الحسد حال تمثله لمن يفد عليه رجاء نواله كما يشاؤن فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه

(٣) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستعطاء يقول : يامن روحه معطى له اذ ليس يطلبها أحد منه، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله فاذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول بكر بن النطاح

ولو لم يكن فى كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

(٤) هذا البيت اتمام لمعنى البيت قبله وتأكيد له والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف وقوله لا فجعت بفقدهم دعاء له واللام فى قوله فلترك لام الابتداء يقول : اشكر هذا لعفاتك لا أفجعك الله بفقدهم لأنك تحب العطاء والسؤال ويروى لا فجعت بحمدهم أى لا قطع الله شكرهم عنك

(٥) اضطربت أقوال الشراح فى هذا البيت فقال أبو العلاء — وذهب الى قريب منه الواحدى — أن المعنى : لا تكثر الاموات كثرة يقل بها عدد الاحياء إلا اذا شقى

وَالْقَلْبُ لاَ يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ [(١)]

لَمْ تُسْمَ يَاهَرُونُ الاَّ بَعْدَ مَا اقْتَرَعَتْ وَنَازَعَتِ اسْمَكَ الْأَسْمَاءُ [(٢)]

فَغَدَوْتَ وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءُ [(٣)]

لَعَمَمْتَ حَتَّى الْمُدْنُ مِنْكَ مِلاَءُ وَلَفُتَّ حَتَّى ذَا الثَّنَاءُ لَفَاءُ [(٤)]

الاحياء بغضبك وقتلك أياهم فاذا غضبت عليهم وقاتلتهم عصفت بهم فزدت فى الاموات زيادة ظاهرة ونقص الاحياء نقصا بينا ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقدك أى لا تصير الاموات أكثر من الاحياء إلا إذا مات الممدوح يقول : انك نعمة على الاحياء وفقدك شقاء لهم وهذا على حد قول القائل

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شخص يموت بموته خلق كثير

ومنه قول الآخر

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

ويكون قوله كثرة قلة معناه أنك وان كنت قليلا فى العدد فأنت كثير فى القدر والشرف

(١) الشحناء العداوة قال ابن جنى: يريد: لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك فيضمر لك العداوة فاذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشق قلبه فمات خوفا وجزعا وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى : ولم يفسر « ابن جنى » قوله « المتنبى » عما تحته والمعنى عما فيه من الغل والحسد أى أنه وان أضمر لك الغل والحسد لم ينشق قلبه فاذا أضمر لك العداوة انشق قلبه وبان أنه عدو لك

(٢) يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به افتخارا بك وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الاسماء وقال المعرى: أراد بالاسم الصيت

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشارك أى لم يشارك اسمك فيك اسما آخر اذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى مالك سواء قد تساووا فى الاخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعطاء. هذا قول الواحدى وغيره وقال المعرى : يريد بالاسم الصيت أى لم يشركك فى صيتك أحد يقال فلان قد ظهر اسمه فى الناس أى صيته فذكره لا يشاركه فيه أحد وانما مالك الناس فيه سواء غنيهم وفقيرهم

(٤) اللام فى لعممت واقعة فى جواب قسم محذوف على اضمار قد بعدها والمدن جمع

وَلَجُدْتَ حتّى كِدْتَ تَبْخَلُ حائِلاً ... لِلْمُنْتَهَى وَمِنَ السُّرورِ بُكَاءُ[(١)]

أَبْدَأْتَ شَيْأً مِنْكَ يُعْرَفُ بَدْؤُهُ ... وَأَعَدْتَ حتّى أُنْكِرَ الإِبْدَاءُ[(٢)]

فالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ ... وَالمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءُ[(٣)]

فاذَا سُئِلْتَ فَلاَ لِأَنَّكَ مُحْوِجٌ ... وَاذَا كُتِمْتَ وَشَتْ بِكَ الآلاءُ[(٤)]

وَإِذْ مُدِحْتَ فَلاَ لِتَكْسِبَ رِفْعَةً ... لِلشّاكِرِينَ عَلَى الإِلٰهِ ثَنَاءُ[(٥)]

مدينة وملاء جمع ملآى ومنك متعلق بملاء وفت تجاوزت وذا الثناء أى هذا الثناء واللفاء الحقير الخسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء المثنين عليك حتى أصبح هذا الثناء يعد حقيرا فى جانب ما تستحقه

(١) حائلا متحولا وللمنتهى أى لأجل الانتهاء ومن السرور خبر وبكاء مبتدا والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تتحول عن آخره حين تناهيت اليه اذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء

(٢) يقول : أحدثت من الكرم مالا يعرف ابتداؤه إلا منك لعظم ما أتيت به ثم اتبعت ذلك من الزيادة فيه بما عفى على الاول وأنساه لانك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول

(٣) ناكب عادل وبراء برىء يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث يقول : ان الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذروته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برىء من أن يستزيدك لانك فى الغاية منه

(٤) يقول : اذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس الى السؤال ولكن ذلك لكى تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكى يتشرفوا بسؤالك كما قال أبو تمام

مازلت منتظرا أعجوبة زمنا ... حتى رأيت سؤالا يجتنى شرفا

واذا كتمت أى حجبت عن أنظار الناس دلت عليك نعمك وصنائعك كما قال :

من كان ضوء جبينه ونواله ... لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

(٥) للشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدا مؤخر وعلى الاله متعلق بثناء يقول : ولقد بلغت من الرفعة غاية لا يزيدها مدح مادح ولكن تمدح لتجيز العفاة وليعد الشاعر فى جملة مداحك كالشاكر لله تعالى يثنى عليه ليستحق اجرا ومثوبة لا أنه سبحانه محتاج الى ثنائه

وَإِذَا مُطِرْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُجْدِبٌ   يُسْقَى الخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ (١)

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا   حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ (٢)

لَمْ تَلْقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا   إِلَّا بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ (٣)

فَبِأَيِّمَا قَدَمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْعُلَا   أُدُمُ الْهِلَالِ لِأَخْمَصَيْكَ حِذَاءُ (٤)

وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وِقَايَةٌ   وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءُ (٥)

---

(١) الدأماء البحر يقول : اذا مطرت فليس ذلك لاجداب محلك ولكن كما يمطر المكان الخصيب والبحر وهما غير محتاجين الى المطر ومن هذا المعنى قول المعرى

والبحر يمطره السحاب وماله   فضل عليه لأنه من مائه

(٢) النائل العطاء والرحضاء العرق أثر الحمى يقول : ليست تحكى السحاب بمائها عطاءك المتتابع فانه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت حسداً لك فما ينصب من مطرها انما هو عرق حماها وهذا ينظر الى قول أبي نواس

ان السحاب لتستحى اذا نظرت   الى نداك فقاسته بما فيها

قال البديعيون : وفى هذا البيت حسن التعليل لصفة لايظهر لها فى العادة علة وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح ومن هذا الباب قول بعضهم

رأى المزن ماتعطى فضم على الاسى   فؤادا كأن البرق فيه لهيب

(٣) يقول : لاحاجة الى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة وقلة حياء منها

(٤) الأدم جمع أديم وهو ظاهر كل شىء ، والأخمص باطن القدم ومارق من أسفلها وتجافى عن الارض وقيل خصر القدم وقد يراد بها القدم كلها، قال الواحدى : قوله فبأيما قدم استفهام معناه التعجب وما زائدة : يتعجب من سعيه الى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ أحد ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نعلا لقدميه يعنى أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ تستأهل أن يكون الهلال نعلا لها

(٥) يدعوله يقول : ليهلك الزمان دون هلكك وليمت الحمام — وهو الموت — دون موتك، وكل هذا كما ترى مبالغة فى الدعاء

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذْ مِنْكَ هُوْ عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَّاءُ (١)

وغنى المغنى فى دار أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج
فأحسن فقال

مَاذَا يَقُولُ الَّذِى يُغَنِّى يَا خَيْرَ مَنْ تَحْتَ ذِى السَّمَاءِ (٢)
شَغَلْتَ قَلْبِى بِلَحْظِ عَيْنِى إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْغِنَاءِ (٣)

وبنى كافور داراً بأزاء الجامع الأعلى على البركة
وطالب أبا الطيب بذكرها فقال

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدَّنِى مِنَ الْبُعَدَاءِ (٤)
وَأَنَا مِنْكَ لاَ يُهَنِّئُ عُضْوٌ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرَ الأَعْضَاءِ
مُسْتَقِلٌّ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَا نَ نُجُومًا آجُرُّ هَذَا الْبِنَاءِ (٦)
وَلَوَ انَّ الَّذِى يَخِرُّ مِنَ الأَمْـ ـوَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ (٧)

---

(١) اللذ لغة فى الذى يقول : لولم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله لكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد، والشطر الاول ردىء ولكن الثانى جميل

(٢)و(٣) الاستفهام للتعجب وذى السماء أى هذه السماء يقول : لا أدرى ما يقول هذا المغنى لأن قلبى وجوارحى مشتغلة بك وبالنظر الى حسنك عن حسن غناء هذا المغنى

(٤)و(٥) يدنى من الدنو أى يقترب وأنا منك مبتدا وخبر ولا يهنىء عضو كلام مستأنف يقول : انما يهنىء الرجل نظراؤه والذين يتقربون اليه من الاجانب وأنا منك أشاركك فى كل أحوالك أسر بسرورك واذا ألم بانسان فرح وعراه سرور اشتركت فى ذلك جميع أعضائه فلم يهنىء بعضها بعضا قال الواحدى : وهذا طريق المتنبى يدعى لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين فى كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى لم احتمل ذلك منه

(٦)و(٧) مستقل خبر مبتدا محذوف أى أنا مستقل ويروى أستقل والآجر الطوب

أَنْتَ أَعلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّى بمكانٍ فى الأَرْضِ أَوْ فى السَّماءِ [١]

وَلكَ النَّاسُ وَالبِلادُ وَمَا يَسْـرَحُ بَيْنَ الغَبْرَاءِ وَالخَضْرَاءِ [٢]

وَبَسَاتِينُكَ الجِيَادُ وَمَا تَحْمِـلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ سَمْرَاءِ [٣]

إِنَّمَا يَفْخَرُ الكَرِيمُ أَبُو المِسْـكِ بِمَا يَبْتَنِى مِنَ العَلْيَاءِ [٤]

وَبِأَيَّامِهِ التِى انْسَلَخَتْ عَنْـهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الهَيْجَاءِ [٥]

وَبِمَا أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ البِيـضُ لَهُ فى جَمَاجِمِ الأَعْدَاءِ [٦]

وَبِمِسْكٍ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالمِسْـكِ وَلَكِنَّهُ أَرِيجُ الثَّنَاءِ [٧]

لا بِمَا يَبْتَنِى الحَوَاضِرُ فى الرِّيـفِ وَمَا يَطَّبِى قُلُوبَ النِّسَاءِ [٨]

المشوى ويخر من خرير الماء يقول : أنا أستقل لك الديار وان بنيت بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة،وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك

(١)و(٢)و(٣) محلة أى منزلة تميز وأن تهنى فى موضع نصب باسقاط حرف الجر أى من أن تهنى والغبراء الارض والخضراء السماء والسمهرية الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تهنأ بمكان والبلاد كلها والناس وكل مابين السماء والارض ملك لك ونزهتك انما هى الخيل وما تحمله من الرماح فهى بساتينك،جعل الرماح على الخيل كالحمل على الشجر

(٤) يقول انما فخره بما يبتنى من العلياء لا بما يبتنى من الدور كما قال

بنى البناة لنا مجدا ومكرمة لا كالبناء من الآجر والطين

(٥)و(٦) وبأيامه عطف على قوله بما يبتنى وكذلك قوله وبما أثرت،وانسلخت مضت والهيجاء الحرب والصوارم السيوف . يقول : انما فخر أبى المسك بما يبتنى من العلياء وبأيامه التى مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الاعادى ولم يكن له اذ ذاك دار إلا ساحة الحرب وبها شاد عزه وعلياءه

(٧) وبمسك عطف كذلك على بما يبتنى . ويكنى به صفة لمسك وليس بالمسك صفة أخرى والاريج فوحان الطيب يقول : وانما يفخر بالمسك الذى يكنى به والذى ليس هو المسك المعروف وانما هو كناية عن طيب الثناء والذكر الجميل والصيت الحسن

(٨) يبتنى الحواضر أى أهل الحواضر جمع حاضرة خلاف البادية والريف المكان

نَزَلَتْ إِذْ نَزَلْتَهَا الدَّارُ فِي أَحْـــسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ (١)

حَلَّ فِي مَنْبِتِ الرَّيَاحِينِ مِنْهَا مَنْبِتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالآلاَءِ (٢)

تَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْـــسُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ (٣)

إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءً يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءِ (٤)

إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنِ ابْيِضَاضِ الْقَبَاءِ (٥)

الخصب الكثير الزرع والخضرة ويطبى يستميل قال كثير

له نَعَلٌ لا يَطَّبِي الكلبَ ريحُها وإن خُلِّيَت في مجلس القوم شُمَّتِ

« يعنى كثير انها من جلد مدبوغ طيب الريح » يقول المتنبى : انما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العلياء وقتل الاعداء وطيب الثناء لا بما يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذى يستميل قلوب النساء

(١) السنا المقصور الضوء والنور والممدود الشرف والرفعة يقول : ان هذه الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفعة ونورا فكأنك أنزلت الدار فى دار أجمل منها وأجل أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك

(٢) الرياحين جمع ريحان جمع ريحانة والريحان كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم ، والآلاء النعم ، والمعنى ظاهر

(٣) ذرت الشمس بدت أول طلوعها قال الواحدى : يريد أنه فى سواده مشرق فهو باشراقه فى سواده يفضح الشمس ، ويجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس ذكرا . أو يريد نقاءه من العيوب ويقال للمشهور منير وللنقى من العيوب منير ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى

(٤) أخبر أنه أراد بأنارته ضياء المجد وضياؤه شهرته ونقاؤه مما يعاب به وان ذلك الضياء أتم من كل ضياء فهو يزرى أى يستهين بكل ضياء

(٥) القباء الثوب يقول : انما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه وانما المعول عليه بياض النفس ونقاؤها من العيوب وهذا المعنى ينظر الى قول سحيم عبد بنى الحسحاس

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرةٌ كرماً أو أسودَ اللون إنى أبيض الخُلُق

كَرَمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَاءٌ فِي بَهَاءٍ وقُدْرَةٌ فِي وَفَاءِ [1]

مَنْ لِبِيضِ المُلوكِ أَنْ تُبدِلَ اللَّوْ نَ بِلَوْنِ الأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ [2]

فتَرَاهَا بَنُو الحُرُوبِ بِأَعْيَا نٍ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللِّقَاءِ [3]

يَا رَجَاءَ العُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غيرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي

وَلَقَدْ أَفْنَتِ المَفَاوِزُ خَيْلِي قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِي وزَادِي ومَائِي [4]

فَارْمِ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فإِنِّي أَسَدُ القَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ [5]

وَفُؤَادِي مِنَ المُلوكِ وَإِنْ كا نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ [6]

وقال يذكر خروجه من مصروما لقى فى طريقهويهجو كافورا

أَلاَ كُلُّ ماشِيَةِ الخَيْزَلى فِدَا كُلِّ ماشِيَةِ الهَيْذَبَى [7]

---

(١) أى لك كرم فى شجاعة الخ يقول : انك كريم شجاع ذكى الطبع بهى المنظر ذو قدرة على ما تريد واف بالعهد والوعد فيما تقول

(٢)و(٣) السحناء السحنة أى المنظر وبأعيان أى بعيون يقول : أن الملوك البيض الالوان يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحناتهم بسحنتك ليراهم أهل الحرب بالعيون التى يرونك بها وذلك أن الاسود مهيب فى الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف ولكن من يكفل لهم بهذه الامنية ؟

(٤) المفاوز الصحراوات المهلكة يقول : لقد أفنت المفاوز ــ التى جبتها اليك ــ خيلى وزادى ومائى ، يذكر طول الطريق اليه وانه صمد اليه من شقة بعيدة

(٥)و(٦) الرواء المنظر والشارة يقول : استكفنى ما شئت من أى أمر عظيم تقذف بى اليه فان قلبى قلب الاسد شجاعة وان كنت آدمى الصورة وفؤادى فؤاد الملوك عزماً ورأيا ودهاء وان كان لسانى لسان شاعر. قيل أن أبا الطيب يقصد بهذا التعريض الى طلب ولاية من كافور . وقالوا انه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن يبلغه ما فى نفسه

(٧) الخيزلى مشية للنساء فيها استرخاء وتثاقل وتفكك قال الفرزدق

وَكُلُّ نَجاةٍ بُجَاوِيَّةٍ ... خَنُوفٍ وَما بِي حَسْنُ المَشى [1]

وَلَكِنَّهُنَّ حِبالُ الحَياةِ ... وَكَيْدُ العُدَاةِ وَمَيْطُ الأَذَى [2]

ضَرَبْتُ بِها التِّيهَ ضَرْبَ القِما ... رِ إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا [3]

اذَا فَزِعَتْ قَدَّمَتْها الجِيادُ ... وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ القَنَا [4]

قَطُوفُ الخُطا تمشى الضُحَى مُرْجَحِنَّةً ... وتمشِي العَشيَّ الخيزَلَى رَخْوَةَ اليدِ

والهيذبى ضرب من مشى الابل فيه سرعة ، من قولهم أهذب الظليم اذا أسرع. يقول : فدت كل امرأة تمشى الخيزلى كل ناقة تمشى الهيذبى يريد أنه ليس من أهل الغزل والعشق والتشبب بالنساء وانما هو من أهل السفر ومن ثم كان مولعا بالابل. وهذا من قول أبى تمام

يَرَى بالكِعابِ الرُّودِ طلعةَ ثائرٍ ... وبالعِرْمِسِ الوجْناءِ غُرَّةَ آيبِ

(١) وكل عطف على كل ماشية الهيذبى والنجاة الناقة السريعة وبجاوية منسوبة الى بجاوة وهى أرض بالنوبة تعرف نوقها بالسرعة حكى ابن جنى عن المتنبى قال : يرمى الرجل من أهل بجاوة بالحربة فاذا وقعت فى الرمية طار الجمل اليها حتى يأخذها صاحبها . ويقال خنف البعير فى مشيه إذا سار فقلب خف يده الى وحشيه والمشى جمع مشية يقول : لا أنظر إلى حسن مشى النساء ومابى شهوة الى ذلك وإنما نزاعى وميلى إلى كل ناقة خفيفة المشى

(٢) العداة الاعداء والميط الدفع يقول : لست آبه للمشى سواء أكان مشى نساء أم مشى ابل ولكن ولوعى بالابل انما هو لانها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك وبها تكاد الأعداء ويدفع الاذى (٣) التيه هنا تيه بنى اسرائيل وهو الذى بين القلزم وأيلة وهو الذى سلكه حين هرب من مصر الى العراق والأشارة الى الفوز والهلاك يقول : ضربت بها الفلاة مخاطرا كما يضرب المقامر بالسهام وهو لايدرى ما يقسم له من غنم أو غرم كذلك أنا سلكت بناقتى القفار ملقيا بنفسى بين الفوز وبين الهلاك فالعاقبة اماهذا وأما هذا (٤) اذا فزعت أى فزع راكبها وقدمتها أى تقدمتها وقوله بيض السيوف وسمر القنا من المقابلة الجميلة يقول : اذا فزعت هذه الناقة تقدمتها الخيل — لانهم كانوا يجنبون الخيل ويركبون الابل فاذا لاقوا الاعداء

فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِى رَكْبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى (١)

وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنِّقَا بِ وَادِى الْمِيَاهِ وَوَادِى الْقُرَى (٢)

وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ هَا (٣)

وَهَبَّتْ بِحِسْمَى هُبُوبَ الدَّبُو رِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا (٤)

رَوَامِى الْكِفَافِ وَكِبْدِ الْوِهَادِ وَجَارِ الْبُوَيْرَةِ وَادِى الْغَضَى (٥)

وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدَا ءِ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا (٦)

ركبوا الخيل — فاذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيوف والرماح للذود عنها

(١) نخل ماء معروف يقول: فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبانها — يعنى نفسه واصحابه — غنى عن العالم أى عن خفارة أحد لانهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم . وغنى عن هذا الماء لانهم ذوو جلد وصبر ولا يبالون الظمأ (٢) النقاب موضع يتشعب منه طريقان طريق الى وادى المياه وطريق الى وادى القرى ونا من تخيرنا مفعول أول ووادى المياه مفعول ثان واسكن الياء ضرورة يقول: لما بلغنا النقاب قدرنا السير إما إلى وادى المياه وإما الى وادى القرى . . فجعل هذا التقدير منهم كأن الأبل خيرتهم فقالت ان شئتم سلكتم هذا الطريق وان شئتم سلكتم الطريق الآخر وهذا على المجاز والاتساع (٣) تربان هنا موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ يقول: وقلنا للأبل أين أرض العراق — لأنا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان هاهى ذه أى دانية يريد أن هذه الابل سريعة قوية على السير الى حد أن هذه المسافة المترامية ليست فى نظرها شيئاً مذكوراً وقال ابن جنى: تربان من أرض العراق

(٤) حسمى موضع والدبور الريح الغربية والصبا ريح الشرق وهبت أى الابل أى نشطت فى سيرها يقول: وهبت فى هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق

(٥) روامى أى قواصد حال من ضمير النوق وأسكن الياء ضرورة وهذه كلها اسماء مواضع ووادى الغضى بدل من جار البويرة (٦) بسيطة موضع وجابت قطعت والمها بقر الوحش يقول: وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء سائرة بين النعام والمها لانها مواضع خالية من الاناسى ومن ثم تألفها الوحوش

إِلَى عُقْدَةِ الجَوْفِ حَتَّى شَفَتْ ... بِمَاءِ الجَرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى (١)

وَلَاحَ لَهَا صَوَرٌ وَالصَّبَاحَ ... وَلَاحَ الشَّغُورُ لَهَا وَالضُّحَى (٢)

وَمَسَّى الجُمَيْعِيَّ دِئْدَاؤُهَا ... وَغَادَى الأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا (٣)

فَيَالَكَ لَيْلاً عَلَى أَعْكُشٍ ... أَحَمَّ البِلَادِ خَفِيَّ الصُّوَى (٤)

وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ ... وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى (٥)

فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا ... حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالعُلَا (٦)

---

(١) عقدة الجوف مكان معروف والجراوى منهل والصدى العطش يقول : جابت النياق بسيطة الى عقدة الجوف حتى شفت عطشها بماء الجراوى (٢) قال الواحدى: صور اسم ماء والصحيح أنه صورى والشغور موضع بالسماوة والصباح والضحى إما منصوبان على معنى المعية وإما مرفوعان على انهما معطوفان على ماقبلهما يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح وظهر لها الشغور مع وقت الضحى (٣) الجميعى والاضارع والدنا مواضع والدئداء سير سريع أرفع من الخبب يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميعى وفى الغداة بلغ الاضارع والدنا (٤) أعكش موضع قرب الكوفة وأحم وخفى صفتان لليلا وليلا تمييز والاحم الشديد السواد والصوى أعلام من حجارة تنصب فى الطريق ليهتدى بها. يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد وخفيت أعلام الطريق (٥) الرهيمة موضع قرب الكوفة والجوز فى الأصل الوسط والمراد به هنا صدر الليل لقوله وباقيه أكثر والضمير فى الموضعين لليل يقول : وردنا هذا المكان صدر الليل وباقيه أكثر مما مضى منه وقال بعضهم ضمير جوزه لأعكش أى وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « اعكش » وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه (٦) يقول : لما القيناعصاالتسيار واستقربنا النوى فى الكوفة وأنخنا ركابنا بها وركزنا الرماح ـ شنشنة من يترك السفر ـ كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا فى الطريق وظفرنا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلا فظفرت مكارمنا بما فعلنا فكأنا نزلنا عليها

وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا [١]

لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّى الْفَتَى [٢]

وَأَنِّى وَفَيْتُ وأَنِّى أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا [٣]

وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلاً وَفَى وَلاَ كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفاً أَبَى [٤]

وَلاَ بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأْيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا [٥]

وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى [٦]

وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الْخُطَا [٧]

وَنَامَ الْخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمًى لاَ كَرَى [٨]

وكَانَ على قُرْبِنَا بَيْنَنَا مَهَامِهُ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى [٩]

---

(١) يقول : بتنانقبل أسيافنا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس (٢) لتعلم مصر أى أهل مصر والعواصم بلاد قصبتها انطاكية وأل فى الفتى للاستغراق أى الكامل الفتوة (٣) وفيت أى لسيف الدولة اذ رجع اليه ، وأبيت أى ضيم كافور وعتوت أى تجبرت على من تجبر على (٤) سامه الامر كلفه اياه وسامه خسفا أذله

(٥) يصدع صم الصفا يشق الحجارة القوية وينفذ فيها وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأى والعزم والأناة يقول : لابد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الاحداث والكروب ولو تضامت تضام الصخر (٦) التوى الهلاك يقول : ومن له قلب كقلبي في الأقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويخوض شدائده حتى يصل الى العز (٧) يقول : وكل طريق يسلكه الانسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه (٨) الخويدم تصغير خادم يريد كافورا يقول : نام كافور عن ليلنا الذى خرجنا فيه من عنده وكان قبل ذلك نائما غفلة وعمى ولم يك نائما كرى أى النوم المعروف وهذا كقول الآخر

وخبرنى البواب أنك نائم وأنت اذا استيقظت أيضا فنائم

(٩) مهامه اسم كان وبيننا خبرها يقول : ولما كنت قريبا منه كان بينى وبينه مع

لَقَدْ كُنتُ أَحْسِبُ قَبلَ الخَصِيِّ أَنَّ الرُّؤُسَ مَقَرُّ النُّهى [١]

فلمَّا نَظَرْتُ إِلى عَقْلِهِ رَأَيتُ النُّهَى كلَّهَا فى الخُصَى [٢]

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ المُضْحِكاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كالبُكَا [٣]

بِهَا نَبَطِيٌّ مِنَ اهْلِ السَّوَادِ يُدَرِّسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الفَلاَ [٤]

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصفُهُ يُقالُ لهُ أَنتَ بَدْرُ الدُّجَى [٥]

وَشِعْرٍ مَدَحتُ بِهِ الكَرْكَدنَّ بَيْنَ القَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى [٦]

هذا القرب محروات من جهله وعماه وبذلك كنت كأننى بعيد عنه لان الجاهل لايزداد علما بالشىء وان قرب منه (١) و(٢) النهى العقول يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤس مقر العقول فلما رأيت عقله ومابه من أفن عدلت عن ظنى وقلت ان العقول كلها فى الخصى فانه لما خصى ذهب عقله وحمق (٣) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التى تستدعى الضحك ثم قال لكن ذلك الضحك كالبكاء كما قالوا وشر البلية مايضحك (٤) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبطى واحد النبط وهم جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين قال المعرى

أينَ امرُؤ القيس والعذارَى إذْ مالَ مِن تحتِهِ الغَبيطُ

استنبطَ العُرْبُ فى المَوامِي بَعْدَكَ واستَعْرَبَ النَبيطُ

والسواد سواد العراق والفلا جمع فلاة والمراد بها البادية وأهل البادية هم العرب قال الواحدى : يريد بالنبطى السوادى أبا الفضل بن حنزابه وزير كافور وقيل أبابكر المادرانى النسابة وذلك مضحك لانه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٥) المشفر فى الأصل شفة البعير يقول : وبمصر أسود ـ يريد كافورا ـ عظم الشفة حتى لكأنها قدر نصفه يموهون عليه ويشبهونه بالبدر والبدر هو ماهو جمالاً واشراقا والأسود هو ما هو قبحا واظلاما ومع ذلك يصدقهم ويغتبط بتكذابهم

(٦) الكركدن بتشديد الدال والعامة ـــ كما فى القاموس ـــ تشدد النون هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة قصير القوائم كثيف الجلد على أنفه قرن واحد ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى المرميس يقول : ورب شعر مدحت به هذا

فما كانَ ذَلِكَ مَدْحاً لهُ ... ولكنَّهُ كانَ هَجْوَ الْوَرَى (١)
وقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بأَصنامِهِم ... فَأَمَّا بِزَقِّ رِيَاحٍ فَلاَ (٢)
وتِلْكَ صُمُوتٌ وذَا نَاطِقٌ ... إِذَا حرَّكُوهُ فسَا أَوْ هَذَى (٣)
ومَنْ جَهِلَتْ نَفسُهُ قَدْرَهُ ... رأَى غيرُهُ مِنْهُ مَالاَ يَرَى (٤)

وعاب قوم عليه علو الخيام فقال *

لقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلى عَلاَءٍ ... أَبيتُ قبُولَهُ كلَّ الإِبَاءِ (٥)
ومَا سَلَّمتُ فَوْقَكَ لِلثُّرَيَّا ... ولا سَلَّمتُ فوقكَ للسماءِ (٦)

الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والخير وهذا الشعر وان كان شعراً فى نفسه بيد أنه كان منى له رقية أرقيه به وأحتال لأجتلب ماله (١) قال ابن جنى : اذا كانت طباعه تنافى طباع الناس كلهم سفالا ثم مدح فذلك هجو لهم لأن فيه إرغاما لهم ومدحا لمن ينافى طباعهم (٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لاعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ريح — يعنى كافورا — وينقادوا اليه ويعظموه فذلك مالم أره الا فى مصر وأهلها — والزق أسود واذا كان مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه (٣) تلك أى الأصنام وذا أى زق الريح والمعنى ظاهر (٤) هذا هو بيت القصيد يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا واعجابا وذهابا بها خفيت عليه عيوبه فرأى الناس من عيوبه مالا يرى واستقبحوا منه ما استحسن وأنه لبلاء عظيم . . . ☆ كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الشراب فقيل له انه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة

لَيْتَ أَنَّا اذا ارتحلتَ لكَ الـــخيلُ وأنَّا اذا نزلتَ الخيامُ

لأن الخيام تكون فوقه فقال هذه الأبيات ارتجالا (٥) و (٦) يقول : ان الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت وانى آبى ذلك كل الاباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسماء فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا فكيف اسلم بأن تكون الخيام فوقك يريد أن رتبتك فوق كل شىء فليس ثم شىء يعلوك رتبة وقدرا

وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشامِ حتّى ... سَلَبْتَ رُبُوعَها ثَوْبَ البَهاءِ (١)

تَنَفَّسُ وَالعَواصِمُ منك عَشْرٌ ... فَتَعرِفُ طيبَ ذَلِكَ في الهَواءِ (٢)

وقال يهجو السامرى *

أَسامِرِيُّ ضُحْكَةَ كلِّ راءٍ ... فَطِنْتَ وَأَنتَ أَغْبَى الأَغْبياءِ (٣)

صَغُرْتَ عن المَديحِ فَقُلْتَ أُهْجَى ... كأَنَّكَ ما صغرتَ عن الهجاءِ (٤)

وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ في مُحالٍ ... وَلاَ جَرَّبتُ سَيْفِي في هَبَاءِ (٥)

---

(١) يقول : لما زايلت الشام وفارقتها أوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجمال الذى كانت تشتمل به بمقامك فيها فلما غادرتها غادرها جمالها وأنسها (٢) يقول : اذا تنفست والعواصم على عشر ليال منك عرف اهلوها والمقيمون بها طيب نفسك فى الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبى عيينة

تَطيَبُ دنيانا اذا ما تنفّسَتْ ... كأن فتيت المسك فى دورنا هبّا

وتنفس بحذف إحدى التاءين أى تتنفس والعواصم بلاد منها حلب وقنسرين وانطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تعصم أهلها بما عليها من الأسوار وقوله منك عشر أى على مسيرة عشر ليال ☆ أنشد المتنبى سيف الدولة يوما قوله ☆ واحر قلباه ممن قلبه شبم ☆ وانصرف فاضطرب المجلس وكان فيه نبطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامرى فقال لسيف الدولة : الحقه فآخذ لك رأسه ؟ فقال المتنبى هذه الابيات يهجوه بها (٣) يقول : ياسامرى يامن يضحك منه كل من رآه كيف فطنت إلى ما أنشدته وأنت أغبى الاغبياء . والسامرى نسبة الى سامرى بلد بناه المعتصم قرب بغداد وكان لما أخذ فى بنائه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم اليها سر كل منهم برؤيتها فقيل سر من رأى ثم حرف اللفظان على ألسنة العامة سامرا وسر مرى والضحكة الذى يضحك منه (٤) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدرى انك كذلك أحقر من أن تهجى لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يرونه أهلا حتى للهجاء (٥) يقول : وكيف يخطر لى أن أهجوك وما فكرت قبلك فى باطل حتى اكترث له أى ما هجوت قبلك مثلك ولا حاك

(حرف الباء)

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف بالثديين

لِعَيْنِى كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحَيَّرُ مِنْهُ فى أَمْرٍ عُجَابِ (١)

حِمَالَةُ ذَا الْحُسامِ عَلَى حُسامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابِ (٢)

وزاد المطر فقال

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هٰذَا الرَّبَابِ وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابِ (٣)

وَمَا يَنْفَكُّ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا وَلَا يَنْفَكُّ غَيْثُكَ فى انْسِكَابِ (٤)

فى صدرى ذلك وهل يليق بمثلى أن يجرب سيفه فى قطع الهباء ؟ وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح فيك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

وقول الآخر

قل كيف شئت وانى تشا وأبرق يمينا وأرعد شمالا

نجا بك لؤمك منجى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا

وقول بعضهم

انى لأكرم نفسى أن أكلفها هجاء جرم وما يهجوهم أحد

ماذا يقول لهم من كان هاجيهم لا يبلغ الناس ما فيهم وان جهدوا

(١) و (٢) يقول : ترى عيناى منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه وذلك أنى أرى سيفا يحمل سيفا وسحابا يمطره سحاب والحمالة التى يحمل بها السيف والحسام الأول هو السيف والثانى هو سيف الدولة (٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض واخلق الثوب بلى يقول : أنت أفضل من السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التى كساها بها الغيث وهى نبات الأرض تبلى — وذلك عند هيجه — ولكن ذكرك لا ينفك

تُسايِرُكَ السَّوَارِي والْغَوَادِي ... مُسَايَرَةَ الأَحِبَّاءِ الطِّرَابِ (١)

تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ ... وَتَعْجِزُ عَنْ خَلائِقِكَ الْعِذَابِ (٢)

وأمره سيف الدولة بأجازة هذا البيت

خَرَجتُ غَدَاةَ النَّفْرِ أعتَرِضُ الدُّمَى ... فلَمْ أَرَ أَحلَى مِنْكِ فِي الْعَيْنِ والْقلبِ (٣)

فقال

فَدَيْنَاكِ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلى قَلْبِي ... وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلا حَرْبِ (٤)

تَفَرَّدَ بالأَحكامِ فِي أَهْلِهِ الْهَوَى ... فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ (٥)

الدهر رطبا به فأنت خالد وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكان الدهر رطب ينقاد ويلين لهم كما قال البحترى

أشرقن حتى كاد يقتبس الدجى ... ورَطُبْنَ حتى كاد يجرى الجندل

فجعل الصخر يكاد يجرى للينه برطوبة الزمان (١) و (٢) السوارى السحب السارية ليلا والغوادى السحب المنتشرة نهارا والطراب جمع طروب وهو الذى يطرب ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله والخلائق الاخلاق يقول : ان السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كى تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة (٣) غداة النفر يريد غداة تفرق الحجيج من منى ، واعترض استقبل ، والدمى جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان (٤) قال الواحدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده يقول : ياأقصد الناس سهما الى قلبى يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تخطئه ، ويا اقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج الى النزال وهذا معنى تعاوره الشعراء كثيرا

(٥) يقول : أن للهوى احكاما تخالف سائر الأحكام لأن الخلف فى الوعد غير

وَإنِّي لَمَمْنُوعُ المَقَاتِلِ فِي الوَغَى وَإنْ كُنْتُ مَبْذُولَ المَقَاتِلِ فِي الحُبِّ (١)

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أَصَابَ الحُدُورَ السَّهْلَ فِي المُرْتَقَى الصَّعْبِ (٢)

وقال يعزيه عن عبده يماك التركي وقد مات بحلب سنة أربعين وثلثمائة

لا يُحْزِنِ اللهُ الأَمِيرَ فَإنَّنِي سَآخُذُ مِن حَالاَتِهِ بِنَصِيبِ (٣)

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبِ (٤)

جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب * وكل ما يفعل المحبوب محبوب * (١) يقول : انى من الشجاعة بحيث لايصاب مقتلى فى الحرب ولكنى مع ذلك يصاب مقتلى فى الحب فلست أستطيع الدفاع عن نفسى فى ميدان الهوى وهذا من قول أبى تمام

كَمْ مِن دَمٍ يَعْجِزُ الجَيْشُ اللُّهَامُ إذا بَانُوا تَحَكَّمَ فِيهِ العِرْمِسُ الأُجُدُ

« جيش لهام كثير يلتهم كل شىء والعرمس الناقة الصلبة الشديدة والأجد بضم بضم الهمزة والجيم الناقة القوية الموثقة الخلق : يريد أبو تمام الناقة التى تحمل الحبيب والمراد الحبيب نفسه » (٢) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحراً ملك قلوب الناس بأهون سعى فقوله أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدوراً سهلا وهذا تمثيل معناه سهل عليه مايشق على غيره (٣) قوله لايحزن دعاء له يقول : لا أحزن الله الامير فان حزنه يستتبع حزنى فلا أصابه الله بحزن لئلا أحزن والمعنى واضح وجميل ومن ثم كان نقد الصاحب هذا البيت بقوله : لا أدرى لم لا يحزن الله الأمير اذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق — فى غير موضعه ورواية سآخذ هى رواية ابن جنى وعليها مضينا وفى رواية لآخذ (٤) يقول : لا أبكاك الله لانك اذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا لحزنك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكى بعيونهم ويحزن بقلوبهم . قال الواحدى ولك أن تجعل الباء فى بعيون للتعدية أى أبكاها والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم * كما قال يزيد المهلبى

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعاً فِي سُرُورِكُمُ فَلَهْوُنَا إذْ حَزِنْتُمْ غَيْرُ إنْصَافِ

وَإِنِّي وَإِنْ كانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ ... حَبِيبٌ الَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِي (١)

وَقَدْ فارَقَ النَّاسُ الأَحِبَّةَ قَبلَنا ... وَأَعْيا دَواءُ المَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ

سُبِقْنا الَى الدُّنيا فَلَوْ عاشَ أَهلُها ... مُنِعْنا بِها مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهُوبِ (٢)

تَمَلَّكَهَا الآتِى تَمَلُّكَ سالِبٍ ... وَفارَقَها المَاضِى فِرَاقَ سَلِيبِ (٣)

وَلا فَضْلَ فِيها لِلشَّجاعَةِ وَالنَّدَى ... وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلا لِقاءُ شَعُوبِ (٤)

وَأَوْفَى حَياةِ الغَابِرِينَ لِصاحِبٍ ... حَياةُ امْرِئٍ خانَتْهُ بَعْدَ مَشِيبِ (٥)

لأَبْقَى يَمَاكُ فِى حشَاىَ صَبَابَةً ... الى كُلِّ تُرْكِىِّ النِّجارِ جَلِيبِ (٦)

---

(١) حبيب حبيى مبتدا مؤخر وحبيب الى قلبى خبر مقدم والجملة خبر أنى يقول : أنى أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذى يحبه حبيبا إلى قلبى وان كان غريبا منى

(٢) يقول لقد سبقنا غيرنا الى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا لغصت بنا الدنيا وضاقت علينا الارض حتى لا نستطيع الذهاب والمجىء لشدة الزحام وانما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم الى قوم فيتملكها الحى تملك السالب ويتخلى عنها الميت تخلى المسلوب ويقول الواحدى : يريد بالآتى الوارث بعد الموت وبالماضى الموروث أى أن الذى تملك الارث كأنه سالب سلب الموروث ماله ، والميت كانه مسلوب سلب ما كان فى يده (٤) شعوب من اسماء المنية غير مصروف وسميت كذلك لانها تشعب اى تفرق يقول : لولا الموت لم يكن لهذه المعانى فضل وذلك أن الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف عليه من أقدامه وأذن لا يحمد على شجاعته — وكذلك لافضل للجواد على البخيل ، والصابر على المكروه لافضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الاحوال فيه من عسر الى يسر ومن شدة الى رخاء ما يسكن النفوس ، و ون البوس (٥) الغابر من الاضداد يكون بمعنى الماضى والباقى والمراد هنا الاول يقول : أن الحياة لابد من أن تغدر بصاحبها فهى لامحالة وان طالت مفارقته ولكن أوفاها له تلك التى تصحبه الى وقت المشيب فلا تزايله حتى يطول استمتاعه وتستوفى لذة العيش (٦) لأبقى جواب قسم محذوف أى والله لقد ابقى ويماك اسم

وَمَا كُلُّ وَجْهٍ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكٍ ... وَلاَ كل جَفْنٍ ضَيِّقٍ بِنَجِيبِ [1]

لَئِنْ ظَهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَآبَةٌ ... لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ [2]

وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلَّ يَوْمِ تَنَاضُلٍ ... وَفِي كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ يَوْمِ رُكُوبِ [3]

يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخِلَّ بِعَادَةٍ ... وَتَدْعُوْ لأَمْرٍ وَهْوَ غَيْرُ مُجِيبِ [4]

وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا ... نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبِ [5]

فَإِنْ يَكُنِ الْعِلْقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ ... فَمِنْ كَفِّ مِتْلَافٍ أَغَرَّ وَهُوبِ [6]

مملوك سيف الدولة تركى والنجار الاصل وجليب مجلوب من بلد الى آخر يقول: لقد أبقى يماك بموته فى قلبى صبابة وميلا الى كل تركى أى الى كل من هو من جنسه

(١) النجيب الكريم «ضد اللئيم» والفاضل النفيس فى نوعه يقول: ان يماك ترك فى قلبى هذا الميل الى جنسه لذلك الشبه الذى بينه وبينهم وان لم يكن كل من أشبهه فى الصورة يشبهه فى اليمن والبركة والنجابة أى أن يماك كان جامعا بين اليمن والنجابة

(٢)و(٣) القضيب السيف القاطع وقيل اللطيف الدقيق والتناضل الترامى بالسهام والطرف الفرس الكريم يقول: انه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمى وقت النزال وكان فارسا حسن الركوب للغارة والطعان ومن ثم حزنت عليه السيوف والقسى والخيل فلا عجب اذ حزنا نحن عليه (٤) وتدعو عطف على يخل وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة يقول: انه يشق على يماك أن يغير عادته فى خدمتك وأن تدعوه لامر فلا يجيبك (٥) ذى لبدتين أى أسد واللبدة الشعر المتراكب على كتف الاسد يقول: وكنت اذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أسدا وفتى أديبا أى أنه كان جامعا بين الادب فى الخدمة وقوة الاسد لدى البأس (٦) يقول: فان يكن يماك العلق النفيس — الذى يبخل به ويضن لنفاسته — قد فقدته فانما ذهب من كف رجل يتلف الاموال ويهبها ولا يبالى بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالتاء فهو على الخطاب لسيف الدولة ويكون العلق منصوبا بفعل مضمر دل عليه قوله فقدته والتقدير فان تكن فقدت العلق النفيس والعلق هو النفيس من كل شىء والمتلاف الذى يتلف أمواله سخاء والاغر الشريف

كأَنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كلِّ مَاجِدٍ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوبِ [(١)]

وَلَوْلاَ أَيَادِى الدَّهْرِ فِى الجَمْعِ بَيْنَنَا غَفَلْنَا فلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ [(٢)]

وَلَلتَّرْكُ لِلإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ إِذَا جَعَلَ الإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبِ [(٣)]

وَإِنَّ الَّذِى أَمْسَتْ نِزَارٌ عَبِيدَهُ غَنِىٌّ عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ [(٤)]

كَفَى بِصَفَاءِ الوُدِّ رِقًّا لِمِثْلِهِ وبالقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلَبِيبِ [(٥)]

(١) الردى الموت وعاد ظالم متعد والمراد بالماجد ــ وهو الكامل الشرف ــ سيف الدولة، وعوذه علق عليه العوذة وهي الرقية يتقى بها السوء يقول : ان الشريف لا يسلم من حدثان الدهر ونوائبه حتى يجعل لشرفه رقية من العيوب وأنت لاعيب فيك ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب وهذا كقول الشاعر

شَخَصَ الأَنامُ إلى كَمالِكَ فاسْتَعِذْ مِن شرِّ أعيُنِهِمْ بِعَيْبٍ واحدِ

وقول الآخر

قَد قلتُ حينَ تكاملَتْ وغدَتْ أفعالُهُ زَيْنًا من الزَّيْنِ

ما كانَ أحْوَجَ ذا الكمالَ إلى عيبٍ يُوَقِّيهِ منَ العَيْنِ

« كان زائدة وذا الكمال أي هذا الكمال » (٢) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساآته بالتنبيه الى سابق احسانه، أي أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسيء أخرى يقول: ولولا أن الدهر أحسن الينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف اساءته بتفريقه بيننا فبأحسانه عرفنا اساءته، والايادى النعم (٣) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد الى ذمه يقول : واذ أن الدهر شاب احسانه بالاساءة فلم يتم احسانه بتربيته وتعهده وإتمامه فترك المحسن احسانه أجمل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم احسانه فتركه خير وأمثل وهذا كقول القائل

أبداً تسترِدُّ ما تهبُ الدنيــــا فياليت جودَها كان بُخْلاَ

وربيب تام من رب عمله أصلحه ونماه وأتمه (٤) يقول : ان سيف الدولة ملك العرب باحسانه اليهم فلاحاجة به معهم الى مملوك تركى، وخص نزارا لانه أبو القبائل الاشراف كقريش وغير قريش فالمراد بنزار سائر العرب (٥) الباء فى قوله بصفاء وبالقرب زائدة وصفاء والقرب فى محل رفع بكفى يقول : أن سيف الدولة استعبد

فعوّض سيفُ الدّولة الأجرَ إنّه ... أجلُّ مُثاب من أجلّ مُثيب (١)

فتى الخيل قد بلّ النجيعُ نحورَها ... يُطاعن في ضنك المقام عصيب (٢)

يَعافُ خيامَ الرَّيْط في غزواته ... فما خيمُه إلاّ غبارُ حروب (٣)

علينا لك الإسعادُ إن كان نافعاً ... بشقّ قلوب لا بشقّ جيوب (٤)

فرُبّ كئيب ليس تندى جفونُه ... ورُبّ كثير الدّمع غيرُ كئيب (٥)

تسلَّ بفكر في أبيكَ فإنّما ... بكيتَ فكان الضّحك بعدُ قريب (٦)

العرب بمصافاته اياهم واقباله عليهم بالود ومثله اذا صافى انسانا استرقه بكثرة الاحسان اليه وان لم يبتعه كما يبتاع العبد وهذا هو الرق والاستعباد (١) يدعو له بأن يعوضه الله الاجر من يماك فان الاجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى أو تقول فان سيف الدولة أجل عبد يثاب من الله فضمير انه اما عائد على الا جر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولا من الاثابة

(٢) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجملة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل والنجيع الدم وضنك صفة موصوف محذوف أى في يوم ضيق المقام عصيب أى شديد يقول : ان سيف الدولة أجل مثاب لانه اذا بلت الدماء نحور الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى المأزق المتضايق المعصوصب

(٣) الريط جمع ريطة وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره والخيم جمع خيمة يقول : أنه يكره الاستظلال بالخيام وانما يستظل بغبار الحروب (٤) يقول : ان كانت اعانتنا اياك على هذه الرزية نافعة مجدية أعناك بشق القلوب لابشق الجيوب وهذا من قول حبيب

شق جيوباً من رجال لو اسطا ... عوا لشقوا ما وراء الجيوب

وجيب القميص ما انفتح منه على النحر (٥) يقول : ليس بالبكاء يعلم الحزن فرب محزون عصى الدمع فلا يبكى ورب باك تنسكب دموعه وليس بمحزون قال العكبرى : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو على فى آخر تكملة ايضاحه

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤت نصحه بلبيب

(٦) فى أبيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى يريد فى أبويك وهى لغة للعرب يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكر فى مصابك بأبويك فقد بكيت لفقدهما ثم ضحكت بعد

إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا ... بِخُبْثٍ ثَنَتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطِيبِ (١)

وَلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ ... سُكُونُ عَزَاءٍ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ (٢)

وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ ... فَلَمْ تَجْرِ فِى آثَارِهِ بِغُرُوبِ (٣)

فَدَتْكَ نُفُوسُ الْحَاسِدِينَ فَإِنَّهَا ... مُعَذَّبَةٌ فِى حَضْرَةٍ وَمَغِيبِ

وفِى تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا ... وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِى لَهَا بِضَرِيبِ (٤)

ذلك بمديدة وكذلك حزنك لاجل هذا المصاب سيذهب عن قريب (١) المصاب ههنا مصدر كالاصابة والمراد بالخبث الجزع وبالطيب الصبر وفاعل ثنت يعود على النفس أى صرفت الخبث أو تقول ثنت أى انثنت يقول : اذا استقبل الكريم اصابة الدهر اياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعلمه أن الجزع لايفيد قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الاشياء لم يحزن لورود الفجائع لعلمه أنه من كونها فهان عليه ذلك لعجز الكل عن دفع ذلك

(٢) الواجد المحزون والزفرة تصعيد النفس بعد مده واللغوب الاعياء يقول : لابد للمحزون من سكون فاما أن يسكن عزاء وإلا سكن اعياء فالعاقل من يتعزى ، وفى هذا المعنى يقول أبو تمام

أَتَصْبِر للبلوَى عَزاءً وَحِسْبَةً ... فتؤجرَ أم تَسْلو سُلُوَّ البهائم

ويقول محمود الوراق

إذا أنت لم تَسْلُ اصطباراً وحِسبةً ... سلوتَ على الايّام مثلَ البهائم

(٣) كم ههنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الخبر وغروب جمع غرب وهو الدمع يقول : كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك والغائب عن قرب كالغائب الذى طال عليه العهد قال الخطيب : وهذا المعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويماك قد رآه وعرفه ورثاه. أقول ونقد الخطيب واضح وفى محله كما ترى

(٤) من يحسد مبتدا مؤخر وفى تعب خبر مقدم ونورها بدل من الشمس والضريب النظير يقول : مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتى للشمس بنظير وهذا فى تعب لازب لأنه يعالج المحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس

وقال يمدحه ويذكر بناء مرعش سنة احدى وأربعين وثلثمائة

فَدَيْناكَ مِنْ رَبْعٍ وَانْ زِدْتَنا كَرْبا فانَّكَ كُنْتَ الشرقَ لِلشَّمْسِ وَالغرْبا (١)

وكَيْفَ عَرَفْنا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنا فُؤادًا لِعِرْفانِ الرُّسُومِ ولا لُبَّا (٢)

نَزَلْنا عَنِ الأكْوارِ نَمْشِي كَرامَةً لِمَنْ بانَ عَنْهُ أنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبا (٣)

نَذُمُّ السَّحابَ الغُرَّ في فِعْلِها بِهِ وَنُعْرِضُ عَنْها كُلَّما طَلَعَتْ عَتْبا (٤)

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيا طَويلاً تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَها كِذْبا (٥)

وكَيْفَ التِذاذِي بالأَصائِلِ والضُّحَى اذا لَمْ يَعُدْ ذاكَ النَّسيمُ الَّذِي هَبَّا (٦)

---

(١) يخاطب ربع الحبيب ويدعوله وقوله من ربع تمييز ومن زائدة والربع المنزل يقول : فديناك أيها الربع من أحداث الدهر ونوائبه برغم أنك زدتنا وجدا بما هجت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس وكنت له كالمشرق حين يظهر وكالمغرب حين يحتجب

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا الى ادراك الأشياء (٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير يقول : لما أتينا هذا الربع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن ننزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله

حُيِّيتَ من طَلَلٍ أجابَ دُثورُهُ يومَ العقيق سؤالَ دمعٍ سائلِ
نَحفَى وننزل وهو أعظم حرمة مِن أن يُذالَ براكبٍ أو ناعلِ

(٤) السحاب جمع ومن ثم جاز وصفه بالغر أى البيض يقول : نذم السحاب لانها عفت الربع وغيرت معالمه بما ينهل منها من المطر واذا طلعت عليه اعرضنا عنها واشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتعفيتها الرسوم وفعلها بها ما فعلت (٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربع ولا حق لنا فى هذا الذم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تقلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن اليه من صفائها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغن بالأمس وهذا المعنى ينظر الى قول الحكمى

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

(٦) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا اذا لم استنشق ذلك النسيم الذى كنت أجده

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ ... وَعَيْشاً كَأَنِّى كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا(١)

وَفَتَّانَةَ العَيْنَيْنِ قَتَّالَةَ الهَوَى ... اذا نَفَحَتْ شَيْخاً رَوائِحُها شَبَّا(٢)

لهَا بَشَرُ الدُّرِّ الَّذِى قُلِّدَتْ بِهِ ... ولَمْ أَرَ بَدْراً قَبلَهَا قُلِّدَ الشُّهْبَا(٣)

من قبل يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال . والاصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر الى المغرب والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهو حين تشرق الشمس (١) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت ايامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأنى قطعته بالوثوب . ووثب قفز وطفر ومن قولهم وثب الى الشرف وثبا أى وصل اليه دفعة واحدة « هذا » ومن بديع ماقيل فى قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت ... نامت وقد أسهرت عينىّ عيناها

فالليل أطول شىء حين أفقدها ... والليل أقصر شىء حين القاها

والشعراء أبدا يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو وسرعة زوالها وانقضائها كما قال بعضهم

ظَلِلنا عند دار أبى نعيم ... بيوم مثل سالفة الذباب

شبهه فى القصر بعنق الذباب ومثله لجرير

ويوم كأبهام القطاة مُزَيَّنٍ ... الىَّ صِباهُ غالب لىَ باطِلُهُ

وما أحسن قول ابراهيم بن العباس

ليلة كاد يلتقى طرفاها ... قصرا وهى ليلة الميلاد

ويقول متمم بن نويرة

فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لِطول اجتماع لم نَبِت ليلة معا

(٢) النفح تضوع رائحة الطيب يقال نفح الطيب ونفحت رائحة الطيب وعدى النفح على المعنى كأنه قال اذا أصابت روائحها شيخا شب يقول : وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها اذا فغمت روائحها شيخا تصابى وعاد شابا وهذا مثل قول الصنوبرى

بلفظ لو بدا لحليف شيب ... لفارقه وعاد الى شبابه

(٣) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد والدر اللآلئ العظام والشهب الدرارى من النجوم يقول : ان لونها مثل لون الدر الذى تقلدته ، وهى كالبدر حسنا وجمالا ، وقلائدها كدرارى النجوم ولم أر قبلها بدرا قلد النجوم .

فَياشَوْقِ ماأَبْقَى ويالِى مِنَ النَّوَى ويادَمْعِ ماأَجْرَى وَياقَلْبِ ماأَصْبَى (١)

لَقَدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بِهاوِبِيَ وَزَوَّدَنِى فى السَّيْرِ مازَوَّدَ الضَّبَّا (٢)

وَمَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضَّوَارِى جُدُودَهُ يكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَصْبَاً (٣)

وَلَسْتُ أُبَالِى بَعْدَ إِدْرَاكِىَ العُلاَ أَكانَ تُرَاثاً مَاتَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبَاً (٤)

فَرُبَّ غُلاَمٍ عَلَّمَ المَجْدَ نَفْسَهُ كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبا (٥)

---

(١) يقول : فياشوقى ما أبقاك فلست تنفد ويامن لى يمنعنى من ظلم الفراق ويادمعى ما أجراك وياقلبى ما أصباك واشوقك، وقد حذف كما ترى يا آت الاضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفا لان الكسرة تدل عليها وحذف الكاف المنصوبة من أبقى وأجرى وأصبى للمخاطبة التى قبلها بالنداء وقوله ويالى استغاثة (٢) البين البعد والمشت المفرق والضب حيوان من الزحافات معروف يضرب به المثل فى الحيرة يقال أحير من ضب لانه اذا خرج من جحره لا يهتدى اليه عند أوبته يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا اهتدى الى وجه وليس الى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل ان المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لانه لا يحتاج الى الماء أبدا فكذا لم يزودنى الفراق شيأ أى أنه لم يودع حبيبته وفارقها من غير وداع ولا التقاء فيكون التوديع زادا كما قال بعضهم

زَوَّدَ الاحبابُ للأَحْـ بابِ ضماً والتزامَا

وسُلَيْمَى زَوَّدَتْنِى يَوْمَ تَوْدِيعى السَّقاما

(٣) الضوارى المضراة والمولعة بالصيد يقول : من كان من نسل الشجعان وكان اباؤه كالاسود يكون الليل له نهارا فلا تعوقه الظلمة عن بلوغه مآربه وكان مطعمه مما يأخذه من اعدائه قهرا قال ابن جنى قوله : يكن ليله صبحا من قول الآخر

فبَادِرِ الليْلَ ولذَّاته فانما الليْلُ نَهارُ الاريبْ

(٤) كانه يعتذر من الغضب الذى ذكر فى البيت السابق يقول : اذا أدركت معالى الامور فلست أبالى بعد أدراكها أكان مايحصل فى يدى ارثا أم كسبا . فالتراث المال الموروث (٥) يقول : ان المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وان لم يكن له من يعلمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالدة الابطال ، ويروى

إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا (١)

تُهَابُ سُيُوفُ الْهِنْدِ وَهْيَ حَدَائِدٌ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا (٢)

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحْدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللُّيُوثُ لَهُ صَحْبَا (٣)

وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهْوَ مَكَانَهُ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَّا (٤)

عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكُتْبَا (٥)

فَبُورِكْتَ مِنْ غَيْثٍ كَأَنَّ جُلُودَنَا بِهِ تُنْبِتُ الدِّيبَاجَ وَالْوَشْيَ وَالْعَصْبَا (٦)

وَمِنْ وَاهِبٍ جَزْلًا وَمِنْ زَاجِرٍ هَلًا وَمِنْ هَاتِكٍ دِرْعًا وَمِنْ نَاثِرٍ قُصْبَا (٧)

---

* كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا * أى كما علم أهل دولته الطعان والنزال والرواية الاولى أظهر وقال الواحدي قوله فرب غلام يعني نفسه (١) يقال: كفيته الامر اعنته عليــه وقت به دونه وقد استكفانى أمره فكفيته وعداه هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول: ان الدولة اذا استعانت به فى أية مهمة أو نازلة كفاها وبلغت به وحده ما تريد فــكان سيفا لها على أعدائها وكفا تضرب بها وقلبا تقتحم به الأهوال

(٢) يقول: ان السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة الا بالضارب بها فكيف يكون حالها فى الخوف منها اذا كانت عربية نزارية أى تقطع بنفسها دون استعانة بغيرها وسيف الدولة عربى نزارى فيكون أحق بالخوف منه

(٣) يقول: ان الليث يرهب اذا كان وحده فلا يجترىء أحد على مواجهته فكيف اذا كان معه ليوث آخرون؟ يريد سيف الدولة وأصحابه (٤) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويغشى يغطى وعب زخر وتدفق يقول: والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن اذا زخر وماج عم البلاد (٥) اللغى جمع لغة يقول: هو عليم بخفيات الديانات واللغات، يعلم منهما مالا يصل اليه غيره، وله فى ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبهم لانهم لم يبلغوا فى العلم ما يجرى على خاطره (٦) يقال بوركت وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والنماء، والديباج فارسى معرب وهو الثوب الذى سداه ولحمته حرير والوشى الثوب فيــه ألوان شتى والعصب ضرب من برود اليمن يقول: انك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتنبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا (٧) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل

هَنِيئاً لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمِ ... وَأَنَّكَ حِزْبَ اللهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا(١)

وَأَنَّكَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَيْبَهُ ... فَإِنْ شَكَّ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبَا(٢)

فَيَوْماً بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُ ... وَيَوْماً بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا(٣)

سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ ... وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى(٤)

أَتَى مَرْعَشاً يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلاً ... وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا(٥)

كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا ... وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُعْبَا(٦)

ينون ولا ينون والقصب المعى يقول : وبوركت من رجل يهب العطاء جزلا ويزجر الخيل يستحثها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الامعاء فينثرها (١) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيأ وأصله ثبت رأيك هنيأ لهم فحذف الفعل وأقيم الحال « هنيأ » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنهم حسن رأيك فيهم وانك صرت لهم حزبا أى أعوانا وأنصاراً فى حال أنك حزب الله.

(٢) وانك عطف على وانك حزب الله فى البيت السابق والضمير فى فيها وفى بساحتها للارض وأرجعه الى غير مذكور على حدقوله تعالى كل من عليها فان ، ورعت أفزعت وريب الدهر صروفه وحوادثه يقول : وهنيأ لاهل الثغر أنك صرت لهم حزبا وانك فعلت فى الارض أفعالا أفزعت الدهر وصروفه فان شك الدهر فى قولى فليحدث فى الارض خطبا يعنى أن الناس آمنون من تصاريف الدهر فليس فى استطاعته أن يمسهم بسوء هيبة لك (٣) عنهم أى عن أهل الثغر والجدب القحط

(٤) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش وتترى متواترة متتابعة ونهبى أى منهوبة والدمستق اسم الملك الروم (٥) مرعش حصن من أعمال ملطية يقول : أتى الدمستق هذا الثغر مهزوزا نشيطا مبتهجا يجد البعيد قريبا فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب بعيداً خوفا وذعراً أن تدركه قال العكبرى . ولقد أحسن القائل الناظر الى هذا المعنى

والله ما جئتكم زائراً ... إلا رأيت الارض تطوى لى

ولا انثنى عزمى عن بابكم ... الا تعثرت بأذيالى

(٦) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاد جبنا يترك أعداءه ويجيء

وَهَلْ رَدَّعَنْــهُ بِاللُّقَانِ وُقُوفُهُ صُدُورَ العَوَالِى وَالْمُطَهَّمَةَ الْقُبَّا[١]

مَضَى بَعْدَمَا الْتَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِى الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا[٢]

وَلَـكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا[٣]

وَخَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيقَ وَالْقُرَى

وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَا[٤]

أَرَى كُلَّنَا يَبْغِى الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصاً عَلَيْهَا مُسْتَهَاماً بِهَا صَبَّا[٥]

عن اللقاء وينكص على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغنم سوى الرعب أى أن الدمستق عاد مرعوبا فكان الرعب له بمنزلة الغنيمة لغيره (١) اللقان ثغر ببلادالروم « الاناضول » والعوالى من الرماح مادخل فى السنان الى ثلثه والخيل المطهمة التامة الخلق والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل رد قال الواحدى : كان الدمستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم يقول : فهل أغنى عنه وقوفه وهل ردعته الرماح والخيل الحسان الضامرة (٢) يريد بالرماحين رماح الفريقين فتنى الجمع كما قال أبو النجم ☆ بين رماحى مالك ونهشل ☆ والهدب أشفار العين يقول : انهزم الجمع بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط الاهداب الاعالى والاسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم

ما التقينا بحمد ربى الا مثل ما تلتقى جفون السليم

(٣) السورة الحدة يقول : ولكنه انهزم وللطعن فى أصحابه حدة اذا تذكرها لمس جنبه قائلا هل أصابه شيء منه أى انه انهزم مدهوشا مرعوبا لايدرى ما حاله وهل أصابته طعنة نافذة ؟ وهذا من قول أبى نواس

اذا تفكرت فى هواى له مسست رأسى هل طار عن بدنى

(٤) العذارى جمع عذراء وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرابين جمع قربان وهو مايتقرب به الى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام على لغة تميم يقول : انه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت اليهم لهول ما رأى

(٥) المستهام الذى ملك عليه العشق أمره فهام على وجهه والصبابة رقة الشوق : يقول:

يُحِبُّ الْجَبَانُ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى   وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا (١)

وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ   إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبَا (٢)

فَأَضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْئِهِ

إِلَى الأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبَ وَالتُّرْبَا (٣)

كل منا يطلب الحياة عاشقا لها محبا حريصا عليها (١) يقول كل من الجبان والشجاع سواء فى حب النفس وان اختلف فعلهما فالجبان حباً لنفسه وابقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع انما أقدم على الحرب دفاعا عن نفسه وذودا عن مهجته لانه يخاف على نفسه العدو ان هو قعد عن الحرب او لانه اذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان فى ذلك بقاؤه كما قال الحماسى

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد   لنفسى حياة مثل أن اتقدما

وتقول الخنساء

نُهين النفوس وهون النفـ   ـوس يوم الكريهة أبقى لها

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل الردة — احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب لا يحام حوله وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كانه حى كما قال حبيب

سلفوا يعدون الذكر عقبى صالحا   ومضوا يعدون الثناء خلودا

وأما أنه اذا استشهد صار حيا كما قال تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال العكبرى : وهذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : النفس المتجوهرة تأبى مقارنة الذل كل الاباء وترى فناءها فى طلب العز حياتها ، والنفس الدنيئة على الضد من ذلك (٢) قال الواحدى : يقول : أن الرجلين ليفعلان فعلا واحدا فيرزق أحدهما بذلك الفعل ويحرم الثانى حتى كأن احسان المرزوق ذنب للمحروم ومثال ذلك أن يحضر الحرب اثنان يغنم أحدهما ويحرم الثانى فحضور الحرب احسان من الغانم ذنب للمحروم وكلاهما فعل فعلا واحدا وهذا كما أنشده ابن الاعرابى

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره   ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه

والاشارة فى قول المتنبى هذا ولذا للمرزوق والمحروم المفهومين من قوله ويختلف الرزقان (٣) فأضحت أى قلعة مرعش يقول — كما ذهب إلى ذلك الخطيب

تَصُدُّ الرِّيَاحُ الْهُوجُ عَنْهَا مَخَافَةً ... وَتَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّا (١)

وَتَرْدِي الْجِيَادُ الْجُرْدُ فَوْقَ جِبَالِهَا ... وَقَدْ نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فِي طُرْقِهَا الْعُطْبَا (٢)

كَفَى عَجَبًا أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ ... بَنَى مَرْعَشًا تَبًّا لِآرَائِهِمْ تَبَّا (٣)

وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ ... إِذَا حَذِرَ الْمَحْذُورَ وَاسْتَصْعَبَ الصَّعْبَا (٤)

وتابعه جماعة من الشراح — : ان هذه القلعة لعلوها فى الجو كأنما ابتدئ بها من الجو فأسست هناك فشقت الكواكب والترب يعنى الذى ارتفع منها الى الجو حواليها فكأنها مقلوبة اسها فى السماء وأعلى حائطها إلى الارض وهذا أوجه المعانى (١) الهوج جمع هوجاء وهى الرياح الحمقاء التى تارة تأتى من هنا وتارة تأتى من هنا يقول : ان الرياح الهوج تعرض عنها مخافة أن تعجز عن الوصول الى أعلاها وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن الارتقاء اليها والتقاط الحب من ذراها وقال القاضى أبو الحسن الجرجانى : يريد أن الرياح لا تدنو منها خوفا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجرى عليها أذا هى التقطت الحب ما توجبه حال المتناول من دون اذن وهذا المعنى منقول من قول حبيب

فقد بث عبد الله خوف انتقامه ... على الليل حتى ما تدب عقاربه

وهو كقول الآخر

وكانت لا تطير الطير فيها ... ولا يسرى بها للجن سارى

(٢) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الارض بحوافرها والجرد القصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم والصنبر السحاب البارد الريح فى غيم وايضا اسم اليوم الثانى من أيام العجوز والعطب القطن يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذى كأنه قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه

(٣) أن يعجب فاعل كفى وعجبا تمييز وتبا أى خسرا وهلاكا يقول : من العجب أن يعجب الناس ممن بنى هذه القلعة وتبا لآرائهم حين لم يدركوا أنه يقدر على كل ما يقصد اليه فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد (٤) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية مزية يمتاز بها عما سواه اذا كان يخشى ما يخشاه غيره او كان ممن يستصعب الصعب انما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيأ ولا يتصعب عليه أمر مهما كان.

لأمْرٍ أَعَدَّتْهُ الخِلَافَةُ لِلْعِدَا ... وَسَمَّتْهُ دُونَ العَالَمِ الصَّارِمَ العَضْبَا (١)
وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الأَسِنَّةُ رَحْمَةً ... وَلَمْ يَتْرُكِ الشَّامَ الأَعَادِي لَهُ حُبَّا (٢)
وَلَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ ... كَرِيمُ الثَّنَا مَاسُبَّ قَطُّ وَلَا سَبَّا (٣)
وَجَيْشٌ يُثَنِّي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ ... خَرِيقُ رِيَاحٍ وَاجَهَتْ غُصُنًا رَطْبَا (٤)
كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ ... فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجْبَا (٥)

---

(١) الصارم العضب السيف القاطع يقول : ان الخلافة ما أعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغا لم يبلغه أحد (٢) يقول : ان أعداءه لم يحيموا عن لقائه وينهزموا أمامه رحمة له ولم يجلوا عن الشام محبة له ورعبا ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا المعنى كقول مروان ابن أبي حفصة

وما أحجم الأعداء عنك بقية ... عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا

(٣) قوله غير كريمة حال أي نفى هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة كريم الثنا الخ والمراد نفى أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حبا له وانما نفاهم عن الشام أذلاء صاغرين لاجل انه كريم الثناء ماسبه أحد لانه لايفعل مايسب عليه ولا سب أحدا لأدبه وكرمه . والثنا ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أثنى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب في المدح ويروى النثا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على اضمار محذوف أي نفاها منه رجل كريم الثنا الخ (٤) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والخريق الريح الشديدة كانها الاعصار يقول : ونفاها عنه جيش اذا مر بجبل شقه — أو كاد — نصفين لكثرته ، له صلصلة تسمع كالريح الخريق اذا مرت بغصن رطب قال الشاعر

كان هبوبها خفقان ريح ... خريق بين أعلام طوال

(٥) مغاره أي اغارته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت اغارته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى لايراها وقد أخذ هذا المعنى الجميل الحيص بيص فقال

نفى واضح التشريق عن أرض ربعه ... دخان قدور أو عجاجة مصدم

فَمَنْ كانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ وَالْكُفْرَ مُلْكُهُ
فَهذَا الَّذِي يُرْضِي المَكارِمَ وَالرَّبَّا (١)

وقال فيما كان يجرى بينهما من معاتبة مستعتباً *

(١) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على حكمهما ويعمل مايقتضيانه فهذا يرضى المكارم بجوده وسخائه ويرضى الله بجهاده فى سبيله ✡ مستعتبا مسترضيا : جاء فى الصبح المنبى ما يأتى : قال أبو فراس الحمدانى يوما لسيف الدولة : ان هذا المتشدق — يعنى المتنبى — كثير الادلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتى دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره . فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان المتنبى غائبا وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا　　فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

الابيات — قال : فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج المتنبى من عنده متغيرا وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا فى الوقيعة فى حق المتنبى وانقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التى أولها ✡ واحر قلباه ممن قلبه شبم ✡ ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه بقوله

مالى أكتم حبا قد برى جسدى　　وتدعى حب سيف الدولة الامم

الى أن قال

قد زرته وسيوف الهند مغمدة　　وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله فى حضرة سيف الدولة لشدة أدلاله واعراض سيف الدولة عنه فلما وصل فى انشاده الى قوله

يا أعدل الناس الا فى معاملتى　　فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل وادعيته وهو

ولست أرجو انتصافا منك ماذرفت　　عينى دموعا وأنت الخصم والحكم

فقال المتنبى

أعيذها نظرات منك صادقة　　أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم أبو فراس انه يعنيه فقال ومن أنت يادعى كندة حتى تأخذ أعراض أهل الامير فى مجلسه فاستمر المتنبى فى انشاده ولم يرد عليه الى أن قال

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا　　بأننى خير من تسعى به قدم

أنا الذي نظر الاعمى إلى أدبي   وأسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك أبا فراس غيظا وقال قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد حيث يقول :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت   دهراً وأظهرت أغرابا وأبداعا

حتى فتحت باعجاز خصصت به   للعمي والصم أبصارا وأسماعا

ولما انتهى الى قوله

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال أبو فراس وماذا أبقيت للامير اذا وصفت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الامير بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير ؟ أما سرقت هذا من قول الهيثم بن الاسود النخعي السكوفي المعروف بابن العريان العثماني

أعاذلتي كم مهمه قد قطعته   اليف وحوش ساكنا غير هائب

أنا ابن الفلا والطعن والضرب والسُرَى   وجرد المذاكي والقنا والقواضب

حليم وقور في البلاد وهيبتي   لها في قلوب الناس بطش الكتائب

فقال المتنبي

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره   اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال أبو فراس وهذا سرقته من قول معقل العجلي

اذا لم أميز بين نور وظلمة   بعيني فالعينان زور وباطل

ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة المسكي

اذا المرء لم يدرك بعينيه مايرى   فما الفرق بين العمي والبصراء

وضجر سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي في الحال

ان كان سركم ماقال حاسدنا   فما لجرح اذا أرضاكم ألم

قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار

اذا رضيتم بأن نجفى وسركم   قول الوشاة فلا شكوى ولاضجر

ومثله قول ابن الرومي

اذ ما الفجائع اكسبتني   رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ماقال أبو فراس وأعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وأدناه اليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال المتنبي

جاءت دنانيرك مختومة   عاجلة ألفا على ألف

أشبهها فعلك في فيلق   قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية

أَلاَ مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبَا
فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبا [١]

ومَالِي اذَامااشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَائِفَ لا أَشْتَاقُهَا وَسبَاسِبَا [٢]

وقَدْ كانَ يُدْنِي مَجْلِسِي منْ سَمَائِهِ أُحادِثُ فيها بَدْرَهاوَالكَوا كِبَا [٣]

حَنَانَيْكَ مَسْئُولاً وَلَبَّيْكَ داعِيًا وَحَسْبِيَ مَوْهُوبًاوَحَسْبُكَ وَاهِبَا [٤]

أَهَذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إنْ كُنْتُ صَادِقًا
أَهَذا جَزَاءُ الكِذْبِ إنْ كُنْتُ كاذِبَا [٥]

---

(١) فداه الورى دعاء، وامضى السيوف خبر مبتدا محذوف أى هو أمضى السيوف مضاربا أو تقول انه منصوب على المدح ومضاربا تميز يقول : مالسيف الدولة غضبان أى لم غضب وما سبب غضبه فلست أعرف لى ذنبا يوجب ذلك ثم دعا له ثم قال لا سيف أمضى منه مضربا (٢) التنائف جمع تنوفة وهي المفازة والسباسب جمع سبسب وهى الفلاة القفر يقول : مالى اذا اشتقت اليه أبصرت بينى وبينه فلوات بعيدة مترامية الاطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه (٣) أراد بالسماء مجلسه، جعله كالسماء رفعة له وجعله كالبدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكواكب (٤) حنانيك كلمة موضوعة موضع المصدر استعملت مثناة كأنه حنان بعد حنان أى تحننا بعد تحنن ومثلها لبيك من لب به اذا لزمه وحسبى وحسبك خبران مبتدأهما محذوف أى وأنت حسبى وأنا حسبك والمنصوبات كلها على الحال وقيل على التمييز يقول : تحنن على تحننا بعد تحنن اذا كنت مسئولا ولك الاجابة اذا كنت داعيا وكفى بى موهوبا أى إنى أشكر من يهبنى وأشيد بذكره وكفى بك واهبا أى انك أشرف الواهبين ولست أحتاج الى واهب آخر بعد هباتك

(٥) قال الواحدى : أى ان كنت صادقا فى مديحك فليس ما تعاملنى به جزاء

وإنْ كانَ ذَنْبي كُلَّ ذَنْبٍ فإنهُ محَا الذنبَ كُلَّ المحْوِ مَنْ جاءَ تائبا (١)

وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مُذهبة وفيها

سيفٌ غير مُذْهب فأمر بإذهابه

أَحْسَنُ ما يُخْضَبُ الحَدِيدُ بِهِ وخاضِبَيْهِ النَّجِيعُ والغَضَبُ (٢)

فَلا تَشِينَنَّهُ بالنُّضارِ فمَا يَجْتَمِعُ الماءُ فيهِ والذَّهَبُ (٣)

وتشكى سيف الدولة من دُمّل فقال فيه

أَيَدْرِي ما أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وهَلْ تَرْقَى إلى الفَلَكِ الخُطُوبُ (٤)

وجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ فَقُرْبُ أَقَلِّهَا مِنْهُ عَجِيبُ (٥)

لصدقي وان كنت كاذبا فليس هذا جزاء الكاذبين لأني ان كذبت فقد تجملت لك في القول فتجمل لي أنت أيضا في المعاملة (١) يقول : ان كان ذنبي ذنبا ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده محو وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٢) الذي صح عن المتنبي وخاضبيه على التثنية وهو عطف على ما أي وأحسن خاضبيه. والنجيع الدم. يقول : ان هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما الدم وهناك خاضبان الصناعة والغضب — لان خضبه بالذهب لا يكون إلا بصناعة الصيقل وخضبه بالدم انما يكون بسبب الغضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن الخاضبين الغضب . وروى : وخاضبيه بكسر الباء على أنه جمع خاضب وأني لأميل في هذه الحالة إلى أن تكون الواو للقسم أي وحق خاضبيه ويكون التقدير : وأحسن ما يخضب به الحديد النجيع والغضب وحق خاضبيه وجعل الغضب خضابا للحديد لأنه يخضبه بالدم فهو يريد الدم وحده ويكون الغضب تأكيدا أتى به للقافية وقد صار المعنى ظاهرا على الروايتين (٣) شانه عابه والنضار الذهب يقول : لا تشنه بالاذهاب فانه اذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إحمائه — ذهبت سقايته أي ماؤه (٤) أرابه أفزعه وأوقع به شيأ يشك في عاقبته أخيرا يكون أم شرا يقول : هل يدري هذا الدمل أي الناس قد أقلق؟ وهذا استفهام تعجب واستعظام ثم قال متعجبا وهل ترقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك جعله كالفلك لعلو قدره ورفعة شأنه (٥) الضمير في أقلها يعود إلى كل داء كما في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » يقول : ان جسمك

يُجَمِّشُكَ الزَّمانُ هَوًى وحُبًّا ... وقَدْ يُؤذَى مِنَ المِقَةِ الحَبِيبُ (١)

وكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيا بِشَيْءٍ ... وأَنْتَ بِعِلَّةِ الدُّنْيا طَبِيبُ (٢)

وكَيْفَ تَنُوبُكَ الشَّكْوَى بِداءٍ ... وأَنْتَ المُسْتَغاثُ لِمَا يَنُوبُ (٣)

مَلِلْتَ مُقامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ ... طِعانٌ صادِقٌ ودَمٌ صَبِيبُ (٤)

وأَنْتَ المَلْكُ تُمْرِضُهُ الحَشَايا ... لِهِمَّتِهِ وتَشْفِيهِ الحُرُوبُ (٥)

ومابِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَراها ... وعِثْيَرُها لأَرْجُلِها جَنِيبُ (٦)

مُجَلِّحَةً لَها أَرْضُ الأَعادِي ... ولِلسُّمْرِ المَناحِرُ وَالجُنُوبُ (٧)

لا ينبغي أن تنال منه الادواء فمن العجب أن يقربك أقل الادواء،وجعل للأدواء همة مجازا (١) التجميش شبه المغازلة وهو الملاعبة بين الحبيبين والمقة المحبة وأصلها ومق يقول : ان الذى ألم بك انما هو تجميش من الزمان لحبه اياك وتعلقه بك لأنك جماله وأمثل اهله وقد يكون الحب سببا لأيذاء المحبوب

(٢) يقول : أنت طبيب الدنيا الذى تشفي أدواءها فتقوم المعوج وتطرد الظلم والعيث والفساد فكيف تعلك وأنت طبيبها (٣) يقول : وكيف تلم بك الشكوى وبك يستغاث مما ينوب من نوائب الدهر فتغيث وترفع الشكوى (٤) و (٥) مقام مصدر ميمى بمعنى الاقامة يفتح ويضم وصبيب مصبوب والحشايا جمع حشية معدولة عن المحشوة وهى الفرش المحشوة يقول : لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا فى ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الأقامة يوما واحدا لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب (٦) الضمير في تراها للخيل وإن لم يجر لها ذكر لتقدم مايدل عليها والعثير مثال درهم الغبار والجنيب الذى تقوده إلى جنبك يقول : مابك مرض غير نزاعك إلى ملاقاة العدو بخيل يتبع الغبار قوائمها كأنه جنيب تقوده أى انك انقطعت عن ذلك فنال منك حبه كما ينال الحب من العاشق اذا انقطع عن رؤية معشوقه (٧) مجلحة حال ثانية للخيل والحال الأولى جملة وعثيرها لأرجلها جنيب ومجلحة مصممة ماضية. وروى الخوارزمى محللة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها

فَقَرِّطْهَا الأَعِنَّةَ رَاجِعاتٍ ... فَإنَّ بَعِيدَ ماطَلَبَتْ قَرِيبُ (١)
أَذَا دَاءٌ هفَا بُقْراطُ عَنْهُ ... فَلَمْ يُعْرَفْ لِصاحِبِهِ ضَرِيبُ (٢)
بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الوُضَّاءِ تُمْسِي ... جُفُونِي تَحتَ شَمْسٍ ماتَغِيبُ (٣)
فَأَغْزُو مَنْ غَزا وبِهِ اقْتِدارِي ... وأَرْمِي مَنْ رَمَى وبِهِ أُصِيبُ
وَلِلْحُسَّادِ عُذْرٌ أَنْ يَشِحُّوا ... عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا (٤)
فَإنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكانٍ ... عَلَيْهِ تَحْسُدُ الحَدَقَ القُلُوبُ (٥)

والسمر الرماح والمناحر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق والجنوب جمع جنب وهو مما يلى الابط إلى الـكشح يقول : وما بك مرض غير أن ترى الخيل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الاعادى تطؤها وتجتاحها وأحات للرماح حناجرهم وجنوبهم تنفذ فيها (١) قرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قذاله للحضر* فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الاعنة لترجع إلى بلاد الاعادى فانها لاتبعد عليها اذا طلبتها لسرعتها

(٢) الهمزة للاستفهام المحض أو للتقرير وذا اسم اشارة وهفا زل والضريب النظير وبقراط الطبيب اليونانى المشهور يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب الى حد أن فيها شفاءه وأنه لو قعد عنها يوما ضجر ومرض — أهذا داء معضل لم يهتد اليه بقراط وليس لصاحبه نظير لأنه لايعرف أحد بمرض لترك الحرب والمعنى على هذا واضح لا غبار عليه واذن لاحاجة إلى ذكر سائر الروايات وتعسف الشراح

(٣) الوضاء بضم الواو وتشديد الضاد المبالغ فى الوضاءة وهى الحسن يقول : انه ينظر منه الى شمس لا تغيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس

(٤) أن يشحوا أى فى أن يشحوا أى أعذر الحساد فى شحهم أى بخلهم بالنظر اليه

(٥) يقول : ان القلوب تحسد العيون على نظر الممدوح فاذا حسده على ذلك أحد فهو معذور

---

* القذال مابين الاذنين من مؤخر الرأس. والحضر الجرى

وأحدث بنو كلاب حدثا بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وابو الطيب معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالغبارات والخرارات فأوقع بهم وملك الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة — وأنشده اياها فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

بِغَيْرِكَ راعياً عَبِثَ الذِّئابُ ... وَغَيْرَكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرابُ (١)

وَتَملِكُ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا ... فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَها كِلابُ (٢)

وماتَرَكُوكَ مَعْصِيَةً ولَكِنْ ... يُعافُ الوِرْدُ والمَوْتُ الشَّرابُ (٣)

طَلَبْتَهُمُ عَلَى الأَمْواهِ حَتَّى ... تَخَوَّفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحابُ (٤)

فَبِتَّ لَيالِياً لانَوْمَ فِيها ... تَخُبُّ بِكَ المُسَوَّمَةُ العِرابُ (٥)

يَهُزُّ الجَيْشُ حَوْلَكَ جانِبَيْهِ ... كَما نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقابُ (٦)

---

(١) راعيا وصارما منصوبان على التمييز يقول: ان الذئاب تعبث بغيرك فى حال رعيه وسياسته ويثلم الضراب غيرك فى حال قطعه أى اذا كنت أنت الراعى لم تعبث الذئاب بسوامك واذا كنت أنت الصارم لم يثلمك الضرب والمعنى اذا كنت أنت الحافظ لرعيتك لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفا منك (٢) طرا أى جميعا نصب على الحال يقول: أنت تملك أنفس الانس والجن جميعا فكيف يكون لهذه القبيلة ـ قبيلة بنى كلاب ـ أن تملك أنفسها (٣) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لاجله ويعاف يمقت ويتحاشى والورد ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب للحال . يعتذر لهم يقول: انما تركوك وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لاعصيانا وتمردا عليك لانهم اذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك (٤) يقول: تتبعت أمواه البادية فى طلبهم حتى خشى السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء (٥) تخب أى تعدو بك الخيل العربية المعلمة أى ذوات الشيات فى طلبهم (٦) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والانثى قوى المخالب له منقار أعقف . شبهه ـ وهو فى قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير ـ بعقاب تهز جناحيها

وَتَسْأَلُ عَنْهُمُ الفَلَواتِ حَتَّى ... أَجابَكَ بَعْضُها وهُمُ الجَوابُ (١)

فَقاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِمِ وفَرُّوا ... نَدَى كَفَّيْكَ والنَّسَبُ القُرابُ (٢)

وحِفْظُكَ فِيهِمِ سَلَفَيْ مَعَدٍّ ... وَأَنَّهُمُ العَشائِرُ والصِّحابُ (٣)

تُكَفْكِفُ عَنْهُمُ صُمَّ العَوالِي ... وقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمِ الشِّعابُ (٤)

وَأُسْقِطَتْ الأَجِنَّةُ فِي الوَلايَا ... وأُجْهِضَتِ الحَوائِلُ والسِّقابُ (٥)

وَعَمْرٌو فِي مَيامِنِهِمْ عُمُورٌ ... وكَعْبٌ فِي مَيَاسِرِهِمْ كِعابُ (٦)

(١) الفلوات الصحارى . جعل طلبه اياهم فى الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب وانها الاستعارة رائعة

(٢) ندى كفيك فاعل قاتل والواو من وفروا للحال أى والحال انهم قد فروا والمراد بالحريم النساء يقول : إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم فما كان منك الا أن أحسنت الى الحريم وحلت دون سبيه وصنته فكأن جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم (٣) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سلفى معد — يريد ربيعة ومضر لان سيف الدولة ينتهى إلى ربيعة لانه من تغلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لانهم من قيس وربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرك وأنهم أصحابك (٤) تكفكف تكف والصم الصلاب والعوالى صدور الرماح وشرقت غصت والظعن جمع ظعينة وهى المرأة مادامت فى الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظعينة وان لم تكن فى هودج والشعاب جمع شعب وهو الطريق فى الجبل يقول : انك تكف عنهم الرماح اشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظعائنهم شعاب الجبال

(٥) الاجنة جمع جنين وهو الولد فى بطن أمه والولايا جمع ولية وهى شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يجعل تحت البرذعة وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل الانثى من أولاد الابل والسقاب جمع سقب الذكر منها يقول: لشدة فزعهم والهول الذى الم بهم اجهضت النساء فى البرادع أى على ظهور الابل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا واناثا

(٦) قال الواحدى : عمرو قبيلة ذهبت ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا كما قال معاوية بن مالك

رأيت الصدع من كعب وكانوا ... من الشنآن قد صاروا كعابا

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَنِيها   وَخاذَلَها قُرَيْظٌ وَالضِّبابُ (١)

إِذَا ما سِرْتَ فِي آثارِ قَوْمٍ   تَخاذَلَتِ الْجَماجِمُ والرِّقابُ (٢)

فَعُدْنَ كَما أُخِذْنَ مُكَرَّماتٍ   عَلَيْهِنَّ القَلائِدُ والْمَلابُ (٣)

يُثِبْنَكَ بالَّذِي أَوْلَيْتَ شُكْرًا   وَأَيْنَ مِنَ الَّذِي تُولِي الثَّوابُ (٤)

وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْنًا   ولا فى صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عابُ (٥)

ولا فى فَقْدِهِنَّ بَنِي كِلابٍ   اذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ اغْتِرابُ (٦)

وكَيْفَ يَتِمُّ بَأْسُكَ فى أُناسٍ   تُصِيبُهُمُ فَيُؤْلِمُكَ الْمُصابُ (٧)

---

(١) هؤلاء بطون بنى كلاب وأنث أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة يقول : انهم لما انهزموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم (٢) قال ابن جنى : التخاذل التأخر واذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الانسان أى لما سرت وراءهم تأخرت رؤسهم لادراكك اياهم وان كانت فى الواقع قد أسرعت. واستبعد العروضى هذا المعنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف فيقطعها ويفصل بينهما فتتساقط فكأن كل واحد منهما خذل صاحبه وقال الواحدى الذى أراه غير هذا يقول : ان الرؤس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفا منك فلا يبقى بينهما تعاون وهذا المعنى أراده الخوارزمى فقال

وكنت اذا نهدت لغزو قوم   وأوجبت السياسة أن يبيدوا

تبرأت الحيـاة اليك منهم   وجاء اليك يعتذر الحديد

وطلقت الجماجم كل فخـذ   وأنكر صحبـة العنق الوريد

(٣) الملاب ضرب من الطيب يقول: لما ظفرت ببنى كلاب أخذت نساءهم فرجعن مكرمات، عليهن قلائدهن وطيبهن لم يضع منهن شىء

(٤) أثابه كافأه وأوليت أنعمت يقول: انهن يشكرن لك ما أوليتهن من الاحسان ولكن احسانك أعظم وأجل من أن يكافأ (٥) يقول : ليس فى مصيرهن اليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن بأكرامك اياهن كأنهن عند أهليهن وأزواجهن

(٦) الغرة الوجه يقول : لا غربة عليهن اذا رأينك إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن

(٧) يقول: لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك

تَرَفَّقْ أَيُّها المَوْلَى عَلَيْهِمْ ... فإِنَّ الرِّفْقَ بالجانى عِتابُ [(١)]

وَإِنَّهُمُ عَبِيدُكَ حَيْثُ كانُوا ... إِذَا تَدْعُو لِحادِثَةٍ أَجابُوا [(٢)]

وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمُ وَلَيْسُوا ... بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتابُوا [(٣)]

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيْهِمْ ... وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمُ عِقابُ [(٤)]

وما جَهِلَتْ أَيادِيكَ البَوادِى ... وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِىَ الصَّوابُ [(٥)]

فبأصابتك اياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا قال قيس ابن زهير العبسى

فان أك قد بردت بهم غليلى ... فلم أقطع بهم الا بنانى

وقال الحماسى

قومى هم قتلوا أميم * أخى ... فاذا رميت يصيبنى سهمى

ولئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمى

وقال العديل

وإنى وإن عاديتهم أو جفوتهم ... لتألم مما عل أكبادهم كبدى

وقال النميرى

فانك حين تبلغهم أذاه — وان ظلموا — لمحترق الضمير

(١) يقول: ارفق بهم وإن جنوا فان من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتابا لأن الصفح عن الجانى يجعله عبدا لك☆وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ☆

(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب تقول أخطأ يخطىء اذا سلك سبيل الخطأ أما الخطأ بكسر الخاء فهو الذنب تقول خطىء يخطأ خطأ وخطأة كفعلة والاسم الخطيئة ولم يفرق أبو عبيدة بينهما وقال الأموى المخطىء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخاطىء من تعمد لما لاينبغى يقول: ان كانوا مخطئين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب «تقطع» ماقبلها وهم عبيدك حيث كانوا اذا دعوتهم للموت أجابوك يعتذر عنهم إلى سيف الدولة (٤) يقول: أنت الذى بك بقاؤهم فاذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة ولاعقاب أكثر من هجر الحياة (٥) أياديك نعمك والبوادى

* أميم أى ياأميم وأخى مفعول قتلوا

وَكَمْ ذَنْبٍ مُوَلِّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقْتِرَابُ (١)

وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ العَذَابُ (٢)

فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمِ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مَنْ يَهَابُ (٣)

وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةِ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ (٤)

وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثُّوا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا (٥)

خلاف المدن يريد أهل البوادى والبوادى فاعل جهلت وأياديك مفعوله يقول : انهم لم يجهلوا بعصيانك سوابق نعمك ولكن قد يخفى الصواب على المرء فيأتى غيره

(١) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتى المدل بالذنب يظنه دلالا وقد يكون البعد سببه القرب . يعتذر عنهم أى أنهم أدلوا عليك لفرط احسانك اليهم فأتوا فى ذلك بما صار ذنبا وجناية منهم (٢) الجرم الذنب والسفه خفة الحلم أو نقيضه يقول : وكم جرم جناه سفيه فنزل العذاب بغيره وهذا المعنى قد طرقه الكثير قال

رأيت الحرب يجنيها رجال ويصلى حرَّها قوم براء

وقال

جنى ابن عمك ذنبا فابتليت به إن الفتى بابن عم السوء مأخوذ

وقال النابغة

وحملتنى ذنب امرىء وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

وقال البحترى

تصد حياء أن تراك بأعين جنى الذنب عاصيها فليم مطيعها

وأروع الجميع — ولله المثل الأعلى — قوله جل شأنه : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة :

(٣) على اسم سيف الدولة يقول : ان خافوه بسبب جرمهم فانه يرجى العفو عنده كما يهاب لأنه جواد مهيب (٤) يقول : ان يك سيف الدولة من تغلب لا من قيس فهو ولى نعمتهم لأن جلودهم نبتت باحسانه اليهم واكتست بما خلع عليهم من ثياب (٥) الرباب غيم يضرب إلى السواد يرى كأنه دون السحاب قال عبد الرحمن بن حسان

كأن الرباب دوين السحاب نعام تعلق بالأرجل

وَتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبُوا الأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ العَرَبِ الصِّعَابُ (١)

وَلَوْ غَيْرُ الأَمِيرِ غَزَا كِلاباً ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمِ ضَبابُ (٢)

ولاقَى دُونَ ثَايِهِمِ طِعاناً يُلاقِى عِنْدَهُ الذِّئْبَ الغُرابُ (٣)

وَخَيْلاً تَغْتَذِى رِيحَ المَوامِى وَيَكْفِيها مِنَ المَاءِ السَّرابُ (٤)

وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى الَيْهِمْ فَمَا نَفَعَ الوُقُوفُ ولاالذَّهابُ (٥)

وَلاَ لَيْلٌ أَجَنَّ ولا نَهارٌ ولا خَيْلٌ حَمَلْنَ ولا رِكابُ (٦)

وأث النبات كثر والتف يقول : أنهم نشأوا فى نعمته وقووا وعزوا باحسانه كالنبات الذى نما بماء السحاب فاستعار السحاب للاحسان والنبات للمحسن اليه (١) يقول : بانتسابهم إليه والى خدمته تمكنوا من أعدائهم وانقاد لهم من العرب من لا ينقاد لأحد

(٢) قال الواحدى : يذكر قوتهم وشوكتهم وان غير سيف الدولة لو أتاهم لما ظفر بهم وكنى بالشموس عن النساء وبالضباب عن المحاماة دونهم لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر اليها قال : ويجوز أن يكون هذا مثلا معناه لو غزاهم غيره لكان له ما يشغله بما يلقى قبل الوصول اليهم وأباحة حريمهم أى أنه كان يستقبله من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم فجعل الضباب مثلا للرعاع والشموس مثلا للسادة (٣) ولاقى عطف على ثناه والثاى جمع ثاية كآى وآية وهى حجارة تجعل حول البيت يأوى اليها الراعى ليلا وفيها مبارك الابل ومرابض الغنم يقول: لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شموسهم وللاقى دون وصوله الى هذه الحجارة حربا يكثر فيها القتلى حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلبا للحوم القتلى

(٤) وخيلا عطف على طعانا والموامى جمع موماة وهى المفازة يقول : وكان يلاقى خيلا تعودت قطع المفاوز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب لأنها عراب مضمرة معودة قلة العلف والماء (٥) رب كل شىء مالكه ويقال أسرى اذا سار ليلا وسرى اذا سار نهارا وقيل هما لغتان تستعملان بمعنى واحد يقول : انك سرت اليهم فما نفعهم الوقوف فى ديارهم للذود والدفاع ولا الذهاب للهرب لأنهم ان وقفوا اقتتلوا وان هربوا أدركوا (٦) يقول: ولم ينفعهم ليل يستترون تحته ولا نهار يكاشفونك فيه ولا خيل وابل تحملهم للهرب، فهم لهيبتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينج بهم شىء من ذلك.

رَمَيْتَهُمُ بِبَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ ... لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ (١)

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ ... وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ (٢)

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ ... كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ (٣)

بَنُو قَتْلَى أَبِيكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ ... وَمَنْ أَبْقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ (٤)

عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَارًا ... وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابُ (٥)

وَكُلُّكُمُ أَتَى مَا أَتَى أَبِيهِ ... فَكُلٌّ فَعَالُ كُلِّكُمُ عُجَابُ (٦)

كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الْأَعَادِي ... وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ (٧)

---

(١) جعل جيشه بحرا من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه ثم جعلهم يموجون خلفهم فى سيرهم فكأنهم بحر يمد عبابه وراءهم (٢) يقول: طرقهم ليلا وهم يفترشون الحرير آمنون فبيتهم وقتلهم حتى جدلوا على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير وقال المعرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيأ يقعدون عليه سوى التراب

(٣) يقول : وصار الرجال كالنساء ذلا واستخذاء وانقيادا (٤) بنو خبر مبتدا محذوف أى هم بنو قتلى أبيك ومن أبقى عطف عليه وفاعل أبقى ضمير يعود على أبيك يشير الى ما كان من أبى الهيجاء والد سيف الدولة مع بنى كلاب وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم فى أرض نجد وفتك بهم فهؤلاء هم أبناء أولئك وبقيتهم

(٥) السخاب قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان وجمعها سخب يقول : ان أباك قتل آباءهم وعفا عن الابناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب (٦) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه فهم تقيلوا آباءهم فى التمرد والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك فى العفو والغفران ففعلهم حين عصوك عجيب إذ لم يعتبروا بآبائهم وفعلك أيضا عجيب إذ صفحت عنهم وأبقيت على باقيهم، والفعال بفتح الفاء فعل الواحد خاصة فى الخير والشر يقال فلان كريم الفعال وفلان لئيم الفعال ولك أن تكسر الفاء على انه جمع فعل (٧) يقول: مثل هذا الفعل فليفعل من يطلب الأعادى وليكن طلابه مثل هذا السرى الذى سرت حتى بلغت مرادك

وقال يرثى أخت سيف الدولة وقد توفيت بميافارقين سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة

يا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ ... كِنايَةً بِهِما عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)

أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسْمَيْ مُؤَبَّنَةً ... وَمَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلعَرَبِ (٢)

لا يَمْلِكُ الطَّرِبُ المَحْزونُ مَنْطِقَهُ ... وَدَمْعَهُ وَهُما في قَبْضَةِ الطَّرَبِ (٣)

غَدَرْتَ يا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ ... بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ (٤)

(١) يقول : يا أخت سيف الدولة ويا بنت أبى الهيجاء وهو المراد بأشرف النسب فكنى عن ذلك ونصب كناية على المصدر كانه قال كنيت كناية (٢) مؤبنة حال من الياء فى تسمى أى حال كونك مؤبنة أى مرثية من التأبين وهو الثناء على الميت يقول: انت أجل من ان أعرفك باسمك بل وصفك يعرفك بما فيك من المحاسن والمحامد التى ليست فى غيرك وهذا يغنى عن تسميتك كما قال أبو نواس

فهى اذا سُمِّيَتْ لَقَدْ وُصِفَتْ ... فَيَجْمَعُ الاسمُ مَعْنَيَيْنِ مَعاً

(٣) الطرب صفة من الطرب وهو خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهم قال النابغة الجعدى فى الهم

سَأَلَتْنى أَمَتى عن جارَتى ... وإِذَا ما عَيِّى ذوا اللُّبِّ سَأَلْ

سألتنى عَنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عليهم وأَكَلْ

وأرانى طَرِباً فى إِثْرِهِم ... طَرَبَ الواله أو كالمُخْتَبَلْ

« الواله الثاكل والمختبل الذى اختبل عقله أى جن » يقول المتنبى : من استخفه الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما لانهما إذ ذاك يكونان فى قبضة الطرب أى الحزن يصرفهما كما يشاء

(٤) اللجب الضجيج واختلاط الاصوات يقول : غدرت ياموت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تفنى به العدد الكثير وتسكت ضجيجهم واذا كان عونك على الافناء

وكَمْ صَحِبْتَ أَخاها فى مُنازَلَةٍ ... وكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ ولم تَخِبِ (١)

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جاءَنِى خَبَرٌ ... فَزِعْتُ فيه بآمالى إلى الكَذِبِ (٢)

حَتَّى اذا لَمْ يَدَعْ لِىْ صِدْقُهُ أَمَلاً ... شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّى كادَ يَشْرَقُ بِى (٣)

تَعَثَّرَتْ بِهِ فى الْأَفْواهِ أَلْسُنُها ... وَالْبُرْدُ فى الطُّرْقِ والْأَقْلامُ فى الْكُتُبِ (٤)

كَأَنَّ فَعْلَةَ لَمْ تَمْلَأْ مَوَاكِبُها ... دِيارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ ولم تَهَبِ (٥)

كان من حقك أن ترعى ذمته ولا تفجعه بأخته وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير وسكت لجبهم وترددهم فى خدمتها أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها فكأنهم ماتوا وهذا كقول القائل

وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

(١) يقول : وكم صحبت أخاها يا موت فى غزواته وطلبت اليه أن يمكنك من اهلاك من أردت فأجابك إلى ذلك ومكنك بسيفه ممن أردت وهذا كقوله الآتى فى قافية اللام

شريك المنايا والنفوس غنيمة ... فكل ممات لم يمته غلول

(٢) الجزيرة ما بين دجلة والفرات وخبر تنازعه كل من طوى وجاءنى يقول : لما جاءنى هذا النعى وطوى الجزيرة حتى ورد على فى الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعللت بهذا الرجاء (٣) يقول : حتى اذا صح الخبر ولم يبق رجاء فى أن يكون كذبا غصصت بالدمع لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بى أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشىء الذى يغص به فى القلة. والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه ومحصل المعنى : كاد الدمع لاحاطته بى أن يكون كانه غص بى (٤) لم يلحق الياء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة والبرد جمع بريد والبريد كلمة فارسية أصلها بريده دم أى محذوف الذنب لان بغال البريد كانت محذوفة الاذناب كالعلامة لها ثم سمى الرسول الذى يركب دواب البريد بريدا يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الالسنة فى الافواه وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ورجفت أيدى الكتاب فى كتابته

(٥) فعلة كناية عن اسم المرثية وهو خولة يقول: مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملاءت جيوشها ديار بكر والتى كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها

وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً بَعْدَ تَوْلِيَةٍ وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ [١]

أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيَتْ
فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفِتْيَانِ فِي حَلَبِ [٢]

يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُلْتَهِبٍ وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ [٣]

بَلَى وَحُرْمَةِ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَّادِ وَالْأَدَبِ [٤]

وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَائِقُهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةَ النَّشَبِ [٥]

وَهَمُّهَا فِي الْعُلَا وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ [٦]

يَعْلَمْنَ حِينَ تُحَيَّا حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللهُ بِالشَّنَبِ [٧]

---

(١) بالويل متعلق بداعيا وتولية أى ذهاب وادبار مصدر ولى والويل الهلاك والحرب ذهاب المال حرب الرجل سلب ماله والداعى بالويل والحرب الذى يصيح واويلاه واحرباه يقول : ولقد كانت ترد حياة الملهوف بالاغاثة والاجارة والبذل وتغيث من يدعوها اذا دعاها بالويل والحرب (٢) يقول : طال ليل أهل العراق مذ أتاهم نعيها حزنا عليها فكيف ليل أخيها سيف الدولة فى حلب قال العكبرى: ليس لهذا البيت معنى طائل وفيه سماجة ... (٣) أراد أيظن فحذف حرف الاستفهام والضمير لسيف الدولة ويروى بالتاء على الخطاب يقول : أتظن أنى غير حزين (٤) بلى حرف جواب تختص بالنفى وتفيد ابطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمعى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الامور فقوله وحرمة الخ قسم

(٥) ومن مضت عطف على من كانت فى البيت السابق والخلائق جمع خليقة بمعنى الخلق والنشب المال يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها لانه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وان كان مالها موروثا (٦) أترابها لداتها ونظيراتها فى العمر جمع ترب بكسر التاء للمذكر والمؤنث يقول : همها منذ صباها منصب فى العلا وتدبير الملك بينما أقرانها همهن فى اللهو واللعب وهذا من قول حمزة بن بيض

فهمُّكُ فيها جسام الأمور وهمّ لداتك أن يلعبوا

(٧) الشنب قيل هو تحزيز أطراف الاسنان وقيل صفاؤها ونقاؤها وقيل تفليجها وقيل طيب نكهتها يقول: ان أترابها اذا جئن اليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء

مُسَرَّةٌ فى قُلُوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُها   وَحَسْرَةٌ فى قُلُوبِ البَيْضِ واليَلَبِ (١)

إِذَا رَأَى وَرَآها رَأْسَ لابِسِهِ   رَأَى المَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فى الرُّتَبِ (٢)

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقَتْ أُنْثَى لَقَدْ خُلِقَتْ   كَرِيمَةً غَيْرَ أُنْثَى العَقْلِ والحَسَبِ (٣)

وإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا   فَإِنَّ فى الخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فى العِنَبِ (٤)

فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غائِبَةٌ   ولَيْتَ غائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ (٥)

شفتيها من الشنب إلا الله لانه لم يذقه أحد قال الواحدى : وأساء فى ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء فى مراثيهن. قال ابن جنى : كان المتنبى يتجاسر فى ألفاظه جدا

(١) مفرقها موضع افتراق الشعر من الرأس، واليلب الدروع اليمانية تتخذ من الجلود أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤس خاصة تحت البيض واحدتها يلبة والبيض جمع بيضة وهي الخوذه من حديد يقول : ان الطيب يسر باستعمالها اياه والبيض واليلب يتحسران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال (٢) المقانع جمع مقنع ومقنعة وهو ما تقنع به المرأة رأسها وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابسه ورآها، فضمير رأى للبيض واليلب وأفرد الضمير لانهما مترادفان فكأنهما شيء واحد يقول : اذا رأى البيض رأس لابسه ورأى هذه المرأة وهى تلبس المقانع رأى المقانع أعلى رتبة منه فازداد حسرة على تركها اياه وحرمانه من ذلك

(٣) الحسب شرف الآباء أو الفعال الصالح أى شرف الفعل . يقول : ان لها عقل الرجال وحسبهم وان خلقت أنثى (٤) تغلب قبيلة سيف الدولة والغلباء فى الأصل الغليظة الرقبة والمراد العزيزة الأبية الممتنعة يقول : هى وإن كانت من تغلب ــ تلك القبيلة المعروفة بالعز والمنعة ــ بيد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تمتاز به عنهم وتفضلهم كالخمر أصلها العنب ولكن فى الخمر من المزايا ما ليس فى العنب ومن ثم تفضله وهذا مثل قوله فان المسك بعض دم الغزال (٥) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال ليت طالعتهما وهى شمس

وليتَ عينَ التي آبَ النهارُ بها ... فِداءُ عينِ التي زالَتْ ولم تؤُبِ (١)

فما تقلَّدَ بالياقوتِ مُشبِهُها ... ولا تقلَّدَ بالهِنديَّةِ القُضُبِ (٢)

ولا ذكرتُ جميلاً من صنائعها ... إلا بكيتُ ولا وُدٌّ بلا سَبَبِ (٣)

قد كانَ كلُّ حجابٍ دونَ رؤيتها ... فما قنِعتِ لها يا أرضُ بالحُجُبِ (٤)

ولا رأيتِ عيونَ الإنسِ تدرِكُها ... فهل حسدتِ عليها أعينَ الشُّهُبِ (٥)

وهل سمعتِ سلاماً لي ألمَّ بها

فقد أطلتُ وما سلَّمتُ من كَثَبِ (٦)

وكيف يبلغُ موتانا التي دُفِنَتْ ... وقد يُقصِّرُ عن أحيائنا الغَيَبِ (٧)

النهار غائبة وليست غائبتهما وهي المرثية لم تغب يقول : ان في حياتها منافع جمة فليتها بقيت وفقدنا الشمس (٢) آب رجع يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرثية التي غابت ولم ترجع (٣) الهندية السيوف والقضب جمع قضيب وهو اللطيف الدقيق من السيوف يقول : ليس لها شبيه لا من النساء ولا من الرجال (٤) يقول: اذا ذكرت صنائعها بكيت لحبي اياها ، وسبب حبي هو صنائعها لدي واحسانها إلي وروى ابن جني بلا ود ولا سبب أي ليس بكائي لود أو سبب سوى صنائعها

(٥) يقول : كانت محجوبة عن الأعين بكل حجاب فأحبت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها فكأن الارض لم تقنع بما حولها من الحجاب حتى حجبتها بنفسها

(٦) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن (٧) قال الواحدي : يقول للارض : هل سمعت سلاما لي أتاها ؟ يريد أنه يجهز اليها السلام والدعاء وسأل الارض عن بلوغ سلامه اليها ثم قال : وقد أطلت التأبين والمرثية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لانها ماتت على بعد منه (٨) الغيب جمع غائب مثل خدم وخادم يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا المدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الغائبين وكأن هذا مبني على معنى البيت السابق ، أي أن سلامه لم يكن يبلغها في حياتها للبعد الذي بينهما فكيف يبلغها بعد موتها

يا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى القُلُوبِ بِها　　وَقُلْ لِصاحِبِهِ يا أَنْفَعَ السُّحُبِ (١)

وَأَكْرَمَ النَّاسِ لامُسْتَثْنِياً أَحَداً　　مِنَ الكِرامِ سِوَى آبائِكَ النُّجُبِ (٢)

قَدْ كانَ قاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُما　　وعاشَ دُرُّهُما المَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ (٣)

وَعادَ فِي طَلَبِ المَتْرُوكِ تارِكُهُ　　إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ (٤)

ما كانَ أَقْصَرَ وَقْتاً كانَ بَيْنَهُما　　كَأَنَّهُ الوَقْتُ بَيْنَ الوِرْدِ وَالقَرَبِ (٥)

جَزاكَ رَبُّكَ بِالأَحْزانِ مَغْفِرَةً
فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنٍ أَخُو الغَضَبِ (٦)

---

(١) أولى القلوب بها هو قلب أخيها أى سيف الدولة والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب وصاحبه هو سيف الدولة يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب أى أن عطاءه اهنأ لانه بغير أذى والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواعقه

(٢) وأكرم الناس عطف على أنفع السحب والنجب جمع نجيب وهو الكريم من كل شىء « والكريم ضد اللئيم » يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن احدا سوى آبائك الكرام قال العكبرى : وهذا لفظ منكر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم .. أقول وهى احدى مبالغات المتنبى القبيحة (٣) يريد بالشخصين اختيه ماتت احداها وهى الصغرى وبقيت الكبرى فكانت كدر فدى بذهب ، جعل الكبرى كالدر والصغرى كالذهب

(٤) المتروك هو الدر والتارك الدهر يقول : وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها لأن الايام لا تغفل عن طلب ما تركته وهذا البيت والذى قبله كأنهما من قول الاعرابى

وقاسمنى دهرى بَنِيَّ مشاطراً　　فلما تقضَّى شَطْرُهُ عاد فى شَطْرى

(٥) الورد اتيان الابل الماء والقرب سير الليل لورد الغد وذلك أن القوم يرعون الابل وهم فى ذلك يسيرون نحو الماء فاذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه فتلك الليلة ليلة القرب يقول : أن أجليهما كانا متقاربين جدا حتى أن المدة التى بينهما كانت لقصرها كأنها المدة التى بين الورد والقرب وهى ليلة (٦) يقول : غفر الله لك احزانك

وَأَنْتُمُ نَفَرٌ تَسْخُو نُفُوسُكُمُ ... بِمَا يَهَبْنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّلَبِ (١)

حَلَلْتُمُ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمِ ... مَحَلَّ سُمْرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ (٢)

فَلَا تَنَلْكَ اللَّيَالِي إِنَّ أَيْدِيَهَا ... إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ (٣)

وَلَا يُعِنَّ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ ... فَإِنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ (٤)

وَإِنْ سَرَرْنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعْنَ بِهِ ... وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ (٥)

وَرُبَّمَا احْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا ... وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبِ (٦)

لان الحزن للمصيبة اخو الغضب على القدر حيث لم يجر بمراد الانسان والغضب على القدر مما يستغفر منه (١) يسخون أى النفوس ووزنه يفعلن فالواو لام الفعل والنون علامة الاضمار وجمع التأنيث وهو مثل إلا أن يعفون أى النساء ويروى تسخون بلفظ خطاب الذكور والسلب مايؤخذ من القتيل من ثياب وسلاح يقول : انما تحزن لأن الدهر سلبك المرثية وانتم قوم أهل عزة وأنفة تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهرا وهذا المعنى كقول القائل

لا جَزَعا بل أنفاً شابَهُ ... أن يقدر الدهر على غصبه

(٢) القنا عيدان الرماح يقول : أنتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب وكذلك أنتم تفضلون سائر الملوك (٣) النبع شجر صلب ينبت فى رؤس الجبال تتخذ منه القسى والغرب نبت ضعيف ينبت على الانهار. يدعوله يقول : لا أصابتك الليالى بسوء فانها تغلب القوى بالضعيف (٤) الخرب ذكر الحبارى ☆ وجمعه خربان، يدعو له أن لا تعين الليالى من عاداه فانهن يصدن القوى بالضعيف وهو بسبب من معنى البيت السابق (٥) يقول : ان سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجعتك بفقده اذا استردته وقد أرينك العجب حيث سررنك بها ثم فجعنك بفقدها فكانت سببا للسرور والفجيعة وهذا عجب أن يكون شىء واحد سببا للمسرة والمساءة

(٦) يقول : قد يحسب الانسان أن المحن قد تناهت فيلم به شىء لم يكن فى حسبانه واذن لاتؤمن فجعات الدهر

☆ الحبارى طائر أكبر من الدجاج الأهلى وأطول عنقا وهو أنواع كثيرة ويضرب به المثل فى البلاهة فيقال أبله من الحبارى قيل لأنه اذا غير عشه ذهل وحضن بيض غيره

وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنهَا لُبَانَتَهُ ... وَلَا انْتَهَى أَرَبٌ إِلَّا إِلَى أَرَبِ [(١)]

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتِّفَاقَ لَهُمْ

إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ [(٢)]

فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ المَرْءِ سَالِمَةً ... وَقِيلَ تَشْرَكُ جِسْمَ المَرْءِ فِي العَطَبِ [(٣)]

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ ... أَقَامَهُ الفِكْرُ بَيْنَ العَجْزِ وَالتَّعَبِ [(٤)]

وأنفذ اليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير اليه ، فأجابه بهذه الابيات وأنفذها اليه فى ميَّافارِقِينَ وكان ذلك فى شهر ذى الحجَّة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة[(٥)]

---

(١) اللبانة الحاجة والأرب الغرض فهما متقاربان يقول : لم يقض أحد حاجته من الدنيا لأن حاجات الانسان لاتنقضى فاذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب آخر وذلك كما يقول أمية بن أبى الصلت

تموت مع المرء حاجاته ... وتبقى له حاجة ما بقى

(٢) و (٣) الشجب الهلاك والخلف الاختلاف والمراد بالنفس الروح يقول : جرى خلف الناس فى كل شىء ولم يتفقوا إلا على الهلاك أى أن منتهى كل حيوان أن يموت فيهلك ثم اختلفوا فى حقيقة الهلاك ففريق يقول أن الروح تسلم من الهلاك ولا تفنى بفناء الاجسام — وهؤلاء هم المقرون بالبعث — وفريق يذهب إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم

(٤) المهجة الروح يقول : من أفكر فى الدنيا وأنه مفارقها ألبتة اتعبه هذا الفكر لما يجد فى ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ثم رأى فى الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لايستطيع الفرار منه فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز

(٥) هذه القصيدة من المتقارب وتقطيعها فعولن أربع مرات دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعل وقد ارتكب أبو الطيب فيها سناد التوجيه وهو المخالفة فى حركة ما قبل الروى المقيد ومن الناس من لايعده سناداً اكتفاء باتفاق الروى

فَهِمْتُ الْكِتَابَ أَبَرَّ الْكُتُبْ ... فَسَمْعاً لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبْ (١)

وَطَوْعاً لَهُ وَابْتِهَاجاً بِهِ ... وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبْ (٢)

وَمَا عَاقَنِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ ... وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرْقُ الْكَذِبْ (٣)

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ ... وَتَقْرِيبِهِمْ بَيْنَنَا وَالْخَبَبْ (٤)

وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ ... وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبْ (٥)

وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللُّجَيْـنُ ... وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبْ (٦)

فَيَقْلَقَ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاةِ ... وَيَغْضَبَ مِنْهُ الْبَطِيءُ الْغَضَبْ (٧)

وَمَا لَاقَنِي بَلَدٌ بَعْدَكُمْ ... وَلَا اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نُعْمَايَ رَبْ (٨)

---

(١) و (٢) سمعا وطوعا وابتهاجاً ثلاثتها مصادر دلت على أفعالها أى سمعت أمرك سمعا ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابك ابتهاجا ، والابتهاج الفرح يقول : إنى سامع لأمرك مطيع له مبتهج بكتابك بيد أن فعلى فى طاعتك لايبلغ ما يجب إذ أننى قصرت بتخلفى عن المجيء إليك (٣) الوشاة جمع واش وهو النمام ، يقول : لم يمنعنى من النهوض إليك غير خوفى الوشاة ، فان الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البرىء

(٤) التقريب والخبب ضربان من العدو يقول : وعاقنى أيضاً خوف تكثير قوم معائبي وتقليلهم مناقبى وسعيهم بيننا بالفساد .

(٥) يقول إنه كان يصغى إليهم ويسمع منهم بيد أن قلبه كان على أية حال معى يعضده في ذلك شرفه ، فعد أصغاءه إليهم نصرا لهم ونزاعه إليه نصرا له

(٦) و(٧) اللجين الفضة والأناة الحلم والرفق والتثبت،وبعد الأناة كناية عن كونه لايستحف من أول وهلة وقوله فيقلق جواب النفى فى البيت الاول والضمير فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت أى فيقلق من قولى هذا يقول : إنى لم انقصك مما تستحق من المدح شيأ كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب أى لم ات فى حقك ما يوجب أن ينزعج له مثلك فى بعد أناته وبطء غضبه

(٨) لاقنى امسكنى وحبسنى يقال منه فلان لايليق بيلد أى ما يمسك ولا يليقه بلد أى لايمسكه . قال الاصمعى للرشيد : ما ألاقتنى أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين أى

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا ... دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْغَبَبْ ◦(١)

وَمَا قِسْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ ... فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضٍ بِمَنْ فِى حَلَبْ(٢)

وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيْتُهُمْ بِاسْمِهِ ... لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا الْخَشَبْ(٣)

أَفِى الرَّأْىِ يُشْبِهُ أَمْ فِى السَّخَا ... ءِ أَمْ فِى الشَّجَاعَةِ أَمْ فِى الأَدَبْ(٤)

مُبَارَكُ الِاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ ... كَرِيمُ الْجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ ◦(٥)

ما ثبت بها ويقال فلان ما يليق بكفه درهم أى ما يحتبس وما يليق درهما أى ما يحبسه ولا يلصق به قال الشاعر

كَفَاكَ كفٌّ ما تُليق درهما ... جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما

ورب نعماى صاحب نعمتى ووقف على الباء من قوله رب — وهى موضع نصب — ضرورة للقافية ، وخففها — وحكمها التشديد — لوقوعها رويا يقول : لم أقم ببلد بعدكم ولا اعتضت من رب نعمتى عوضا وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا ... وكل الناس زور ما خلاكا

(١) الاظلاف جمع ظلف وهو من البقرة والشاة والظبى بمنزلة القدم للانسان والخف للبعير والحافر للفرس والبغل والحمار ، والغبب والغبغب للبقر والديك ما تدلى تحت حنكيهما ، جعل الجواد مثلا لسيف الدولة والثور مثلا لمن لقى بعده من الملوك وهذا كقول خراش بن زهير

ولا أكون كمن ألقى رحالته ... على الحمار وخلّى صهوة الفرس

قال الخطيب . ذكر الركوب هنا فيه جفاء ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢)و(٣) بمن فى حلب متعلق بقست وقوله فدع ذكر بعض معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلا أن أقيس به بعضهم ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفا كما يسمى هو سيف الدولة لكانوا سيوفا من خشب وكان هو سيفا من حديد يعنى أن مدحه إياه حقيقة ومدحه إياهم مجاز اذ لا شبه بينهم وبينه

(٤) هذا استفهام انكار يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك فى شىء من ذلك

(٥) مبارك الاسم لأن اسمه على وهو مشتق من العلو والعلو محبوب مطلوب ولانه سمى على بن أبى طالب وهو من هو ، واغر اللقب لأنه سيف الدولة وقد اشتهر هذا

أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى	قَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَب (١)
إِذَا حَازَ مَالاً فَقَدْ حَازَهُ	فَتًى لاَ يُسَرُّ بِمَا لاَ يَهَبْ (٢)
وَإِنِّى لَأُتْبِعُ تَذْكَارَهُ	صَلاَةَ الإِلٰهِ وَسَقْىَ السُّحُب (٣)
وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِآلاَئِهِ	وَأَقْرُبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُب (٤)
وَإِنْ فَارَقَتْنِيَ أَمْطَارُهُ	فَأَكْثَرُ غُدْرَانِهَا مَا نَضَب (٥)
أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لاَ خَلْقِهِ	وَيَاذَا الْمَكَارِمِ لاَذَا الشُّطَب (٦)

اللقب فهو أغراى متعالم مشهور أبلج وكريم الجرشى أى النفس وشريف النسب لانه من ربيعة وهم كرام أشراف ، وكلمة الجرشى من قبيح ألفاظ المتنبى

(١) أخو الحرب أى عرفت به وعرف بها فصار لها أخا وقناه فاعل سبى أى رماحه يقول : هو أخو الحرب وصاحبها فاذا أعطى أحدا خادما فهو مما سباه بنفسه لامما اشتراه لان مماليكه جميعا من سباياه وإذا خلع على إنسان ثوبا فهو مما سلبه من أعدائه يريد كثرة نكايته فى الاعداء (٢) فتى فاعل حازه من باب التجريد يقول: إذا جمع مالا لايسر منه بما يدخر ولكن بما يهب وهذا كقول البحترى :

لايتمطى كما احتج البخيل ولا ... يحب من ماله إلا الذى يهب

(٣) يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين فقلت له صلى الله عليه وسقاه الله والصلاة من الله الرحمة وقدجرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ; ولكن الشعراء ديدنهم المبالغة وتعظيم الممدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلا . وقد قال ابن الرقاع

صلى الاله على امرىء ودعته ... وأتم نعمته عليه وزادها

وقال الراعى :

صلّى على عَزّةَ الرحمنُ وابنتِها ... ليلى وصلّى على جاراتها الأُخَرِ

(٤) يقول أثنى عليه بما وصل إلى وإلى غيرى من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والمحبة أقربت محلته أم بعدت (٥) الغدران جمع غدير وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل من غادره تركه ونضب الماء غار فى الارض وبعد وما من قوله ما نضب نافية يقول : إذا كان بره قد انقطع عنى فان ما سبق إلى منه باق كالغدران تبقى بعد المطر

(٦) الشطب بضم الشين والطاء وبفتح الطاء جمع شطبة وهى الطرائق التى فى متن

وَأَبْعَدَ ذِى هِمَّةٍ هِمَّةً ... وَأَعْرَفَ ذِى رُتْبَةٍ بِالرُّتَبِ (١)

وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِّيَّةً ... وَأَضْرَبَ مَنْ بِحُسَامٍ ضَرَبْ (٢)

بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ ... فَلَبَّيْتَ وَالْهَامُ تَحْتَ الْقُضُبْ (٣)

وَقَدْ يَئِسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ ... فَعَيْنٌ تَغُورُ وَقَلْبٌ يَجِبْ (٤)

وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الْعُدَا ... ةِ أَنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبْ (٥)

وَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُه أَنَّهُ ... إِذَا هَمَّ وَهْوَ عَلِيلٌ رَكِبْ (٦)

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِمْ ... طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسُبْ (٧)

السيف وسيف مشطب ومشطوب فيه طرائق وكذلك ثوب مشطب يقول : لست سيفا كسائر السيوف فأنت سيف الله لا سيف الناس وأنت صاحب المكارم لا سيف فيه طرائق من سيوف الحديد

(١)و(٢) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب نصب على النداء المضاف والخطية الرماح يقول : يا أبعد الناس همة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم أو تعطى كلا منهم المنزلة التى يستحقها ويا أطعن من مس رمحا وأضرب من ضرب بسيف

(٣) قوله بذا أى بأطعن وأضرب، والثغور مواضع المخافة من فروج البلدان. والهام الرؤوس. والقضب السيوف القواطع يقول : ان أهل الثغور نادوك بقولهم يا أطعن من طعن بخطية ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف الروم تكاد تطيرها (٤) غارت العين دخلت فى الرأس أى من شدة الرعب والوجيب خفقان القلب يقول: إنك أجبتهم حين نادوك وقد يئسوا من الحياة فهم فى خوف ورعب واضطراب حتى أنقذتهم (٥) الدمستق قائد الروم والعداة جمع عاد بمعنى عدو والثقيل الشديد المرض. والوصب المريض يقول : إنما اجترأ الدمستق على أهل الثغور لانه اغتر بما أرجف به الاعداء من أنك مريض لا تستطيع أغاثتهم (٦) يقول وما كان ينبغى للدمستق أن يغتر لأن سيف الدولة إذا هم بالغارة وهو عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته.

(٧) أتاهم أى الدمستق وبأوسع أى بخيل أوسع وطوال وقصار منصوبان على الحال والسبيب شعر الناصية والعرف والذنب . والعسب جمع عسيب وهو منبت الذنب يقول.

تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِى جَيْشِهِ ... وَتَبْدُو صِغَارًا إِذَا لَمْ تَغِبْ (١)

وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِى جَوِّهِ ... إِذَا لَمْ تَخَطَّ القَنَا أَوْ تَثِبْ (٢)

فَغَرَّقَ مُدْنَهُمُ بِالْجُيُوشِ ... وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبْ (٣)

فَأَخْبِثْ بِهِ طَالِبًا قَهْرَهُمْ ... وَأَخْبِثْ بِهِ تَارِكًا مَا طَلَبْ (٤)

نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللِّقَاءِ ... وَجِئْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبْ (٥)

وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ لَمَّا أَتَى ... وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ لَمَّا ذَهَبْ (٦)

سَبَقْتَ إِلَيْهِمْ مَنَايَاهُمُ ... وَمَنْفَعَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبْ (٧)

أتاهم الدمستق بخيل مونعها من الارض أوسع من أرض الروم ، يصف عسكر الروم بالكثرة ثم وصف خيلهم بأنها من جياد الخيل لان طول شعر الذنب وقصر عظمه مما يستحب فى الخيل (١) يقول : إذا علا جيشه الشواهق أى الجبال العالية غطاها لكثرته فغابت فيه ، واذا تخلل جوانبها ظهرت صغاراً بالاضافة اليه

(٢) تخط بحذف إحدى التاءين أى تتخطى والقنا الرماح يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غص الهواء بها فلا تجد الريح منفذاً إلاأن تتخطى الرماح أى تكون أعلى طريقا منها أو تثب من فوقها (٣) اللجب كثرة الاصوات واختلاطها يقول : أتاهم من الجيوش بما عم بلادهم فكأنها أغرقتها وأخفى أصواتهم بأصوات جيوشه لكثرتها وارتفاعها (٤) أخبث به صيغة تعجب أى ما أخبثه فى الحالين ويروى الثانى وأخيب به تاركا ، من الخيبة ، وطالبا وتاركا حالان يقول : ما أخبثه حين يحاول قتلهم لانه استدبر فى ذلك سيف الدولة خسة منه وجبنا ، وما أخيبه إذ ترك هذه المحاولة وولى هاربا يطلب النجاة (٥) يقول : لما كنت بعيدا عن أهل الثغور أتاهم فقاتلهم بالمبارزة فلما جئت جعل الهرب موضع القتال أى حمى نفسه بالهرب فكأنما قاتلهم به كى ينجو (٦) يقول : إنه كان يفتخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم فلما ارتد عنهم هاربا كنت عذرا له فى ارتداده لأنه لايقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر (٧) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثتهم قبل أن يعطبوا وانما ينفع الغوث إذا كان قبل العطب والهلاك أما بعد ذلك فلا قيمة للغوث وهذا المعنى ينظر إلى قول أبى تمام

فَخَرُّوا لِخَالِقِهِمْ سُجَّدًا ... وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلُبْ (١)

وَكَمْ ذُدْتَ عَنْهُمْ رَدًى بِالرَّدَى ... وَكَشَّفْتَ مِنْ كُرَبٍ بِالْكُرَبْ (٢)

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدْ ... يَعُدْ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبْ (٣)

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِى يَعْبُدَانِ ... وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبْ (٤)

لِيَدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا ... فَيَا لَلرِّجَالِ لِهٰذَا الْعَجَبْ (٥)

أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِيـــنَ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبْ (٦)

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالأَمْسِ طَاوِيًا ... إذا ما سماء اليوم طال انهمارها

وقول البحترى :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... لِلنَّاسِ مَالَمْ يَأْتِ فِى إِبَّانِهِ

(١) الصلب جمع صليب وهو ذلك الذى يتخذه المسيحيون فى بيوتهم وبيعهم على شكل المصلوب يقول : لما أنقذتهم وفر الدمستق سجدوا لله شكرا ، ولو لم تنقذهم لسجدوا للصلبان الاعداء خوفا منهم (٢) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك بأهلاكك من بغى هلاكهم وكم كشفت عنهم الكرب بالكرب التى أنزلتها بأعدائهم (٣) المعتصب أى المتوج الذى يعتصب التاج برأسه يقول : وقد زعم الروم أن الدمستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجىء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم للمشاكلة بين الفعلين على أن عاد قد يراد بها الاتيان لأول مرة كما قال :

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً ... إِلَىَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

أى أتى (٤) يقول : إن الدمستق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصرة على المسلمين وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته (٥) يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل فى اعتقادهم ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ، ولام فيا للرجال مفتوحة لأنها للمستغاث به ولام لهذا لام التعجب وهى مكسورة أنشد سيبويه لقيس بن ذريح

تَكَنَّفَنِى الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِى ... فَيَا لَلنَّاسِ لِلْوَاشِى الْمُطَاعِ

(٦) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا المشركين وتركوا قتالهم وذلك إما عجزا عنهم أو خوفا منهم

وَأَنْتَ مَعَ اللهِ فى جَانِبٍ ... قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبْ (١)

كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ ... وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بِابْنٍ وَأَبْ (٢)

فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فى حَاسِدٍ ... إِذَا مَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ كَئِبْ (٣)

وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فى جِسْمِهِ ... وَلَيْتَكَ تَجْزِى بِبُغْضٍ وَحُبْ (٤)

فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِى بِهِ نِلْتُ مِنْـــكَ أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبْ (٥)

وقال فى صباه ارتجالاً وقد عذله أبو سعيد المُجَيْمِرى

على تركه لقاءَ الملوك

أَبَا سَعِيدٍ جَنِّبِ الْعِتَابَا ... فَرُبَّ رَائٍ خَطَأٍ صَوَابَا (٦)

فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحُجَّابَا ... وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدِّنَا الْبَوَّابَا (٧)

---

(١) مع الله أى مع أمر الله بالجهاد والقتال أى أنت الذى تطيعه فى جهاد الروم وقد جانبت غيرك من المهادنين والموادعين (٢) يقول: كأنك وحدك الموحد لله تعالى وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب

(٣) ظهرت عليهم ظفرت بهم وغلبتهم، وكئب كآبة حزن وظهر فيه الانكسار يقول: ليت الحاسد الذى يكتئب لظفرك بالروم يقتل بسيوفك

(٤)و(٥) أراد بالشكاة المرض الذى يشكوه وقوله تجزى به أى بالحب أو البغض والسبب الوسيلة يقول: ليت المرض الذى تشكوه فى جسم الحاسد وليتك تجزى من أبغضك ببغضه ومن أحبك بحبه كى أنال نصيبا من الحب إذ لو جزيتنى على حبى لك — وهو أقوى سبب لأن حبى إياك أكثر من حب غيرى — لنلت منك القليل: يشكو أعراضه عنه وأنه لايصيب منه حظا مع أنه أشد الناس حبا له

(٦) رائى خطأ يروى راءِ خطأ وذلك على حد قولهم ضارب عمرو وضارب عمرا ويروى بدل هذين * فرب رأى أخطأ الصوابا * يقول: ابعدعني يا أبا سعيد عتابك فلا تعاتبنى لأنك ترى الخطأ فى زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك

(٧) فانهم أى الملوك

وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا وَالذَّابِلاَتِ السُّمْرَ وَالْعِرَابَا

يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الحِجَابَا [1]

وقال فى صباه ارتجالا لبعض الكلابيين وهم على شراب

لِأَحِبَّتِي أَنْ يَمْلَأُوا بالصَّافِيَاتِ الأَكْوُبَا [2]

وَعَلَيْهِمِ أَنْ يَبْذُلُوا [3] وَعَلَيَّ أَنْ لاَ أَشْرَبَا

حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تُ الْمُسْمِعَاتِ فَأَطْرَبَا [4]

وقال يرثى محمد بن اسحق التنوخي وينفى الشماتة عن بنى عمه [5]

لِأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ بِوِتْرٍ نُطَالِبُ [6]

---

(١) القرضاب السيف القاطع والذابلات الرماح اللينة والعراب الخيل العربية يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذى أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لابغير ذلك ، وهذا بعض ما يشف عن طموح المتنبي وآماله الكبار

(٢) الصافيات جمع صافية وهي الخمر ، والأكوب جمع كوب وهو القدح لاعروة له

(٣) أي يجودوا بالشراب (٤) الباترات السيوف القواطع يريد : أنه لايطرب الا على صليل السيوف ، وهـذا أيضا إحدى هنواته التى تدل على بعد همته ولا سيما اذا لوحظ أنه مما قاله فى صباه مثل الأبيات التى قبلها (٥) لما مات محمد بن اسحاق هـذا رثاه المتنبي بأبيات مطلعها * انى لاعلم واللبيب خبير * وستأتى ثم استزاده بنو عم الميت فقال هذه الأبيات * غاضت أنامله وهن بحور * وستمر بك ثم سألوه أن ينفى الشماتة عنهم فقال :

الآل ابراهيم بعد محمد الا حنين دائم وزفير

وتراها فى قافية الراء ثم سألوه زيادة فى نفى الشماتة عنهم فقال هذه الأبيات التى نحن بصددها (٦) اللام في قوله لاى حشو ورفو لتقوية العامل على حد قوله تعالى « إن كنتم للرؤيا تعبرون » أى أى صروف الدهر نعاتب والوتر الثأر. يشكو الدهر ويقول : إن صروف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة فلا يمكن معاتبتها ولا طلب الثأر منها

مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ
وَقَدْ كانَ يُعْطِي الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عازِبُ (١)

يَزُورُ الأَعادِي فِي سَماءِ عَجاجَةٍ أَسِنَّتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَواكِبُ (٢)
فَتَسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ (٣)
طَلَعْنَ شُمُوساً وَالْغُمُودُ مَشَارِقٌ لَهُنَّ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ (٤)

(١) العازب البعيد يقول : إنه كان فى حياته إذا فقد الناس الصبر فى الشدائد يعينهم ويحسن اليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه وقد روى يعطى بفتح الطاء فيكون معناه أنه كان يصبر فى المواطن التى كان يصعب فيها الصبر (٢) العجاجة الغبار والاسنة أطراف الرماح . جعل الغبار المرتفع فى الهواء سماء وجعل الاسنة لامعة فيها كالكواكب وهذا من قول بشار

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوق رؤوسنا وأسيافَنَا لَيلٌ تَهاوَى كواكبُهُ

وقال أيضا

خَلَقْنَا سماءً فوقنا بنجومها سُيوفاً ونقعاً يَقْبِضُ الطَرْفَ أقْتَما

وقال آخر :

نَسَجتْ حوافرُها سماءً فوقهَا جَعَلت أسنَّتَنَا نجومَ سمائها

(٣) تسفر تنجلى ومضارب جمع مضرب وهو حد السيف وظبته وانفللن انثلمن والضرائب جمع ضريبة وهى الشىء المضروب بالسيف يقول : ان هذه العجاجة تنجلى عنه وقد تثلمت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة لاضاربة،والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وفى هذا البيت ــ بيت النابغة ــ من البديع تأكيد المدح بمايشبه الذم

(٤) الهامات الرؤس يقول : ان سيوفه طلعت من أغمادها كالشموس فى بريقها ثم غربت فى رؤس المضروبين فصارت رؤسهم مغارب لها وهذا من قول أبى نواس فى الخمر :

مَصَائبُ شَتَّى جُمِّعَتْ فِي مُصِيبَةٍ … وَلَمْ يَكْفِهَا حَتَّى قَفَتْهَا مَصَائبُ (١)

رَثَى ابْنَ أَبِينَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ … فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الأَقَارِبُ (٢)

وَعَرَّضَ أَنَّا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ … وَإِلاَّ فَزَارَتْ عَارِضَيْهِ القَوَاضِبُ (٣)

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ بَيْنَ بَنِي أَبٍ … لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدِبُّ الْعَقَارِبُ (٤)

أَلاَ إِنَّمَا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ … دَلِيلاً عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلّهِ غَالِبُ (٥)

طالعات مع السُّقَاةِ علينا … فإذا ما غربن يغرُبْنَ فينا

(١) شتى متفرقة وقفتها تبعتها يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وانما هي لعظمها كأنها مصائب شتى ولم يكفنا ذلك حتى تبعتها مصائب أخرى وهي اتهام المفسدين إيانا بأنا شامتون بموته (٢) قوله غير ذي رحم له يروى غير ذي رحم لنا يقول : إن هناك أجنبيا لايمت اليه أو الينا بآصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أبينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالشماتة ونحن أقرباؤه فموته إنما يحزننا نحن لاغيرنا

(٤) عرض أنا شامتون أي عرض في مرثيته بأنا شامتون والتعريض الاشارة إلى الغرض من غير تصريح والعارضان جانبا اللحية والقواضب السيوف القاطعة وقال الواحدي:قوله : والا فزارت يجوز أن يكون من كلام المعرض حكى عنه ما قال كأنه قال هم شامتون بموته والا فزارتني السيوف أي قتلتها ان لم يكن الأمر على ما أقول فيكون هذا تأكيدا لما ذكر من شماتتهم،ويجوز أن يكون من كلام الذين ينفون الشماتة عن أنفسهم يقول : ان لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف فيكون هذا تأكيداً لنفي الشماتة وأن الأمر ليس على ما ذكر (٤) ان بين بني أب أي أنه بين بني أب فاسم ان هو ضمير الشأن والنجل الولد ودبيب العقارب كناية عن النميمة يقول : أليس عجيبا أن تدب عقارب يهودي بين بني أب أي أخوة فيوقع بينهم العداوة يريد هذا الذي كان يمشي بينهم بالنميمة ويريد بوصفه بيهودي أنه خبيث دساس

(٥) يقول برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت فدل ذلك على أنه ليس لله غالب وهذا من قول أبي تمام

كَفَى فَقَتْلُ محمد لِيَ شاهِدٌ … أن العزيز مع القضاء ذليل

وقال يمدح المغيث بن عليّ بن بشر العجلي

دَمعٌ جرى فقضى في الرَّبعِ ما وَجبا ... لأهلهِ وشفى أَنَّى ولا كَرَبا (١)

عُجْنا فأذهبَ ما أبقى الفراقُ لنا ... من العقولِ وما ردَّ الذي ذهبا (٢)

سقيتُه عبراتٍ ظنَّها مطرًا ... سوائلًا من جفونٍ ظنَّها سُحُبا (٣)

دارُ المُلِمِّ لها طيفٌ تهدَّدني ... ليلًا فما صدقتْ عيني ولا كذبا (٤)

ناءيتُه فدنا أدنيتُه فنأى ... جمَّشتُه فنبا قبَّلتُه فأبى (٥)

(١) أنى أي كيف وكرب من أفعال المقاربة تقول كرب أن يفعل كذا أي كاد وقارب يقول : أنه بكى فى أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه مما ألم به من وجد ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكائى قضى ما يجب وشفى مافى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولاقارب أن يقضى يريد أنه قاصر عن ذلك وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع وهو العود الى الكلام السابق بالنقض والابطال وهو كثير فى كلام الشعراء ومنه قول زهير

قِفْ بالدِّيارِ التي لم يعفُها القِدَمُ ... بَلَى وغيَّرها الأرواحُ والدِيَمُ

(٢) عاج بالمكان وقف به يقول : عطفنا على هذا الربع لنزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بتجديده ذكرى الاحبة ولم يرد ما كان قد ذهب من عقولنا لدى الفراق

(٣) يقول : سقيت هذا الربع دموعا سوائل ظنها مطراً من جفون ظنها سحبا

(٤) دار الملم لها طيف أي هذا الربع هو دار التى ألم طيف لها فدار خبر مبتدأ محذوف والالف واللام فى الملم بمعنى التى وطيف فاعل ملم يقول : ان هذا الربع هو دار المرأة التى زارنى لها طيف أوعدنى ليلا أى هددنى بالهجر فما صدقت عينى لانها رأت خيالا لان ذلك كان رؤيا ولا كذب الطيف فى تهديده لانه هجرنى بعد ذلك اذ لم أنم بعدها (٥) ناأيته باعدته ودنا قرب وجمشته غازلته وداعبته ونبا تجافى وتباعد وأبى امتنع يقول : كلما أردت من هذا الطيف شيأ قابلنى بضده وهذا قريب من قوله

☆ صدت وعلمت الصدود خيالها ☆

هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ ... بَيْتًا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا (١)

مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصُنًا ... مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا (٢)

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا ... وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا (٣)

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ ... شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا (٤)

---

(١) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه ، والطنب : حبل الخباء والسرادق ونحوها . قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبى بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن سكن بيتا لم يتعب فى إقامته ولا مد أطنابه . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال : اتخذت بيتا من قلبى فنزلته ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد

(٢) يقول : هى مظلومة القد إذا شبه بالغصن لانه أحسن منه ، وهى مظلومة الريق إذا شبه بالعسل لانه أحلى منه (٣) الحلة الثوب ومطلوبا منصوب على الحال أو التمييز : يقول : أنها لأنسها ولين حديثها تطمع فيما تحت ثوبها فاذا حاول ذلك محاول عز عليه مطلبه لعفتها وصيانتها ومثل هذا قول بعضهم :

يَحْسَبْنَ من لِينِ الحديثِ دوَانِيًا ... ويَهُنَّ عن رفَثِ الرجالِ نِفارُ

(٤) يعيى : يعجز والضمير فى قابضه للشعاع وشعاعها فاعل يعيى ، والطرف النظر ومقتربا حال ، شبهها بشعاع الشمس فى قربه من الطرف وبعده عن القبض عليه وهذا كما يقول ابن عيينة :

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا ... قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ

ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تغيبَ ليلُها ... وَغارتْ فما تبدُو لعينٍ نُجُومُها

تراهَا عُيُونُ النَّاظِرِينَ إذا بدَتْ ... قريبا ولا يسطيعُها مَنْ يرُومها

وأجمل من هذا قول العباس بن الاحنف :

هى الشَّمْسُ مَسكَنُهَا فى السَّماء ... فعزِّ الْفُؤَادَ عَزاءًا جَمِيلا

فَلَن تستطيعَ إِلَيهَا الصُّعُودَ ... ولن تستطيعَ إليك النزُولا

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تِرْبَيْهَا فَقُلْتُ لَهَا ... مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا (١)

فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُغِيثِ يُرَى ... لَيْثَ الشَّرَى وَهْوَ مِنْ عِجْلٍ إِذَا انْتَسَبَا (٢)

جَاءَتْ بِأَشْجَعِ مَنْ يُسْمَى وَأَسْمَحِ مَنْ ... أَعْطَى وَأَبْلَغِ مَنْ أَمْلَى وَمَنْ كَتَبَا (٣)

لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِى مُقْعَدٍ لَمَشَى ... أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا (٤)

إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ ... وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا احْتَجَبَا (٥)

(١)و(٢) الترب المساوى لغيره فى العمر ، ويقال اللدة،والشادن من الظباء الذى قوى وترعرع واستغنى عن أمه، يريد به المحبوبة ، واستضحك بمعنى ضحك،والمغيث اسم الممدوح وكالمغيث أى أنا كالمغيث ، والليث الاسد ، والشرى موضع تكثر فيه الاسود ، وعجل قبيلة الممدوح يقول : مرت بنا بين تربيها فقلت لها : أنت من الظباء وترباك من العرب فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فضحكت ثم قالت : لاتعجب من ذلك فانى كالمغيث تراه من الاسود ، وهو مع ذلك من عجل ، وكذلك أنا ترانى من الظباء وأنا عربية . وفى هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن التخلص وهو الخروج مما ابتدىء به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما

(٣) أى جاءت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه (٤) يقول : ان خاطره لتوقده لو كان فى زمن لمشى ، أو فى جاهل لصحا من جهله وصار عالما ، أو فى أخرس لقدر على النطق (٥) يقول فى الشطر الاول : إذا ظهر للناس حجبت هيبته عيونهم عن النظر اليه لشدة هيبته وهذا كقول الفرزدق :

يُغْضِى حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

وقوله أيضا :

وإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يزيدَ رَأَيْتَهُم ... خُضُعَ الرقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَار

ويقول أبو نواس :

إِن العُيُونَ حُجِبْنَ عنكَ لِهَيْبَةٍ ... فاذا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكِّسَ نَاظِرُ

ويقول فى الشطر الثانى : اذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورائها فلم تستطع حجبه وهذا كقول القائل :

بَيَاضُ وَجْهٍ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً   وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا (١)

وَسَيْفُ عَزْمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هَبَّتُهُ   رَطْبَ الغِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبَا (٢)

عُمْرُ العَدُوِّ إِذَا لاَقَاهُ فِي رَهَجٍ   أَقَلُّ مِنْ عُمْرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبَا (٣)

تَوَقَّهُ فَمَتَى مَا شِئْتَ تَبْلُوهُ   فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَبَا (٤)

تَحْلُو مَذَاقَتُهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا   حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي المَاءِ مَا شُرِبَا (٥)

أَصبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لِخَلْوَةٍ   هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الحِجَابِ بِقَادِرِ

وقال ابن جنى : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابه قريب لما فيه من التواضع فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا والآخر أنه وإن احتجب فهو كلا محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور (١) الحالك : الشديد السواد . والمخشلب : خرز أبيض يشبه الدر . والعرب تسميه الخضض . أما المخشلب فهي كلمة نبطية يقول : أن نور وجهه يغلب نور الشمس حتى نرى إذا قابلها كأنها سوداء . وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق كأنه خرز (٢) هبته : مضاؤه . والغرار الحد . والتأمور دم القلب . قال أوس بن حجر :

أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَوْلَجُوا   أَبْيَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ المُنْذِرِ

« أي مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبي : إن مضاء عزمه يصير السيف رطب الحد من دم الاعداء (٣) الرهج الغبار يقول : إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء (٤) تبلوه : أراد أن تبلوه فحذف أن وبقي عملها . والنشب المال يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء فان أردت اختباره فكن عدوه أو مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الابادة والافناء . وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظَلَّمَ المَالُ وَالأَعدَاءُ مِنْ يَدِهِ   لاَ زَالَ لِلْمَالِ وَالأَعْدَاءِ ظَلاَّمَا

وما أحلى قول أبي نواس :

لَيتَ مَنْ كَانَ عَدُوِّي   كَانَ لأَبرَاهِيمَ مَالاَ

(٥) حالت تغيرت وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا يقول : هو عذب الاخلاق ، فاذا

وَتَغْبِطُ الأَرْضُ مِنْها حَيْثُ حَلَّ بِهِ ... وَتَحْسُدُ الخَيْلُ مِنْها أَيُّها رَكِبا[1]

وَلاَ يَرُدُّ بِفِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ ... عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الجَحْفَلَ اللَّجِبا[2]

وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ ... فِي مُلْكِهِ افْتَرَقا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبا[3]

مالٌ كَأَنَّ غُرَابَ البَيْنِ يَرْقُبُهُ ... فَكُلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعَبا[4]

غضب تغيرت فاضت مرة ، فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ، يعنى أن فيه حلاوة لاوليائه ومرارة لاعدائه (١) الغبطة والحسد كلاهما بمعنى التمنى بيد أن الغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تتمنى نعمته على أن تتحول عنه فالغبطة أخف وضمير منها للارض وضمير به لحيث حل الذى يقع مفعولا به لتغبط وضمير منها الثانية للخيل وايها مفعول تحسد يقول : ان الارض يغبط بعضها البعض الذى يحل فيه والخيل يحسد بعضها البعض الذى يركبه قال ابن جنى : وجعل الغبطة للأرض لأنها وان كثرت بقاعها فهى كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض والخيل ليست كذلك لانها متفرقة فاستعمل لها الحسد والبيت مأخوذ من قول أبى تمام :

مَضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ ... غداةَ ثوى إلاّ اشتهتْ أنَّها قبرُ

(٢) الجحفل : الجيش العظيم واللجب المختلط الاصوات يقول : إنه جواد شجاع لايستطيع أن يرد سائله ولكنه يرد وحده الجيش العظيم (٣) قوله من قبل يصطحبا أراد من قبل أن يصطحبا فحذف أن وأبقى عملها يقول : إذا التقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابهما فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين ؟ وما أجمل مايقول النضر بن جؤية ابن النضر فى هذا المعنى .

قالت طَريفةُ ما تُبقِي دَراهمُنَا ... وما بنَا سَرَفٌ فيها ولا خُرُقُ

إنّا إذا اجْتَمَعَتْ يوماً دراهمُنَا ... ظلَّتْ إلى طُرُقِ المعروفِ تَسْتَبِقُ

لايألَفُ الدِرْهَمُ المضروبُ صُرَّتَنَا ... لكِن يمرُّ عليها وهوَ مُنْطَلِقُ

حتَّى يصيرَ إلى نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ ... يكادُ مِنْ صَرِّهِ إيَّاهُ يَنْمَزِقُ

(٤) المجتدى السائل ونعيب الغراب صياحه والبين الفراق يقول : هذا المال كأن

بَحْرٌ عَجَائِبُهُ لَمْ تُبْقِ فِى سَمَرٍ وَلاَ عَجَائِبِ بَحْرٍ بَعْدَهَا عَجَبَا (١)

لاَ يُقْنِعُ ابْنَ عَلِيٍّ نَيْلُ مَنْزِلَةٍ يَشْكُو مُحَاوِلُهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعَبَا (٢)

هَزَّ اللِّوَاءَ بَنُو عِجْلٍ بِهِ فَغَدَا رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلٌّ لَهُمْ ذَنَبَا (٣)

التَّارِكِينَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الأَشْيَاءِ مَا صَعُبَا (٤)

مُبَرْقِعِي خَيْلِهِمْ بِالْبِيضِ مُتَّخِذِي هَامِ الْكُمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَبَا (٥)

غراب البين يرقبه فكلما جاء مجتمد صاح فيه فتفرق شمله (١) السمر المسامرة وهو حديث الليل يقول : هو بحر له عجائب في باب الفضل والشجاعة لا تحاكيها عجائب البحار ولا ما يتحدث به السمار إذ هى بالقياس اليها كالشىء المألوف لغرابة ما يبدو منه ويتحدث عنه

(٢) محاولها أى طالبها وأصله طلب الشىء بالحيلة يقول : لايقنع الممدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها إذ هو دائما يطمح إلى ما يعجز عنه الطالبون (٣) اللواء الراية وبنو عجل قبيلة الممدوح . يقول : حركوا اللواء باسمه أى جعلوه سيدهم وقائدهم فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه فصار سيدهم وصاروا هم به سادة الناس (٤) نصب التاركين على المدح باضمار أعنى اوأمدح يقول : إنهم لبعد همتهم يتركون ما هان من الامور وسهل وجوده ويرومون الصعب الشاق منها وفى هذا يقول الطهوى :

ولا يَرْعَوْن أكنافَ الهُوَيْنَا إذا حلُّوا ولا روضَ الهدون

(٥) البيض السيوف والهام الرؤوس والكماة الابطال المدججون فى السلاح والعذب جمع عذبة وهى الريش المعلق فى طرف الرمح يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم ومسها بطعن أو ضرب أما لمنازلتهم دونها أو لحذقهم بالضرب فتكون لها بمنزلة البراقع والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف وقوله متخذى هام الكماة معناه أنهم يأخذون رؤس الابطال بأطراف رماحهم فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التى تعلق بالرماح وقال جرير فى هذا المعنى :

كأنَّ رُؤُس القومِ فوْقَ رِمَاحِنا غَدَاةَ الوَغَى تيجانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يكْسُو السُّيوفَ نُفُوسَ النَّاكثينَ به وَيجْعَلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُّبُلِ

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ لاَقَتْهُمْ وَقَفَتْ خَرْقَاءَ تَتَّهِمُ الإِقْدَامَ وَالْهَرَبَا[1]

مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتْبَعُهَا فَجَازَ وَهْوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّهُبَا[2]

مَحَامِدٌ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَمْلأَهَا فَآلَ مَا امْتَلأَتْ مِنْهُ وَلاَ نَضَبَا[3]

مَكَارِمٌ لَكَ فُتَّ الْعَالَمِينَ بِهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ لأَمْرٍ فَائِتٍ طَلَبَا[4]

لَمَّا أَقَمْتَ بِإِنْطَاكِيَّةَ اخْتَلَفَتْ إِلَيَّ بِالْخَبَرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَا[5]

فَسِرْتُ نَحْوَكَ لاَ أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحُثُّ رَاحِلَتَيَّ الفَقْرَ وَالأَدَبَا[6]

وقال أبو تمام :

أَبْدَلْتَ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الكَرِيهَةِ مِنْ قنا الظُّهورِ قَنا الْخَطِّيِّ مُدَّعِمَا

مِنْ كُلِّ ذِي لِمَّةٍ غَطَّتْ ضَفَائِرُهَا صَدْرَ القناة فقد كادت تُرَى عَلَمَا

(١) الخرقاء الحمقاء مؤنث الاخرق يقول : لو لاقتهم المنية يوم الوغى للبطت بالارض خوفا وفزعا لايتجه لها رأى فى السلامة فهى تتهم الاقدام خوف التهلكة وتتهم الهرب خشية الادراك أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال ابو تمام :

مِن كل أَرْوَعَ تَرْتَاعُ الْمَنُونُ لَهُ إذا تجرَّدَ لاَ نِكْسٌ وَلا حَذِرُ

وقال أيضا :

شُوسٌ إذا خَفَقَتْ عُقَابُ لِوَائِهِمْ ظَلَّتْ قُلُوبُ الْمَوتِ مِنْهَا تَخْفِقُ

(٢) الشهب الكواكب يقول : إن لهم مراتب عالية علت فى السماء فصارت أعلى من الكواكب لان الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها

(٣) نزفت استنفدت وآل عاد ورجع ونضب جف قال الواحدى : جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نزفا ، وجعل الشعر لكونه مقتضى منزوفا ، يقول : لم تمتلىء هذه المحامد من شعرى أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعرى ، ولا شعرى فنى ، وأنا أبدا أمدحهم وبيان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعرى لينظم تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامدهم وكثرة مدائحه له وجعل الشعر كالماء ينزف واستغراق محامدهم فى الشعر كملئها بالماء ولما جعل الشعر كالماء جعل فناءه نضوبا

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد ادراكها ، ومن يستطيع إدراك أمر فائت ؟ (٥)و(٦) اختلفت : ترددت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان

أَذَاقَنِى زَمَنِى بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا ... لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَى مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا (١)

وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً ... وَالسَّمْهَرِيَّ أَخًا وَالْمَشْرَفِيَّ أَبَا (٢)

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا ... حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِى قَتْلِهِ أَرَبَا (٣)

قُحٍّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ ... عَنْ سَرْجِهِ مَرَحًا بِالْغَزْوِ أَوْ طَرَبَا (٤)

فَالْمَوْتُ أَعْذَرُ لِى وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِى ... وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا (٥)

القصاد الذين صمدوا إلى الممدوح فآبوا بالهبات والعطايا، ولا ألوى لا أعرج يقول: لما أقمت بأنطاكية جاءتنى ركبان العفاة — الذين قصدوا اليك — وأنا فى حلب فما عتمت أن سرت نحوك لا أعرج في سيرى ولا أقف، حتى وصلت اليك محمولا على راحلتين من فقرى الذى يحفزنى إلى بابك طلبا لجدواك وأدبى الذى تسببت به اليك

(١) شرقت غصصت وضمير ذاقها للزمن والانتحاب رفع الصوت وترديده بالبكاء يقول: أذاقنى الدهر من الفقر والغربة شيأ لو ذاقه هو لبكى وانتحب مدة حياته ولم يستطع عليه صبرا لأنه الغاية فى الشدة فكيف أصبر أنا عليه (٢) عمرت: عشت والسمهرى الرمح والمشرفى السيف يقول: إن عشت وتنفس لى العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبتى (٣)و(٤) الاشعث المغبر من طول السفر ولقاء الحروب والقح الخالص أى العربى الخالص النسب وقح نعت لأشعث والمرح النشاط يقول: للازمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والاسفار حتى تراه يرمى بنفسه فى التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهالك عليها، واذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب. ومن جيد ما قيل فى معنى البيت الأول قول أبى تمام:

مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّمَا ... بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

وقول البحترى:

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّهَا ... وَفْرٌ بِأَرْضِ عَدُوِّهِم يُتَنَهَّبُ

(٥) يقول: الموت أعذر لى من أن أعيش ذليلا فاذا قتلت فى طلب المعالى قام الموت بعذرى، والصبر أجمل لان الجزع عادة اللئام، والبر أوسع لى من بلد يضيق رزقه فأنا أسافر وأضطرب فى مناكب الارض والدنيا لمن غلب وزاحم

وقال يمدح على بن منصور الحاجب

بأَبى الشُّمُوسُ الجَانِحَاتُ غَوَارِبا ... اللابِسَاتُ مِنَ الحَرِيرِ جَلَابِبَا[١]

المُنْهِبَاتُ قُلُوبَنَا وَعقُولَنَا ... وَجنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبا[٢]

النَّاعِمَاتُ القَاتِلاَتُ المُحْيِيَا ... تُ المُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غرائبا[٣]

حَاوَلْنَ تَفْدِيَتِى وَخِفْنَ مُرَاقِباً ... فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبا[٤]

وَبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشِيتُ أُذِيبُهُ ... مِنْ حَرِّ أَنفاسِى فَكُنْتُ الذَّائِبا[٥]

(١) الباء للتفدية ، والشموس إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير الشموس مفديات بأبى ، وأما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير أفدى الشموس بأبى والجانحات المائلات ، والجلابب جمع جلباب وهو ما يلتحف به من الثياب وأصله جلابيب قال تعالى « يدنين عليهن من جلابيبهن » فحذف الياء ضرورة . كنى بالشموس عن النساء وبغروبهن عن بعدهن (٢) المنهبات اسم فاعل ، ووجناتهن مفعول أول وقلوبنا مفعول ثان وعقولنا عطف عليه والناهبات صفة لوجناتهن ولك أن ترفع وجناتهن على أنها فاعل المنهبات أى اللاتى أنهبت وجناتهن قلوبنا فيكون قد اقتصر على مفعول واحد ويقال أنهبته الشيء إذا جعلته نهبا له يقول : اللواتى جعلن قلوبنا وعقولنا نهبا لوجناتهن يسبينها بحسنهن ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب أى الرجل الشجاع المغوار الذى ينهب الناس (٣) الناعمات أى اللينات المفاصل ، والقاتلات أى بهجرهن والمحييات بوصلهن والمبديات أى المظهرات من الدلال عجائب والدلال جرأة المرأة على الرجل فى تكسر وتغنج (٤) الترائب موضع القلادة من الصدر يقول : حاولن أن يقلن لى نفديك بأنفسنا فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة الى ذلك خوف الرقيب ، وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى

أَضْحَى يُجَانِبُنِى مُجَانَبَةَ العِدَا ... وَيبِيتُ وَهْوَ إِلى الصباحِ نَدِيمُ

وَيَمُرُّ بِى خَوفَ الوُشَاةِ وَلَفْظُهُ ... شَتْمٌ وَحَشْوُ لحاظه تسليمُ

(٥) أراد بالبرد أسنانهن التى تشبه البرد فى نقائها وقوله خشيت أذيبه أى أن أذيبه يقول : إذ كنت أخاف على ثغورهن أن تذوب من حرارة أنفاسى فلما رحلن ذبت أنا من شوق اليهن ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

يَا حَبَّذَا المُتَحَمِّلونَ وَحَبَّذَا وَادٍ لَثَمْتُ بِهِ الغَزَالَةَ كَاعِبًا[١]
كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الخُطُوبِ تَخَلُّصًا مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبْنَ فِيَّ مَخَالِبًا[٢]
أَوْحَدْنَنِي وَوَجَدْنَ حُزْنًا وَاحِدًا مُتَنَاهِيًا فَجَعَلْنَهُ لِي صَاحِبًا[٣]
وَنَصَبْنَنِي غَرَضَ الرُّمَاةِ تُصِيبُنِي مِحَنٌ أَحَدُّ مِنَ السُّيُوفِ مَضَارِبًا[٤]
أَظْمَتْنِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا[٥]
وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ
مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبًا[٦]

وَضَاحِكٍ عن بَرَدٍ مُشْرِقٍ أَبَاحَنِيهِ دُونَ جُلَّاسِي
فَكُلَّمَا قَبَّلْتُهُ خِفْتُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ نِيرَانِ أَنْفَاسِي

وقول بعضهم :

وَمِنَ العجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي مَنْ لَوْ جَرَى نَفَسِي عَلَيْهِ لَذَابَا

(١) المتحملون المرتحلون والمراد بالغزالة أما الشمس وأما الحيوان المعروف والكاعب التى بدا ثديها للنهود يقول: قبلت غزالة فى صورة كاعب من النساء

(٢) الخطوب الأمور الثقال وتخلصا مفعول الرجاء أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف أنشد سيبويه :

ضعيفُ النِّكَايَةِ أعداءَهُ يَخَالُ الفرارَ يُرَاخِي الأجل

وأنشبن علقن والمخالب جمع المخلب بكسر الميم وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان يقول : كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد ان نالت منى ونفذ فى حكمها

(٣) أوحدننى أى الخطوب أى صيرننى واحدا يقول : تركتنى الخطوب وحيدا بعد أن فرقت بينى وبين الأحبة وجعلت صاحبي بعدهم ما أجده من الحزن الوحيد المتناهى وهو حزن الفراق (٤) الغرض الهدف يرمى بالسهام ومضاربا تمييز جمع مضرب بفتح الراء وكسرها حد السيف يقول : إن الخطوب نصبته هدفا للمحن

(٥) أظمتنى من الظمأ العطش فأصلها أظمأتنى فأبدل الهمزة الفا ثم حذفها يقول: كان حظي من الدنيا الحرمان فلما التمست عطاءها أفرغت علي المصائب

(٦) قوله من خوص الركاب أى بدلا من خوص الركاب والخوص جمع الخوصاء

حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا ... جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا[1]

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ ... يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبًا[2]

يَسْتَصْغِرُ الخَطَرَ الْكَبِيرَ لِوَفْدِهِ ... وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكْفِي شَارِبًا[3]

كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ ... بِعَظِيمِ مَا صَنَعَتْ لَظَنَّكَ كَاذِبًا[4]

وهى الناقة الغائرة العينين من الجهد والاعياء والركاب الابل والدارش ضرب من السختيان وهو جلد أسود يقول: أعطيت عوضا من الابل خفا أسود فأنا راكب ماش

(١) حال خبر مبتدأ محذوف أى هذه حال ويروى حالا بالنصب على اضمار عامل محذوف أى أشكو أو أذم يقول: أن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافاها باحسانه وحال دون اساءة الزمان فيكون احسانه بمنزلة توبة الزمان إلى. ومثل هذا لأبى تمام قال

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى ... بِنَدَاكَ وَهْوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ

وقال أيضا

عَضْبٌ إذا هَزَّهُ فى وَجْهِ نَائِبَةٍ ... جَاءَت إليه صروفُ الدهْرِ تَعْتَذِرُ

(٢) السنان نصل الرمح والبنان فى الأصل أطراف الاصابع والمراد بها هنا الكف ويتباريان يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه ودما تمييز أومنصوب على نزع الخافض أى فى دم والعرف المعروف والمراد به الجود والساكب المنسكب يقول: ان سنان رمحه يقطر دما من الأعداء وكفه تسكب جودا على الاولياء. وهذا من قول البحترى

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وسِنَانُهُ ... وبَنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا ونَجِيعَا

(٣) الخطر الامر الخطير أى العظيم يقول: انه يستصغر الشىء العظيم لمن يقصده وينتجع اليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكفى شاربا. ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر

فَرَأَيتَ أَكْثَرَ مَا حَبَوْتَ مِنَ اللُّهَا ... نَزْرًا وأَصْغَرَ ما شَكَرتُ جَزِيلَا

(٤) كرما مفعول مطلق أى كرم كرما أو مفعول له عامله يظن فى البيت قبله يقول لو حدثته بما يصنع من الافعال الجسام لظنك كاذبا لخروج تلك الافعال عن طوق المقدرة قال الواحدى ناقدا: وقد أساء فى هذا لانه جعله يستعظم فعله وبضده يمدح وإنما يحسن أن يستعظم غيره ما فعل كما قال أبو تمام

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسَالِمًا　　وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِبا[١]

فَالْمَوْتُ تُعْرَفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ　　لَمْ تَلْقَ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبا[٢]

إِنْ تَلْقَهُ لَا تَلْقَ إِلَّا قَسْطَلًا　　أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبا[٣]

أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا　　أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا[٤]

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا　　فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِبا[٥]

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا　　تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبا[٦]

تَجاوزَ غاياتِ العقول رغائبٌ　　تَكادُ بها لولا العيانُ تُكَذَّبُ

وقال البحترى

وَحَديثُ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطَ حُسْنُهُ　　حَتّى ظَنَنّا أنه مَوْضُوعُ

(١) حذار اسم فعل بمعنى احذر ومسالما ومحاربا حالان يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت وقد ضرب البيت الثانى مثلا لذلك (٢) يقول فان الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة اذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت واذن فالموت ان عرف بالمشاهدة أهلك ألبتة وكذلك شجاعة الممدوح

(٣) القسطل غبار الحرب والجحفل الجيش العظيم يقول : انه لاينفك عن هذه الاشياء

(٤) تبيين لاحوال الناس معه يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه أو طالبا رفده أو راغبا فى احسانه أو راهبا من بأسه أو هالكا بسيفه أو نادبا على قتيل له من الاسرى الذين أسرهم وقال الواحدى : ويجوز ان تكون هذه أحوال الممدوح أى تلقاه هاربا من الدنايا وطالبا للعلى وراغبا فى المكارم وراهبا من الله تعالى وهالكا أى مهلكا ونادبا من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى

(٥) و (٦) العواسل الرماح والقواضب السيوف والجنائب جمع الجنيبة وهى التى تقاد إلى جنب الفارس يقول : عمت جنوده السهل والجبل فاذا نظرت إلى الجبال رأيتها رماحا وسيوفا وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس ونجائب أى غصت بهما

وَعَجَاجَةٍ تَرَكَ الحَدِيدُ سَوَادَهَا زِنجاً تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالاً شَائِبا[١]

فكأَنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهَا دُجَى لَيلٍ وَأَطلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبا[٢]

قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرَّزَايَا عَسْكَراً وَتَكَتَّبَتْ فيها الرِّجَالُ كَتَائِبا[٣]

أُسُدٌ فرَائِسُها الأُسُودُ يَقودُهَا أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الأُسُودُ ثَعَالِبا

فى رُتْبَةٍ حَجَبَ الوَرَى عَنْ نَيلِهَا وَعلاَ فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الحَاجِبا[٤]

وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذِّرًا وَدَعَوْهُ مِنْ غَصْبِ النُّفُوسِ الغَاصِبَا

هَذا الَّذِى أَفْنَى النُّضَارَ مَوَاهِباً وَعِدَاهُ قَتْلاً وَالزَّمَانَ تَجَارِبا[٥]

---

(١) وعجاجة بالنصب عطف على ما تقدم أى ورأيت عجاجة أو بالجر على اضمار رب والعجاجة الغبار وتبسم بحذف احدى التاءين أى تتبسم والقذال ما بين الاذنين من مؤخر الرأس والزنج بفتح الزاى وكسرها جيل من السودان وهم الزنوج يقول : ان بريق الاسلحة في سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب القذال (٢) يقول : كأن النهار ألبس بتلك العجاجة ظلمة ليل وكأن الرماح أطلعت من أسنتها كواكب أو أطلعت هى كواكب في تلك الظلمة فقوله أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح واما بصيغة المجهول لمشاكلة قوله كسى وهذا المعنى من قول صريع الغوانى.

فى عَسْكَرٍ شَرِقَ الأرضُ الفضاءُ بِهِ كَاللّيلِ أَنْجُمُهُ القُضْبَانُ والأَسَلُ

(٣) عسكرت تجمعت وتكتبت تجمعت كتائب والكتائب جمع كتيبة الفرقة من الجيش وعسكرا وكتائب حالان يقول : ان المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالعدو، وتكاثرت فيها رجال الممدوح حتى صارت كتائب

(٤) مثل هذا قول ابن الرومى

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صاعِداً دَرَى كَيْفَ يَرْقَى فى المَعَالى وَيَصْعَدُ

وقوله على أراد عليا فاضطره الوزن إلى حذف التنوين وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام فى الحاجب ومثله كثير

(٥) النضار الذهب ومواهبا وما بعده تمييز يقول : انه أفنى الذهب بالعطاء والاعداء بالقتل والزمان بالتجارب أى أنه حصل له من التجاريب ما يعرف به ما يأتى فيما

وَمُخَيِّبُ الْعُـذَّالِ فِيمَا أَمَّلُوا   مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفّاً خَائِباً[١]

هَذَا الَّذِى أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِراً   مِثْلَ الَّذِى أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِباً[٢]

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ الْتَفَتَّ رَأَيْتَهُ   يُهْدِى إِلَى عَيْنَيْكَ نُوراً ثَاقِباً[٣]

كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِراً   جُوداً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِباً

كَالشَّمْسِ فِى كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا   يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبا

أَمُهَجِّنَ الْـكُرَمَاءِ وَالْمُزْرِى بِهِمْ   وَتَرُوكَ كُلِّ كَرِيمِ قَوْمٍ عَاتِبا[٤]

يستقبل من الزمان فكأنه أفنى الزمان لأنه لا يحدث عليه شيأ لا يعرفه

(١) ومخيب عطف على الذى أفنى فى البيت قبله وذكر الكف وان كان الافصح تأنيثه على معنى العضو أو على أرادة السائل أو المراد خائبا صاحبها (٢) أبصرت بتاء المتكلم يعنى المتنبى نفسه ويروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروايتين حال من فاعل أبصرت ومثل يجوز فيه الرفع والنصب يقول: انه يرى عطاءه حيثما كان حضره أو غاب عنه ومثله لأبى تمام

شَهِدْتُ جَسِيمَاتِ الْعُلاَ وَهْوَ غَائِبٌ   وَلَوْ كَانَ أَيْضاً حَاضِراً كَانَ غَائِبا

(٣) الثاقب المضىء يقول: حيثما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس قريبهم وبعيدهم كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد والبيتان التاليان فى معنى هذا البيت يريد أنه عام النفع ومثل هذا لأبى تمام

قَرِيبُ النَّدَى نَائِى الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ   هِلاَلٌ قَرِيبُ النُّورِ نَائِى مَنَازِلُهْ

وللبحترى

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِى الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ   لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

وله أيضا

عَطَاءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ فَمَغْرِبٌ   يَكُونُ سَوَاءً فِى سَنَاهُ وَمَشْرِقُ

وقال العباس بن الاحنف

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ   بَثَّتَ الْإِشْرَاقَ فِى كُلِّ بَلَدِ

(٤) أمهجن أى يامهجن فالهمزة للنداء وهجنه قبحه ، وأزرى به عابه وتروك مبالغة

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدْتَ مَنَاقِباً وُجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنَّ مَثَالِبا[1]

لَبَّيْكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّاتِبا إِنَّا لَنَخْبُرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِبا[2]

تَدْبِيرُ ذِي حُنَكٍ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ وَهُجُومُ غِرٍّ لَا يَخَافُ عَوَاقِبا[3]

وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتَهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبا[4]

فى تارك وهو مضاف لـكل الذى هو مفعوله الاول وعاتبا مفعول ثان ويروى عائبا يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركتهم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت أو تركتهم عائبين لك حسدا (١) شادوا بنوا ورفعوا والمناقب المفاخر والمثالب المخازى والمعايب يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب وهذا كقول أبى تمام

مَحاسِنُ من مَجْدٍ مَتى يَقْرِنُوا بها محاسنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كالمعايب

(٢) لبيك أى اجابة لك بعد اجابة ونصبه على المصدر وغيظ الحاسدين منادى والراتب الثابت المقيم ونخبر نشاهد ونعلم قال الواحدى : أظهر الاجابة اشارة الى أنه بنداء مناد أى كأن الممدوح يناديه بلسان كرمه للتنويه به وسماه غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ فى غيظهم حتى صار يعرف بذلك قال الخطيب : وصرع البيت لانتقاله من المدح إلى الاجابة (٣) تدبير مبتدأ محذوف الخبر اى لك تدبير وحنك جمع حنكة وهي الخبرة والتجربة وضده الغر أى الذى لم يجرب الامور ولا يفكر فى العواقب يقول : وإذا هجمت فى الوغى هجمت هجوم الغر أى أنك تفعل كلا فى موضعه فتدبر الملك تدبير مجرب بصير بأعقاب الأمور وتقدم فى الحرب أقدام الغر وهذا من قول أبى تمام

وَمُجَرَّبونَ سقَاهُمُ مِنْ بأسه فإذا لُقُوا فكأنَّهُم أغمارُ

وقوله :

كَهْلُ الأَناةِ فَتى الشَّدَّاتِ إذَا غدا للحرْبِ كان الماجدَ الغِطْرِيفا

وقال البحترى :

ملكٌ له فى كلِّ يومٍ كريهَةٍ إقْدامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مجرَّبِ

(٤) وعطاء عطف على تدبير وعداه تجاوزه يقول : إذا لم يأتك طالب أنفقت مالك فى البحث عن طالب تعطيه

خُذْ مِنْ ثَنَايَ عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ ... لَا تُلْزِمَنِّي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَا (١)

فَلَقَدْ دَهِشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ ... مَا يُدْهِشُ الْمَلَكَ الْحَفِيظَ الْكَاتِبَا (٢)

وقال يمدح بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب

والفاكهة والنرجس حوله

إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابُ ... هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابُ (٣)

إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا ... وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابُ (٤)

مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حَمِدَتْهُ ... جُهْدَهَا الأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ (٥)

---

(١) أسطيعه هو أستطيعه وبهما جاء التنزيل الحكيم يقول : انى انما أثنى عليك بقدر ما أستطيع لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه لانه فوق طاقتى فاعذرنى فى ذلك ثم بين عذره فى البيت التالى (٢) دهش تحير ومثله شده والملك الحفيظ هو الملك الموكل بالانسان يكتب حسناته وسيآته يقول: لقد تحيرت أمام أفعالك فلا أقدر أن احصيها وأثنى عليك بها وأقل من ذلك ما يحير الملك الموكل بك لانه لم ير مثله من غيرك ولأنه لكثرته يعجز عن كتابته (٣) يقول : هو نفاع ضرار مثله فى ذلك مثل السحاب الذى ينهل بالمطر وتنقض منه الصواعق ففيه حياة لقوم وهلاك لآخرين . قال الواحدى: هذه الابيات مضطربة الوزن وهى من الرمل وذلك لانه جعل العروض فاعلاتن وهو الاصل فى الدائرة ولكن لم يستعمل العروض ههنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد

مِثْلُ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّى بَعْدَكِ الْ ... قَطْرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ

غير أن هذا البيت الاول صحيح الوزن لانه مصرع فتبعت عروضه ضربه

(٤) جعله هذه الاشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صار وإياها كالشىء الواحد على حد قول الخنساء

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ ... فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

« تصف الخنساء وحشية تطلب ولدها مقبلة ومدبرة فجعلها اقبالا وإدبارا لكثرتهما منها » (٥) الطرف بفتح الطاء العين والجهد بالضم الطاقة والايدى فاعل

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَـكِنْ ... يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ (١)

فَلَهُ هَيْبَةُ مَنْ لَا يُتَرَجَّى ... وَلَهُ جُودُ مُرَجًّى لَا يُهَابُ (٢)

طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الأَحْدَاقِ شَزْرًا ... وَعَجَاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ (٣)

بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْهَوْلِ الَّذِي لَيْـ ... ـسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ (٤)

بِأَبِي رِيحُكَ لَا نَرْجِسُنَا ذَا ... وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ (٥)

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَّزْتَ سَبْقًا ... غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابُ (٦)

حمدته يقول : أنه لايجيل طرفه إلا على إحسان وإساءة ، فله فى كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الايدى جهدها لأنه يملؤها بالعطاء واساءة تذمها الرقاب لأنه يوسعها قطعا هذا ما قاله جميع الشراح ، وذهب اليازجى إلى أن الطرف بكسر الطاء أى الفرس الكريم قال : يقول المتنبي : أنه ما أجال فرسه فى الحرب إلا ملأ أيدى أوليائه من الغنائم فحمدته جهدها وضرب رقاب أعدائه فذمته . . .

(١) يقول : لايقتل أعاديه ليستريح منهم لأنه أمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهمه بقاؤهم ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم القتلى فهو إنما يقتل الاعداء خشية أن يخلف رجاء الذئاب وهو لم يتعود أن يخيب راجيا وهذا كقول مسلم

قدْ عوّدَ الطيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها ... فَهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فى كلِّ مُرْتَحَلِ

(٢) يقول : انه مهيب كل الهيبة وجواد غاية فى الجود فانه يهاب هيبة من لا يرجى العفو عنده ويجود جود سمح كريم يرجى احسانه ولا تخشى مهابته (٣) الطعن الشزر ما كان عن يمين وشمال والعجاج الغبار والنقاب ما تستر به المرأة وجهها يصفه بالحذق في الطعن يقول : إنه يصيب احداق الفرسان والجو مظلم بغبار الحرب الذى كأنه نقاب للشمس يسترها وهذا كقوله ◆ يضع السنان بحيث شاء محاولا ◆

(٤) يقول : انه يحمل نفسه على ركوب الامر العظيم الهائل الذى لا خلاص لمن وقع فيه (٥) بأبى تفدية قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح النرجس « الذى بين يديه » وحديثه ألذ من الشراب وليس هذا مما يمدح به الرجال أى وإنما يخاطب بمثله المحبوب (٦) برز بذ وسبق وسبقا مفعول مطلق كانه قال ان سبقت سبقا

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا المَلِكُ المُرَجَّى عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ

تَشَكَّى الأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وَتَرْشُفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ (١)

وَأُوهِمُ أَنَّ فِي الشِّطْرَنْجِ هَمِّي وَفِيكَ تَأَمُّلِي وَلَكَ انْتِصَابِي (٢)

سَأَمْضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبِي لَيْلَتِي وَغَداً إِيَابِي (٣)

وقال فى لعبة أحضرت مجلس بدر على صورة جارية وأديرت

فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات

يَاذَا المَعَالِي وَمَعْدِنَ الأَدَبِ سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِ العَرَبِ

أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجِزَةٍ وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبِ (٤)

أَهَذِهِ قَابَلَتْكَ رَاقِصَةً أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنَ التَّعَبِ

والعراب الخيل العربية يقول : ليس بمستنكر أن تسبق الناس وتبذهم لانك أهل ذلك كما أن كرام الخيل لا تدفع عن السبق

(١) تشكى بحذف إحدى التاءين أى تتشكى واليه متعلق بتشكى والضمير فى غيبته وفى اليه للسحاب والرشف المص وأصله أن تستقصى ما فى الاناء حتى لا تدع فيه شيأ والرضاب الريق يريد بيان ما ذكره فى البيت السابق من العجائب يقول : ان الارض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها وعند لقائه ترشف ماءه كما يرشف العاشق ريق المعشوق (٢) يقول : إنى انما أتأمل في محاسنك لا فى الشطرنج وأنتصب جالسا لارائك لا لاراه (٣) يقول : انى سأمضى وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود اليك قال ابن جنى : هذه الابيات لم أقرأها عليه وشعره عندى أجود منها

(٤) بكل معجزة أى بكل مسألة يعجز الناس عن بيانها والاجابة عليها فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبرى : هذه أبيات رديئة عملها ارتجالا فى معان ليست هناك

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرَم التميمى، وكان يحب الرمى بالنشّاب ويتعاطاه، وكان له وكيل يتعرض للشعر فأنفذه إلى أبى الطيب يناشده فتلقاه وأجلسه فى مجلسه ثم كتب إلى على يقول

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبَا　　فَأَعْذَرُهُمْ أَشَفُّهُمْ حَبِيبَا[1]

وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الأَعَادِي　　فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي القُلُوبَا[2]

تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ　　تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِيبَا[3]

وَقَدْ لَبِسَتْ دِمَاءَهُمُ عَلَيْهِمْ　　حِدَادًا لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبَا[4]

أَدَمْنَا طَعْنَهُمْ وَالقَتْلَ حَتَّى　　خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمِ الكُعُوبَا[5]

---

(١) الضروب الشكول والأصناف وأشفهم أفضلهم يقول: شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها، وأحقهم بأن يعذر فى العشق والحب من كان محبوبه أفضل وهذا كالتمهيد للبيت التالى

(٢) السكن ما تسكن نفسك اليه وتهواه يقول: فالذى أحبه أنا وتسكن اليه نفسى هو قتل أعدائى فهل من زيارة لهذا الحبيب أى هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفى قلبى كما يشفى قلب المحب زورته الحبيب (٣) ترد أى تردد والصراصر جمع صرصرة وهى صوت النسر والبازى ونحوهما والنعيب صوت الغراب يقول: هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتلى فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينعب الغراب؟ جعل صياح الطيور المجتمعة على القتلى كأنه حديث يتحدثن به (٤) وقد لبست أى الطير وعليهم متعلق بحدادا والحداد الثياب السود تلبس عند المصيبة والجيوب جمع جيب وهو طوق القميص وعند العامة كيس يخاط فى جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج يقول: إن هذه الطير تغوص فى دماء القتلى فتتلطخ بها وتجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتلى بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تفعل ربات الحداد

(٥) الكعوب جمع كعب وهو ما بين الأنبوبتين من القناة يقول: لم نزل نطعنهم حتى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلطت فى أبدانهم بعظامهم

كأنَّ خيولنا كانت قديماً ... تُسقَّى في قحوفهم الحليبا[1]

فمرَّت غير نافرةٍ عليهم ... تدوس بنا الجماجمَ والتريبا[2]

يقدّمها وقد خضبت شواها ... فتى ترمي الحروب به الحروبا[3]

شديد الخنزوانة لا يبالي ... أصاب إذا تنمَّر أم أصيبا[4]

أعزمي طال هذا الليل فانظر ... أمنك الصبح يفرق أن يؤوبا[5]

كأنَّ الفجر حِبٌّ مستزارٌ ... يراعي من دجنّته رقيبا[6]

كأنَّ نجومه حَلْيٌ عليه ... وقد حذيت قوائمه الجبوبا[7]

(١)و(٢) القحوف جمع قحف بكسر القاف وهو العظم الذى فوق الدماغ والجمجمة العظم الذي فيه الدماغ والتريب عظم الصدر والجمع الترائب موضع القلادة من الصدر يقول : كأن خيلنا كانت فى صغرها تسقى اللبن فى أقحاف رؤسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لاتنفر منهم . . . وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها (٣) الشوى من الخيل قوائمها ، وقد رويت خضبت بالبناء للمعلوم والضمير للخيل يقول : ان هـذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلما فرغ من حرب خاض حربا أخرى (٤) الخنزوانة فى الاصل ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمخ لها بأنفه واستعيرت للكبر . وتنمر صار كالنمر غضبا . وقوله أصاب أى أأصاب بهمزة التسوية يقول : إذا غضب على أعدائه وقاتلهم لايبالى أقتلهم أم قتلوه

(٥) الهمزة فى أعزمى للنداء ويفرق يخاف ويؤوب يرجع يقول : — مخاطبا عزمه — أنظر ياعزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر خشية أن يصاب فى جملة أعدائى (٦) الحب المحبوب ويراعى يراقب وينتظر والدجنة الظلمة والضمير فى دجنته لليل ، شبه الفجر بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيبا فتأخر زيارته خوف الرقيب — يريد طول الليل وأن الفجر ليس يطلع فكأنه حبيب يخاف رقيبا (٧) الجبوب وجه الارض وحذيت قوائمه الجبوب أى جعل الجبوب حذاء لقوائمه يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تفارقه وكأن الارض قد جعلت حذاء له فلا

كَأَنَّ الجوَّ قاسَى مَا أقاسِي ... فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبا(١)

كَأَنَّ دُجَاهُ يَجْذِبُهَا سُهَادِي ... فَلَيْسَ تَغِيبُ إِلاَّ أَنْ يَغِيبا(٢)

أُقلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي ... أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبا(٣)

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ ... يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادِي مَشُوبا(٤)

وَمَا مَوْتٌ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ ... أَرَى لَهُمُ مَعِي فِيهَا نَصِيبا(٥)

عَرَفْتُ نَوَائِبَ الحَدَثَانِ حَتَّى ... لَوِ انْتَسَبَتْ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبَا(٦)

وَلَمَّا قَلَّتِ الإِبِلُ امْتَطَيْنَا ... إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الخُطُوبا(٧)

---

(١) الشحوب تغير اللون من هزال ونحوه يقول : كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى ما دفعت اليه

(٢) الدجى جمع دجية وهي الظلمة والسهاد السهر يقول : ان سهاده يطول والليل يطول معه فكأن سهاده يجذب ظلمة الليل فهى لا تنقضى إلا بانقضائه وسهاده لا ينقضى وكذلك ظلمة الليل (٣) يقول : انى أقلب أجفانى فى ذلك الليل ولكثرة تقليبى اياها كأنى أعد على الدهر ذنوبه فكما أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لا تكاد تفنى كذلك تقليبى أجفانى كثير لا يفنى فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفانى فى ذلك الليل وأنا أرعى نجومه كأنى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد ، وهذا المعنى ينظر الى قول ديك الجن

أَنَا أُحْصِي فِيكَ النجومَ وَلَكِنْ ... لِذُنُوبِ الزَّمانِ لَسْتُ بِمُحْصِ

(٤) بلحظ حسادى أى بلحظى حسادى يقول : ليس ليلى وان طال بأطول من نهار يشوبه أى يخالطه أن أنظر فيه إلى حسادى وأعدائى (٥) يقول : اذا كان لحسادى نصيب معى فى الحياة وشاركونى فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة أى أنه لا تحلو له الحياة حتى يقتل حساده (٦) الحدثان حوادث الدهر ونوبه ويقال انتسب الرجل إلى فلان اذا نسب نفسه اليه والنقيب الخبير بأحوال القوم وأنسابهم يقول : لكثرة ما أصابنى من نوائب الدهر صرت عارفا بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها

(٧) يقول : لما اعوزتنا الابل وفقدناها لقلة ذات اليد ادتنى المحن والشدائد إلى الممدوح فكأنها كانت مطايا ركبناها اليه

مَطَايَا لا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا	وَلاَ يَبْغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبَا (١)
وَتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الأَرْضِ فِينَا	فَمَا فَارَقْتُهَا إِلاَّ جَدِيبَا (٢)
إِلَى ذِي شِيمَةٍ شَغَفَتْ فُؤَادِي	فَلَوْلاَهُ لَقُلْتُ بِهَا النَّسِيبَا (٣)
تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ	وَإِنْ لَمْ تُشْبِهِ الرَّشَأَ الرَّبِيبَا (٤)
عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ	أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبَا (٥)
وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا	يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيبَا (٦)
قَسَا فَالأُسْدُ تَفْزَعُ مِنْ قُوَاهُ	وَرَقَّ فَنَحْنُ نَفْزَعُ أَنْ يَذُوبَا (٧)

---

(١) و (٢) رتعت الابل رعت في بحبوحة وخصب والجدب ضد الخصب ومكان جديب لا نبات فيه يقول : ان الخطوب مطايا لا يبغى أحـد ركوبها وهي لا ترعى نبات الارض انما ترعانا وتنال منا فما فارقتها عندوصولى اليك إلا جديبا لانها رعتنى وأنت على فلم تترك منى ناميا

(٣) الشيمة الخلق وتقول شغفتنى حبا وشغفتنى وانمى تيمتنى وبلغت منى ، وشغفتنى من شغاف القلب وهو غلافه أوسويداؤه والنسيب التشبيب بالنساء فى الشعر يقول : ان أخلاق الممدوح شغفتنى بحسنها فلولا مهابته واحتشامه لتغزلت بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه (٤) الضمير فى هواها للشيمة والرشأ ولد الظبية اذا تحرك ومشى والربيب المربى يقول : ان كل نفس تعشق أخلاقه كما أعشقها أنا فهى محبوبة إلى كل انسان وان لم يكن بينها وبين الرشأ شبه لانها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التى تشبه بها الحسان (٥) عجيب خبر مبتدا محذوف يعود إلى الممدوح وعجيبا خبر ما العاملة عمل ليس يقول : هو عجيب فى الزمان وليس ما يأتى من آل سيار عجيبا لانهم الغاية فى المجد والكرم (٦) يقول : هو — مع أنه شاب — فى حنكة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ، ورب انسان غيره بلغ المشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه (٧) قوله من قواه يروى من يديه يقول : قسا قلبه فى الحروب حتى لتخاف الاسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلسه قد رق طبعا وكرما حتى لنخاف أن يذوب ، ويقال فلان يذوب ظرفا إذا لان جانبه واحلولت شيمته

أَشَدُّ مِنَ الرِّيَاحِ الْهُوجِ بَطْشاً	وَأَسْرَعُ فِى النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا (١)
وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مَنْ رَأَيْنَا	فَقُلْتُ رَأَيْتُمُ الْغَرَضَ الْقَرِيبَا (٢)
وَهَلْ يُخْطِى بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا	وَمَا يُخْطِى بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا (٣)
إِذَا نُكِبَتْ كِنَانَتُهُ اسْتَبَنَّا	بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نُدُوبَا (٤)
يُصِيبُ بِبَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ	فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَاتَّصَلَتْ قَضِيبَا (٥)
بِكُلِّ مُقَوَّمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْرًا	لَهُ حَتَّى ظَنَنَّاهُ لَبِيبَا (٦)
يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ	وَبَيْنَ رَمِيِّهِ الْهَدَفَ اللَّهِيبَا (٧)

(١) الهوج جمع هوجاء وهي الشديدة العصف في حمق وطيش . والبطش الاخذ بقوة والندى الجود يقول : هو لدى الوغى أشد بطشا من هوج الرياح ولدى الجود أسرع منها فى العطاء (٢) الغرض الهدف يرمى بالسهام يقول : ان الناس يقولون أنه أرمى من رأيناه يرمى السهام فقلت انكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه فكيف لو رأيتموه يرمى الغرض البعيد (٣) الرمايا جمع رمية اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد يقول : أنه صائب الفكرة فهو يرمى المغيبات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره فكيف لا يصيب المحسات بسهامه (٤) و (٥) الكنانة الجعبة التى توضع فيها السهام ونكبت قلبت على رأسها لينثر ما فيها واستبنا تبينا ورأينا والندوب في الاصل آثار الجروح والمراد هنا مطلق الأثر والأفواق جمع فوق وهو موضع الوتر من السهم يقول : إذا نثرت كنانته وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثاراً فى نصوله لسرعة رميه ورميه اياها على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضا من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها فوق السابق فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لا تصل بعضها ببعض وصارت مستوية كالقضيب . وكان الوجه أن يقول بدل بأنصلها لا نصلها بأفوقها لانصلها بدليل البيت الثانى ولان النصال إذ ذاك لا تتقابل

(٦) بكل مقوم بدل من قوله ببعضها أى يصيب بكل سهم هذه صفته يقول : ان سهمه يتجه كيف شاء فكأنه عاقل يأمره فيطيع (٧) النزع جذب الوتر للرمى وضمير منه للسهم والرمى المرمى فهو فعيل بمعنى مفعول والهدف بدل من رميه يقول : إذا

أَلَسْتَ ابْنَ الأُولَى سَعِدُوا وَسَادُوا　　وَلَمْ يَلِدُوا امْرَأً إِلاَّ نَجِيبا(١)

وَنَالُوا مَا اشْتَهَوا بِالحَزْمِ هَوْنًا　　وَصَادَ الوَحْشَ نَمْلُهُمُ دَبِيبا(٢)

وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلٰكِنْ　　كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِيبا(٣)

أَيَا مَنْ عَادَ رُوحُ المَجْدِ فِيهِ　　وَعَادَ زَمَانُهُ البَالِي قَشِيبا(٤)

تَيَمَّمَنِي وَكِيلُكَ مَادِحًا لِي　　وَأَنْشَدَنِي مِنَ الشِّعْرِ الغَرِيبا(٥)

جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه نارا بين القوس والهدف وذلك أن حفيف السهم فى سرعة مروره يشبه حفيف النار في التهابها والعرب اذا وصفت شيأ بالسرعة شبهته بالنار (١) الأُلى بمعنى الذين والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك، وسعدوا من السعادة والنجيب الكريم (٢) يقول : وأنت ابن الذين أدركوا بحزمهم ما طلبوا فى رفق وأناة وتؤدة فأدركوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب. وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ودبيب النمل مثلا لرفقهم ولطف تأنيهم (٣) يقول : ان الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها فى الحقيقة ولكنه شىء أفادته من دفن آبائه فى التراب ، وهذا من قول أبى تمام

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ　　فَطِيبُ تُرَابِ القَبْرِ دَلَّ عَلَى القَبْرِ

(٤) الضمير فى زمانه للمجد والقشيب الجديد قال ابن جنى : معناه أن روح المجد انتقل اليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : معناه يامن عاد به روح المجد فى المجد أى أن المجد كان ميتا فعاد به حيا وعاد الزمان الذى كان باليا جديدا به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال

سألت الندى والمجد حيان أنتما　　وهل عشتما من بعد آل محمد

فقالا نعم متنا جميعا وضمنا　　ضريح وأحيانا دبيس بن مزيد

(٥) تيممنى قصدنى قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كريم بن الفضل رحمه الله قال سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الشامى الملقب بالمشوق قال : كنت عند المتنبى لجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الابيات :

فؤادى قد انصدع　　وضرسى قد انقلع

ولليالى عقلى　　قد انهوى وما رجع

فآجَرَكَ الإلَهُ عَلَى عَليلٍ ... بَعَثْتَ إلى المَسيحِ بِهِ طَبِيبا(١)

وَلَسْتُ بِمُنْكِرٍ مِنْكَ الهَدَايَا ... وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أَدِيبا

فَلاَ زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقاتٍ ... وَلاَ دَانَيْتَ يَاشَمْسُ الغُرُوبا(٢)

لِأُصْبِحَ آمِناً فِيكَ الرَّزَايَا ... كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ العُيُوبا(٣)

وقال يصف مجلسين لابى محمد الحسن بن عبدالله بن طغج قد انزوى
أحدهما عن الآخر ليُرَى من كل واحد منهما مالا يُرَى من صاحبه

أَالمجلِسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا ... مُقَابِلاَنِ وَلَكِنْ أَحْسَنَا الأَدَبَا(٤)

إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا مالَ ذَا رَهَباً ... وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا مالَ ذَا رَهَبا(٥)

فَلِمْ يَهَابُكَ مَالاَ حِسَّ يَرْدَعُهُ ... إِنِّي لَأُبْصِرُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا عَجَبا(٦)

يا حب ظبى غنج ... كالبدر لما أن طلع

رأيته فى بيته ... من كوة قد اطلع

فقلت ته ته وته ... فقال لى مر يالكع

هات قطع ثم قطع ... ثم قطع ثم قطع

وضع بكفى وفى ... جيبى أدعك أن تضع

فهذا الذى عناه المتنبى بقوله وأنشدنى من الشعر الغريبا (١) آجره الله أثابه ، جعل نفسه كالمسيح وهذا الشاعر كعليل قد جاء ليداوى المسيح الذى يحيى الموتى ويبرىء الاكمه والابرص (٢) جعله شمسا لشرفه وعموم منفعته، يدعو له بأن لاتزال دياره مشرقات بنوره وبأن لايشرف على الغروب أى لايموت (٣) لأصبح تعليل للدعاء السابق يقول : أنا آمن عليك من العيوب فانها لاتقربك ولكن الذى أخشاه أن نرزأ فيك فأنا أدعو الله أن يقيك الرزايا لأصبح آمنا فيك المحذورين معا (٤)و(٥) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما فى وضعه عن الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسنا الادب فتميزا فانك إذا صعدت إلى أحدهما فجلست عليه مال الآخر عنه هيبة لك

(٦) يقول : إذا كان مالا حس له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره

وقال وقد نظر الى السحاب

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا   فَقُلْتُ إِلَيْكَ إِنَّ مَعِي السَّحَابَا (١)
فَشِمْ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكَ الْمُرَجَّى   فَأَمْسَكَ بَعْدَمَا عَزَمَ انْسِكَابَا (٢)

وأشار اليه طاهر العلوى بمسك وأبو محمد حاضر فقال

أَأَطِّيبُ مِمَّا غَنِيتُ عَنْهُ   كَفَى بِقُرْبِ الأَمِيرِ طِيبَا
يَبْنِي بِهِ رَبُّنَا الْمَعَالِي   كَمَا بِكُمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَا (٣)

وقال وقد استحسن عين باز فى مجلسه

أَيَا مَا أُحَيْسِنَهَا مُقْلَةً   وَلَوْلَا الْمَلَاحَةُ لَمْ أَعْجَبِ (٤)
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيِّهَا   سُوَيْدَاءُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ (٥)
إِذَا نَظَرَ الْبَازُ فِي عِطْفِهِ   كَسَتْهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنْكِبِ (٦)

---

(١)و(٢) قفلنا رجعنا وإليك بمعنى اكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا نظر اليه يرجو المطر وتقول عزم فلان الامر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله فشم البيت يأمر السحاب بأن ينظر إلى الامير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة فى جود الامير حتى صار السحاب مفتقرا الى سقياه ثم قال : أنه لما قال ذلك للسحاب أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده (٣) ضمير به للامير والخطاب فى بكم لطاهر العلوى وهو من نسل الزهراء كريمة سيدنا رسول الله ومن ثم قال كما بكم يغفر الذنوبا (٤) التصغير فى ما أحيسنها مبالغة فى الاستحسان وقوله لم أعجب أى لم أقل ما أحيسنها، أى لولا حسنها لم أقل ذلك (٥) خلوقية نسبة إلى الخلوق ضرب من الطيب أصفر اللون وفى خلوقيها خبر مقدم وسويداء مبتدأ مؤخر يقول : هذه المقلة صفراء مثل لون الخلوق يتوسط صفرتها انسان — انسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب (٦) يقول: إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى ✲

أَعِيدُوا صَبَاحِى فَهْوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
وَرُدُّوا رُقَادِى فَهْوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ (١)

فَإِنَّ نَهَارِى لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِى غَيَاهِبِ (٢)
بَعِيدَةِ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِى كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ (٣)

✲قالوا : ان الامير أبا محمد ابن طغج لم يزل يسأل المتنبى أن يخص أبا القاسم طاهرا العلوى بقصيدة من شعره وأنه قد اشتهى ذلك ، وأبو الطيب يقول ما قصدت إلا الامير ولا أمدح سواه فقال أبو محمد عزمت أن اسألك قصيدة تنظمها فى فاجعلها فيه وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفى : فسرت أنا والمطلبى برسالة طاهر إلى أبى الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الاشراف فلما أقبل أبو الطيب نزل طاهر عن سريره والتقاه مسلما عليه ثم أخـذه بيده فأجلسه في المرتبة التى كان فيها وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلا ثم أنشده أبو الطيب فخلع عليه للوقت خلعا نفيسة ، قال على بن القاسم الكاتب كنت حاضرا هذا المجلس فما رأيت ولا سمعت أن شاعرا جلس الممدوح بين يديه مستمعا لمدحه غير أبى الطيب فانى رأيت هذا الشريف قد أجلسه فى مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة

(١) الكواعب جمع كاعب وهى التى بدا ثدياها للنهود ، والحبائب جمع حبيبة يقول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظعن الاحبة فليس هناك صباح الا بردهن وقد نفى عنى الـكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن (٢) مدلهمة شديدة السواد ، والغياهب الظلمات وهذا البيت كالتعليل لما ذكره فى البيت السابق يقول : لمـا رحلتم لم أبصر بعدكم شيأ أى بكيت حتى عميت فآض نهارى ليلا حالك السواد . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الاول أى غاب عنى الكواعب فغاب صباحى بعدهن لان الدنيا تظلم فى عين المحزون، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومى وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد . . (٣) بعيدة بدل من مقلة فى البيت السابق ، والهدب الشعر النابت على أشفار العين ولـكن المراد بأعالى كل هدب ما نبت على الجفن الاعلى فهو عام قد خصص يقول : ان عينيه لاتنطبقان وتباعدت أجفانه حتى لـكأن أعالى أهدابها قد عقدت بالحاجبين وهذا مثل قول بشار بن برد

جَفَتْ عَيْنِى عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

وَأَحْسِبُ أَنِّى لَوْ هَوِيتُ فِرَاقَكُمْ لَفَارَقْتُهُ وَالدَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبِ (١)

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ أَحِبَّتِى مِنَ الْبُعْدِ مَا بَيْنِى وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ (٢)

أُرَاكِ ظَنَنْتِ السِّلْكَ جِسْمِى فَعُقْتِهِ عَلَيْكِ بِدُرٍّ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ (٣)

وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ فِى شَقِّ رَأْسِهِ مِنَ السُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ (٤)

(١) يقول ان الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لواصلتمونى يعنى أن من أهواه يبعد عنى ، ومن أجتويه يقرب منى لسوء صحبة الدهر اياى فقوله لفارقته أى لفارقت الفراق مضطراً بحكم الدهر وفى هذا يقول بعضهم

أَرَى مَا أَشْتَهِيهِ يَفِرُّ مِنِّى ومالا أشتهيه إِلَىَّ يأتِى

وَمَنْ أَهْواه يبغضنى عِنَاداً وَمَنْ أَشْنَاهُ يشبث فى لهاتى

كَأَنَّ الدَّهرَ يطلبنى بثأر فَلَيْسَ يَسُرُّه إلا وفاتى

(٢) يقول : ليت أحبتى واصلونى مواصلة المصائب وليت المصائب بعدت عنى بعدهم وهذا كما قال أيضا

ليت الحبيب الهاجرى هجر الكرى من غير جرم واصلى صلة الضنا

(٣) أراك أظنك والسلك الخيط الذى ينظم فيه الدر وغيره وقوله عليك بدر يريد بدر عليك فقدم الجار والمجرور والترائب موضع القلادة من الصدر يقول : أظنك حسبت السلك الذى فى قلادتك جسمى لمشابهته اياه فى الدقة فحلت بينه وبين ترائبك بالدر المنظوم فيه لئلا يلامس صدرك أى أن ولوعك بشقاقى حملك على منافرة كل ما يشاكلنى . يشكو مخالفتها اياه ورغبتها عن وصاله وهو من معانى المتنبى البديعة

(٤) يقول : لشدة سقمى نحلت حتى لم يبق لى جثمان يحس به فلو القيت فى شق قلم لم يتغير لى خط كاتب وهذا من مبالغات الشعراء وقد افتنوا فى هذا المعنى كل الافتنان فمن ذلك قول بعضهم

ذُبْتُ مِنَ الوَجْدِ فَلَوْ زُجَّ بى فى مُقْلَةِ الوَسْنَانِ لم يَنْتَبِهِ

وقول الآخر

فاستَبْقِ ما أَبقَيْتَ لى فَلَعَلَّنى يَوْمًا أَقيكَ بِهِ مِنَ الأَعْدَاءِ

مِنْ مُهْجَةٍ ذابتْ أَسًى فَلَوَ انَّها فى العَيْنِ لم تَمْنَعْ من الإِغْفَاءِ

تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرَتْ بِهِ ... وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ (١)

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ ... يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ (٢)

يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً ... وُقُوعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ (٣)

كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا ... يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ (٤)

إِلَيْكِ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى ... عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ (٥)

---

(١) قال الواحدى: الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر والذى خوفته به هو الهلاك وتقدير اللفظ تخوفنى بشيء دون الذى أمرت به أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت لأن فيها عارا والعار شر من البوار والضمير فى تخوفنى للحبيبة أو العاذلة (٢) يقول: لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الاعادى فأسمع بعده صياح النوادب عليهم، والأغر فى الاصل الذى فى وجهه بياض وأغر محجل من صفات الخيل استعارهما لليوم يريد يوما مشهورا ينماز عن الايام كما ينماز الفرس بالغرة والتحجيل (٣) يقول: مثلى اذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول اليه رماح وسيوف يريد أنه يتوصل اليه وان كان دونه حروب وأهوال

(٤) كثير مبتدأ ومثل خبر أول ويزول خبر ثان: يحث على الشجاعة والاقدام وينهى عن الجبن يقول: ان طول العمر وقصره سيان لان نهاية كل منهما الزوال وما بقى من العيش لاحق بما ذهب فهو فى حكمه واذن لاوجه للحرص على الحياة. وقال ابن الرومى:

رأيتُ طويلَ العمْرِ مثلَ قصيرِهِ ... إذا كان مُفضاهُ إلى غايةٍ تُرى

(٥) اليك اسم فعل بمعنى كفى يقول: كفى عنى فانى لست ممن اذا خشى الهلاك صبر على الذل والهوان. جعل الافاعى مثلا للهلاك لانها تقتل بسمها دفعة واحدة والعقارب مثلا للذل والهوان لان لسعها لايقتل ولكنه يتكرر فيكون أطول عذابا قال ابن فورجه: من بات فوق العقارب أفضت به كثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الافعى واذن يكون المعنى أن العار أيضا يفضى بالرجل الشريف إلى الهلاك لتعيير الناس

أَتَانِى وَعِيدُ الأَدْعِيَاءِ وأَنَّهُمْ ... أَعَدُّوا لِىَ السُّودَانَ فِى كَفْرِ عَاقِبِ (١)

وَلَوْ صَدَقُوا فِى جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ ... فَهَلْ فِىَّ وَحْدِى قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ (٢)

إِلَىَّ لَعَمْرِى قَصْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ ... كَأَنِّى عَجِيبٌ فِى عُيُونِ الْعَجَائِبِ (٣)

بِأَىِّ بِلَادٍ لَمْ أَجُرَّ ذُؤَابَتِى ... وَأَىُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَأْهُ رَكَائِبِى (٤)

كَأَنَّ رَحِيلِى كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ ... فَأَثْبَتَ كُورِى فِى ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٥)

فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرِدْنَ فِنَاءَهُ ... وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وُرُودَ الْمَشَارِبِ (٦)

اياه ، بل هو أشد لانه عذاب يتكرر أما الهلاك فهو دفعة واحدة ، لجعل الافاعى مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار . .

(١) الادعياء جمع دعى يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوءا وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه ، وكفرعاقب قرية بالشام من أعمال حلب

(٢) يقول : لو كانوا قد صدقوا فى دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم فى الوعيد أيضا لحذرتهم ولكنهم اذ كذبوا فى نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدى صادقا ؟ (٣) يعرض بالذين توعدوه يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فانى لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تعجب من صبرى وأنفتى وعلو همتى فهى تيممنى وتنسل إلى من كل حدب (٤) ذؤابة النعل ما أصاب الارض من المرسل على القدم لتحركه ويروى بدل ذؤابتى ذوائبى ، يصف نفسه بكثرة الاسفار يقول : انى لم أدع موضعا من الارض إلا جولت فيه

(٥) الكور الرحل وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوى الذى قال فيه المتنبى هذه القصيدة . وهذا البيت من أبدع ما قيل فى حسن التخلص يقول : كما أن مواهب الممدوح لم تدع مكانا إلا أتته كذلك أنا لم أدع مكانا الا أتيته فكأنى امتطيت ظهور مواهبه (٦) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب الممدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هى العادة — أن يردها الشاربون ولكنها هى ترد الشاربين. فقوله يردن أى المواهب وهو من ورود الماء، والفناء الساحة والمنزل والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود مفعول مطلق ليردن مضاف الى مفعوله وقريب من معنى البيت قول القائل

اذا سألوا شكرتهم عليه ... وان سكتوا سألتهم السؤالا

فتًى علّمته نفسُه وجدودُه ... قِراعَ الأعادي وابتذالَ الرغائب (١)

فقد غيّب الشهّادَ عن كل موطنٍ ... وردّ إلى أوطانه كلَّ غائب (٢)

كذا الفاطميون النّدى في بنانهم ... أعزّ امّحاءً من خطوط الرواجب (٣)

أناسٌ إذا لاقوا عِدًى فكأنما ... سلاحُ الذي لاقوا غبارُ السلاهب (٤)

رَمَوا بنواصيها القِسِيَّ فجئنها ... دَوامي الهوادي سالماتِ الجوانب (٥)

---

(١) الابتذال مثل البذل والرغائب جمع رغيبة وهي الشيء المرغوب فيه يقول: ان شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان (٢) الشهاد جمع شاهد بمعنى حاضر يقول: أنه غيب عن وطنه كل من ليس من ديدنه السفر لأن سخاءه يدعوهم اليه ، وردهم إلى الاوطان بعد أن غمرهم بنعمه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر الى غيره

(٣) الندى مبتدا وأعز خبر وأصل البنان أطراف الاصابع والمراد بها هنا الاكف وقد روى بدل في بنانهم في أكفهم والرواجب مفاصل أصول الاصابع والممدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج على بن أبي طالب ومن ثم قال كذا الفاطميون يقول: ان الجود لايفارقهم حتى أن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحى منها والجود لايمحى من أكفهم (٤) السلاهب جمع سلهب وهو الفرس الطويل يقول: انهم من الشجاعة والاقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كانه غبار خيلهم لايعبأون به ولا يكترثون بل يشقونه لايرتدون عن اعدائهم

(٥) الضمير في نواصيها للسلاهب وهي جمع ناصية مقدم شعر الرأس وجئنها أي جئن القسى أي بلغت السلاهب القسى والهوادى الاعناق يقول: انهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تنثن حتى وصلت اليهم وقد رميت اعناقها دون أعطافها وأعجازها لانها صممت على الاقدام لاتنحرف يمنة ولا يسرة، ولهذا لم تصب سهام الاعداء إلا أعناقها وسلمت سائر أعضائها وفي سبيل هذا المعنى يقول بعضهم

شكرتْ جيادُك منك بردَ مقيلها ... في الحرّ بين براقعٍ وجِلال

فجزتك صبرًا في الوغى حتى انثنت ... جرحى الصدور سوالمَ الأكفال

أُولَئِكَ أَحلَى مِنْ حَياةٍ مُعَادَةٍ وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُهُورِ الشَّبَائِبِ (١)

نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا ابْنَهُ بِبَوَاتِرٍ مِنَ الْفِعْلِ لَا فَلٌّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ (٢)

وَأَبْهَرُ آيَاتِ التِّهَامِيِّ أَنَّهُ أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ (٣)

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ (٤)

---

(١) يقول : هم احلى فى القلوب من الحياة اذا أعيدت على صاحبها وذكرهم أكثر على الالسنة من ذكر أيام الشباب (٢) يريد بعلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه لان الممدوح علوى والبواتر السيوف القواطع والفل الثلم والمضارب جمع مضرب حد السيف يقول : أتيت من الفعال ماعززت به فعال ابيك فكان ذلك منك بمنزلة النصر له وقد سلمت أفعالك من العيوب فكانت كأنها سيوف قواطع لافلول فى مضاربها

(٣) التهامى يريد به سيدنا رسول الله قال ابن جنى : قد أكثر الناس القول فى هذا البيت وهو فى الجملة شنيع الظاهر وقد كان يتعسف فى الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات فى الدين مما يقدح فى جودة الشعر يقول المتنبي : ان أبهر آيات النبى أنه أبوك ، وكونه أباك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين أو هو أحدى منافبكم الكثيرة — على رواية احدى بدل أجدى — وروى بعضهم البيت هكذا ☆ وأكبر آيات التهامى آية ☆ يعنى أن على بن أبى طالب أبا الممدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة وقال العروضى معنى البيت : أن كفار قريش كانوا يقولون أن محمدا صنبور أى منفرد أبتر لا عقب له فاذا مات استرحنا منه فأنزل الله تعالى — انا أعطيناك الكوثر — أى الكثير ولست بأبتر كما قالوا أما شانئك فهو الابتر فقال المتنبى أنتم من معجزات النبى وايات لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك اجدى ما لكم من مناقب . وأنى أظن مثل هذا المعنى لم يخطر للمتنبي على بال

(٤) النسيب ذو النسب الشريف والمناصب الاصول يقول : اذا لم تكن نفس النسيب مشابهة لأصله فى الكرم لم ينفعه الانتساب الى أصل كريم . يعنى : ان كرم الاصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيرا ما تعاور الشعراء هذا المعنى قال

وما يَنفعُ الأَصلُ مِن هاشِمٍ إذا كانَتِ النَفْسُ مِنْ بَاهِلَهْ

وَمَا قَرُبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدٍ وَلاَ بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ (١)

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلاَّ حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ (٢)

يَقُولُونَ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى فَمَا بَالُهُ تَأْثِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ (٣)

عَلاَ كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ (٤)

وَحُقَّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِساً وَيُدْرِكَ مَالَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ (٥)

وقال أبو يعقوب الخزيمي

إذا أنت لَمْ تَحْمِ القَدِيمَ بحادثٍ مِن المجدِ لَمْ يَنفعْكَ ما كان مِن قَبْلُ

وقال البحتري

ولَسْتُ أَعْتَدُّ لِلفتى حَسباً حتى يُرَى فى فَعَالِهِ حَسَبُهْ

(١) البيت كالتتمة لما ذكره فى البيت السابق يقول: ان صحة النسب لا تتحقق الا بمشابهة الفروع للاصول فاذا ادعى قوم نسبا وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم باقارب، وكذلك القول فى الاقارب. وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الادعياء

(٢) النواصب الخوارج الذين نصبوا لعداء على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: اذا لم يكن العلوى تقيا ورعا كطاهر — وهو الممدوح — كان حجة لاعداء أبى تراب لانهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه (٣) يقول: ان الناس تقول ان الكواكب تؤثر فى الخلق — يريد مايذهب اليه المنجمون من السعد والنحس — ولكن الممدوح يؤثر فى الكواكب اذ يجعل المنحوس بحكم النجوم سعيدا بما يفيض عليه من نعمته وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منحوسا بما ينزله به من نقمته فلا تستطيع الكواكب أن تحول دون مايريد وقال ابن فورجه: تأثيره فى الكواكب إثارته الغبار حتى لاتظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر الكواكب بالنهار (٤) الكتد مجتمع الكتفين من الانسان والذلول المنقادة التى تذل لراكبها يقول: انه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له انقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به الى كل غاية

(٥) يقول: خليق به أن يسبق الناس فى سبيل المعالى وهو لا يتكلف لذلك جهدا، ويدرك ما لم يدركوه من غير ما طلب وسعى، يعنى أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طبعه الله عليه من الفضل وعلو الهمة وهذا ما لايكتسب ويدرك بالسعى والاجتهاد

وَيُحْذَى عَرَانِينَ الْمُلُوكِ وَإِنَّهَا لِمَنْ قَدَمَيْهِ فِى أَجَلِّ الْمَرَاتِبِ (١)

يَدٌ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ لِتَفْرِيقِهِ بَيْنِى وَبَيْنَ النَّوَائِبِ (٢)

هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ وَشِبْهُهُمَا شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ (٣)

يَرَى أَنَّ ما مابَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ بِأَقْتَلَ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبِ (٤)

أَلاَ أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِى قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهذَا فِعْلُهُ فِى الْكَتَائِبِ (٥)

لَعَلَّكَ فِى وَقْتٍ شَغَلْتَ فُؤَادَهُ عَنِ الْجُودِ أَوْكَثَّرْتَ جَيْشَ مُحَارِبِ (٦)

---

(١) العرانين الانوف يقول : وجدير به أن تجعل عرانين الملوك أحذية له يطؤها بقدميه ولو هو فعل ذلك لـكانت فى أجل المراتب لانها تتشرف بوطأته

(٢) يد خبر مقدم والجمع مبتدأ مؤخر واليد النعمة ومعنى البيت مأخوذ من قول أبى تمام

إذا العيسُ لاقتْ بى أبا دُلَفٍ فقدْ تقطَّعَ مَابينى وبينَ النَّوَائِبِ

(٣) هو ابن رسول الله لانه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله، وابن وصيه لانه ابن سيدنا على كرم الله وجهه و سيدنا على هو وصى سيدنا رسول الله وقوله وشبيهما أى وهو شبيهما ، وقوله شبهت بعد التجارب كلام مستأنف يقول : شبهته بهما بعد تجربتى واختبارى اياه فليس تشبيهى عبثا (٤) اسم أن محذوف هو ضمير الشأن وما الاولى نافية بمعنى ليس والثانية بمعنى الذى والتقدير : يرى أنه ليس الذى ظهر من الانسان لضارب بالسيف كالعنق ونحوه بأقتل له مما ظهر لطعن عائب يقول : أنه يرى العيب أشد من القتل وهذا من قول أبى تمام

فَتًى لَايَرَى أَنَّ الفَريصةَ مَقْتَلٌ ولـكنْ يَرَى أنَّ العيوبَ المقاتلُ

(٥) تعز يروى تسل، والكتائب جمع كتيبة وهى الفرقة من الجيش يقول : تأس أيها المال الذى اباده الممدوح فلست وحدك المباد على يده ولك الاسوة بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسرا (٦) يقول : لعلك أيهذا المال المباد شغلت فؤاد الممدوح يوما ما عن السخاء بفتنتك أو أطمعت الاعداء فى محاربته رغبة فيك فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِى حَدِيقَةً
سَقَاهَا الحِجَى سَقْىَ الرِّيَاضِ السَّحَائِبِ (١)

فَحُيِّيتَ خَيْرَ ابْنٍ لِخَيْرِ أَبٍ بِهَا لِأَشْرَفِ بَيْتٍ فِى لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ (٢)

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلثمائة

وهى من محاسن شعره

مَنِ الجَآذِرُ فِى زِىِّ الأَعَارِيبِ حُمْرَ الحُلَى وَالمَطَايَا وَالجَلَابِيبِ (٣)

إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكًّا فِى مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَاكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ (٤)

---

(١) الحديقة الروضة عليها حائط والمراد بها هنا القصيدة ، والحجى العقل، جعل العقل ساقيا لها لان المعانى التى فيها إنما تحسن بالعقل فجعل العقل ساقيها كما تسقى السحائب وقوله : سقى الرياض السحائب أراد سقى السحائب الرياض ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال (٢) خير أب منادى وبها أى بالحديقة المعنى بها القصيدة وكان من عاداتهم أن يحيوا بالزهور والرياحين ويعنى بخير ابن الممدوح وبخير أب سيدنا رسول الله وبأشرف بيت هاشم بن عبدمناف إذ أن بيته أشرف ولد لؤى ابن غالب (٣) من استفهام والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه بها النساء فى حسن العيون ، والاعاريب جمع اعراب وهم سكان الخيام والوبر وقوله فى زى حال من الجآذر والعامل فيها معنى الاستفهام وحمر الحلى حال بعد حال يقول : من هؤلاء النسوة الشبيهات بالجآذر وهن فى زى الاعاريب ومتحليات بالذهب الاحمر وممتطيات النياق الحمر ومشتملات فى الثياب الحمراء، يعنى أنهن من نساء الملوك لان الحمرة لون ملابس الاشراف عندهم والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب

(٤) شكا مفعول لاجله يقول — مخاطبا نفسه — : ان كنت تسأل عنهن لشك بدا لك فى معرفتهن فمن الذى امتحنك بالسهر والعذاب؟ يعنى أنهن دلهنك بحبهن حتى صرت مسهدا معذبا فكيف لاتعرفهن؟ وانما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجآذر حتى كأنهن جآذر لانساء وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة

أَيَا ظَبْيَةَ الوَعْثَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبين النَّقَا آ أَنْتِ أَمْ أُمُّ سالم

لاتَجْزِنِي بِضَنًى بِي بَعْدَهَا بَقَرٌ تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوباً بِمَسْكُوبِ (١)

سَوَائِرٌ رُبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ (٢)

وَرُبَّمَا وَخَدَتْ أَيْدِي المَطِيِّ بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الفُرْسَانِ مَصْبُوبِ (٣)

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الأَعْرَابِ خَافِيَةٍ
أَدْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ (٤)

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي (٥)

قَدْ وَافَقُوا الوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ (٦)

---

(١) المراد بالبقر النساء التي وصفها، يدعو لهن يقول: لاجزينني مقابل الضنى الذى حل بى بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعى دموعا مثلها يعنى لا أورثهن الله السقام بعدى كما أورثنى بعدهن وان كن قد بكين لفراقى كما بكيت لفراقهن. فالباء فى قوله بضنى للمقابلة وبى صفة لضنى وبقر فاعل تجزنى أى لاتجزنى بقر بضنى حل بى ضنى يحل بهن وبعدها أى بعد فراقها وقوله تجزى دموعى الخ صفة لبقر وقوله مسكوبا بدل من دموعى أى تجزى دموعى مسكوبا منها بمسكوب من دموعها، وتعبيره ببقر ههنا غير لائق

(٢) سوائر أى هن سوائر والهوادج مراكب النساء على الابل يقول: إنهن من قومهن فى عز ومنعة فمن تصدى لهن طعن أو ضرب فسارت هوادجهن ما بين مطعون ومضروب (٣) الوخد ضرب من السير والنجيع الدم يقول: ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان، يريد أنهن فى منعة دونهن طعان وضراب وقتال. فالبيت فى معنى البيت السابق (٤) يصف جرأته فى زيارة الحبائب بعد أن منعتهن يقول: — مخاطبا نفسه — كم قد زرتهن زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى وقوله وقد رقدوا جملة معترضة بين أدهى ومن زورة الذيب (٥) جمع فى هذا البيت بين خمس مطابقات، الزيارة والانثناء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والاغراء ولى وبى. وأنثنى أى أعود واغراء بهضراه به وحضه عليه يقول: أزورهم والليل لى شفيع لانه يسترنى عنهم وانصرف وكأن الصبح يغرى بى اذ يشهرنى ويدلهم على مكانى وهذا البيت كما ترى من معجزات المتنبي (٦) يقول: ان هؤلاء الاعراب قد وافقوا الوحش فى سكنى البرارى وخالفوها

جيرانُهَا وَهُمْ شَرُّ الْجِوَارِ لهَا ـ وَصَحْبُهَا وَهُمُ شَرُّ الأَصَاحِيبِ (١)
فُؤَادُ كلِّ مُحِبٍّ فى بُيُوتِهِمِ ـ وَمَالُ كلِّ أَخِيذِ المَالِ مَحْرُوبِ (٢)
ماأَوْجُهُ الحضرِ المُسْتَحْسَنَاتُ بهِ ـ كأَوْجُهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ (٣)
حُسْنُ الحِضَارَةِ مَجْلُوبٌ بتَطْرِيَةٍ ـ وَفى البَدَاوَةِ حُسْنٌ غيرُ مَجلُوبِ (٤)
أَيْنَ المَعِيزُ مِنَ الآرَامِ نَاظِرَةً ـ وَغيْرَ نَاظِرَةٍ فى الْحُسْنِ وَالطِّيبِ (٥)
أَفْدِى ظِبَاءَ فَلاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا
مَضْغَ الْكَلامِ وَلاَ صَبْغَ الحَوَاجِبِ (٦)

فى أن لهم خياما يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الاقامة أما الوحش فلا خيام لها، يريد أنهم ممن يسكنون البادية والمراتع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح والتقويض الهدم والتطنيب شد الخيام بالأطناب (١) يقول: هم جيران الوحوش بيد أنهم يسيؤن جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها، وقوله وهم شر الجوار أى وجوارهم شر الجوار على حد قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله والاصاحيب جمع أصحاب جمع صحب اسم جمع لصاحب (٢) أخيذ أى مأخوذ والمحروب الذى ذهب كل ماله يقول: ان فيهم الجمال والشجاعة فنساؤهم ينهبن القلوب ورجالهم ينهبون الاموال. وقال التبريزى: يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال «أى بالسخاء» وأموال الاعداء

(٣) الرعابيب جمع رعبوبة وهى المرأة التارة السمينة يقول: ليست الاوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو، يفضل نساء البدو على نساء الحضر ويبين السبب فى البيت التالى

(٤) الحضارة بكسر الحاء أو فتحها الاقامة بالحضر والبداوة الاقامة فى البدو والتطرية المعالجة تقول طرى الطيب خلطه بالافاويه وطرى الطعام خلطه بالتوابل يقول: ان حسن أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقة، لا يعرفن التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال (٥) المعيز اسم لجماعة المعز كالكليب والعبيد، والآرام الظباء الخالصة البياض، شبه نساء الحضر بالمعيز ونساء البدو بالآرام يقول: أين تقع المعيز من الظباء فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة فالظباء تفضلها عيونا وغير عيون (٦) يريد بظباء الفلاة البدويات نساء الاعاريب يقول: هن فصيحات مبينات لا يمضغن كلامهن غنجا وتخنثا كنساء الحضر، ولا يصبغن

وَلاَ بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَّامِ مَاثِلَةً ـ أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيلاَتِ الْعَرَاقِيبِ (١)

وَمِنْ هَوَى كلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوِّهَةً ـ تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ (٢)

وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ

رَغِبْتُ عَنْ شَعَرٍ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبِ (٣)

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجْرِيبِي (٤)

فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشِّيبِ (٥)

حواجبهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجيب جمع حاجب أشبع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال

* نَفْيَ الدراهيم تَنقادُ الصياريف *

(١) ماثلة شاخصة ويروى مائلة والاولى أظهر والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل يقول : وليست البدويات كالحضريات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكهن من تحتها ، وصقلن عراقيبهن (٢) أصل التمويه الطلى بماء الذهب أو الفضة ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير وقوله ومن هوى متعلق بقوله تركت بعد. يقول : ومن أجل أني لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت بياض شيبي دون خضاب ، أي لم أموه شيبي كما لم يموهن حسنهن

(٣) رغب عن الشيء زهد فيه يقول : ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجعل شعر رأسي مكذوبا أي مسودا بالخضاب اذ هو غير لونه فقوله وعادته أي عادة الصدق وقوله ومن هوى متعلق برغبت ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس عن شعر في الوجه (٤) يقول : ان حدثان الدهر ونوائبه أخذت مني الشباب وأعطتني الحلم والتجاريب فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت أي ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والاناة، وهذا من قول على بن جبلة

وَأَرَى اللَّيَالِيَ مَاطَوَتْ مِنْ قُوَّتِي زادَتْهُ فِي عَقْلِي وفي أفهامي

وقول ابن المعتز

وَمَا يَنْتَقِصْ من شبابِ الرِّجالِ يُزِدْ فِي نُهاها وألبابِها

(٥) الحداثة حداثة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث اياه

تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأُسْتَاذُ مُكْتَهِلاً ... قَبْلَ اكْتِهَالٍ أَدِيباً قَبْلَ تأْدِيبِ (١)

مُجَرَّباً فَهَمًا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ ... مُهَذَّباً كَرَماً مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبِ (٢)

حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيا نِهَايَتَها ... وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَاآتٍ وَتَشْبِيبِ (٣)

يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ ... إِلَى العِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ (٤)

إِذَا أَتَتْها الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ ... فَمَا تَهُبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبِ (٥)

يقول : ان حداثة السن لا تحول دون الحلم فالمرء قد يكون حليما فى الشباب كما يكون حليما فى المشيب كما قال ابو تمام

حَلَّمَتْنِي زَعَمْتُمُ ... وَأَرَانِى قبل هـذا التَّحَلُّمِ كنتُ حليما

(١) ترعرع الصبى نشأ وشب.والاستاذ لقب كافور وهي كلمة فارسية من معانيها المعلم والمدبر والعالم. يريد المتنبى أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق وفيه من البديع حسن التخلص يقول : ان كافورانشأ على الاكتهال أى حلم الكهول قبل أن يكتهل سنا ، وعلى الادب قبل أن يؤدب، أى أنه ترعرع على ذلك طبعا دون أن يفيده من كر الغداة ومر العشى وهذا دليل على أن الحداثة ليست بمانعة من حلم

(٢) قال صاحب اللسان : رجل مجرب كمضرس ـــ بالفتح ـــ جرب فى الامور وعرف ما عنده كأن الامور جربته وأحكمته ، ومجرب ـــ بالكسر ـــ عرف الامور وجربها ثم قال : الا أن العرب تكلمت به بالفتح . يقول المتنبى : نشأ كافور مجربا قبل أن يجرب، لما جبل عليه من الفهم،مهذبا قبل أن يهذب، بما طبع عليه من الكرم

(٣) التشبيب فى الاصل ذكر أيام الشباب وهو يكون فى ابتداء القصائد ثم سمى كل ابتداء تشبيبا . يقول : ان كافورا أصاب الغاية القصوى من دنياه وهو الملك ومع ذلك لا تزال همته فى بداية أمرها أى أنه بعيد مرتقى الهمة (٤) يريد فسحة رقعة ملكه وترامى حدودها الى هذه الاطراف لا أنها داخلة فى مملكته لان كافورا لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم « الاناضول » ولا النوب وانما مملكته تحد بهذه البلاد اذ كانت مصر والحجاز والشام حسب

(٥) يقول : انه لهيبته وعظمه فى النفوس وغيرها اذا هبت الرياح الهوج فى بلاده هبت مستوية رزينة مرتبة اعظاما له واجلالا ، فالرياح مثل أراد به المبالغة فى اعظام الناس اياه وتنكبهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له

وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ (١)

يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتِمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ (٢)

يَحُطُّ كُلَّ طَوِيلِ الرُّمْحِ حَامِلُهُ مِنْ سَرْجِ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْبُوبِ (٣)

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ (٤)

إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ (٥)

أَوْ حَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبِ (٦)

أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كَتَائِبِهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتٌ بِمَرْهُوبِ (٧)

فالضمير فى انتها يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب جمع نكباء وهى الريح تهب فى غير استواء (١) هذا البيت فى معنى الذى سبقه يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا باذنه وكل هذا مبالغة (٢) طلس الكتاب طمسه ومحاه كطرسه يقول : ان امره ممتثل مطاع فى بلاده حتى لو كتب مكتوبا بأمر من الامور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هى عادتهم إذ ذاك — ثم انمحى كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم امتثل أمره بمجرد رؤية الخاتم اعظاما واجلالا (٣) يحط ينزل ويضع واليعبوب الفرس السريع الجرى يقول : ان حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له اعظاما فنزل عن فرسه والمعنى أنه نافذ الامر مطاع (٤) يقول : أنه يسر ويبتهج إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف وذلك لكرمه وجوده (٥) يقول : أنه لايرد السائل أيا كان ، فلو صمدت اليه أعداؤه سائلة مستجدية نالت مطلوبها فكأنما غزته بجيش لايغلب (٦) التقدمة التقدم والتجبيب الهرب يقول : وإذا قصده أعداؤه محاربين لم ينجوا من ارادته فيهم فلايفيدهم الاقدام لانهم لايقدرون عليه ولا الهرب لانه يدركهم لامحالة (٧) أضرت من الضراوة وهى الدربة والعادة تقول ضرى فلان بكذا لزمه واعتاده وضراه بكذا ألهجه به وفى الاثر أن للحم ضراوة كضراوة الخمر أى أن له عادة طلابة لآكله كعادة الخمر مع شاربها ويريد بأقصى كتائبه الجبناء الذين لايشهدون القتال والحمام الموت يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجاله لقاء

قالوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ ... إِلَى غُيُوثِ يَدَيْهِ وَالشَّآبِيبِ (١)

إِلَى الَّذِي تَهَبُ الدَّوْلاتِ رَاحَتُهُ ... وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ (٢)

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا ... وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُوراً بِمَنْكُوبِ (٣)

بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ... ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غِرْبِيبِ (٤)

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ ... مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ (٥)

الموت وجرأتهم عليه فليس الموت مرهوبا عندهم (١) الشؤبوب الدفعة الشديدة من المطر وال فى الشآبيب تقوم مقام الضمير أى الى غيوث يديه وشآبيبهما - يعرض المتنبى — فيما يظهر — بسيف الدولة يقول : يلومنى الناس على هجرى الغيث — يعنى سيف الدولة — وهم واهمون فى هذا اللوم لانى تركت غيثا الى غيوث أى أنى فارقت كريما الى من هو أكرم . . . وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لاتمطر فيقول : لامنى الناس فى هجرى بلاد الغيث فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تعسف من ابن فورجه بدليل البيت التالى (٢) يقول : إنى هجرت الى من يعطى العطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالمن، وهذا تعريض بين بسيف الدولة

(٣) راعه خوفه وأفزعه وبه صلة مغدور والموفور الذى لم يصب فى ماله ولم يؤخذ منه شىء والمنكوب ضده يقول : أنه لايغدر بأحد كى يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحيفه أو يسلب ماله ليفزع به الموفور الذى لم ينكب

(٤) يقول : لايغدر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وانما يروع صاحب جيش بصاحب جيش آخر يصرعه على الارض، أى ينكل بصاحب جيش ليعتبر به صاحب جيش آخر، وهو — أى كافور — فى جيش أسود الغبار قد علاه سواد الحديد . وبلى حرف جواب تختص بالنفى وتفيد ابطاله ويجدله أى يصرعه على الجدالة وهى الارض وجملة يجدله صفة لذي جيش وذا مثله مفعول يروع أى يروع ذا جيش مثل جيشه وقوله فى أحم أى فى جيش أحم النقع أى أسود الغبار والغربيب الشديد السواد ومعنى جيش غربيب أسود الحديد (٥) يقول : انى وجدت ما فى الخيل من عدو وجرى أنفع الاشياء التى ادخرتها لانها حملتنى الى كافور وأخرجتنى من بين الغادرين بى كما بين ذلك فى البيت التالى . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

لَمَّا رَأَيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدُرُ بِي وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الأَنَابِيبِ (١)

فُتْنَ المَهَالِكَ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا مَاذَا لَقِينَا مِنَ الجُرْدِ السَّرَاحِيبِ (٢)

تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ (٣)

يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَيْ مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبِ (٤)

(١) يقول : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدر بي — يريد الناس — وفت لي بحملها اياى عن موطن الغدر إلى كافور وكذلك وفت لي الرماح لانى استظهرت بها على الوصول الى مصر . فصم الانابيب الرماح والصم الصلاب والانابيب جمع أنبوب وهو ما بين العقدتين من الرمح وما شاكله

(٢) يقول : ان المفاوز ضجت من سرعة خيلي ونجاتها وقوتها، أى أن خيلنا قطعت المفاوز وفاتتها حتى لو كان لها — أي للمفاوز — قائل لقال ماذا لقينا من هـذه الخيل اذ جابتنا بسرعة وذللت الصعب منا ونجت من عوائلنا ، فالمراد بالمهالك المفاوز والجرد القصيرة الشعر وذلك يحمد في الخيل والسراحيب جمع سرحوب وهو الفرس الطويل

(٣) تهوى أى تسرع وقوله بمنجرد يعنى نفسه والمنجرد الجاد في الامور الماضى فيها لا يرده شيء وقوله ليست مذاهبه أى ليست رحلاته للبس ثوب الخ يقول : ان هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلابا لنيل كسوة أو طعام وانما طلبته المعالى . وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي — وَلَمْ أَطْلُبْ — قَلِيلٌ مِنَ المَالِ

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

وقال حاتم الطائى

لَحَا اللهُ صُعْلُوكًا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنَ الدهرِ أَنْ يَلْقَى لبوسًا وَمَطْعَمَا

وقال آخر

وليس فتى الفِتْيَانِ مَن راح واغْتَدَى لِشُرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشُرْبِ غَبُوقِ

ولكن فتى الفتيانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

(٤) السلب الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة يقول : انه لطموحه وبعد همته يطمع فى ادراك النجوم فهو ينظر اليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه شأن المسلوب لا تطيب نفسه أو يرجع اليه

حتَّى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غيرِ مَحْجُوبِ (١)

فى جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِى الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ

خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِيبِ (٢)

فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِلْقَنَا وَلِإِدْلَاجِى وَتَأْوِيبِى (٣)

وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَغْنَكَ بِى يَا كُلَّ مَطْلُوبِى

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِى بِتَسْمِيَةٍ

فى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ (٤)

ما سلب منه (١) يقول : حتى وصلت الى ملك محجب — لان الملوك محجبون لايبتذلون أنفسهم للناس — بيد أنه وان كان محجبا فان نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه. وما أبدع قول أبى تمام

لَيْسَ الحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِى أَمَلاً إنَّ السماءَ تُرَجَّى حينَ تَحْتَجِبُ

وقبله يقول مسلم :

كذلكَ الغَيْثُ يُرْجَى فى تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسفِرًا عَنْ وَابِلِ المطَرِ

(٢) فى جسم صفة لنفس فى البيت السابق أو حال منها ، والاروع هنا الشهم الذكى الفؤاد والخلائق الاخلاق يقول : انه اذا نظر الى أخلاق الناس وما هى عليه من الخسة والدناءة ضحك منها هزؤا واستصغاراً لانه أسمى منهم نفسا وعقلا

(٣) له أى لكافور ولها أى للخيل والادلاج سير أول الليل والتأويب سير عامة النهار يقول : انى أحمدك وأحمد خيلى ورماحى وادلاجى وتأويبى اذ بلغتنى اليك كما ذكر فى البيت التالى (٤) الغانى المستغنى يقول : أنت مشهور الاسم اذا ذكر اسمك عرفت به فلم يحتج معه الى وصف أو ذكر لقب ،وهذا كما يروى أن رؤبة بن العجاج أتى البكرى النسابة فقال من أنت ؟ قال أنا رؤبة بن العجاج فقال قصرت وعرفت فقال رؤبة يفتخر بذلك

وقد رفع العجَّاجُ بِاسْمِى فَادْعُنى باسمى إذا الأنسابُ طالتْ يكْفِنِى

أَنْتَ الحبيبُ وَلـكِنِّي أَعُوذُ بِهِ   مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِباًّ غيرَ مَحْبُوبِ (١)

وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة*

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ   وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ (٢)

أَمَا تَغْلطُ الأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى   بَغِيضاً تُنَائِي أَوْ حَبِيباً تُقَرِّبُ (٣)

(١) يقول : انى أحبك وأنت حبيب الى وإنى أعوذ بك من أن لا تحبنى ، لأن من نكد الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِـ   ـبَّ وَلاَ يُحِبَّكَ مَن تُحِبُّهُ

* قالوا ان كافورا كان قد تقدم الى الحجاب وأصحاب الاخبار فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد ، وينفذ اليه قوما يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن المتنبي لا يثق بكلام سمعه حمل اليه ستمائة دينار ذهبا فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها (٢) يقول : ان بيني وبين الشوق مغالبة لاجلك والغلبة للشوق اذ هو يغلب صبرى ، وأنى أعجب من هذا الهجر لتراخيه وطوله على أن الوصل لو وافقنا كان أعجب منه لان من شيم الايام التفريق (٣) يقول : ان الدهر مولع بتقريب من أبغضه وابعاد من أحبه ، أولا يغلط مرة فيبعد البغيض ويدنى الحبيب ؟ وجعل ذلك غلطا من الدهر لانه خلاف ما يأتى به الدهر وأصل هذا المعنى من قول مضرس

لَعَمْرُكَ إِنِّي بالخليلِ الذى لهُ   عَلَيَّ دلالٌ وَاجِبٌ لَمُفَجَّعُ

وإِنِّيَ بالمَوْلَى الذى ليسَ نافعي   وَلا ضَائِرِي فُقدانُه لُمَتَّعُ

ويقول الطرماح

يُفرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِماعَه   وَيَجْمَعُ مِنَّا الدَّهْرُ بين الضَّغائن

ويقول الآخر :

عجِبْتُ لِتَطْوِيحِ النَّوَى مَنْ أُحِبُّهُ   وإدناءِ مَنْ لاَ يُسْتَلَذُّ له قُرْبُ

وقال المحدث

ومَنْ أَهْواهُ يُبْغِضُني عِناداً   ومن أَشْنَاهُ شِصٌّ فى لَهَاتِي

وَلِلّهِ سَيْرِى مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً عَشِيَّةَ شَرْقِىَّ الْحَدَالَى وَغُرَّبُ (١)
عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِى مَنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِى أَتجَنَّبُ (٢)
وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ (٣)
وَقَاكَ رَدَى الأَعْدَاءِ تَسْرِى إِلَيْهِمِ وَزَارَكَ فِيهِ ذُوالدَّلَالِ الْمُحَجَّبُ (٤)
وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ (٥)
وَعَيْنِي إِلَى أُذْنَىْ أَغَرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ (٦)

(١) التئية التلبث والتمكث قال الشاعر

قِفْ بِالدِّيَارِ وُقُوفَ زَائِرْ وَتَأَىَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرْ

والحدالى موضع بالشام وغرب جبل هناك معروف والحدالى مبتدأ وشرقى ظرف خبره وأصله شرقي بثلاث ياءآت فحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتعجب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيرى وأقل لبثه عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرقى يعنى عند رحيله من حلب (٢) يريد بأحفى الناس سيف الدولة . وعشية بدل من عشية فى البيت السابق ، وأحفى أفعل تفضيل من حفى به حفاوة اذا بالغ في إكرامه والطافه يقول : ان سيف الدولة كان أحفى الناس بى فجفوته وغادرته وكانت أهدى طريقى هى التى أعود فيها اليه فعدلت عنها الى مصر (٣) المانوية أصحاب مانى القائل بالنور والظلمة وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر اليها كاذبون وليس الامر على مازعموا وقد بين تلك النعمة فى البيت التالى (٤) يقول : ان ظلام الليل وقاك غائلة الاعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلا فلا يبصرونك وزارك فيه المحبوب آمنا لم يخش الرقيب اذ حجبه عن عيونه . فالردى الهلاك والسرى السير ليلا ثم ذكر شر النور فى البيت التالى

(٥) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفا من الاعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من الكمين وآمن على نفسى . فالواو واو رب وكمنته أى كمنت فيه وايان بمعنى متى (٦) يقول : انه كان فى مسيره يراعى اذنى فرسه يحفظ نفسه بهما وذلك أن الفرس إذا أحس شيأ من بعيد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيأ . ثم وصف فرسه فقال : كأنه فى سواده قطعة من الليل وكان الغرة

لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِى إِهَابِهِ تَجِىءُ على صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ (١)
شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُدْنِى عِنَانَهُ فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ (٢)
وَأَصْرَعُ أَىَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ (٣)
وَمَا الْخَيْلُ إِلاَّ كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ فى عَيْنِ مَنْ لاَ يُجَرِّبُ (٤)
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ (٥)
لَحَا اللهُ ذِى الدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ (٦)

فى وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه وهذا من قول ا دواد

وَلَها جَبهَةٌ تلألأُ كالشِّعْـ ـرَى أَضَاءَتْ وغُمَّ عَنها النجومُ

والغرة البياض في جبهة الفرس

(١) الاهاب الجلد والرحيب الواسع يقول : ان هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الاهاب ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى اذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيراً وكذلك اذا كان ضيق الجلد ضاق عن مد يديه ولهذا ترى الحمار يضيق اهابه عن مد يديه واذن فى أهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجىء وتذهب على صدره الرحيب (٢) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فاذا أدنيت لجامه إلى يجذبه وثب وطغى مرحا ونشاطا واذا أرخيت لجامه لعب برأسه (٣) قفيته اتبعته يقول : اذا طردت به وحشا لحقه فصرعته — قتلته — واذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لغب ولم ينقص من نشاطه شىء كما قال ابن المعتز

تخالُ آخِرَهُ فى الشدِّ أَوَّلَهُ وفيهِ عَدْوٌ وراءَ السَّبْقِ مَذْخورُ

(٤) يقول : ان الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة فى عين من لم يجرب فبالتجربة تعرف الكوادن من السوابق كما أن الصديق يعرف بالتجربة ما عنده من صدق الود أو مذقه، وحاصل المعنى أن الجياد من الخيل قليلة كما أن الصديق الذى يستحق الصداقة قليل (٥) الشيات الالوان يقول : ان مزايا الخيل فيما وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها فانك لم تر منها الا حسن ألوانها وأعضائها فانك لم تر حسنها ومزاياها (٦) لحاه الله دعاء عليه اى قبحه ولعنه وأصله من لحوت العود اذا

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلاَ أَشْتَكِي فِيهَا وَلاَ أَتَعَتَّبُ (١)

وَبِي مَا يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّي أَقَلُّهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ قُلَّبُ (٢)

وَأَخْلاَقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدْحَهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ (٣)

إِذَا تَرَكَ الإِنْسَانُ أَهْلاً وَرَاءَهُ وَيَمَّمَ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ (٤)

فَتًى يَمْلأُ الأَفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً وَنَادِرَةً أَحْيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ (٥)

قشرته ومناخا نصب على التمييز ، يذم الدنيا ويدعو عليها، يقول : بئس المنزل الدنيا فان من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها...

(١) يقول : ليتني أعلم هل تخلو لى قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغنى المراد وأنال منه ما أطلب فأترك الشكاية (٢) يذود يدفع ويطرد وأقله فاعل يذود وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الامور يقول : ان بى من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أقله يمنع الشعر ويلهى الخاطر عنه ولكن قلبى حسن التقليب للامور فلا يضيق بنوازل الدهر ولا تخمد معها خطراته ، وقوله يابنة القوم فان العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهم وانما قال يابنة القوم اشارة الى كثرة أهلها وقال ابن جنى: هو كناية عن قولهم يابنة الكرام

(٣) يقول : أن خلائق كافور من الظهور والنباهة بحيث تنبىء عنه فما هو الا أن تملى على فأكتب ولا احتاج الى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت اذ لم آت بشىء من عندى وانما هى أخلاقه تملى على (٤) يقول : اذا اغترب الانسان وفارق أهله وصمد الى كافور انسه بعطاياه وتفقده اياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم وفى هذا المعنى يقول الاول

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا غَرِيبًا عَنِ الأَوْطَانِ فِى زَمَنِ الْمَحْلِ

فما زالَ بِى إِكْرَامُهم وافتقادُهم وإلطافهم حتى حَسِبْتُهُم أَهْلِى

ويقول أبو تمام

هُمُ رَهْطُ مَنْ أَمْسَى بَعِيدًا رَهْطُهُ وبنو أبى رَجُل بِغَيرِ بَنِى أَبِ

(٥) يقول : ان أفعاله مفعمة عقلا وحكمة ونوادر غريبة ترى ذلك له فى حالى رضاه

إِذَا ضَرَبَتْ فِى الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفُّهُ
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ (١)

تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضُبُ (٢)

أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِى الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ فَإِنِّى أُغَنِّى مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ (٣)

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّىْ زَمَانِنَا وَنَفْسِى عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ (٤)

إِذَا لَمْ تَنُطْ بِى ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِى وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ (٥)

يُضَاحِكُ فِى ذَا الْعِيدِ كُلٌّ حَبِيبَهُ حِذَائِى وَأَبْكِى مَنْ أُحِبُّ وَأَنْدُبُ (٦)

وغضبه لايخلو منها فى حال . والنادرة الشىء النادر الغريب ، ورواها ابن جنى بادرة أى بديهة (١) يقول : اذا نظرت الى أثر سيفه فى الحرب علمت أن سيفه انما يستظهر بكفه على القطع لا أن كفه يستظهر بالسيف لان السيف الماضى فى يد الضعيف لايؤثر شيأ كما قال البحترى

فلا تُغْلِيَنْ بالسَّيْفِ كلَّ غلاَيةٍ ليمضى فإنَّ الكفَ ـ لا السيفَ ـ يقطع

(٢) يقول : أن جوده أفضل من جود السحاب لان عطاياه اذا مكثت عندك لم تنضب لانه يعطى الجزيل الذى لاينفد أو لانه يوالى هباته ويمدها بغيرها أما ماء السحاب فهو اذا مكث فى الارض وأقام حينا نضب وذهب فى الارض وجف مكانه

(٣) يعرض المتنبى بتقاضى ما يؤمل يقول : انى أغنى منذ حين ، أى اطربك بمديحى وأنت تشرب على غنائى ، أى تلتذ سماع مديحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل فى الكأس فضلة أشربها؟ أى هلا أعطيتنى مايتوقعه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية كما صرح بذلك بعد (٤) يقول : انك اذ تعطينى تعطينى على مايليق بالزمان وانا انما أطلب ما توجبه همتك ويقتضيه كرمك (٥) ناط به كذا أسنده اليه والضيعة ما نسميه الآن « عزبة » يقول : اذا لم تقطعنى ضيعة أو تفوض الى ولاية فان ما تكسونى اياه بجودك أى ما يحدثه جودك من الآمال تسلبنى اياه باشتغالك عنى (٦) يقول : أرى كل الناس فى هذا العيد فرحين مبتهجين يضاحكون من يحبون أمامى أما أنا فعلى العكس منهم أبكى من أحب وأندبه ــ كما يندب الميت ــ لانه بعيد عنى ، يقصد المتنبى أن يغرى

أَحِنُّ إلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ ... وَأَيْنَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ (١)

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إلاَّ أَبُو المِسْكِ أَوْهُمُ ... فَإِنَّكَ أَحْلَى فِي فُؤَادِي وَأَعْذَبُ (٢)

وَكُلُّ امْرِئٍ يُولِي الجَمِيلَ مُحَبَّبٌ ... وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ (٣)

يُرِيدُ بِكَ الحُسَّادُ مَا اللهُ دَافِعٌ ... وَسُمْرُ العَوَالِي وَالحَدِيدُ المُذَرَّبُ (٤)

الاسود باعطائه ما يطلب لقاء هذه الاٴلاقى التى يلاقيها من جراء اغترابه

(١) العنقاء المغرب قيل العقاب وقيل طائر ضخم ليس بالعقاب وقيل كلمة لا أصل لها كالغول وقال ابن الكلبي : كان لاهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمخ مصعده فى السماء ميل فكان ينتابه طائرة كأعظم مايكون، لها عنق طويل وكانت تقع منقضة فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغربا لانها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية « وليدة » ترعرعت وضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم فدعا عليها فسلط الله عليها آفة فهلكت فضربتها العرب مثلا فى أشعارها يقولون ألوت به العنقاء المغرب وطارت به العنقاء يريدون هلاكه أو ذهوبه الى حيث لا يرجع قال

ولولا سليمان الخليفةُ حلّقت ... به من يد الحجّاج عنقاء مُغْرِبُ

ومغرب من أغرب فى البلاد ذهب وأبعد . يذكر المتنبي تشوقه الى أهله وبعد ما بينه وبينهم بحيث لا يرجو لقاءهم (٢) يقول: انى أؤثر لقاءك على لقائهم حين لا يتيسر لقاؤكما معا لانك أحب الى منهم (٣) تقول أولاه جميلا صنعه اليه يقول : انما أحببتك واثرتك على أهلي لما أسديت الى من الجميل ، وطابت لى الاقامة بساحتك لما لقيت فيها من العز كما قال البحترى

وأحَبُّ أوطان البلادِ إلى الفتَى ... أرْضٌ يُنالُ بها كريمَ المَطْلبِ

(٤) والحديد المذرب — أى المحدد ومنه لسان ذرب أى حاد — يريد السيوف يقول : ان الحساد يريدون بك السوء فلا ينالون ما يبتغون لان الله يدفعه عنك ثم الرماح والسيوف

وَدُونَ الّذِى يَبغُونَ مَا لَوْ تَخلّصُوا
إِلَى المَوْتِ مِنهُ عِشْتَ وَالطِّفْلُ أشيبُ (١)

إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أُعطُوا وَحُكِّمُوا
وَإِنْ طَلَبُوا الفَضْلَ الّذِى فِيكَ خُيِّبُوا (٢)

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْوُوا عُلاكَ وَهَبْتَها   وَلَكِنْ مِنَ الأَشْيَاءِ مَالَيْسَ يُوهَبُ (٣)

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا   لِمَنْ بَاتَ فِى نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ (٤)

وَأَنْتَ الّذِى رَبَّيْتَ ذَا المُلْكِ مُرْضَعًا   وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبُ (٥)

(١) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون ــ من التياث الأمر عليك ــ أهوال أى أهوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ولو هم تخلصوا منها إلى الموت لبقيت أنت وشابت أطفالهم لشدة ما يقاسون ، وقد روى الجماعة بدل إلى الموت إلى الشيب وذهبوا فى التأويل مذاهب لاضرورة لذكرها

(٢) يقول : إذا طلبوا عطاياك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل ما يقترحون،أما اذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى اتاكه الله فانهم لايدركونه لانه لاينال بالاكتساب وإنما ذلك شىء آثرك الله به (٣) يقول : لست تؤتى من بخل وشح فلو كانت العلى توهب لوهبتها ولكنها لاتوهب.والاصل فى هذا المعنى قول الأول

وإن يَقْتَسِمْ مالِى بَنِىَّ وَنِسْوَتى   فلن يَقسِموا خُلْقى الكريمَ ولا فضلى

ولله قول أبى تمام :

فانْفَحْ لنا من طِيبِ خِيمِكَ نفحَةً   إن كانتِ الأخلاقُ مِمَّا يُوهَبُ

(٤) يقول : ان هؤلاء الحاسدين يتقلبون فى نعمائك فما كان ينبغى لهم أن يحسدوك لان أشد الظالمين ظلما من تقلب فى نعمة انسان ثم بات يحسده على تلك النعمة

(٥) ذو الملك هو على بن الاخشيد صاحب مصر الذى رباه كافور بعد أبيه يقول: أنت الذى ربيته وقت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مرضع فكنت له أبا وكنت له أما

وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ ... وَمَالَكَ إِلاَّ الْهِنْدُوَانِيَّ مِخْلَبُ (١)

لَقِيتَ الْقَنَا عنهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ ... إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ (٢)

وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لا تَهَابُهُ ... وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ (٣)

وَمَا عَدِمَ اللاَّقُوكَ بَأْساً وَشِدَّةً ... وَلَكِنَّ مَنْ لاَقَوْا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ (٤)

ثَنَاهُمْ وَبَرْقُ الْبِيضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ
عَلَيْهِمْ وَبَرْقُ الْبَيْضِ فِي الْبِيضِ خُلَّبُ (٥)

سَلَلْتَ سُيُوفاً عَلَّمَتْ كُلَّ خَاطِبٍ ... عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ (٦)

---

(١) يقول : وكنت لذى الملك كالاسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذى هو لك بمنزلة المخلب للاسد يحمى أشباله به. والعرين الاجمة والشبل ولد الاسد والهندوانى السيف الهندى والمخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .

(٢) يقول : ذدت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه حمية له وحفاظا وكرما لانك من الشجاعة والاباء بحيث تهرب فى الحرب من العار الى الموت أى تلقى بنفسك الى التهلكة وتعتام « تختار » ذلك على الهزيمة . فالقنا الرماح والهيجا الحرب تمد وتقصر

(٣) يقول : ان الموت قد يترك الشجاع المقدام الذى لايهابه ولا يباليه ويلقى بنفسه الى التهلكة، وقديدرك الجبان الهيابة الذى يهاب الموت ويخشاه . ويخترم أى يهلك

(٤) يقول : وان الذين يلاقونك فى الحرب لم يعدموا بأسا وشدة ،أى هم شجعان أشداء بيد أنك ومن معك أشد منهم وأنجب ومن ثم تبطش بهم. ومثل هـذا لزفر ابن الحارث

سقيناهُمُ كأساً سقَوْنا بمثلِها ... ولكنَّهُمْ كانوا على المَوْتِ أصبرَا

(٥) البيض بالكسر السيوف وبالفتح جمع بيضة وهى الخوذة من حديد يقول :لقد هزمتهم وصرفتهم عنك وسيوفك تقرع خوذهم فكان لكل من السيوف والخوذ برق فى الآخر غير أن برق السيوف فى الخوذ صادق لانه يعقبه سيلان الدم ، أما برق الخوذ فى السيوف فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر (٦) قال ابن جني يقول : لما رأى الناس ما صنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ ... إِلَيْكَ تَنَاهَى المَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ (١)

وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ ... مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانٍ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ (٢)

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً ... لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ (٣)

وَتَعْذُلُنِي فِيكَ القَوَافِي وَهِمَّتِي ... كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ (٤)

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ ... أُفَتِّشُ عَنْ هَذَا الكَلَامِ وَيُنْهَبُ (٥)

رغبة ورهبة . والعود هنا المنبر (١) تناهى بحذف احدى التاءين أى تتناهى يقول : أنك في غنى عن الانساب التى يذكرها النسابون لغيرك لان المكرمات تتناهي اليك وتعزى — اذ كنت أصلا لها — اليك وحسبك هذا شرفا يقيك محوده عن النسب وليلحظ أن فى هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصودا للمتنبى الداهية وقد يكون غير مقصود ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ولا سيما الملوك لأنه أشبه بنفى النسب عنه . على أن هذا المعنى ينظر الى قول ابن أبى طاهر

خلائقه للمكرمات مناسبٌ ... تناهى إليها كلُّ مجدٍ مؤثَّلِ

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب اليه لانك فوق كل أحد قال التبريزى : هذا سخرية منه ، وقد كان المتنبى يقول لو قلبت مدحى فيه كان هجاء

(٣) فأطرب عطف على أرجو يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لأنى كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به لانه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الانسان على رؤية القرد وكل ما يستملح ويضحك منه . . . قال ابن جنى : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على أن جعلت الرجل أبا زنة — وهى كنية القرد — فضحك (٤) يقول : إن شعرى وهمتى يلومانى على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى عليك فكأنى أذنبت بمدحى غيرك فكنت أهلا لان ألام. وهذا المعنى من قول أبى تمام

وهل كنتُ إلاّ مُذْنِباً يومَ أنتحِي ... سواكَ بآمالي فجئتُكَ تائباً

(٥) يقول: ولكنه طال طريقى اليك فجبت كثيراً من البلدان حتى وصلت اليك وكنت فى غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس فكان شعرى لذلك كأنه ينهب نهبا، يعتذر المتنبى إلى كافور عن مدح غيره

فَشَرَّقَ حَتّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبُ (١)

إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ جِدَارٌ مُعَلًّى أَوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ (٢)

وقال يمدحه وأنشده اياها فى شوال سنة تسع وأربعين

وثلاثمائة وهى آخر ما أنشده ولم يلقه بعدها

مُنًى كُنَّ لِى أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ (٣)

لَيَالِىَ عِنْدَ الْبِيضِ فَوْدَاىَ فِتْنَةٌ وَفَخْرٌ وَذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِى عَابُ (٤)

فَكَيْفَ أَذُمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِى وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ (٥)

---

(١) يقول : فشرق كلامى حتى بلغ أقصى الشرق حيث لامشرق وراء ذلك وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب. وهذا من قول أبى تمام

فغَرَّبْتُ حتَّى لم أجِدْ ذِكْرَ مَشْرِق وشَرَّقتُ حَتّى نَسِيتُ المغاربا

(٢) يقول : اذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى ماوراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالاطناب، يريد أن شعره قد عم الارض حتى شمل الحضر سكان المدر والبدو سكان الوبر وهذا كقوله

قَوَافٍ إذَا سِرْنَ مِنْ مِقْوَلِى وثَبْنَ الجبالَ وَخُضْنَ البحارا

(٣) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ومنى خبر مقدم وكن لى وصف لمنى والمنى جمع أمنية والقرون ضفائر الشعر يقول : ان مشيبى هـذا وكون البياض خضابا لى يخفى به سواد شعرى منى كانت لى قديما . يعنى أنه كان يتمنى الشيب من قديم ليخفى شبابه بابيضاض شعره (٤) البيض النساء والفودان جانبا الرأس والعاب هو العيب يقول : ان تمنى المشيب كان فى الليالى التى كان شعرى فيها لدى النساء فتنة لحسنه وسواده ، وكن يفخرن بوصلى بيد أن ذلك الفخر عيب عندى لانى ممن يعف عن النساء ويرغب عن وصالهن

والشَّيْبُ أَوْقَرُ والشَّبيبَةُ أَنْزَقُ

(٥) يقول : فكيف أذم المشيب اليوم ، وقد كنت أتمناه وأشتهيه ؟ وكيف أدعو

جلَا اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ ... كَما انْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ (١)

وَفِى الْجِسْمِ نَفْسٌ لاَ تَشِيبُ بِشَيْبِهِ ... وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ (٢)

لَهَا ظُفُرٌ إِنْ كَلَّ ظُفْرٌ أُعِدُّهُ ... وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِى الْفَمِ نَابُ (٣)

يُغَيِّرُ مِنِّى الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا ... وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمْرِ وَهْىَ كَعَابُ (٤)

وَإِنِّى لَنَجْمٌ تَهْتَدِى بِى صُحْبَتِى ... إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ (٥)

غَنِىٌّ عَنِ الأَوْطَانِ لاَ يَسْتَفِزُّنِى ... إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابُ (٦)

وَعَنْ ذَمَلاَنِ العِيسِ إِنْ سَامَحَتْ بِهِ ... وَإِلاَّ فَفِى أَكْوَارِهِنَّ عُقَابُ (٧)

ما اذا أجبت اليه شكوته، يعنى لاينبغى أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء. وقد سمت فى هذا سمت ابن الرومى فى قوله

هِىَ الأَعيُنُ النجلُ التى كنتَ تَشْتَكِى ... مَوَاقِعَهَا فِى الْقَلْبِ وَالرَّأْسُ أَسْوَدُ

فَمَالَكَ تَأْسَى الآنَ لَمَّا رَأَيْتَهَا ... وقد جعلَتْ مَرْمًى سواكَ تَعَمَّدُ

(١) جلا زال وانكشف من قولهم جلا القوم عن منازلهم اذا ارتحلوا ، وانجاب انكشف يقول : إن بياض الشيب كان كأنه كامن فى السواد فلما زال السواد عنه بدا وانكشف فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير كالنهار اذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك فى ضوئه

(٢) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته وما فيه من معانى الفعال الصالح لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ولو أن الشعرات البيض فى وجهه كانت حرابا (٣) يقول : ان كل ظفرى ولم يبق فى فمى ناب من الكبر لا يكل ظفر همتى ولايذهب نابها (٤) الكعاب الجارية يبدو ثديها للنهود يقول : ان نفسى شابة أبدا لا يغيرها الدهر وإن تغير جسمى (٥) يقول : اذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بى أصحابى وكنت لهم كالنجم الذى يهتدى به، يريد أنه خريت خبير بالفلوات (٦) يستفزنى يستخفنى يقول : انى غير مولع بالاوطان وجميع البلاد عندى سواء فاذا غادرت وطنا لم يستخفنى حب الرجوع اليه

(٧) الذملان ضرب من السير والعيس الابل وقوله ان سامحت به كلام مستأنف

وَأَصْدَى فَلاَ أُبْدِي إِلى المَاءِ حَاجَةً ۝ وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ اليَعْمَلاَتِ لُعَابُ (١)

وَلِلسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لاَ يَنَالُهُ ۝ نَدِيمٌ وَلاَ يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ (٢)

وَلِلْخَوْدِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا ۝ فَلاَةٌ إِلى غَيْرِ اللِّقَاءِ تُجَابُ (٣)

وَمَا الْعِشْقُ إِلاَّ غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ ۝ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ (٤)

وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره سرت عليها والأكوار جمع كور وهو الرحل والعقاب الطائر المعروف يقول: وأنا غنى كذلك عن سير الابل فان سمحت به سرت عليها وإلا فانى كالعقاب أجوب الفيافى دون أن أحتاج إلى ما يحملنى

(١) اليعملات النياق النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل ولعاب الشمس ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه يقول : واعطش فى الفيافى الحارة التى يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الابل فلا أبدى حاجتى إلى الماء تصبراوتجلدا وحزما : وهذامن قول أبى تمام

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفَ شَزْرًا ۝ إلى بعض الموارِدِ وَهْوَ صادى

(٢) النديم الذى ينادمك ويجالسك على الشراب يقول : إنه كتوم للاسرار يضع السر حيث لايطلع عليه النديم ولا يصل اليه الشراب مع تغلغله فى البدن كما قال الآخر

يظلون شتَّى فى البلادِ وسِرُّهُمْ ۝ إلى صَخْرَةٍ أعْيَا الرِّجَالَ انْصِداعها

وقد نظر المتنبى فى هذا البيت إلى قول القائل

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فى فُؤادى ۝ فَبَادِيهِ مَعَ الخَافى يَسيرُ

تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ ۝ وَلا حُزْنٌ ولَم يبلُغْ سُرورُ

(٣) الخود من النساء الشابة الناعمة . وتجاب تقطع يقول : انما أصحب المرأة قدراً يسيراً ثم أسافر عنها فيكون بينى وبينها فلاة أقطعها إلى غير لقائها (٧) الغرة الغرور يقول : ان عشق النساء غرور بهن وطمع فى وصلهن اذا وقعا فى قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به ويروى فتصاب بضمير النفس فيكون المعنى : ان دواعي العشق تقع أولا فى القلب ثم تنقاد النفس لهوى القلب لانه يستهويها ويغلبها على رشدها

وَغَيْرُ فُؤَادِي لِلْغَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ (١)

تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِعَابُ (٢)

نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ قَدِ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ (٣)

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ (٤)

وَبَحْرٌ أَبُو الْمِسْكِ الْخِضَمُّ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبَابُ (٥)

---

(١) الغواني الحسان . والرمية الطريدة التي ترمى يقول : ان قلبي لا تصيبه النساء بسهام الحاظهن اذ لا أصبو اليهن وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الخمر ومعاقرتها فبناني ليست مطايا للزجاج أي لا أحمل كأس الخمر بيدي ويروى للرخاخ جمع رخ فيكون المعنى ولست ممن يلعب الشطرنج (٢) اللعاب الملاعبة يقول تركنا شهواتنا للرماح أي لا لذة لنا إلا فيها،يريد أنه فطم نفسه عن الملاهي وقصرها على الجد في طعان الاعداء

(٣) نصرفه أي القنا والحوادر الخيل الغلاظ السمان وتروى خوادر بالخاء المعجمة أي كأنها أصابها الخدر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حواذر بالحاء المهملة والذال المعجمة يعني خيلا تحذر الطعن لانها معودة ومن ثم تميل عنه والكعاب العقد بين أنابيب الرمح يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كعاب من القنا وهذا من قول الجاهلي

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَّسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا

(٤) الدنى جمع دنيا والسابح الفرس السريع الجرى يقول : ان سرج الفرس هو أعز مكان لانه يمتطى لطلب المعالي أو محاربة الاعداء لدفع شرهم أو للهرب من الضيم واحتمال الذل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر ، ولا يحتاج في مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آدابه وكل ما يحتويه ولله قول القائل

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسَا

(٥) بحر خبر مقدم وأبو المسك مبتدا مؤخر والخضم صفة له والخضم الكثير الماء وزخر البحر طمى وامتد والعباب كثرة الموج وارتفاعه يقول : وأبو المسك الخضم

تَجَاوَزَ قدْرَ المَدْحِ حَتَّى كأَنَّهُ ... بأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَليْهِ يُعَابُ (١)

وَغَالَبَهُ الأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَوْا لَهُ ... كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ (٢)

وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى أَبَا المِسْكِ بِذْلَةً ... إِذَا لَمْ تَصُنْ إِلاَّ الحَدِيدَ ثِيَابُ (٣)

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ ... رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالأَمَامَ ضِرَابُ (٤)

وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى ... قَضَاءً مُلُوكُ الأَرْضِ مِنْهُ غِضَابُ (٥)

بحر يربى على كل بحر جودا وعطاء. وروى ابن جنى وبحر بالجر عطفا على جليس أى وخير بحر أبو المسك (١) يقول: هو فوق كل مدح يثنى عليه به فاذا بالغت فى حسن الثناء عليه استحق قدره فوق ذلك فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه، وهذا كقول البحترى

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ المَدِيحِ فَقَدْ كَا ... دَ يَكُونُ المَدِيحُ فِيهِ هِجَاءَ

(٢) عنوا خضعوا وذلوا يقول: وحاول الاعداء غلابه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا كالرقاب اذا غالبت السيوف آضت مغلوبة (٣) بذلة تمييز اسم من الابتذال وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول: وأكثر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الابدان شىء من الثياب إلا الحديد أى ابان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه، يعنى أنه لشجاعته واقدامه لا يتوقى الحرب بالدرع والحديد. فالحديد مستثنى مقدم من الثياب. وهذا كما قال الاعشى

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهْبَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا

كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ ... بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا

(٤) يقول: وأوسع ما يكون صدرا اذا حمى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب. فقوله وأوسع مبتدأ وقوله وخلفه رماء جملة حالية قامت مقام خبر أوسع. والرماء الرمى والضراب الضرب ولكنهما تدلان على المفاعلة (٥) يقول: إذا أراد أمراً لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرون على خلافه وقد استقادوا له أى أعطوه مقادتهم فهما أبرم أمراً نفذ وأن غاضبهم فيه

يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ ... وَلَوْ لَمْ يَقُدْهَا نَائِلٌ وَعِقَابُ (١)

أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ ... وَكَمْ أُسْدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ (٢)

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ ... وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ (٣)

لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ ... وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابٌ وَطَالَ عِتَابُ (٤)

وَقَدْ تُحْدِثُ الأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً ... وَتَنْعَمِرُ الأَوْقَاتُ وَهِيَ يَبَابُ (٥)

---

(١) يقول : لو لم يطعه الناس رغبة فى عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالا لما اختصه الله به من الفضل (٢) يقول : أنت أشد قوة وبطشا وهمتك همة الأسود — والأسد موصوف بعلو الهمة فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر

وَكَانُوا كَأَنْفِ اللَّيْثِ لا شَمَّ مَرْغَماً ... وَلاَ نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى يُعَفِّرَا (١)

وقد قال أبو تمام

إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

ثم قال المتنبي — وأراد ما عداه من الملوك — : وكم من أسد دنىء النفس ساقط الهمة أى كم من ملك يشبه الأسد فى قوة بطشه ولكن روحه روح كلب

(٣) يقول : ان الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترىء على أن ينقصك حقك ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك يعني : لا تجحفك الأيام شيأ لمنعتك (٤) يلطه يجحده ويمطل به وأعتبه أزال عتبه أى أرضاه يقول : لنا عند الدهر حق يجحده ويماطل فى قضائه وقد طال عتابنا له فلم يزل عتبنا أى لم يرضنا بقضاء الحق

(٥) الشيمة العادة والخلق وتنعمر مطاوع عمرت المكان اذا صيرته عامرا آهلا واليباب الخالى ليس به أحد . يقول: أن الايام قد تغيرت شيمتها لديك إذ أنها ترضى المعاتب وتسالم أهل الفضل فلا يلحقهم منها سوء لنزولهم فى كنفك وجوارك وهذا خلاف عادتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والاوقات تصير عامرة لهم بأن يدركوا مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسعف ، يعني ان أظفرتنى الأيام بمطلوبى لديك فلا عجب فانها تحدث شيمة

---

(١) أى أنه لا يطعم إلا مما صاده بنفسه

وَلاَ مُلْكَ إِلاَّ أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ ... كأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهْوَ قِرَابُ (١)

أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً ... وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبِعَادِ يُشَابُ (٢)

وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا ... وَدُونَ الَّذِي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ (٣)

أُقِلُّ سَلاَمِي حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمُ ... وَأَسْكُتُ كَيْمَا لاَ يَكُونَ جَوَابُ (٤)

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ ... سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ (٥)

غير شيمتها مهابة لك واجلالا (١) يقول : انما الملك فى الحقيقة والواقع هو أنت لاذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته بعلو همتك وسداد رأيك فهو بالقياس اليك نافلة وفضلة وكأنه قراب وأنت فيه السيف والمزية كلها للسيف لا للقراب.ويروى بدل قوله كأنك سيف كأنك نصل (٢)و(٣) يشاب يمزج ويخاط يقول : أن عينى قريرة بقربك وأنا مبتهج بذلك لانى بلغت ما كنت أود من لقائك وان كان هذا القرب مشوبا بالبعاد لانى لم أنل منك ما كنت أرجوه من الصنيعة إلى ، وهل ينفعنى أن لاحجاب بيننا وما أرجيه منك محجوب عنى ؟ وهذا كلام بديع ــ يغزو المتنبى به وبما بعده الاشارة إلى ما يتوقعه من كافور من الحصول على ولاية من الولايات (٤) حب مفعول له كأنه قال لحب ما خف عنكم يقول : لأيثارى التخفيف عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الاجابة : هذا ولك أن تنصب يكون على أعمال كى وتكون ما زائدة وأن ترفعها على أنها لا تعمل وتكون ما مصدرية (٥) يقول : ان فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث تدركها دون أن أذكرها فسكوتى عنها يقوم مقام الافصاح عنها . وهذا كما يقول أمية بن أبى الصلت

أَأَذْكُرُ حاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حِبَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الحِبَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

ويقول أبو تمام

وَإِذَا الجودُ كانَ عَوْنِي عَلَى المَرْ ... ءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي

ويقول أبو بكر الخوارزمى

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حاجَةً ... فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ

وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ (١)

وَمَا شِئْتُ إِلاَّ أَنْ أَدُلَّ عَوَاذِلِي على أَنَّ رَأْيِي فِي هَوَاكَ صَوَابُ (٢)

وَأُعْلِمَ قَوْماً خَالَفُونِي فَشَرَّقُوا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا (٣)

جَرَى الْخُلْفُ إِلاَّ فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ وَأَنَّكَ لَيْثٌ وَالْمُلُوكُ ذِئَابُ (٤)

وَأَنَّكَ إِنْ قُويِسْتَ صَحَّفَ قَارِئٌ ذِئَاباً وَلَمْ يُخْطِئْ فَقَالَ ذُبَابُ (٥)

وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ (٦)

فَإِذَا رَآكَ مُسَلِّماً عَرَفَ الَّذِي حَمَّلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلْزُوم

(١) يريد أن يستدرك على نفسه. يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حبي اياك لأن الحب الذى يطلب عليه ثواب ضعيف. فقوله ضعيف خبر مقدم وهوى مبتدا مؤخر ثم ذكر السبب في البيت التالى (٢) يقول : وانما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللائى يلمننى على قصدى اليك أنى كنت مصيبا فى هواك وأنك تفضل على وتبلغنى ما أرجيه منك (٣) يقول : وأردت أن أعلم الذين خالفونى وصمدوا إلى غيرك من الملوك انى قد ظفرت بقصدي اليك وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك. وهذا كقول البحترى

وَأُشْهِدُ أَنِّي فِي اخْتِيَارِيكَ دُونَهُمْ مُؤَدًّى إِلَى حَظِّي وَمُتَّبِعٌ رُشْدِي

(٤) يقول : ان الخلاف جار فى كل شيء إلا فى أنك واحد ممتاز عن الاشكال ، وفى أنك أسد والملوك بالقياس اليك ذئاب. وهذا ينظر إلى قول أبى تمام

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُؤْدَدِه فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي الْأُمَّةِ اثْنَانِ

ويقول البحترى

وَأَرَى النَّاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى فَضْـ ـلِكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودِ

(٥) يقول : اذا صحف القارىء لدى هذه المقايسة لفظ الذئاب — المذكورة فى البيت السابق — فقال وأنك ليث والملوك ذباب لم يخطىء ولم يعد الصواب فى هذا التصحيف لأن من عداك من الملوك كذلك (٦) الكذاب الكذب يقال كذب كذبا وكذابا يقول : ان الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن بعضه يكون كذبا أما أنت

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ ... وَكُلُّ الَّذِى فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ

وَمَا كُنْتُ لَوْلاَ أَنْتَ إِلاَّ مُهَاجِرًا ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَابُ(١)

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَىَّ حَبِيبَةً ... فَمَا عَنْكَ لِى إِلاَّ إِلَيْكَ ذَهَابُ(٢)

ومرَّ فى صِباه برجلين قد قتلا جُرَذًا وأبرزاه

يُعَجِّبان الناسَ من كِبَرِه فقال

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرَذُ الْمُسْتَغِيرُ ... أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيعَ الْعَطَبْ(٣)

رَمَاهُ الْكِنَانِىُّ وَالْعَامِرِىُّ ... وَتَلاَّهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبْ(٤)

كِلاَ الرَّجُلَيْنِ اُتَّلاَ قَتْلَهُ ... فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلَبْ(٥)

فدحك الحق الصراح لا كذب فيه، وهذا كقول أبى تمام

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ فَلَمْ آثَمْ وَلَمْ أَتَحَوَّبِ

وَلَوِ امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِقْ عَنِّى لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ

(١) يقول: لولاك لسكان كل بلد بلدى وكل أهل أهلى أى لولاك لم أقم بمصر وكنت لا أزال مهاجرا فى الأرض انتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس لأن جميع البلاد وجميع الناس لدى سواء (٢) يقول: ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إلى والتى انصبت عليها آمالى فان حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهابا اليك وكذلك الدنيا من أراد السفر عنها سافر اليها اذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها. فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة وقوله فما عنك أى فالى ذهاب عنك إلا اليك (٣) الجرذ ضرب من الفأر والمستغير الذى يطلب الغارة على مافى البيوت وغيرها (٤) تلاه صرعاه يقول: رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر وصرعاه لوجهه كما تفعل العرب بالقتيل (٥) اتلا تولى وباشر وغل خان من الغلول الخيانة فى المغانم والسلب مايسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما اليهما وحره جيده يقول: لقد اشتركتما فى قتله فأيكما انفرد بجيد سلبه وخانه فى ذلك، وهذا كله من باب التهكم والسخرية

وأيُّكُمَا كانَ مِنْ خَلْفِهِ فإنَّ بهِ عَضَّةً فى الذَّنَبْ

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتبى *

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضُبَّهْ وَأُمَّهُ الطُّرْطُبَّهْ (١)

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاكُوا الأُمَّ غُلُبَّهْ (٢)

فَلاَ بِمَنْ مَاتَ فَخْرٌ وَلاَ بِمَنْ نِيكَ رَغْبَهْ (٣)

وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْـــتُ رَحْمَةً لاَ مَحَبَّهْ (٤)

وَحِيلَةً لَكَ حَتَّى عُذِرْتَ لَوْ كُنْتَ تِيبَهْ (٥)

* كان هذا ضبة فيمن كان مع الخارجى الذى نجم فى بنى كلاب ، وسبب هـذه الأبيات القبيحة أن قوما من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته ــ أم ضبة ــ وفسقوا بها وكان ضبة غدارا بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب فى جماعة من أشراف الكوفة فامتنع منهم وأقبل يجاهر بشتمهم فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبى إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر انشادها . . . أقول : ولولا أن يقال أننا تصرفنا فى الديوان وأن هذا الديوان أدركه الخداج إذ حذفنا منه بعض شعر المتنبى فيسيء الناس بنا الظن لما أثبتنا هذه الابيات التى ينبو بها السمع . . .

(١) يقول : ما أنصف القوم أباه وأمه اذ فعلوا بهما ما فعلوا ، والطرطبة القصيرة الضخمة (٢) يقال باك الحمار الأتان نزا عليها والغلبة المغالبة (٣) يقول : فلا فخر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضا عما فعل بها (٤) يقول : وانما قلت ما أنصفوك رحمة بك لما أصابك من الذل والعار لا محبة لك وغيرة عليك . وليلحظ أن ضبة هذا من الغباء بحيث لم ير المتنبى بدا من أن يسلك معه هذا المسلك فقد صرح باسمه . . . وأيضا كان يكفى أن يقول ما أنصف الناس ضبه وأمه الطرطبة ولا يقول بعد ذلك وانما قلت رحمة لا محبة .

(٥) تيبه بكسر التاء مضارع وبه بمعنى أبه وبالى واكترث وتروى لو كنت تنبه أى تفطن يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يعذرك الناس فيما ألم بك إذا سمعوا قولى هذا وعرفوا أنك مظلوم.

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ القَتـــلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَهْ (١)

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الغَدْ رِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّهْ (٢)

وَمَا عَلَيْكَ مِنَ العَا رِ إِنَّ أُمَّكَ قَحْبَهْ (٣)

وَمَا يَشُقُّ على الكَلـــبِ أَنْ يَكُونَ ابْنَ كَلْبَهْ

مَا ضَرَّهَا مَنْ أَتَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُلْبَهْ

وَلَمْ يَنِكْهَا وَلَـكِنْ عِجَانُهَا نَاكَ زُبَّهْ (٤)

يَلُومُ ضَبَّةَ قَوْمٌ وَلاَ يَلُومُونَ قَلْبَـهْ

وَقَلْبُـهُ يَتَشَهَّى وَيُلْزِمُ الجِسْمَ ذَنْبَهْ

لَوْ أَبْصَرَ الجِذْعَ شَيْئًا أَحَبَّ فِي الجِذْعِ صَلْبَهْ (٥)

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ نَفْسًا وَأَلْيَنَ النَّاسِ رُكْبَهْ (٦)

وَأَخْبَثَ النَّاسِ أَصْلًا فِي أَخْبَثِ الأَرْضِ تُرْبَهْ

وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمًّا تَبِيعُ أَلْفًا بِحَبَّهْ

كُلُّ الفُعُولِ سِهَامٌ لِمَرْيَمٍ وَهْيَ جَعْبَهْ (٧)

---

(١) و (٢) و (٣) ما فى الأبيات الثلاثة استفهام انكارى، وهى فى البيتين الاولين ضمير الشأن والسبة العار يسب به والقحبة البغى والفاسدة الفاجرة ، وهذا من أبى الطيب استهزاء واستجهال لضبة يقول : لا يعلق بك من قتل أبيك عار انما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها والغدر سبة تسب به فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من فجور أمك ..

(٤) العجان ما بين القبل والدبر يقول : انها مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فتصكه (٥) هذا كناية عن الأير يقول : لحبه ذلك يحب أن يكون مصلوبا فى ذلك الجذع (٦) يقول: انه سمح القياد يلين لمن راوده وقد املست ركبته لكثرة البروك عليها

(٧) يريد بالفعول الذين يفعلون بها فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام

وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّا ءُ مِنْ لِقَاءِ الأَطِبَّهْ(١)
وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ وَحُرَّةٍ غَيْرُ خِطْبَهْ(٢)
يَاقَاتِلاً كُلَّ ضَيْفٍ غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعُلْبَهْ(٣)
وَخَوْفَ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنْبَهْ(٤)
كَذَا خُلِقْتَ وَمَنْ ذَا الَّذِى يُغَالِبُ رَبَّهْ(٥)
وَمَنْ يُبَالِى بِذَمٍّ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهْ
أَمَا تَرَى الْخَيْلَ فِى النَّخْـــلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَهْ(٦)
عَلَى نِسَائِكَ تَجْلُو فُعُولَهَا مُنْذُ سَنْبَهْ(٧)
وَهُنَّ حَوْلَكَ يَنْظُرْ نَ وَالأُحَيْرَاحُ رَطْبَهْ(٨)
وَكُلُّ غُرْمُولِ بَغْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُدْنَ قُنْبَهْ(٩)

(١) يقول : ان الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يعب به . يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استجهالا له (٢) يقول : ان الفاجرة كالحرة المخطوبة إلى أهلها لا فرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة (٣) غناه هو غناؤه فقصره ، أى يكفيه ضيح وعلبه والضيح اللبن الممزوج بالماء والعلبة قدح من جلد يشرب فيه اللبن يقول : انه لشحه ولؤمه اذا نزل به ضيف قتله ليتخلص من قراه ولو كان هذا الضيف صعلوكا يكتفى بقليل من الضيح فى علبه . ويجوز أن يكون المعنى : أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ولو كان صعلوكا لا مال معه يطمع فيه

(٤) وخوف عطف على قاتلا فى البيت السابق أى ويا خوف كل رفيق الخ يقول : هو من الغدر بحيث اذا باته رفيق فى السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام (٥) يقول : ان الله خلقك مجبولا على الغدر والسفال ومن ثم لا يزال على ماجبله الله عليه لايستطيع الناس تهذيبه لأن الله جل شأنه لا يغالب (٦) و (٧) السربة الجماعة من الخيل وفعولها كناية عن غرمولها والسنبه الحين والقطعة من الزمان (٨) الأحيراح تصغير احراح جمع حر وأصله حرح ــ الفرج (٩) القنب وعاء القضيب من ذوات الحافر

فَسَلْ فُؤَادَكَ يَاضَبـــــبُ أَيْنَ خَلَّفَ عُجْبَهْ [(١)]

وَإِنْ يَخُنْكَ لَعَمْرِى لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهْ [(٢)]

وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنْتَ رُعْبَهْ [(٣)]

مَا كُنْتَ إِلاَّ ذُبَابًا نَفَتْكَ عَنَّا مِذَبَّهْ [(٤)]

وَكُنْتَ تَفْخَرُ تِيهاً فَصِرْتَ تَضْرِطُ رَهْبَهْ

وَإِنْ بَعُدْنَا قَلِيلاً حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرْبَهْ [(٥)]

وَقُلْتَ لَيْتَ بِكَفِّى عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَهْ [(٦)]

إِنْ أَوْحَشَتْكَ الْمَعَالِى فَإِنَّهَا دَارُ غُرْبَهْ [(٧)]

أَوْ آنَسَتْكَ الْمَخَازِى فَإِنَّهَا لَكَ نِسْبَهْ [(٨)]

وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِى تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كُرْبَهْ [(٩)]

---

(١) ضب ترخيم ضبة يقول : اسأل فؤادك ياضبة أين ترك ما كان فيه من العجب والكبر ؟ يعنى حين اختبأ وامتنع منهم بالحصن وهو يسمع الشتم فلا يخرج اليهم

(٢) و (٣) يقول: ان خانك فؤادك أى خذلك فى هذا الموقف فلم يطاوعك على الاقدام علينا خوفا ورعبا فلست أول من خانه قلبه لأنه تعود خيانة اصحابه (٤) يقول : انك حين اختبأت وتحصنت منا جبنا ما كنت إلا ذبابا طردناه بمذبتنا فهرب

(٥) يقول : وإذا بعدنا عنك فأمنت عاودك العجب فحملت السلاح وهذا مثل قوله

واذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

(٦) العنان سير اللجام والجرداء من الخيل القصيرة الشعر والشطبة الطويلة

(٧) و (٨) يقول : اذا استوحشت من المعالى فلا بدع فى ذلك لأنك غريب عنها أما المخازى فانك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقرابة (٩) يقول: ان مرادى أن أنبه إلى ما فيك من الغدر والشح فان عرفت مرادى هذا سررت بما قلت لأنه لايقصدك انسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعت من خلالك

وَإِنْ جَهِلْتَ مُرَادِي فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهْ (١)

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بعمته

آخِرُ مَا المَلْكُ مُعَزًّى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ (٢)

لَا جَزَعًا بَلْ أَنَفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَصْبِهِ (٣)

لَوْ دَرَتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ لَاسْتَحْيَتِ الأَيَّامُ مِنْ عَتْبِهِ (٤)

لَعَلَّهَا تَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ (٥)

وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارٌ لَهُ لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ (٦)

وَأَنَّ جَدَّ المَرْءِ أَوْطَانُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ (٧)

---

(١) فإن الجهل بك أشبه لانك لست ممن يفهم (٢) هذا خبر معناه الدعاء يقول: جعل الله هـذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده. والملك تخفيف الملك . وهذا مبتدا مؤخر وآخر خبر مقدم (٣) شابه خالطه يقول: لم يؤثر هذا الحادث فى قلبه لانه جزع له فانه شجاع لاعهد له بالجزع ولكنه أخذته الحمية والانفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماه ويستبيح حريمه ويغتصبه من يعز عليه

(٤) يقول: لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها وقيل أن المعنى: لو كانت الدنيا تدرى من غاب عن حضرته من أهله وأسرته لما عرضت له بدليل بيته التالى (٥) يقول: لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت فى بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسطت عليها

(٦) الذرى الكنف والعضب السيف القاطع يقول: ولعل الدنيا ظنت أن عمتك لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها

(٧) وان جد المرء أوطانه أى وظنت أن أقاربه الذين يساكنونه فى الوطن هم عشيرته وأن البعيد عنه وطنا لايكون من عشيرته يقول: ولعلها ظنت أنها لما لم تكن مستوطنة معه فى بلده لم تكن من صلب جده ومن ثم اجترأت عليها ويروى وأن حد المرء بالحاء وهو ظاهر

أَخَافُ أَنْ تَفْطَنَ أَعْدَاؤُهُ ... فَيُجْفِلُوا خَوْفاً إِلَى قُرْبِهِ (١)

لاَ بُدَّ لِلإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ ... لاَتَقْلِبُ المُضْجَعَ عَنْ جَنْبِهِ (٢)

يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ ... وَمَاأَذَاقَ المَوْتُ مِنْ كَرْبِهِ (٣)

نَحْنُ بَنُو المَوْتَى فَمَا بَالُنَا ... نَعَافُ مَالاَ بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ (٤)

تَبْخَلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا ... عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ (٥)

---

(١) أجفل أسرع فى الهرب يقول : انى أخاف ــ إذ قلت هــذا ــ أن تفطن أعداؤه إلى أن الايام لاترزأ كل من كان فى حماه وقربه فيسرعوا الى حضرته خوفا من الايام وطلبا للسلامة بحصولهم فى ذمته واشتمالهم بعزه (٢) يقول : لابد للانسان من اضطجاع فى القبر لاينقلب معه المضطجع أى يبقى كذلك أبد الدهر ولو قال لن بدل لا لـكان أحسن لأن لن تدل على التأبيد (٣) يقول : ينسى الانسان بتلك الضجعة تيهه واعجابه بنفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره، أى ينسى بتلك الضجعة كل مالاقاه فى حياته وفى مماته (٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا من أن نرد الموت كما وردوه فما بالنا نكره مالابد منه . وهذا ينظر إلى قول أبى نواس

أَلَا يا ابْنَ الّذِين فَنُوا وبَادُوا ... أما واللهِ ما بادوا لتبقْىَ

وأصله قول متمم بن نويرة :

فَعَدَدْتُ آبائى إلى عِرقِ الثّرَى ... فدعوتهم فعلمتُ أن لم يسْمعوا

ولَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَحَالَةَ أنّنى ... لِلْحَادِثَات فهل ترانى أجْزعُ

وروى ان عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيد يعزيه عن أبيه : «أما بعد، فانا أناس من أهل الآخرة أسكنا فى الدنيا أمواتا آباء أموات وأبناء أموات . فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام (٥) يقول : أننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها مما كسب الزمان لا من كسبنا نحن وقد فسر ذلك فى البيت التالى قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : اذا كان تناشؤ الأرواح من كرور الأيام، فما لنا نعاف رجوعها الى أماكنها

فَهٰذِهِ الأَرْوَاحُ مِنْ جَوِّهِ ... وَهٰذِهِ الأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ (١)

لَوْ فَكَّرَ العَاشِقُ فِى مُنْتَهَى ... حُسْنِ الَّذِى يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ (٢)

لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِى شَرْقِهِ ... فَشَكَّتِ الأَنْفُسُ فِى غَرْبِهِ (٣)

يَمُوتُ رَاعِى الضَّأْنِ فِى جَهْلِهِ ... مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِى طِبِّهِ (٤)

وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ ... وَزَادَ فِى الأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ (٥)

وَغَايَةُ المُفْرِطِ فِى سِلْمِهِ ... كَغَايَةِ المُفْرِطِ فِى حَرْبِهِ (٦)

---

(١) يريد أن الانسان مركب من جوهر لطيف وهو الروح ، وجوهر كثيف وهو البدن ، فجعل اللطيف من الهواء والكثيف من التراب . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره « هـذا » وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه لأن هذا انما هو تفسير لشعر المتنبى حسب (٢) يقول : لو فكر العاشق المستهام فيما تصير اليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأقلع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه ، ولك أن تجعل هذا مطردا فى كل معنى من معانى الحياة فتقول : لو فكر الحريص المتهالك على جمع المال فى منتهى ذلك وأن مصير هذا المال الى الزوال أو أنه مائت عنه لامحالة لما تهالك على جمعه وهلم . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : النظر فى عواقب الاشياء يزيد فى حقائقها والعشق عَمَى الحسّ عن دَرْكِ رؤيةِ المعشوق (٣) قرن الشمس أول مايبدو منها . وهذا مثل معناه أن كل حادث لابد أن ينتهى إلى الزوال كالشمس من رآها طالعة لم يشك فى غروبها (٤) قوله فى جهله وفى طبه حالان يقول : ان الموت حتم على رقاب العباد لاينجو منه انسان أكان شريفا أم وضيعا عاقلا أم جاهلا فيموت الراعى الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق (٥) السرب النفس يقول : وربما زاد راعى الضأن عمرا على عمر جالينوس وكان آمن على نفسه منه لان الطبيب لعلمه وتقديره لشكول الادواء وارتباط الاسباب بالمسببات يبقى دائما قلقا خائفا كثير الوسواس (٦) يقول من بالغ فى السلم والمودة كمن بالغ فى الحرب والمعاداة والتحرش بالخطر ، كلاهما إلى الموت قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : آخر أفراط التوقى أول موارد الخوف

فَلاَ قَضَى حَاجَتَـهُ طَالِبٌ فُؤَادُهُ يَخْفِقُ فِي رُعْبِهِ (١)

أَسْتَغْفِرُ اللّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ (٢)

وَكَانَ مَنْ عَدَّدَ إِحْسَانَهُ كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ (٣)

يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعُلَى عَيْشَهُ وَلاَ يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ (٤)

يَحْسَبُهُ دَافِنُهُ وَحْدَهُ وَمَجْدُهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ (٥)

وَيُظْهِرُ التَّذْكِيرُ فِي ذِكْرِهِ وَيُسْتَرُ التَّأْنِيثُ فِي حُجْبِهِ (٦)

أُخْتُ أَبِي خَيْرِ أَمِيرٍ دَعَا فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبِّهِ (٧)

يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لُبِّهِ (٨)

---

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يرهب الموت ،يعني اذا كان لامندوحة عن الموت فلم يخافه الانسان ؟ يحث على الشجاعة والاقدام ويدعو على الهيّابة الجبان

(٢) هذا ضرب من المدح الذى يشبه الذم يقول : استغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه أى لاذنب له استغفر الله له لأجله الا جوده يعنى المرثية عمة عضد الدولة (٣) يقول : وكان يكره ذكر احسانه تناسيا للمعروف فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف في سبه (٤) يقول : أنه كان يحب أن يعيش لكسب المعالى لا لحب العيش فالضمير فى عيشه للعرثى والتقدير يريد عيشه من حب العلى ولا يريد العيش من حب العيش (٥) يقول : ان الذى يدفنه يظن أنه يدفنه وحده وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التى هي أصحابه لانفارقه (٦) يقول : انها فى حجبها وخدرها أنثى على الحقيقة وليس ثم الا الصون والعفاف وما اليهما مما هو شيمة المخدرات أما اذا ذكرت أفعالها ومساعيها من طلب المعالى وإيثار المعروف وأغاثة الملهوف فهناك التذكير حقا لأن مثل هـذه الافعال انما هى من شيم الرجال (٧) يقول : هى أخت ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا الى نفسه فقال الجيش للرماح أجيبيه أى يدعو الجيش فيجيبه بالسلاح، ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة خير أمير دعاه جيش فقال للقنا لب الجيش يعنى أنه يجيب الصارخ ويغيث المستغيث

(٨) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لهما المثل بالقلب واللب

وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَأَنَّهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ (١)

فَخْرًا لِدَهْرٍ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٍ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ (٢)

إِنَّ الأَسَى الْقِرْنُ فَلَا تُحْيِهِ وَسَيْفُكَ الصَّبْرُ فَلَا تُنْبِهِ (٣)

مَا كَانَ عِنْدِي أَنَّ بَدْرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ الْمَفْقُودُ مِنْ شُهْبِهِ (٤)

حَاشَاكَ أَنْ تَضْعُفَ عَنْ حَمْلِ مَا تَحَمَّلَ السَّائِرُ فِي كُتْبِهِ (٥)

وَقَدْ حَمَلْتَ الثِّقْلَ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشِّدَّةُ عَنْ سَحْبِهِ (٦)

—— أي العقل —— فجعل اللب مثلا له والقلب مثلا لابيه ، والقلب وان كان أبا اللب أي مصدره الا أن اللب أشرف من القلب . فكذلك عضدالدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وان كان ركن الدولة أباه . قال ابن جني : لولا حذق المتنبي ما جرأ على هذا . . .

(١) النور الزهر والقضب جمع قضيب يقول: ان أبناء عضد الدولة زين لآبائه وليسوا بزين له هو لاستغنائه بمزية علائه عن أن يتزين بأبنائه يعني أن أبناءك يزينون اباءك كما يزين النور القضب (٢) المنجب الذى يلد النجباء وعقب الرجل أولاده يقول ليفتخر الدهر بكونك من أهله ، وليفخر أبوك الذى صار منجبا بكونك من عقبه

(٣) يقول : ان الحزن —— أي حزن عضد الدولة على عمته —— بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه باعانته على نفسك ، وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نابيا كليلا أي لاتضعفه فيغلبك الحزن (٤) جعله كالبدر وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر يقول : ما كان ينبغي أن تغتم لفقد أحدهم لان البدر يستغني بنوره عن الكواكب (٥) أراد بالسائر الذى حمل اليه الكتاب بوفاتها . يقول : حاشاك أن تضعف عن حمل ما أطاق حمله الرسول ، أي اذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأنت أشد أطاقة له : قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالطة وإنما أراد تسكينه فتوصل الى ذلك من كل وجه (٦) يقول: أنك قد حملت الثقيل من الامور قبل هذا الحادث فأغنتك قوتك عن جر ذلك الثقل —— وذلك أن حامل الثقل اذا عجز عن حمله جره على الارض كما قال عتاب بن ورقاء

وَجَرَّهُ إِذْ كَلَّ عن حَمْلِه ونفسهُ مِن حتفِهِ على شفا

يَدْخُلُ صَبْرُ المَرْءِ فِي مَدْحِهِ ... وَيَدْخُلُ الاشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ (١)

مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ ... وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ (٢)

إِيمَا لِإِبْقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ ... إِيمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ (٣)

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِي بِهِ ... سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ (٤)

وقال فى صباه يهجو القاضى الذهبى

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ ابْنًا لِغَيْرِ أَبٍ ... ثُمَّ امْتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ

سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ اليَوْمَ تَسْمِيَةً ... مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ العَقْلِ لَا الذَّهَبِ (٥)

مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَيْكَ بِهِ ... يَا أَيُّهَا اللَّقَبُ المُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ (٦)

والمعنى : أنت صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزء

(١) الاشفاق الخوف والجزع والثلب الذم ، ثلبه ذامه وعابه يقول : ان الصبر مما يمدح به الانسان والجزع مما يعاب به ، يريد أن يحسن الصبر لديه ليرغب فيه ويقبح الجزع ليجتنبه (٢) الصوب القصد والناحية والغرب مجرى الدمع يقول : مثلك يقدر على صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ، ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره (٣) أيْمَا لغة فى أما يقول : يفعل ذلك إما إبقاء على فضله لئلا يضيع فضله بالجزع وإما لتسليم الأمر إلى الله ورعا وتقوى (٤) يقول: لم أعن بقولى مثلك يثنى الحزن عن صوبه — انسانا آخر غيرك لأنك الفرد الذى لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر فى الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف اليه كقوله تعالى : ليس كمثله شىء ... يريد إنما أردتُ نفسك لا غيرك (٥) هذا البيت جواب لما فى البيت الأول يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به سميت اليوم بالذهبى، أى أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل لا من الذهب، أى إنما قيل لك الذهبى لذهاب عقلك (٦) ويك هى ويلك حذفت اللام لكثرة الاستعمال يقول : إن الذى لقبت به هو ملقب بك ، أى أنت شين وعار للقبك فلقبك ملقى على لقب أى على عار وخزى، قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض حِسْمَى مُنْصَرَفه من مصر فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب ، فجعلوا يسرقون له من أمتعته . فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه

لحا اللهُ وَرْدَانًا وَأُمًّا أَتَتْ بِهِ ... لَهُ كَسْبُ خِنْزِيرٍ وَخُرْطُومُ ثَعلَبِ (١)

فما كانَ فيهِ الغَدْرُ إلاّ دَلالَةً ... على أنَّهُ فيهِ مِنَ الأُمّ والأَبِ (٢)

إِذَا كَسَبَ الإِنْسَانُ مِنْ هَنِ عِرْسِهِ ... فيالُؤمَ إِنْسَانٍ ويالُؤمَ مكْسَبِ (٣)

أَهَذَا اللَّذَيَّا بنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ ... هُمَا الطَّالِبَانِ الرِّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ (٤)

لَقَدْ كُنْتُ أَنْفِي الْغَدْرَ عَنْ تُوسِ طَيِّئٍ

فَلاَ تَعْذِلانِي رُبَّ صِدْقٍ مكَذَّبِ (٥)

الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به! وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التي أولها

لقد أصبح الجرذ المستغير ... أسير المنايا صريع العطب

(١) الخنزير يأكل العذرة وكذلك بنات وردان وهي دويبة كريهة الريح تألف الأماكن القذرة في البيوت ــ ولاتفاق الاسمين جعله كالخنزير في أكل العذرة ، ويريد بقوله له خرطوم ثعلب أنه ناتىء الوجه فوجهه كخرطوم الثعلب وهو أنفه وفمه ولحاه الله قبحه ولعنه (٢) يقول : أن غدره في دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه . وأحسن من هذا ماوراه ابن جني * على أنه فيه من الأم بالأب * أي أن غدره في دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه فجاءت به لغير رشدة (٣) الهن الفرج ــ قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسبا له (٤) يقول ــ تجاهلا واستهزاء ــ : أهذا هو الذي تنسب اليه بنت وردان ــ هذه الحشرة الحقيرة القذرة ــ ثم قال : هو وهي يلتمسان الرزق من شر مطلب ــ هي تطلبه من الحشوش ــ أماكن العذرة ــ وهو يطلبه من هن عرسه (٥) التوس والسوس الأصل يقول : لقد كنت أقول أن

(قافية التاء)

وأنفذ اليه سيف الدولة قول الشاعر

رأى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكانُها ... فكانت قَذَى عينيه حتى تجلَّتِ (١)

وسأله أجازته فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالا

لنا ملكٌ لا يَطْعَمُ النَّوْمَ همُّهُ ... مَمَاتٌ لحيٍّ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتِ (٢)

وَيَكْبُرُ أَنْ تَقْذَى بشيءٍ جفونه ... إِذَا مَارَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتِ (٣)

طيئا لا تغدر وأن آباءهم ليسوا بغدارين فلا تلوماني إن قلت أن هذا قد غدر لأنه ليس من الأصل الذي يدعى إليه من طيء . وقوله رب صدق مكذب يعني أنه كان صادقا في نفي الغدر عن طيء وان كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيء يريد أنه صادق وأن وردان ليس من طيء (١) الخلة الحاجة والفقر. والقذى ما يقع في العين من غبار ونحوه . وحتى تجلت أي حتى انكشفت خلتي وزالت . والبيت لمحمد بن سعيد الكاتب وقبله

سأشكرُ عَمْراً ما تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الغنى عن صديقه ... وَلَا مُظْهِر الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّت

قيل أنه كان يوما في مجلس عمرو بن العاص فبينا هو يحدثه نظر إلى كم قميصه من تحت جبته وكان قد تخرق — وهذا معنى قوله رأى خلتي من حيث يخفى مكانها — فلما انصرف بعث إليه بعشرة آلاف درهم ومائة ثوب فقال هذه الأبيات .

(٢) همه مبتدأ ومماث خبر ويطعم يذوق يقول : لنا ملك لا يذوق النوم إذ ليس بصاحب لهو وإنما همه الحرب والجود ، فيميت بقتاله الأعداء ، ويحيي بنواله الاولياء

(٣) هذا كالرد على قوله فكانت قذى عينيه يقول : هو أكبر من أن تقذيه جفونه — أي يتأذى — بشيء فمتى رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها أي أن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيأ يتأذى به

جزَى اللهُ عنِّى سيفَ دَوْلَةِ هاشمٍ ... فإِنَّ نَدَاهُ الغَمْرَ سَيْفِى وَدَوْلَتِى (١)

وقال فى صباه عند وداعه بعض الأُمَراء

أُنْصُرْ بجُودكَ أَلْفاظاً تَرَكْتُ بها ... فى الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مَنْ عاداكَ مكْبُوتا (٢)

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحَلِى ... وَذَا الوَدَاعُ فكنْ أَهْلاً لِمَا شِيتا (٣)

وقال مرتجلا يمدح بدر بن عمار بن اسماعيل الأسدى

فَدَتْكَ الخيلُ وَهِىَ مُسَوَّمَاتُ ... وَبِيضُ الهِنْدِ وَهِىَ مُجَرَّدَاتُ (٤)

وَصفْتُكَ فِى قَوَافٍ سائرَاتٍ ... وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِن كَثُرَتْ صِفَاتُ (٥)

أَفاعيلُ الوَرَى مِنْ قَبلُ دُهْمٌ ... وَفِعْلُكَ فِى فِعَالِهِمِ شِياتُ (٦)

---

(١) نداه أى جوده والغمر الكثير (٢) مكبوتا ذليلا يقول : انصر بعطاياك قصائدى التى مدحتك بها والتى غاظت أعداءك فى الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومعنى نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيده منها

(٣) نظرتك أى انتظرتك يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالى عنك ، وهذا وقت وداعى إياك ، فاختر إما أن تجود فتكون أهلا للمدح أو تمنع وتحرم فتكون أهلا الذم . وهذا كقول احمد بن أبى فنن

حَانَ الرَّحيلُ فقدْ أَوْلَيْتَنا حَسَناً ... والآنَ أَحْوَجُ ما كنا إلى زادِ

(٤) مسومات معلمات بعلامات تعرف بها . يقول : فدتك الخيل والسيوف فى الحرب حتى تفنى هى وتبقى أنت (٥) فاعل كثرت ضمير القوافى وفاعل بقيت صفات . يقول : لقد وصفتك بقصائد كثيرة بيد أنه مع كثرتها بقيت صفات لك لم أحط بها

(٦) الدهم السود والشيات جمع شية وهى لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل يقول : إن أفعال الناس من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود ، أو هى ـــ أفعالهم ـــ تتزين بفعلك تزين الأدهم بالغرة والتحجيل كما يقول أبو تمام

وقال يمدح أبا أيوبَ أحمدَ بن عمران

سِرْبٌ مَحاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا ... دانِي الصفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا(١)

أَوْفَى فكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقْلَتِي ... بَشَرًا رَأَيْتُ أَرَقَّ مِنْ عَبَرَاتِهَا(٢)

يَسْتَاقُ عِيسَهُمُ أَنِينِي خَلْفَهَا ... تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجْرَ حُدَاتِهَا(٣)

وَكَأَنَّهَا شَجَرٌ بَدَتْ لَكِنَّهَا ... شَجَرٌ جَنَيْتُ المَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا(٤)

قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحوا ... فِيهِ وَغُودِرَ وَهْوَ مِنْهُمْ أَبلَقُ

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضا :

حتّى لو انّ اللَّيالِي صُوِّرَتْ لَغَدَتْ ... أَفْعَالُهُ الغُرُّ فِي آذَانِهَا شُنُفَا

(١) السرب القطيع من الظباء والقطا وما اليهما والمراد هنا جماعة النساء ، وسرب خبر مبتدأ محذوف أي الذى اشتاقه أو أصفه مثلا ، وذواتها صواحباتها يقول : إن هذا السرب قد حُرِمْتُ رباتِ محاسنه لما حيل بيني وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته أي محاسنه لاتزال نصب عيني وعلى ذكر مني ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أي أشخاص النساء — بعيدة عني (٢) أوفى أي السرب أي أشرف ، والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد يقول : إن هذا السرب أشرف — لما سار — على مكان عال أو علا هوادجه للمسير ، فكان بصري إذا وقع على بشرته رأى شيأ أرق وألطف من الدموع ، ولك أن تجعل الضمير في عبراتها للبشر ويراد بالعبرات العرق الذى يسيل من البشرة ويكون المراد أنهن عرقن من الجهد والاعياء ، وروى الخوارزمي : نشزا وهو ما ارتفع من الارض يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيته لطول البعد كأنه سراب ، والسراب أرق من العبرات ويكون الضمير للمقلة

(٣) يستاق يسوق ، والعيس الابل والحداة الذين يسوقون الابل : يقول إن الابل كانت تسمع أنيني خلفها فتسرع في سيرها لانها تظن زفراتي أصوات الحداة تزجرها لتسرع ، فسائقها على الحقيقة أنيني وزفراتي (٤) العرب تشبه الابل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن ، يقول : كان هذه الابل شجر بيد أني جنيت الموت من ثمراتها لأنها كانت سبب فراق أحبته ، وروى ابن جني بلوت المر من ثمراتها : وبلوت

لاَ سِرْتِ مِنْ إِبِلٍ لَوَ انِّى فَوْقَهَا   لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَدْمَعَىَّ سِمَاتِهَا (١)
وَحَمَلْتُ مَا حُمِّلْتِ مِنْ هذِى المَهَا   وَحَمَلْتِ مَا حُمِّلْتُ مِنْ حَسَرَاتِهَا (٢)
إِنِّى على شَغَفِى بِمَا فِى خُمْرِهَا   لَأَعِفُّ عَمَّا فِى سَرَاوِيلاتِهَا (٣)
وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالأُبُوَّ   ةَ فِىَّ كُلُّ مَلِيحَةٍ ضَرَّاتِهَا (٤)

خبرت وذقت . وهذا من قول أبى نواس

لا أذودُ الطير عن شجرٍ   قَدْ بلَوْتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ

(١) لاسرت دعاء ، ومن إبل تمييز ، وقوله لمحت من المحو واللام جواب لو ، والمدامع فى الاصل مجرى الدمع من العين والمراد بها هنا الدموع ، والسمات جمع سمة وهى أثر الكى على الجلد . . يدعو على الابل بأن لاتسير لانها فرقت بينه وبين من يحب ، ثم قال : ولو كنت من ركاب هذه الابل لكانت حرارة دمعى تمحو آثار وسمها

(٢) المها بقر الوحش والمراد النساء الشبيهات بالمها لحسن عيونهن . وهـذا دعاء أيضا ، يدعو أن يكون حاملا ما حملته هـذه الابل من الحبائب ، وأن تحمل الابل ما حمله هو من حسرات فراقهن (٣) الخمر جمع خمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها ، والسراويلات جمع سراويل فارسى معرب وهو ذلك اللباس الذى يستر النصف الاسفل من الجسم . قال الصاحب بن عباد : كان الشعراء يصفون المآزر تنزيها لألفاظها عما يستشنع ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع . . . إلى التصريح . . . وكثير من العهر عندى أحسن من هذا العفاف . . . قال بعضهم : هذا مما عابه الصاحب على المتنبى . . . وإنما قال المتنبى عما فى سربالاتها ، جمع سربال وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمى يريد المتنبى : إنى مع حبى لوجوههن أعف عن أبدانهن ، ومثله لبعضهم

أَهْوى النِّساءَ وأَخْشى أن أجالسَها   وليس لى فى خنا ما بيننا وطر

وما أروع قول العباس بن الاحنف

لايضْمُرُ السوءَ إنْ طالَ الجلوسُ بِهِ   عَفُّ الضميرُ ولـكنْ فاسقُ النظرِ

(٤) كل مليحة فاعل ترى والفتوة وما عطف عليها مفعول أول لترى ، وضراتها مفعول ثان . والفتوة الكرم والسخاء والمروة الانسانية والابوة هنا الانفة وعزة النفس يقول : ان هذه المعانى تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنها ضرائر لهن ، وقد زاد

هُنَّ الثَّلاَثُ المَانِعَاتِى لَذَّتِى فِى خَلْوَتِى لاَ الخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا (١)

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الهَلاَكُ أَتَيْتُهَا ثَبْتَ الجَنَانِ كَأَنَّنِى لَمْ آتِهَا (٢)

وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبٍ غَادَرْتُهَا أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا (٣)

أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الجِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِى بَنِى عِمْرَانَ فِى جَبَهَاتِهَا (٤)

الثَّابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِى ظَهْرِهَا وَالطَّعْنُ فِى لَبَّاتِهَا (٥)

العَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفَتْهُمُ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودُهُمْ أُمَّاتِهَا (٦)

ذلك تبيانا فى البيت التالى (١) يقول إن الفتوة وما بعدها هى التى تكفه عن لذاذته فى خلوته لا خوفه من عواقب هذه اللذة ، يعنى أنه لو لم يكن للذة عواقب آثمة يخشاها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والمروة والانفة . قال العكبرى : وهـذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهرة تترك الشهوات البهيمية طبعا لا خوفا . أقول ولله شيخ المعرة إذ يقول : — وان كان أعم —

وَلْتَفْعَلِ النَّفْسُ الجميلَ لأنَّهُ خيرٌ وأَفضَلُ لا لِأَجْلِ ثوابها

(٢) الواو واو رب : يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبى هو على حالة لم يتغير كأنى لم آتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالى الاخطار (٣) المقانب جمع مقنب — الطائفة من الخيل تجتمع للغارة يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبى فتركته قوتا للوحوش التى كانت قوتا له

(٤) أقبلتها أى المقانب التى أهلكها ، يقال أقبلته الشيء أى وجهته اليه وجعلته قبالته مما يليه والغرر جمع غرة وهى البياض يكون فى وجه الفرس . والايدى هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم الممدوحين ويد النعمة توصف بالبياض مجازا «هذا» وقد جرت العادة فى جمع يد النعمة بالايادى وفى يد العضو بالايدى ولكن المتنبى وضع هذه مكان تلك فى موضعين أحدهما هذا البيت . وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالاقدام والشجاعة وحذق ركوب الخيل يقول : إنهم يثبتون فى ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم فى معمعة الحرب والطعن متتابع فى لباتها . وفروسة أى حذقا تمييز . واللبات جمع لبة وهى المنحر . . . (٦) كان الوجه أن يقول والراكب

فَكَأَنَّمَا نُتِجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا على صَهَوَاتِهَا (١)

إِنَّ الْكِرَامَ بِلاَ كِرَامٍ مِنْهُمُ مثلُ القلوب بِلاَ سُوَيْدَاوَاتِهَا (٢)

تِلْكَ النفُوسُ الغالباتُ على العُلَى وَالمجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شهَوَاتِهَا (٣)

سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتِ الوَرَى بِنَدَى أَبِي أَيُّوبَ خيْرِ نبَاتِهَا (٤)

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاهِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سلاَمَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا (٥)

جدودهم أماتها أى والذين ركب جدودهم إلا أن هذا على لغة من يقول قاموا أخوتك وذهبا أخواك . والامات جمع أم لما لايعقل وتجمع للعاقل أمهات هذا هو الغالب ويجوز العكس يقول : طال مراسهم للخيل فهم يعرفونها والخيل تعرفهم كذلك لانهم فرسان وقد كان جدودهم عريقين فى الفروسية ، طالما ركبوا الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أماتها . ويشبه هذا قول شيخ المعرة

يا ابْنَ الأُلى غيْرَ زَجْرِ الخيْلِ مَا عَرَفُوا إِذْ تَعْرِفُ العُرْبُ زجْرَ الشاءِ والعَكَرِ

« العكر جمع عكرة القطعة من الابل . أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاه وإبل » (١) نتجت بالبناء للمجهول ولدت ، والصهوة مقعد الفارس يقول : كأن الخيل ولدت تحتهم قائمة مستعدة للجرى وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها . يصفهم بطول إلفهم الفروسية ، وطول مراسهم ركوب الخيل

(٢) السويداوات جمع سويداء — حبة القلب — يقول : إنهم مصاص الكرم وزبدته فهم من الكرام بمثابة السويداء من القلب . أو يقول : إن الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء الممدوحين كالقلب دون سويداء (٣) يقول : إنهم يغلبون الناس على العلى فيحرزونها دونهم ، ولكن المجد يغلبهم على شهواتهم فلا يمكنهم منها خشية العيب والشين (٤) أراد بمنابت هذه النفوس آباء الممدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك المنابت يعنى أن نفسه أشرف هذه النفوس ، ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التى تحيى الارض ، وجعل النبات يسقى المنابت على عكس العادة تفننا واغرابا فى الصنعة . يقول : إن اباء الممدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حيي مجدهم بجود هذا الممدوح الذى هو خير أبنائهم (٥) يقول : لسنا نتعجب من كثرة عطاياه ومواهبه وإنما نتعجب كيف سلمت أموالهمن بذله وتفريقه إلى أوقات بذلها إذ ليس من عادته الامساك

عَجَباً لَهُ حَفِظَ الْعِنَانَ بِأَنْمُلٍ ... مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا[١]

لَوْ مَرَّ يَرْكُضُ فِي سُطُورِ كِتَابَةٍ ... أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيمَاتِهَا[٢]

يَضَعُ السِّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مُجَاوِلاً ... حَتَّى مِنَ الآذَانِ فِي أَخْرَاتِهَا[٣]

تَكْبُو وَرَاءَكَ يَا ابْنَ احمَدَ قُرَّحٌ ... لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَاتِهَا[٤]

رِعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا ... أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا[٥]

لَا خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ ... بِكَ رَاءَ نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِهَا[٦]

غَلِتَ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ ... تَرْتِيلُكَ السُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا[٧]

---

(١) العنان سير اللجام والبيت فى معنى البيت السابق (٢) يصفه بالفروسية وأن فرسه يطاوعه فى جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث أراد وخص الميم لانها أشبه بالحافر من سائر حروف المعجم (٣) مجاولا من الجولان ويروى محاولا من المحاولة وهى الطلب والاخرات جمع خرت وهو الثقب . يقول : أنه من الحذق فى الطعن بحيث يضع رمحه فى ثقب الاذن متى أراد

(٤) القرح جمع القارح من الخيل وهو ما أتى عليه خمس سنين وهو اذ ذاك يكون فى حين نشاطه وقوته . والضمير فى آلاتها يعود الى القرح أى أن قوائمها لا تصلح أن تكون آلات لها فى لحاقك . وهذا مثل يقول : أنك سبقت الناس فى المكارم فاذا أراد فحولهم وكبارهم اللحاق بك كبت وسقطت وراءك ولم تستطع اللحاق بك لصعوبة مسالكك

(٥) الرعد جمع رعدة والعسلان الاهتزاز والاضطراب والقنوات جمع قناة الرمح يقول : أن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر واسرع جريا من الاهتزاز فى رماحهم (٦) راء مقلوب رأى كما قالوا ناه ونأى يقول : ليس أحد أسمح منك الامن كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك ، إذ لو سألك اياها لجدت بها فكان تركها لك جودا عليك بها وهذا من قول أبى تمام

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

(٧) غلت هو غلط ، يقال فى الحساب خاصة ، والعشور جمع عشر — بفتح العين —

كَرَمٌ تبيَّنَ فِي كلامِكَ مَاثِلاً ... وَيَبِينُ عِتقُ الخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا (١)

أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلٍّ نِلْتَهُ ... لاتَخْرُجُ الأَقْمَارُ عَنْ هَالاتِهَا (٢)

لا نَعْذُلُ المَرَضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ ... أَنْتَ الرِّجَالَ وَشَائِقٌ عِلاَّتِهَا (٣)

فَإذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقْنَهَا ... فَأَضَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالاتِهَا (٤)

وَمَنَازِلُ الحُمَّى الجُسُومُ فَقُلْ لَنَا ... مَا عُذْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا (٥)

الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل التبيين فى القراءة وبآية متعلق بفلت وترتيلك مبتدأ ومن آياتها خبره والجملة استئنافية يقول: أن الذي عد أعشار القرآن قد غلط وفاتته آية لم يعدها وهى ترتيلك للسور فان هذا الترتيل معجزة فى الأتقان وحسن الأداء فهو آية من الآيات ينبغى أن تلحق بآيات التنزيل فيزيد آية الى اياته ، ومعجزة الى معجزاته . (١) ماثلا ظاهرا والعتق الكرم ، يقول : من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك كما أن الفرس الكريم إذا صهل عرف عتقه بصهيله . وانما يعرف كرمه من كلامه لان كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالاحسان وما إلى ذلك مما يدل على طيب اعراقه ، ومحاسن أخلاقه (٢) أعيا الشيء أعجز طالبه يقول : لقد بلغت مكانا عليا من المجد والشرف أنت فيه كالقمر فى علو المنزلة وهو لك كالهالة ، فلست تزايله كما أن القمر لايزايل هالته . وجمع القمر — وان كان فى المعنى واحدا — باعتبار ظهوره فى كل شهر فحسن الجمع (٣) شاقه حمله على الشوق وتقدير البيت : لانلوم المرض الذى ألم بك لانك أنت تشوق الرجال وتشوق علاتها : يعنى أن المرض الذى بك لايلام على إلمامه بك فانك شوقت الرجال الى زيارتك وشوقت علاتها أيضا فهى تزورك مثلهم وتنتقل إليك عنهم شوقا إليك قال العكبرى : وقد كان الممدوح مريضا حين مدحه المتنبي بهذه القصيدة (٤) المضاف مصدر بمعنى الاضافة . يقول إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاتها فجاءتك قبلها شوقا فأضفت حالات الرجال أى علاتها المذكورة قبل أن تضيفهم لانها وصلت إليك قبلهم (٥) يقول إن الحمى إنما تنزل على الاجسام ، فاذا تركت جسمك الذى هو أفضل الاجسام وألمت بغيره فما عذرها فى ذلك ؟ « هذا » ويقال حمىّ وحُمَّة قال الشاعر

لعمرى لقد برّ الضِّبابَ بنوُه ... وبعض البنين حُمَّةٌ وسُعال

أَعْجبتْهَا شَرَفًا فطالَ وُقُوفُهَا لِتَأَمُّلِ الْأَعْضَاءِ لاَ لِأَذَاتِهَا (١)

وَبَذَلْتَ مَا عَشِقَتْهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حتَّى بَذَلْتَ لِهذِهِ صِحَّاتِهَا (٢)

حَقُّ الكَوَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ وتعُودَكَ الآسَادُ مِنْ غابَاتِهَا (٣)

وَالجِنُّ مِنْ سُتَرَاتِهَا وَالوَحْشُ مِنْ فلَوَاتِهَا وَالطَّيْرُ من وُكُنَاتِهَا (٤)

ذُكِرَ الْأَنَامُ لنَا فكانَ قصيدَةً كُنتَ البَدِيعَ الفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِهَا (٥)

فِى النَّاسِ أَمْثِلَةٌ تَدُورُ حيَاتُهَا كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا (٦)

هِبْتُ النِّكاحَ حِذَارَ نَسْلٍ مِثْلِهَا حتَّى وَفَرْتُ على النِّسَاءِ بنَاتِهَا (٧)

فاليوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِى لَوْ أَنَّهُ مَلَكَ البَرِيَّةَ لَاستَقَلَّ هِبَاتِهَا (٨)

---

(١) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت أقامتها بك لتتأمل أعضاءك المشتملة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والاذاة مصدر أذى فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله أى لتتأمل الاعضاء لا لتتأذى بها الاعضاء

(٢) يقول : إنك بذلت كل ما أحبته نفسك حتى بذلت لهذه الحمى صحتك . يريد أنه جواد يجود بكل شيء يحبه (٣) من عل من فوق يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لانها شريكتك فى العلو وكذلك الآساد لانها تشبهك في الشجاعة

(٤) والجن عطف على الآساد ووكنة الطائر ووكره عشه يقول : إن جميع هذه الاجناس تتألم لعلتك ، لعموم نفعك، فلو قدرت على عيادتك لجاءت إليك عائدة

(٥) يقول قد استأثرت — دون سائر الناس — بالمناقب والمحامد فكنت منهم بمنزلة البيت البديع المبتكر الفرد من القصيدة (٦) أمثلة جمع مثال أى صور وتدور — صفة لامثلة وحياتها مبتدأ وكماتها خبره يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس فى الحقيقة تدور بين الوجود والعدم وحياتها كماتها في أنه لاغناء فيها ولا نفع ومماتها كحياتها فى عدم المبالاة به (٧) يقول : خفت — إن تزوجت — أن يكون لى نسل مثل هذه الامثلة فتركت البنات موفورة على الامهات لم أتزوج واحدة منهن (٨) يقول : لو كانت الخليقة ملكا له ثم وهبها لاستقل ذلك بالقياس إلى كرمه ومن روى وهب البرية كان المعنى : أنه لو عم البرايا بالهبات لاستقلها

مُسْتَرْخَصٌ نَظَرٌ إليهِ بِمَا بِهِ   نَظَرَتْ وَعَثْرَةُ رِجْلِهِ بِدِيَاتِهَا (١)

(قافية الجيم)

وقال يمدح سيف الدولة وقد صف الجيش

فى منزل يعرف بالسَنَبُوس وركب قاصداً سمندو

لِهَذَا اليومِ بَعْدَ غَدٍ أَرِيجُ   ونارٌ فى العَدُوِّ لها أجيجُ (٢)

تبيتُ بِهَا الحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ   وَتَسْلَمُ فى مَسَالِكِهَا الحَجِيجُ (٣)

فَلَا زالتْ عِدَاتُكَ حَيْثُ كانتْ   فَرَائِسَ أَيُّهَا الأَسَدُ المَهِيجُ (٤)

عَرَفْتُكَ وَالصفُوفُ مُعَبَّآتٌ   وَأنتَ بغيرِ سَيْفِكَ لاتَعِيجُ (٥)

(١) نظر مبتدأ مؤخر ومسترخص خبر مقدم والديات جمع دية ثمن دم القتيل . يقول : لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التى تنظر بها لكان رخيصا ، ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصا أيضا ، أى أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق

(٢) الأريج الرائحة الطيبة والأجيج اشتعال النار . يقول : لهذا اليوم — الذى سرت فيه للحرب — بعد قليل أنباء طيبة تسر الأولياء ، ونار حرب يضطرم لهيبها على الأعداء

(٣) الحواصن العفيفات وتروى الحواضن أى النساء المربيات لأطفالهن والحجيج الحجاج يقول : إن نار هـذه الحرب تأمن بها النساء من السبى . ويسلم الحجاج فى مسالكهم ، فلا يتعرض لهم الروم (٤) المهيج الذى هاجه غيره . وفرائس خبر زالت

(٥) لاتعيج لاتبالى . وكان أبو الطيب مع سيف الدولة فى بلاد الروم فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدما فالتفت فرأى سيف الدولة خارجا من الصفوف يدير رمحا ، فعرفه وجاء إليه وسايره وأنشده . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من حولك وأنت لاتبالى إلا بسيفك . يشير إلى أنه لايحتفل بجنده وبتعبئته وأنه شجاع لايعبأ إلا بسيفه

وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُعْرَفُ مِن بَعِيدٍ ... إذا يَسْجُو فَكَيْفَ اذا يَمُوجُ (١)

بأَرْض تَهْلِكُ الأَشْوَاطُ فِيها ... إِذَامُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجُ (٢)

تُحَاوِلُ نَفسَ مَلْكِ الرُّومِ فيهَا ... فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ العُلُوجُ (٣)

أَبِالغَمَرَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى ... وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ البُرُوجُ (٤)

وفينَا السَّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ ... إِذَا لاقَى وَغَارَتُهُ لَجُوجُ (٥)

نُعَوِّذُهُ مِنَ الأَعْيَانِ بأْساً ... وَيَكْثُرُ بالدُّعاءِ لَهُ الضَّجِيجُ (٦)

رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غيرُ رَاضٍ ... بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالوَشِيجُ (٧)

فإِنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنَا سَمَنْدُو ... وَإِنْ يُحْجِمْ فَمَوْعِدُهُ الخَلِيجُ (٨)

---

(١) يسجو يسكن يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك وضرب هذا مثلا له لما رآه يدير رمحه بيده فشبهه بالبحر المائج (٢) الشوط الطلق من العدو ، والفروج ما بين قوائم الفرس . يقول : عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطولها (٣) العلج الجافى الغليظ من كفار العجم يقول : تطلب نفس ملك الروم فى هذه الارض فتفديه أصحابه العلوج إذ تفنيهم وتستأصلهم (٤) الغمرات الشدائد : يقول أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لانفارقها كما لاتفارق النجوم منازلها (٥) يقول : وفينا سيف الدولة الذى إذا حمل على الاعداء صدق فى حملته ماجبن وما خام عن اللقاء ، وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت فلاينثنى حتى يستأصلهم ويعصف بهم (٦) الأعيان العيون وبأسا أى شدة وشجاعة وهو مفعول له أى لبأسه كما تقول نعوذه بالله حسنا أى لحسنه . وقال ابن جنى : بأسا أى خوفا من قولهم لابأس عليك . وهو أصح فى التركيب إلا أن الاول أليق بالمعنى يقول : نعوذ الممدوح بالله من أن تصيبه العيون لدى رؤية بأسه لأنا لانخاف عليه غير ذلك

(٧) الدمستق صاحب جيش الروم . والقواضب السيوف القواطع والوشيج عيدان الرماح . يقول : رضينا بما حكمت به السيوف والرماح فى الحرب ولكن الدمستق لم يرض بذلك لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر فرضينا وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض.

(٨) سمندو قلعة بالروم يقال هي المعروفة اليوم بلغراد . والخليج خليج القسطنطينية

(قافية الحاء)

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه

فتعتب عليه فظن أنه عاتب عليه

بِأَدْنَى ابْتِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا الْقَرَائِحُ
وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ (١)

وَمَنْ ذَا الَّذِى يَقْضِى حُقُوقَكَ كُلَّهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِى يُرْضِى سِوَى مَنْ تُسَامِحُ (٢)

وَقَدْ تَقْبَلُ الْعُذْرَ الْخَفِىَّ تَكَرُّماً
فَمَا بَالُ عُذْرِى وَاقِفاً وَهْوَ وَاضِحُ (٣)

وَإِنَّ مُحَالاً ـ إِذْ بِكَ الْعَيْشُ ـ أَنْ أُرَى
وجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِىَ صَالِحُ (٤)

يقول : فان أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلاده وإن هرب وخام عن لقائنا لحقناه إلى الخليج

(١) القرائح الطبائع . يقال فلان جيد القريحة إذا كان ذكى الطبع . والجوارح الاعضاء . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحيى طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم لانه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لانه كان معتلا (٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضائها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه (٣) تكرما مفعول لاجله وواقفا حال من عذرى يقول : إنك لكرمك تقبل العذر الخفى فما بال عذرى واقفا لايلتفت إليه وهو واضح (٤) يقول إذا كان عيشنا بك فمن المحال أن تعتل ولا أشاركك فى علتك . وهذا من قول أبى تمام :

وإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نُعَمَّ بِهَا ۝ حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ فى مَرَضِهْ

وَمَا كَانَ تَرْكِى الشِّعْرَ إِلاّ لِأَنَّهُ ... تُقَصِّرُ عَنْ وَصْفِ الأَمِيرِ المَدَائِحُ

وقال فى صباه وقد بُلِّغَ عن قومٍ كلاماً

أَنَا عَيْنُ المُسَوَّدِ الجَحْجَاحِ ... هَيَّجَتْنِى كِلاَبُكُمْ بِالنُّبَاحِ (١)

أَيَكُونُ الهِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ ... أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحِ (٢)

جَهِلُونِى وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلاً ... نَسَبَتْنِى لَهُمْ رُؤُسُ الرِّمَاحِ (٣)

وقال يمدح مساور بن محمد الرومى

جَلَلاً كَمَا بِى فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ ... أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَإِ الأَغَنِّ الشِّيحُ (٤)

لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ وَغَادَرَتْ ... صَنَماً مِنَ الأَصْنَامِ لَوْلاَ الرُّوحُ (٥)

---

(١) المسود الذى جعله قومه سيدا . والجحجاح السيد الكريم . يقول : أنا نفس السيد الكريم أثارتنى وأغضبتنى سفهاؤكم بسفهها . ولما سماهم كلابا سمى كلامهم نباحا ويروى — بدل هيجتنى — هجنتنى أى نسبتنى إلى الهجنة يدل على ذلك البيت التالى
(٢) الهجان الرجل الحسيب ، والصراح الخالص النسب . أنشد أبو الهيثم

وإذا قيلَ مَنْ هِجَانُ قُرَيْشٍ ... كُنْتَ أَنْتَ الفَتَى وأَنْتَ الهِجَان

يقول : إن الكريم الخالص النسب لايصير غير كريم وغير خالص النسب . يعنى أن هجو الهاجى لايقدح فيه ولا يغير نسبه (٣) يقول : إن أولئك العائبين قد جهلوا نسبى وأصلى ، فان عشت قليلا عرفتهم الرماح نسبى ، إذ يرون غنائى وحسن بلائى . يتوعدهم ويهددهم بالقتل (٤) الجلل الأمر العظيم . والتبريح الجهد والشدة ، والرشأ ولد الظبية والاغن الذى فى صوته غنة وهو من أوصاف الظباء ، والشيح نبات طيب الرائحة يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ما حل بى والا فلا ! ثم قال : أتظنون غذاء من فعل بى هذا الفعل الشيحَ شأن مثله من ظباء الصحراء ؟ إنما غذاؤه قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم

يَرْعَى القُلُوبَ وتَرْتَعِى الْـ * ـغِزْلاَنُ فى البَيْدَاءِ شِيحَهْ

(٥) الشمول الخمر . يقول : إن الخمر رنحته فتمايل فى مشيته وزادت فى حسنه حتى

مَابالُهُ لَاحَظْتُهُ فَتَضَرَّجَتْ ... وَجنَاتُهُ وَفُؤَادِىَ الْمَجْرُوحُ (١)

وَرَمَى وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ فَصَابَنِي ... سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسِّهَامُ تُرِيحُ (٢)

قَرُبَ الْمَزَارُ وَلاَ مَزَارَ وَإِنَّمَا ... يَغْدُو الْجَنَانُ فَنَلْتَقِى وَيَرُوحُ (٣)

وَفَشَتْ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفَّنَا ... تَعْرِيضُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ (٤)

تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح . وفى هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن

ظَلِلْنَا بِأَيْدِينَا نُتَعْتِعُ رُوحَهَا ... فتأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الْخَمْرُ ثَارَهَا

« هذا » وقد جرت عادتهم بأن يشبهوا الحسان بالدمى والاصنام ناظرين إلى أن مصوريها أبدعوا فى تجميلها وافتنوا فى تزويقها حتى أصاروها كأنها الجمال ماثلا . هذا ويروى بدل وغادرت وجردت أى صيرته بحيث يجرد منه صنم لحسنه (١) يقول : إن فؤادى هو المجروح بنظرى إليه فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادى هو الاجدر بذلك ؟ وفى هذا المعنى يقول كشاجم

أَرَاهُ يَدْمِى خَدُّهُ وَهْو جارحى ... بِعَيْنَيْهِ وَالْمَجْرُوحُ أَوْلَى بِأَنْ يَدْمى

(٢) كان الوجه أن يقول : وما رمت يداه ولكنه على لغة من يقول قاما أخواك وصابه أصابه . يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهام المعروفة تقتل فتريح وإنما يعذب من أصابه (٣) المزار الاول مكان الزيارة والثانى مصدر بمعنى الزيارة . والجنان القلب . يقول : إن دارك أيها الحبيب قريبة منى ولكن لاسبيل إلى الزيارة خشية الرقباء وإنما نتلاقى بالقلوب فيغدو قلبى إليك ويروح ، أى أتذكرك فأمثلك فى قلبى فكأنا قد التقينا كما قال ابن المعتز

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ ... لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

ومثله لابى الطيب :

لنا ولأَهْلِهِ أبداً قُلوبٌ ... تَلاَقَى فى جُسومٍ ما تلاقى

(٤) السرائر الاسرار المكتتمة . وشفه انحله . يقول : إن كتمان الهوى واقتصارنا فيه على التعريض قد أسقمنا وهزلنا ، فدلك هُزالنا البادى على ماتجنه الضلوع من الوجد فقام ذلك مقام التصريح

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسًى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ (١)

وَجَلَا الوَدَاعُ مِنَ الحَبِيبِ مَحَاسِنًا حُسْنُ العَزَاءِ وَقَدْ جُلِينَ قَبِيحُ (٢)

فَيَدٌ مُسَلِّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ وَحَشًى يَذُوبُ وَمَدْمَعٌ مَسْفُوحُ (٣)

يَجِدُ الحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِي لَانْبَرَى شَجَرُ الأَرَاكِ مَعَ الحَمَامِ يَنُوحُ (٤)

وَأَمَقَّ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَاكِبٍ فِي عَرْضِهِ لَأَنَاخَ وَهْيَ طَلِيحُ (٥)

نَازَعْتُهُ قُلُصَ الرِّكَابِ وَرَكْبُهَا خَوْفَ الهَلَاكِ حُدَاهُمُ التَّسْبِيحُ (٦)

---

(١) الحمول الاحمال على الابل ويريد بها الابل التي حملتها . والطلوح جمع طلح وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة تشبه بها الابل عليها الهوادج . يقول : لما تفرقت الحمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحزنا (٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق فصار الصبر الجميل عنها قبيحا . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

وقَدْ كانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حَازِماً فأصْبَحَ يُدْعَى حازِماً حين يَجْزَعُ

ويقول العتبي :

والصبر يُحْمَدُ فِي المواطن كلِّها إلاَّ عليك فإنَّهُ مَذْمُومُ

(٣) المراد بالمدمع الدمع . يصف حال الوداع . يقول : فهناك يد تشير بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حزنا على الفراق ، ودمع مصبوب (٤) يجد من الوجد . وقوله ولو كوجدى أي ولو كان وجده كوجدي لانبرى الخ والأراك شجر معروف يقول : إن الحمام يحزن عند فراق ألفه ، ولو كان وجده كوجدى لرق له الشجر وانبعث يبكي معه وينوح رحمة ورقة (٥) وأمق الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والامق الطويل . والوخد ضرب من السير وخدت هنا أسرعت . والطليح المعي . يقول : لو أسرعت ريح الشمال فى ذلك المهمه وعليها راكب لاناخ ذلك الراكب ونزل والشمال معيية ، وإذا كانت الشمال تعيى فيه فكيف الانسان أو الناقة؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لان العرض أقل من الطول (٦) القلص جمع قلوص الناقة الفتية . والركاب الابل . يقول : خاصمت هذا المهمه على الابل ، فهو يأبى إلا أن ينال منها ويعصف بها بطوله ومشقته وأنا آبى إلا أن استبقيها لمسيرى . ثم قال :

لَوْلَا الأَمِيرُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ... مَاجُشِّمَتْ خَطَرًا وَرُدَّ نَصِيحُ (١)

وَمَتَى وَنَتْ وَأَبُوا الْمُظَفَّرِ أَمُّهَا ... فَأَتَاحَ لِي وَلَهَا الْحِمَامَ مُتِيحُ (٢)

شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بُرُوقَهُ ... وَحَرًى يَجُودُ وَمَا مَرَتْهُ الرِّيحُ (٣)

مَرْجُوُّ مَنْفَعَةٍ مَخُوفُ أَذِيَّةٍ ... مَغْبُوقُ كَأْسِ مَحَامِدٍ مَصْبُوحُ (٤)

حَنِقٌ عَلَى بِدَرِ اللُّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ ... بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسِيءِ صَفُوحُ (٥)

لَوْ فَرَّقَ الْكَرَمَ الْمُفَرِّقَ مَالَهُ ... فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحُ (٦)

وكان ركاب هذه الابل — لخوفهم الهلاك — يسبحون الله ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حداء للأبل مكان الغناء الذى تحدى به (١) جشمت كلفت يقول : لولا الممدوح ماعرضنا إبلنا لهذا الخطر ولا رددنا الناصح الذى كان ينصح لنا وينهانا عن ركوب هذه الاهوال (٢) ضمير ونت للابل أى توانت وفترت : وأمها قصدها أى مقصودها وقوله فأتاح لى الخ دعاء وأتاح الله الشيء قدره . يقول : إذا توانت الابل فى سيرها وهذا الممدوح مقصودها فالموت خير لى ولها . يعنى : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه

(٣) شمنا فعل وفاعل وبروقه مفعوله وما حجب السماء جملة معترضة . وشام البرق نظر إليه يرجو المطر وقوله وحرى أى وشمنا سحابا حرى أن يجود أى جديرا به أن يجود . ومرته الريح استدرته ، وأصله فى الناقة يمسح درعها لتدر . يقول : شمنا بروق الممدوح أى رجونا عطاءه ، والسماء لم يحجبها الغيم — اذ ليس هناك غيم فى الحقيقة — ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالمطر أى بالجود وإن لم تمره الريح ، يفضله على السحاب لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح أما الممدوح فليس كذلك (٤) المغبوق الذى يُسْقَى بالعشى والمصبوح الذى يُسْقَى صبحا يقول : أنه يحمد فى كل وقت ، فكأنه يُسْقَى كأس المحامد غبوقا وصبوحا (٥) البدر جمع بدرة وهى عشرة آلاف درهم . واللجين الفضة . والمعنى ظاهر (٦) يقول : لو فرق فى الناس كرمه الذى يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء . وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه

أقولُ إذ سألونى عن سماحتِهِ ... ولستُ ممّن يُطيلُ القَوْلَ إن مدحا

أَلْغَتْ مَسَامِعُه المَلَامَ وَغَادَرَتْ ... سِمَةً على أَنْفِ اللِّئَامِ تَلُوحُ (١)

هذا الّذِي خَلَتِ القُرُونُ وَذِكْرُهُ ... وَحَدِيثُه فى كُتْبِهَا مَشْرُوحُ (٢)

أَلْبَابُنَا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ ... وَسَحَابُنَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحُ (٣)

يَغْشَى الطِّعَانَ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ ... مَكْسُورَةً وَمِنَ الكُمَاةِ صَحِيحُ (٤)

وَعلَى التُّرَابِ مِنَ الدِّمَاءِ مَجَاسِدٌ ... وَعلى السَّمَاءِ مِنَ العَجَاجِ مُسُوحُ (٥)

لَوْ أَنَّ مافيه مِن جُودٍ تَقَسَّمَهُ ... أولادُ آدمَ عادوا كلُّهُم سُمَحَا

والأصل فى هذا قول العباس بن الأحنف وإن كان من باب آخر

لَوْ قَسَّمَ اللهُ جُزءًا من محاسنه ... فى النَّاسِ طُرًّا لَتَمَّ الحُسْنُ فى الناس

ويقول أبو تمام :

لو اقْتُسِمتْ أخلاقُه الغُرُّ لَمْ تجد ... مَعِيباً ولا خلقاً من الناس عائباً

(١) يقول : إن مسامعه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود فلم يبال به ومضى على سخائه ، وروي ابن جنى ألفت من الألفة . أى أن مسامعه — لكثرة ماسمعت اللوم — ألفته واعتادته فصار شيئاً مألوفا لاقيمة له عنده ، وغيره ممن أطاعوا اللائم وأصغت مسامعهم إليه صاروا لئاما يرى عليهم أثر اللؤم كما ترى السمة على الانف

(٢) المراد بخلت ههنا تخلو وأتى بالماضى للتحقيق على حد قوله تعالى أتى أمر الله. يقول : هذا الذى تمضى القرون والادهار ويبقى ذكره ويخلد فى الكتب والاسفار وقال الواحدى : المعنى : أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم وهو المعنى بذلك ، إذ الحقيقة منها له ، فذكره إذن فى الكتب مشروح « هذا ». وقوله وذكره وحديثه الخ هو على تقدير وذكره مشروح وحديثه كذلك

(٣) الألباب العقول . والنوال العطاء . والمعنى ظاهر (٤) يقول : يخوض الحرب فلا يردُّ رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح . وهذا من قول الفرزدق :

بِأَيْدِي رِجالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيوفَهُمْ ... ولم تَكْثُرِ القَتلى بِها حِينَ سُلَّتِ

« أى لم يغمدوها إلا بعد أن كثرت بها القتلى » قال الواحدى : وقوله مكسورة حشو ، أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب مكسورة ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص (٥) المجاسد جمع المجسد وهو المصبوغ

يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ ... رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْمَبْطُوحُ (١)

فَمَقِيلُ حُبِّ مُحِبِّهِ فَرِحٌ بِهِ ... وَمَقِيلُ غَيْظِ عَدُوِّهِ مَقْرُوحُ (٢)

يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهْيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ ... نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ (٣)

يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدٌ كَابْنِهِ ... شَرَفاً وَلَا كَالْجَدِّ ضَمَّ ضَرِيحُ (٤)

نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى ... هَوْلٍ إِذَا اخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحُ (٥)

بالجساد أى الزعفران والمسوح جمع مسح وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالغبار فكأن عليها مسوحا (١) رب الجواد فاعل يخطو يعنى الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى فترى الفارس يخطو من قتيل الى قتيل ، ويخلف وراءه فارسا مبطوحاً أى قتيلا أيضاً . ويجوز أن يكون المراد برب الجواد الممدوح (٢) المقيل المقام والمستقر ومقيل الحب ومقيل الغيظ القلب . يقول : ان قلب محبه فرح به مبتهج وقلب عدوه مقروح مكتئب (٣) يقول : ان عدوه يخفى العداوة خوفاً منه ، بيد أن العداوة لا تخفى لأن نظر العدو إلى من يعاديه يُظْهِرُ ما بقلبه من العداوة قال ابن الرومى

تُخَبِّرُنِى الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ ... وَلَا جِنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّزْرِ

وقال غيره

تُكَاشِرُنِى كُرْهاً كَأَنَّكَ نَاصِحٌ ... وَعَيْنُكَ تُبْدِى أَنَّ صَدْرَكَ لِى دَوِى

وقال الآخر

خَلِيلَىَّ لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبِينَةٌ ... وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تُرَى وَمَعَارِفُ

(٤) البرد شكل من الثياب . والكاف من قوله كابنه بمعنى مثل صفة لموصوف محذوف هو مفعول ضم أى ما ضم برد احدا مثل ابنه ولا ضم قبر مثل الجد . وشرفا تمييز . يقول : ليس فى الأحياء مثلك شرفا ولا فى الأموات مثل جد أبيك فى الشرف

(٥) المسيح العرق . وقوله هول أى وهول فهو عطف على سيل . وكان الوجه أن يقول اذا اختلط دم ومسيح ولكنه قال اختلطا على لغة من يقول قاما أخواك . يقول :

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللُّوحُ (١)

وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحُ (٢)

عَجْزٌ بِحُرٍّ فَاقَةٌ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الإِلهِ وَبَابُكَ المَفْتُوحُ (٣)

إِنَّ الْقَرِيضَ شَجٍ بِعِطْفِي عَائِذٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَمْدُوحُ (٤)

وَذَكِيُّ رَائِحَةِ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا تَبْغِي الثَّنَاءَ عَلَى الحَيَا فَتَفُوحُ (٥)

أنت سيل عند العطاء أى مثل المطر ، وهول عند القتال اذا سالت الدماء وامتزجت بالعرق (١) الغيث السحاب فيه مطر . واللوح الهواء بين السماء والأرض . والمعنى ظاهر (٢) يقول : لو كنت غيثاً لخشيت منك الطوفان الذى أنذر به نوح قومه (٣) يقول : من العجز أن يقاسى الحر الفاقة مع وجود رزق الأله وبابك الذى لا يحجب عنه طالب ، يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس فمن لم يصمد اليك ملتمساً الرزق فذلك لعجزه كما قال أبو تمام

خَابَ امْرُؤٌ بَخَسَ الحَوادِثُ رِزْقَهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَعْدُ الأَسْعُدِ

وما أجمل قول بعضهم

وَعَجْزٌ بِذِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بِعِيشَتِهِ وُسْعُ هَذِي البِلَادِ

(٤) شج حزين . والعطف الجانب . يقول : ان الشعر لاجىء إلى مستجير بى من أن أمدح به غيرك اذ لا يستأهله أحد سواك (٥) يقول : ان الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ، تحاول أن تثنى على المطر الذى أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أثنت على المطر . وهذا من قول ابن الرومى

شَكَرَتْ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْـ ـمِيِّ ثُمَّ العِهَادِ بَعْدَ العِهَادِ

فَهْيَ تُثْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فِي الْبِلَادِ

مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَيْـ ـشُومِ مَسْرَى الأَرْوَاحِ فِي الأَجْسَادِ

وأخذه السَّرى الرَّفَّاء فقال

وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سُقِيَتْ سَحَابًا فَأَثْنَتْ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

جُهْدُ المُقِلِّ فَكَيْفَ بِابْنِ كَرِيمَةٍ ... تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانُ فَصِيحُ (١)

وقال يصف لعبة على صورة جارية

جَارِيَةٌ مَا لِجِسْمِهَا رُوحُ ... بِالقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحُ (٢)

فِى كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا ... لِكُلِّ طِيبٍ مِنْ طِيبِهَا رِيحُ (٣)

سَأَشْرَبُ الكَأْسَ عَنْ إِشَارَتِهَا ... وَدَمْعُ عَيْنِى فِى الخَدِّ مَسْفُوحُ (٤)

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال

يُقَاتِلُنِى عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا ... وَمُنْصَرَفِى لَهُ أَمْضَى السِّلَاحِ (٥)

لِأَنِّى كُلَّمَا فَارَقْتُ طَرْفِى ... بَعِيدٌ بَيْنَ جَفْنِى وَالصَّبَاحِ (٦)

---

(١) جهد المقل أى ذلك جهد المقل . والجهد الطاقة والوسع والمقل الذى قلت ذات يده . وتوليه تعطيه يقول : ان رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق فكيف ظنك بى اذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؟ أى أننى لا أغادر شكرك والثناء عليك (٢) التباريح الشدائد يقول : ان القلوب تحبها للطف صورتها

(٣) يقول : ان كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة لانها أطيب الاشياء ريحا (٤) يقول : انى سأشرب الكأس امتثالا لاشارتها برغم أنى أكره الخمر ومن ثم سيسيل دمعى على خدى استبشاعا للخمر (٥) منصرفى مصدر ميمى بمعنى انصرافى . قال الواحدى : ان الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الامير واطالة اللبث فيه ، ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع ، وجعل ذلك قتالا . ثم قال : واذا انصرفت فقد أعنته على نفسى . ويجوز أن يكون المعنى : ان الليل برده ندماءه وتفريقه جلساءه يعمل على الخلو به ، فانصرافى أمضى سلاح له وأعون على مراده (٦) البيت تعليل لقوله ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأنى كلما فارقت عينى ولم أرك لم أنم من شوقى الى لقائك فطال ليلى وبعد ما بين جفنى والصباح

وجَرَى حديث وقعة أبى الساج مع أبى طاهر صاحب الأحساء فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل فهال بعضَ الجلساء ذلك وجزع منه فقال أبو الطيب لابى محمد بن طغج ارتجالاً

أَبَاعِثَ كُلِّ مَكْرُمَةٍ طَمُوحٍ ... وَفَارِسَ كُلِّ سَلْهَبَةٍ سَبُوحِ (١)

وَطَاعِنَ كُلِّ نَجْلَاءٍ غَمُوسٍ ... وَعَاصِيَ كُلِّ عَذَّالٍ نَصِيحِ (٢)

سَقَانِى اللهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْماً ... دَمَ الأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ (٣)

وأرسل أبو العشائر بازياً على حَجلةٍ فاخذها فقال المتنبى

وَطَائِرَةٍ تَتَبَّعُهَا الْمَنَايَا ... عَلَى آثَارِهَا زَجِلُ الْجَنَاحِ (٤)

كَأَنَّ الرِّيشَ مِنْهُ فِى سِهَامٍ ... عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمَ مِنْ رِيَاحِ (٥)

كَأَنَّ رُؤُسَ أَقْلَامٍ غِلَاظٍ ... مُسِحْنَ بِرِيشِ جُؤْجُؤِهِ الصِّحَاحِ (٦)

(١) الباعث المحيى من بعث الله الميت اذا نشره . والطموح الجموح وهى الخلة الممتنعة . والسلهبة الطويلة من الخيل . والسبوح التى تسبح فى جريها

(٢) يقول : انه يطعن كل طعنة واسعة تغمس صاحبها المطعون فى الدم ، ويعصى كل من يعذله فى الجود والاقدام (٣) يقول : أمكننى الله من الاعداء حتى اهريق دماءهم وآتى عليهم (٤) المراد بالطائرة الحجلة والحجلة واحدة الحجل وهى طائر فى حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش فى الصرود العالية يستطاب لحمه. والزجل ذو الصوت وأراد بالزجل جناح البازى يعنى حفيف جناحيه فى الطيران (٥) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها وجعل جسده جسما من رياح لسرعة انكداره على الصيد

(٦) الجؤجؤ الصدر . شبه سواد صدره بآثار مسح رؤس أقلام حبر غلاظ . وروى ابن جنى غلاظا نصبا على النعت للرؤس . وهو أجود لان المراد غلظ الرؤس حتى يكون أثر الحبر عريضا

فأَقْعَصَهَا بِحُجْنٍ تَحْتَ صُفْرٍ ... لَهَا فِعْلُ الأَسِنَّةِ وَالصِّفَاحِ (١)
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَوْتٍ ... وَإِنْ حَرَصَ النُّفُوسُ عَلَى الْفَلاَحِ (٢)

(قافية الدال)

وقال يمدح سيف الدولة ويرثى ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان وقد توفى فى حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

مَا سَدِكَتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودِ ... أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ (٣)
يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ ... حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ (٤)
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتَ عَلَى ... غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ (٥)

---

(١) أقعصها قتلها قتلا وحيا . والحجن جمع أحجن وهو المعوج ، يريد مخالبه . والصفر أصابعه . والاسنة نصال الرماح . والصفاح السيوف (٢) لكل حي خبر مقدم ويوم موت مبتدأ مؤخر . والفلاح البقاء والفوز والنجاة (٣) سدك الشيء بالشيء لزمه . والعلة المرض . والمورود المحموم من ورد الحمى قال ذو الرمة

* كأنَّنِي مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مورود *

ويروى بمولود

(٤) أصدق المواعيد الموت . يقول : أنه يأنف من موته على الفراش لانه شجاع أخو حروب ،وهذا ينظر إلى قول أبى تمام

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِماحِ إِذَنْ ... لَماتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِن شِدَّةِ الحَزَنِ

(٥) القود الطوال من الخيل . يقول : مثله فى شجاعته وملابسته الحروب ينكر موته على غير السروج أى فى غير الحرب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو يحتضر : ليس فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ، وها أنا ذا أموت موت الحمار ، فلا نامت أعين الجبناء

بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ　　وَضَرْبِهِ أَرْؤُسَ الصَّنَادِيدِ (١)

وَخَوْضِهِ غَمْرَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ　　لِلذِّمْرِ فِيهَا فُؤَادُ رِعْدِيدِ (٢)

فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّنَا صُبُرٌ　　وَإِنْ بَكَيْنَا فَغَيْرُ مَرْدُودِ (٣)

وَإِنْ جَزِعْنَا لَهُ فَلَا عَجَبٌ　　ذَا الْجَزْرُ فِى الْبَحْرِ غَيْرُ مَعْهُودِ (٤)

أَيْنَ الْهِبَاتُ الَّتِى يُفَرِّقُهَا　　عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْمَوَاحِيدِ (٥)

سَالِمُ أَهْلِ الْوِدَادِ بَعْدَهُمُ　　يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ (٦)

فَمَا تُرَجِّى النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ　　أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ (٧)

(١) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدره فى الحرب ، وبعد ضربه رؤس الابطال . وتعثر الرماح بصدره اصابتها اياه . وجعله مطعونا اشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاتله بالرمح ، وجعله ضاربا أشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه (٢) الذمر الشجاع . يقول : وبعد خوضة كل حومة فى الحرب صعبة اذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان

(٣) يقول : فان صبرنا على فقده فان الصبر عادة لنا وان بكينا لم يردده علينا البكاء فلا نفع فى البكاء ولا غناء . وان شئت قلت فغير مردود أى لم يرد علينا البكاء أى لا نعاب به لاستحقاقه ذلك وشدة الفجيعة به (٤) شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر . يقول : وان جزعنا لموته فلا عجب ، لأن مثل هذا الجزر لم يعهد فى البحر اذ المعهود فى البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه حسب ولكن لم يعهد فيه أن يجزر حتى ينضب ويجف ، والمعنى قد تقع المصائب ولكن لم نعهد مثل هذه المصيبة (٥) الزرافات الجماعات والمراد بالمواحيد الأفراد كأنه أخذها من مواحيد الجبال وهى اكمات منفردات كل واحدة بائنة عن الأخرى (٦) يقول : ان السالم بعد فراق الأحبة انما يسلم ليحزن لفقدهم لا ليخلد لأنه يتبعهم وان تأخر أجله عن آجالهم (٧) قال الواحدى : أى لا رجاء عند زمان احمد حاليه البقاء وهو البقاء غير محمود لأن معجله بلاء ومؤجله فناء . وان شئت قلت : أحمد حاليه البقاء ومن بقى شاب والشيب مكروه مذموم فيكون كما قال محمود الوراق

إِنَّ نُيُوبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِى ... أَنَا الَّذِى طَالَ عَجْمُهَا عُودِى (١)

وَفِىَّ مَا قَارَعَ الْخُطُوبَ وَمَا ... آنَسَنِى بِالْمَصَائِبِ السُّودِ (٢)

مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَغَاثَكَ يَا ... سَيْفَ بَنِى هَاشِمٍ بِمَغْمُودِ (٣)

يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الأَمْـــلَاكِ طُرًّا يَا أَصْيَدَ الصِّيدِ (٤)

قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ ... وَقْعُ قَنَا الْخَطِّ فِى اللَّغَادِيدِ (٥)

وَرَمْيُكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ ... رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَسْهِيدِ (٦)

فَصَبَّحَتْهُمْ رِعَالُهَا شُزَّبًا ... بَيْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ (٧)

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مُدَّ الْبَقَاءُ لَهُ ... وَسَاعَدَتْ نَفْسَهُ فِيهِ أَمَانِيهَا

أَبْقَى الْجَفَاءُ لَهُ فِى نَفْسِهِ شُغُلًا ... مِمَّا يَرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبِلَى فِيهَا

(١) عجم العود عضه ليعرف أصلب هو أم رخو . يقول : قد طالت صحبتى للزمان ، وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه (٢) يقول : فى من الجلادة والصبر ما يقارع الخطوب ويدافعها من توهينى ، ومن طول ألقى للمحن ما نفى عنى الجزع وصيرنى آنس بالمصائب (٣) يقول : لما استغاثك وهو فى أسر بنى كلاب أغثته واستنقذته من أيديهم ولم تكن سيفا مغموداً عنه (٤) يا أصيد الصيد يا ملك الملوك . وأصل الصيد داء يأخذ البعير فى عنقه فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة واستعمل فى الملك والرجل العظيم (٥) اللغاديد لحمات بين الحنك وصفحة العنق . وجعل أسره قبل ذلك موتا قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى اياه ، فنشرته من ذلك الموت بطعن الرماح في لغاديد الاعداء حتى استنقذته منهم (٦) يقول : وأنشره سيرك ليلا بجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ، فكأنك رميت عيونهم بالسهر ، ورميت الليل بالجنود (٧) الهاء فى رعالها كناية عن الخيل وان لم تذكر . والرعال جمع رعلة القطعة من الخيل . والشزب جمع شازب وهو الضامر . والثبات جمع ثبة وهى الجماعة . والعباديد الفرق ولا واحد لها من لفظها يقول : أَنْصَبَّتْ عليهم الخيل صباحا زرافات ووحدانا

تَحْمِلُ أَغْمَادُهَا الفِدَاءَ لَهُمْ ... فانْتَقَدُوا الضَّرْبَ كالأَخَادِيد (١)

مَوْقِعُهُ فِى فِرَاشِ هَامِهِمِ ... وَرِيحُهُ فِى مَنَاخِرِ السِّيدِ (٢)

أَفْنَى الْحَيَاةَ الَّتِى وَهَبْتَ لَهُ ... فِى شَرَفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ (٣)

سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ ... مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ (٤)

ثُمَّ غَدَا قِيدُهُ الحِمَامُ وَمَا ... تَخْلُصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودِ (٥)

لَا يَنْقُصُ الْهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ ... مِنْهُ عَلِيٌّ مُضَيِّقُ الْبِيدِ (٦)

تَهُبُّ فِى ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ ... هُبُوبَ أَرْوَاحِهَا الْمَرَاوِيدِ (٧)

---

(١) انتقد الدراهم قبضها . والاخاديد جمع أخدود وهو الشق فى الارض . كنى بما تحمل الاغماد عن السيوف أى حملوا اليهم السيوف فى الاغماد وجعلوها فداءه لانهم استنقذوه بها ، ولما جعل السيوف فداء جعل الضرب بها مقبوضا كما تقبض الدراهم والدنانير التى تدفع عادة فى الفداء يعنى : أن فداء أبى وائل كان ضربا أثر فيهم تأثير الأخدود فى الارض (٢) الفراش عظام رقاق تلى قحف الرأس . والهام الرؤس . والسيد الذئب . يقول : ان هذا الضرب يقع فى عظام رؤسهم فتستنشق الذئاب والوحوش منه رائحة تدلها فتأتى لأكل لحومهم (٣) يقول : ان الحياة التى وهبتها له بعد تخليصك إياه من الاسر والقتل أفناها فى بناء الشرف والسيادة شاكرا لك تلك النعمة ــ نعمة الحياة ــ التى أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد اقراره بسيادة سيف الدولة (٤) المنجود المكروب . وكان المرثى قد أصابته جراحة فى الحرب فبقى فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقيةَ حياتِه سقيمَ جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروبا لتلك الجراحة وهو مع ذلك عون المكروب (٥) القد القيد . والحمام الموت . والمصفود القيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا أسيرا للموت ، ومن قيد بالموت وصفد به لم يتخلص منه . هذا وجملة قده الحمام مبتدا وخبر فى موضع نصب

(٦) يقول: من هلك من عشيرتك لا ينتقص به عددك لان الفلوات تضيق بأتباعك ومن معك من الجيوش . ومن فى قوله من عدد زائدة وعدد مفعول ينقص . ومنه على مبتدا وخبر صفة لعدد وعلى هو سيف الدولة (٧) الضمير فى ظهرها للبيد . وأرواحها رياحها والمراويد الرياح تجيىء وتذهب . يقول : ان جيوشه تطلع على الفلوات

أَوَّلَ حَرْفٍ مِنِ اسْمِهِ كَتَبَتْ سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِي الْجَلاَمِيدِ (١)

مَهْمَا يُعَزَّ الْفَتَى الأَمِيرَ بِهِ فَلاَ بِإِقْدَامِهِ وَلاَ الْجُودِ (٢)

وَمِنْ مُنَانَا بَقَاؤُهُ أَبَدًا حَتَّى يُعَزَّى بِكُلِّ مَوْلُودِ (٣)

وقال يمدحه ويذكر هجوم الشتاء

الذى عاقه عن غزو خرشنة ويذكر الواقعة

عَوَاذِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِيَّ حَوَاسِدُ
وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مِنِّى لَمَاجِدُ (٤)

يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَا وَهْوَ قَادِرٌ
وَيَعْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِدُ (٥)

وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه غير وانية ولا مستريحة وانها كثيرة (١) أراد بأول حرف من اسمه العين لأن اسمه على . والسنبك طرف الحافر والجلاميد الصخور . يقول : أن حوافر الخيل لشدة وقعها على الصخور كانت تطبع فيها أثرا يشبه حرف العين فى استدارته وفراغ وسطه (٢) يقول : مهما عزاه معز بهذا الميت فلا عزاه بجوده وشجاعته، أى لافقدها (٣) يقول : امنيتنا أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم (٤) الخود المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : أن اللواتى يعذلن هذه المرأة — التى هى صاحبة الخال على وجهها — فى لأجل محبتها إياى هن حواسد لها على لانها ظفرت منى بضجيع ماجد (٥) يقول : انى أعف عنها مع كونى قادرا على ترك العفاف ، وقد صار ذلك سجية لى حتى صرت أعف عن طيفها أيضا اذا زارنى فى نومى . يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء كما قال هدبة :

وَإِنِّي لأُخْلِي لِلْفَتَاةِ فِرَاشَهَا وَأَصْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ وَالْقَلْبُ وَالِهُ

مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى
مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدُ (١)

إِذَا كُنْتَ تَخْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ
فَلِمْ تَتَصَبَّاكَ الْحِسَانُ الْخَرَائِدُ (٢)

أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلِفْتُهُ وَمَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ (٣)

مَرَرْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمْحَمَتْ
جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَعَاهِدُ (٤)

وَمَا تُنْكِرُ الدَّهْمَاءُ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ
سَقَتْهَا ضَرِيبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَائِدُ (٥)

---

(١) اللاعج المحرق . والحشا ما اضطمت عليه الضلوع . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة اذا دنا منها بشخصه نأى عنها بعفافه ؟ (٢) تتصباك تدعوك الى الصبوة . والخرائد الحييات . ينكر على نفسه صبوته الى الحسان مادام يخشى العار فى الخلوة بهن . يقول : اذا كنت فى الخلوة بهن تنأى عنهن وتعف فمالك ولعشق الحسان والنزاع إليهن (٣) ألح عليه لازمه . والعوائد جمع عائدة وهى التى تعود المريض.

(٤) يقال فرس جواد للذكر والانثى . والحمحمة دون الصهيل كالتنحنح . وشجاه يشجوه اذا أحزنه . والمعاهد جمع معهد وهو الموضع الذى عهدت به شيئا وتسمى ديار الأحبة معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب فحمحمت جوادى حنينا إليها لأنها عرفتها . ثم استفهم متعجبا فقال : وهل الديار تشجى العجماوات كما تشجى الانسان؟ وقد أخذ أبو الحسن التهامى هذا وزاد عليه فقال

بكيتُ فحنّتْ ناقتى فأجابها صهيل جيادى حين لاحت ديارُها

ثم زاد السرى الرفاء على هذا فقال :

وقفتُ بها أبكى وترزِمُ ناقتى وتصهلُ أفراسى ويدعو حمامُها

(٥) ما استفهام انكارى . والفرس الدهماء السوداء . والضريب اللبن الخاثر يحلب من.

أَهُمُّ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا ... تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ[١]

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ[٢]

وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ ... سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ[٣]

تَثَنَّى عَلَى قَدْرِ الطِّعَانِ كَأَنَّمَا ... مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ[٤]

مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي عَلَى الْقَنَا ... مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتُهَا وَالْقَلَائِدُ[٥]

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنَّدُ فِي يَدِي ... مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ[٦]

عدة لقاح . والشول النياق التي بَعُدَ عهدُها بالنتاج فخف لبنها . والوليدة الجارية التي تَخْدُم . يقول : ليست تنكر الفرس الدهماء رسم منزل أقامت فيه تسقيها الولائد فيه لبن النياق فألفته .

(١) يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالي تدافعني عنه وتحول بيني وبينه فكأنها بذلك تطاردني عن الوصول إليه وأنا أطاردها عن حيلولتها بيني وبينه

(٢) وحيد خبر مبتدأ محذوف أي أنا وحيد ويروى وحيدا على أنه حال من ضمير أهم . يقول : إن مطلوبي عظيم ومن ثم لا أجد من يساعدني على ما أطلب لان المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه (٣) الغمرة الشدة . والسبوح الفرس التي كأنها تسبح في جريها . يقول : وتعينني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هي لها منها أدلة عليها . وفي الشطر الثاني من كثرة التكرار — وهو قوله لها منها عليها — ما قد يعاب به (٤) المراود جمع مرود وهو حديدة تدور في اللجام . يقول : إن هذه السبوح للين مفاصلها تميل مع الرماح كيفما اتجهت إليها . شبه مفاصلها في سرعة استدارتها إذا لوى عنانها لدى الطعان بمسمار المرود يدور مع حلقته كيفما أديرت كما قال كشاجم

وإذا عطفتَ به على موروده ... لتُديرَهُ فكأنّه بركارُ

(٥) اللبات أعالي الصدور . ومحللة القلائد أي مواضع القلائد من الاعناق يقول : أنه يخوض الحرب فتنال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تنال من أعجازها لانه لايهرب منها (٦) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لايصدر واردها حيا مالم يكن جلدا شجاعا مثلي — أو مالم يقاتل مثلي .

وَلَـكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ
عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْـكَفَّ سَاعِدُ(١)

خَلِيلَيَّ إِنِّى لاَ أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّى الْقَصَائِدُ(٢)

فَلاَ تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَـكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ(٣)

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ فِى الْحَرْبِ مُنْتَضٍ
وَمِنْ عَادَةِ الإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدُ(٤)

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ   تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ(٥)

أَحَقُّهُمُ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطُّلَى
وَبِالأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ(٦)

---

(١) يقول : إن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لابالكف فاذا لم تقو الكف بقوة القلب لم تقو بقوة الساعد (٢) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لايستحق أن يسمى شعرا . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم . وإذن فهو الشاعر فى الحقيقة،أما غيره فهو شاعر بانتحال شعره

(٣) فى هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول : إنه فى الشعراء كسيف الدولة فى السيوف ، فكل منهما منقطع النظير وإن كان له أشباه ونظائر فى التسمية وهذا كما يقول الفرزدق

وقد تلتقى الاسماء فى النّاسِ والـكُنَى   كثيراً ولـكنْ فُرِّقُوا فى الخلائق

(٤) انتضى السيف سله وجرده . يقول : إنه ليس كسيوف الحديد التى تنتضى وتغمد ، وإنما ينتضيه فى الحرب كرم طبعه ، ويغمده ما تعوده من العفو والاحسان

(٥) يقول : لما رأيت الناس دونه فى المنزلة تيقنت أن الدهر ناقد لهم يعطى كلا على قدر مايستحقه (٦) الطلى الاعناق وهذا كالشرح لما ذكره فى البيت السابق . يقول :

وَأَشْقَى بِلَادِ اللهِ مَا الرُّومُ أَهْلُهَا بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدُ(١)

شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَكْتَهَا
وَجَفْنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدُ(٢)

مُخَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرْعَى كَأَنَّهَا
وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ(٣)

تُنَكِّسُهُمْ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالُهُمْ وَتَطْعَنُ فِيهِمْ وَالرِّمَاحُ الْمَكَايِدُ(٤)

وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى
كَمَا سَكَنَتْ بَطْنَ التُّرَابِ الأَسَاوِدُ(٥)

إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وأمارة من كان ضاربا للأعناق أى شجاعا ، وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب (١) يقول : إن أشقى بلاد الله البلاد التى أهلها الروم ، وشقاؤها إنما هو بهذا أى بكونك تضرب الطلى ولا تكترث لغمرات الحروب ، ومع هذا فهم كلهم معترفون بمجدك ولا يجحدون ما أنت عليه من الشجاعة والاقدام (٢) شن الغارة صبها عليهم وفرقها من كل وجه.والفرنجة قرية بأقصى بلاد الروم يقول : صببت الغارة على بلاد الروم ، فشاع خوفك فيهم جميعا حتى أحس الذى فى أقصى بلادهم، لاينام خوفا وان كان بعيدا عنك (٣) يقول: إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مخلقة أى مطلية بالخلوق — ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران — وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الارض وإن لم يسجدوا حقيقة (٤) يقول : تنزلهم منكوسين من جبالهم التى تحصنوا بها، فهى لهم بمنزلة الخيول السابقة، وتأتى عليهم بكيدك ، يعنى أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح، ولك أن تقول والسابقات جبالهم أى أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التى كأنها الجبال يستعصمون بها فتنكسهم عنها (٥) الهبر تقطيع اللحم والكدى جمع كدية وهى الارض الصلبة والاساود الحيات العظيمة يقول: وتمعن فى تقطيعهم بالسيوف وقدا كتمنوا تحت الصخور وفى المغاور والكهوف كما تكمن الحيات فى التراب

وتُضْحِي الحُصُونُ المُشْمَخِرَّاتُ في الذُّرَى
وَخَيْلُكَ في أَعْنَاقِهِنَّ قَلاَئِدُ[(١)]

عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللُّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهِنْرِيطَ حَتَّى ابْيَضَّ بالسَّبْيِ آمِدُ[(٢)]

وَأَلْحَقْنَ بالصَّفْصَافِ سَابُورَ فَانْهَوَى
وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلاَهُمَا وَالجَلاَمِدُ[(٣)]

وَغَلَّسَ في الوَادِي بِهِنَّ مُشَيَّعٌ مُبَارَكُ مَاتَحْتَ اللِّثَامَيْنِ عَابِدُ[(٤)]

فَتًى يَشْتَهِي طُولَ البِلاَدِ وَوَقْتِهِ تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالمَقَاصِدُ[(٥)]

---

(١) المشمخرات المرتفعات . والذرى أعالي الجبال . يقول : وتضحى الحصون العالية الشامخة في رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالاعناق

(٢) اللقان وهنريط من بلاد الروم . وآمد بلد بالثغور مما يلي الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأتت عليهم هلاكا يوم أغرن عليهم بهذا المكان وساقتهم أسارى حتى ابيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الاسارى من الجوارى والغلمان

(٣) الصفصاف وسابور حصنان منيعان للروم ، وانهوى هوى وسقط . يقول : وألحقن — أي الخيل — أحد الحصنين بالآخر في التخريب حتى سقط مثله وهلك أهل الحصنين وحجارتهما ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رمادا ، فجعل ذلك هلاكا لها (٤) غلس سار غلسا أي آخر الليل . وبهن أي بالخيل . والمشيع الجرئ المقدام . وما تحت اللثامين الوجه . واللثام ما يكون على الوجه والتلثم عادة العرب في أسفارها وعنى باللثام الثاني ما يرسله على الوجه من حلق المغفر . ومبارك الوجه عابد الله هو سيف الدولة (٥) يقول : أنه يتمنى أن تكون البلاد أوسع مما هي والزمان أطول لأن الاوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد اليه من البلاد يضيق بهمته وخيله وجيوشه وهذا كقوله الآتي :

تجمعت في فؤاده هِمَمٌ ملء فؤاد الزمان إحداها
فان أتى حظها بأزمنة أوسع من ذا الزمان أبداها

أَخُو غزَوَاتٍ ما تُغِبُّ سيُوفُهُ رِقَابَهُمُ إلاَّ وَسَيْحانُ جامِدُ(١)

فلَمْ يبْقَ إلاَّ مَنْ حَمَاها منَ الظُّبَا لَمَى شفَتَيْهَا وَالثُّدِيُّ النَّوَاهِدُ(٢)

تُبَكِّي عليْهِنَّ الْبَطَارِيقُ في الدُّجى وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ(٣)

بذَا قضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ(٤)

وَمِنْ شَرَفِ الإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمِ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كأَنَّكَ شاكِدُ(٥)

وَأَنَّ دَماً أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ وَأَنَّ فُؤَادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ(٦)

---

(١) أغب فلان القوم وغب عنهم اذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما . وسيحان نهر ببلاد الروم وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لاتفارق سيوفه رقابهم إلا اذا اشتد البرد وجمدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم

(٢) الظبا جمع ظبة حد السيف. واللمى سمرة فى الشفة تستملح . ونهد الثدى ارتفع . يقول : انه عصف بالروم وأتى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ،فقد حماها المعنى النسوى من حد السيف . وقد أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال

فما أبقيْتَ إلاَّ مُخْطَفاتٍ حَمَى الأَخْطَافُ مِنْها وَالنُّهودُ

« الاخطاف الضمور » (٣) البطاريق قواد الروم . يقول : أنه أسر بنات البطاريق فهم يبكون عليهن ، وهن لدينا فى دار الاسلام مطروحات لايرغب فيهن

(٤) وفى هذا المعنى يقول أبو تمام

ما إنْ أرَى شيئاً لِشيءٍ مُحْيِياً حَتَّى تُلاَقِيَهُ لآخَرَ قاتلاَ

وهو معنى قديم ولكن المتنبى صاغه أبدع صياغة وأوجز (٥) مومومق محبوب والشاكد المعطى . يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيهم شيئا ، وذلك من شرف الشجاعة ، لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله

(٦) يقول : ومن شرف الاقدام أن الدم الذى تسفكه يفخر بأنه سفك بيدك ، وأن القلب الذى تخيفه يحمدك اعجابا بشجاعتك كما يقول القائل

فَإن كُنْتُ مقْتولاً فكُنْ أنت قاتلي فبعْضُ منَايا القوْمِ أكْرَمُ من بعض

وَكُلٌّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنفسِ قَائِدُ (١)

نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَالَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ (٢)

فَأَنْتَ حُسَامُ المُلْكِ وَاللهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللهُ عَاقِدُ (٣)

وَأَنْتَ أَبُو الهَيْجَا ابْنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَهُ
تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ (٤)

وَحَمْدَانُ حَمْدُونٌ وَحَمْدُونُ حَارِثٌ وَحَارِثُ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانُ رَاشِدُ (٥)

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الخِلافَةِ كُلُّهَا وَسَائِرُ أَمْلاكِ البِلادِ الزَّوَائِدُ (٦)

---

(١) يقول : ان كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم لأنه لاخفاء بهما بيد أنه انما يسلك طريقهما من قادته نفسه اليهما وكان مطبوعا عليهما . يعنى انك أنت مجبول عليهما ومن ثم تقودك نفسك إليهما (٢) قال الواحدى : هذا من أحسن مامدح به ملك وهو مديح موجه أى ذو وجهين ، وذلك أنه مدحه في المصراع الاول بالشجاعة وكثرة قتل الاعداء فقال: نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم مالوعشته لكانت الدنيا مهنأة ببقائك فيها خالدا ، وهذا هو الوجه الثانى فى المدح — أنه جعله جمالا للدنيا تهنأ الدنيا ببقائه فيها ، ولو قال مالوعشته لبقيت خالدا لم يكن المدح موجها (٣) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ، ولكن الضارب بك هو الله، وأنت للدين راية الله سبحانه الذى عقدها وأحكمها

(٤) أبو الهيجاء كنية عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة ، والهيجاء الحرب تمد وتقصر : يقول يا ابن أبى الهيجاء أنت أبو الهيجاء ، يريد قوة الشبه بينهما حتى كأنه هو . وذلك قوله تشابه مولود كريم ووالد

(٥) هؤلاء آباء سيف الدولة يقول : أنت تشبه أباك وأبوك يشبه أباه وأبوه أباه الخ أى أن كل واحد من ابائك يشبه أباه فى كرمه وسائر محاسنه ، وقد عاب الصاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الاسامى فى الشعر كقول الشاعر

إن يَقْتُلُوكَ فقد ثَلَلْتَ عُروشَهُمْ بِقُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بْنِ شِهاب

واحتذى هذا الفاضل حذوهم فقال وأنت أبو الهيجا . . البيتين ، وهذا من الحكمة التى ذخر ارسطو وأفلاطون لهذا الخلف الصالح . .

(٦) الزوائد من الاسنان التى تنبت خلف الأضراس . يقول : ان هؤلاء الذين

أُحبكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ
وَإِنْ لاَمَنِي فِيكَ السُّهَى وَالفَرَاقِدُ (١)

وَذَاكَ لِأَنَّ الفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيْسَ لِأَنَّ العَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ (٢)

فَإِنَّ قَلِيلَ الحُبِّ بِالعَقْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الحُبِّ بِالجَهْلِ فَاسِدُ (٣)

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الأضحى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة

أنشده إياها فى ميدانه بحلب وهما على فرسيهما

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَاتَعَوَّدَا
وَعادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي العِدَا (٤)

ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الانياب ، تمتنع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك فهم بمنزلة الزوائد ، لاحاجة للخلافة بهم (١) السهى نجم خفى من بنات نعش الصغرى ومنه المثل — أريها السهى وتريني القمر — والفرقد نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به وبجانبه آخر أخفى منه فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما جعله بين الملوك كالشمس والبدر ، وغيره من الملوك كالنجوم الخفية . يقول : أن أميل اليك بهواى وأن لامنى فى ذلك من لا يبلغ منزلتك (٢) الباهر البارع قال ذو الرمة :

وَقَدْ بَهَرَتْ فَلَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إلاّ على أَكْمَهٍ لايَعرِفُ القَمرَا *

وعيش بارد رغد هنىء . يقول : إن ذاك الحب انما هو لظهور فضلك على غيرك لالطيب العيش عندك إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لايظهر فضله ظهور فضلك ، فلايستأهل الحب (٣) الجهل الحمق (٤) جعله سيفا ثم وصفه بالطعن كأنه قال هو سيف ورمح

---

* قد جاء هذا البيت محرفا فيما مضى من هذا الشرح وهذا صوابه

وَأَنْ يُكَذِّبَ الإِرْجَافَ عَنْهُ بِضِدِّهِ
وَيُمْسِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا[١]

وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ
وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى[٢]

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ سَاعَةً
رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا[٣]

هُوَ الْبَحْرُ غُصْ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِناً
عَلَى الدُّرِّ وَاحْذَرْهُ إِذَا كَانَ مُزْبِدَا[٤]

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى
وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدَا[٥]

---

(١) وان يكذب عطف على الطعن فى البيت السابق ويمسى عطف على يكذب وسكن الياء ضرورة. والأرجاف توليد الاخبار الكاذبة التى يكون معها اضطراب فى الناس يقول : وعادته أن يكذب إرجاف عداته عنه بضد ارجافهم فهم يرجفون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وفلجه وهم ينوون معارضته فيتحرشون به فيكون ذلك سبب ظفره بهم إذ يمتلك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان. ويروى بدل تنوى تحوى أى أنه أملك لما فى أيديهم منهم لأنه متى أراد احتواه

(٢) ضره مصدر وهو مفعول مريد . يقول : ورب عدو أراد أن يضره فضر نفسه بتحرشه به ، وقاد اليه الجيش بغية الايقاع به فكان الجيش غنيمة له فكأنه أهدى اليه هدية وضل بذلك عن القصد (٣) يقول : ورب كافر متكبر عن الايمان بالله راه والسيف فى يده فآمن وأتى بكلمة الشهادة إما خوفا منه ، وإما ظنا بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه وكمال وصفه (٤) يقول : أنه تفاع ضرار ، فمن جاءه مسالما ظفر باحسانه ومن جاءه مغاضبا عرض نفسه للتهلكة ، مثله في ذلك مثل البحر ، اذا سكن البحر أمكن ركوبه والغوص على ما فيه من الجواهر ، وان جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه

(٥) يقال عثر الدهر بفلان نكبه . يقول : أن البحر يعثر براكبه أى يهلكه عن غير قصد وعمد ، اما الممدوح فانه يهلك اعداءه متعمداً، وهذا المعنى قريب من قوله فى إحدى قوافيه السابقة

تَظَلُّ مُلُوكُ الأَرْضِ خاشِعَةً لهُ تُفَارِقُهُ هَلْكَى وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا (١)

وَتُحْيِي لهُ المَالَ الصَّوَارِمُ وَالقَنَا وَيَقْتُلُ مَا تُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالجَدَا (٢)

ذَكِيٌّ تَظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ يَرَى قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا (٣)

وَصُولٌ إِلَى المُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ

فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ ماءً لأَوْرَدَا (٤)

لِذَلِكَ سَمَّى ابْنُ الدُّمُسْتُقِ يَوْمَهُ مَمَاتاً وَسَمَّاهُ الدُّمُسْتُقُ مَوْلِدَا (٥)

سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ ثَلاثاً لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْضٌ وَأَبْعَدَا (٦)

وَيُخْشَى عُبَابُ البحرِ وهوَ مَكَانَهُ فَكَيفَ بِمَنْ يَغْشَى البلادَ إِذَا عبَّا

(١) يقول: من تمرد عليه وفارقه من الملوك هلك، ومن سالمه منهم خضع له وسجد لأنه سيدهم (٢) الجدا العطاء. يقول: ان السيوف والرماح تأتيه بمال الاعداء والعطاء يفنى هذا المال كما قال أبو تمام

إذا ما أغارُوا فاحْتَوَوْا مالَ مَعشَرٍ أغارَتْ عليه فاحتَوَتْهُ الصنائعُ

(٣) التظني أصله التظنن قلبت النون الثانية ياء ومعناه الظن يقول: انه من الذكاء والنفاذ ونقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشيء قبل أن تراه عينه، كالطليعة تتقدم امام الجيش، ثم أوضح فقال: يرى قلبه في يومه بظنه ماتراه عينه غدا، وهذا من قول أوس بن حجر

الأَلْمَعِيُّ الذى يظُنُّ بكَ الظنَّ كأن قدْ رأى وقدْ سمِعا

(٤) يقول: أنه يصل بخيله إلى الشيء البعيد الذى يتعذر الوصول اليه حتى لو كان قرن الشمس — وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها — ماء لبلغه وأورده خيله، وهذا مبالغة

(٥) يقول: لأنك على ما وصفت يئس ابن الدمستق من الحياة لما أسرته، وسمى يوم أسره هذا مماتا له لما يعلم من بأسك، وسماه أبوه مولداً — لانه فر ونجا فيه — فصار كيوم ولدته أمه، والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتا للابن حياة للأب

(٦) جيحان نهر ببلاد الروم. وآمد بلد بالثغور، يقول: بلغت جيحان من آمد فى

فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجُيُوشَهُ جَمِيعاً وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا(١)

عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللهِ مِنْكَ مُجَرَّدَا(٢)

وَمَا طَلَبَتْ زُرْقُ الأَسِنَّةِ غَيْرَهُ وَلَكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا(٣)

فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً
وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدِّلَاصَ الْمُسَرَّدَا(٤)

وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِباً
وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشْقَرَ أَجْرَدَا(٥)

وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكَرُّ وَجْهَهُ
جَرِيحاً وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا(٦)

ثلاث ليال — وهى مسافة بعيدة لاتقطع فى مثل هذه المدة — وبذلك أدناك الركض من جيحان — على بعده من آمد — وأبعدك عن آمد — على قرب عهدك بمغادرتها

(١) يقول : فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى فى يدك ، ولم يك ذلك اعطاء منه ينبغى أن تحمده عليه لانه انما تركهم قهرا وعجزا (٢) يقول : لما رآك كنت قيد عينه لعظمك فى نفسه فشغلتها بتوقع بطشك فلم ير حوله سواك ، وحلت بذلك بينه وبين الحياة فصار فى حكم الميت في تخاذل الحواس لانه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورا مجردا عليه (٣) الأسنة نصال الرماح . وقسطنطين هو ابن الدمستق ، يقول : ان الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق ولكن ابنه كان فداء له لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه فانتهز الدمستق ذلك ونجا بنفسه (٤) المسوح ثياب تنسج من الشعر . ويجتابها يلبسها ويدخل فيها ، والدلاص الدرع البراقة الصافية . والمسرد المنظوم المنسوج بعضه فى بعض ، يقول : انه ترك الحرب خوفا منك وترهب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدرع (٥) العكاز عصا فى طرفها زج ، يقول : وصار يمشى في دير الرهبان على العكاز تائبا من الحرب بعد أن كان لايرضى مشى الخيل السراع — لأن الجواد الاشقر عند العرب أسرع الخيل — بعد أن يئس ونال منه الهم . والأجرد القصير الشعر

(٦) يقول : أنه لم يترك الحرب إلا بعد ان ترك كر الفرسان — فى الطعن والضرب —

فَلَوْ كانَ يُنْجِى مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ
تَرَهَّبَتِ الْأَمْلاكُ مَثْنَى وَمَوْحَداَ(١)

وَ كلُّ امْرِئٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بَعْدَهَا
يُعِدُّ لَهُ ثَوْباً مِنَ الشَّعْرِ أَسْوَدَا(٢)

هَنِيأً لَكَ الْعِيدُ الّذِى أَنْتَ عِيدُهُ   وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَّى وَعَيَّدَا(٣)

وَلا زَالَتِ الأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ   تُسَلِّمُ مَخْرُوقاً وتُعْطَى مُجَدَّدَا(٤)

فَذا اليَوْمُ فِى الأَيَّامِ مِثْلُكَ فِى الوَرَى
كما كُنْتَ فِيهِمْ أَوحَدًا كانَ أَوحَدَا(٥)

وجهه جريحا ، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش ، يعنى أنه اضطر الى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والادواء

(١) الاملاك الملوك ، يقول : أن ترهبه هذا لاينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحداً واحداً « هذا » وقوله وموحدا بفتح الحاء هو أحد ما جاء من مفعل المعتل الفاء مفتوح العين (٢) بعدها أى بعد فعلة الدمستق ويروى بعده فيكون الضمير له ، يقول : لوكان ينجى من على ترهب لكان كل امرىء من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحا يترهب فيها فينجو منه

(٣) سمى أى ذكر اسم الله يعنى عند ذبح الضحايا ، يقول : ليهنك العيد الذى أنت عيده أى تحل فيه محل العيد في القلوب — إذ أن العيد مما يبتهج به الناس فكذلك هذا العيد يبتهج بك كما قال * جاء نوروزنا وأنت مراده * ثم قال : وأنت عيد لمن سمى وضحى وعيد أى أنت عيد لكل مسلم (٤) اللبس ما يلبس استعاره للاعياد فأجراها مجرى الملبوسات ، يقول : لازلت تلبس الاعياد المتكررة عليك فى الدهر ، فاذا مضى عيد أتاك عيد آخر بعده جديد

(٥) وبديع قول ابى تمام فى هذا المعنى

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنهُمْ عن غَطارِفَةٍ   كأنَّ أيّامَهُم مِن حُسنها جُمَعُ

هُوَ الجَدُّ حتَّى تفضُلَ العَيْنُ أُخْتَهَا   وَحتَّى يصيرَ اليَوْمُ لِليَوْمِ سَيِّدَا (١)

فَيَاعَجَبَا مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ   أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتَىْ مَا تَقَلَّدَا (٢)

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَامَ بَازًا لِصَيْدِهِ   تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا (٣)

رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِى مَحْضِ قُدْرَةٍ

وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنَّدَا (٤)

---

(١) هو ضمير الشأن والجد الحظ والبخت ، يقول : ان الجد له فعله حتى في المتساوين مثل العين والعين واليوم واليوم ، فترى العينين تتفاضلان فتصح إحداهما وتسقم الاخرى مع انهما تجمعهما بنية واحدة ، وترى اليوم يسود اليوم ، وكلاهما ضوء شمس ، يعنى أن يوم العيد كسائر الايام فى الصورة ولكن الجد مازه من سائر الايام فجعله يوم فرح وسرور وفى هذا المعنى يقول أبو تمام

وإذا تأمّلْت البِلادَ رَأيتها   تَثْرَى كما تَثْرى الرجالُ وتُعْدِمُ

حظٌّ تعاوره البقاع لوقته   وَادٍ به صِفْرٌ وآخرُ مُفْعَمُ

« ثرا الرجل يثرى فهو ثر وأثرى يثرى فهو مثر » (٢) الدائل صاحب الدولة ، يريد به الخليفة ، وشفرتا السيف حداه ، يقول : أما يخشى الخليفة — وقد تقلدك سيفا له — ان تكون سيفا عليه ، فلا يأمن جانبك؟ ولا يخفى مافى هذا البيت ومابعده من التعريض الذى خفى سببه (٣) يقول : من اتخذ الاسد بازا يصيد به اتى عليه الاسد فصاده ، وقد ضرب هذا مثلا للمعنى السابق. وفى هذا المعنى يقول دعبل

فكان كالكلبِ ضرّاهُ مُكَلِّبُهُ   لِصيدِهِ فغدا يصطاد كَلاّبه

ومن هذا الباب البيت المشهور

أُعَلِّمُهُ الرِّماية كل يوْمٍ   فلمّا استدّ ساعدُهُ رَمانى

(٤) يقول : رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز . يعنى أن حلمك عن الجهال حلم عن قدرة ولو شئت لجعلت السيف مكان الحلم

وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمُ
وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا (١)

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا (٢)

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا
مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى (٣)

وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
كَمَا فُقْتَهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتِدَا (٤)

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَا (٥)

---

(١) الحر الكريم ضد اللئيم والكاف من قوله كالعفو اسم بمنزلة مثل فاعل قتل. يقول: إن العفو عن الكرام قتل لهم، فمن صفح عن حر استرقه بهذا الصفح، فيذل له وينقاد، كما قال بعضهم: * غل يداً مطلقها، واسترق رقبة معتقها * ثم قال: ومن يتكفل لك بالكريم الذى يحفظ النعمه ويراعى حقها؟ (٢) هذا البيت تأكيد لما سبقه، يقول: أن الكريم يقدر الاكرام حق قدره، فاذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك، أما اللئيم فانك اذا أكرمته زاد عتوا وجرأة عليك (٣) بالعلى متعلق بمضر، يقول: ينبغى أن يعامل كل انسان حسبما يستحق فمن استحق العطاء لم يستعمل معه السيف، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء، ومن فعل هذا أضر بعلاه (٤) يقول: أنت أعرف بمواقع الاساءة والاحسان من كل انسان، لانك فوق كل أحد فى الرأى والحكمة كما أنك فوقهم بالحال — إذ كنت أميراً — وبالنفس — اذ كنت أعلاهم همة — وبالأصل اذ كنت من أصل شريف، (٥) يقول: إن ما تبتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء وكل من ينوهون بك ويشيدون بذكرك فيذكرون ما ظهر منها ويتركون ما خفى، قال ابن جنى: هذا البيت مثل قول عمار الكلابى

ما كلُّ قولِى مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّى بِكَبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِى صَيَّرْتَهُمْ لِى حُسَّدَا(١)

قال ابن فورجه : عمار الكلابى محدث ، وقد أدرك زماننا ، وهو رجل بدوى أمى سحانة ، وهذا البيت من أبيات أولها :

ماذا لقيتُ مِنَ المستعربين وَمِنْ قياس نحوِهِم هذا الذى ابتدعُوا

إن قلتُ قافيةً بكراً يكونُ لهَا معنًى خلافُ الذى قاسُوا وماذرَعُوا

قالوا لحَنْتَ وهذا الحَرْفُ مُنخفضٌ وَذَاكَ نَصْبٌ وهذا ليْسَ يرْتفِعُ

وضرَّبُوا بينَ عَبْدِ اللهِ واجْتَهَدُوا وَبينَ زَيْدٍ فَطَالَ الضرْبُ والوَجَعُ

فَقُلْتُ وَاحدَةً فيها جَوابُهُمُ وكَثْرَةُ القَوْلِ بالأيجاز تَنْقَطِعُ

ما كلُّ قَوْلِى مَشْروحاً لَكُم فَخُذُوا ما تَعْرِفُونَ وما لم تَعْرِفُوا فَدَعُوا

حتى يصيرَ إلى القوْمِ الذين غُذُوا بما غُذيتُ بِهِ والقَوْلُ يجتمعُ

فيَعْرِفُوا منه معنى ما أفوهُ بِهِ حتى كأنِّى وهم فى لَفْظِهِ شَرَعُ

كَمْ بَينَ قَوْمٍ قَدِ احْتالوا لِمَنطقِهِمْ وَبَينَ قَوْمٍ على إعْرَابِهِم طُبِعُوا

وبَينَ قَوْمٍ رَأَوْا شيئاً مُعايَنَةً وبَينَ قَوْمٍ حكَوْا بَعْضَ الذى سَمِعوا

إنِّى غُذيتُ بِأَرْضٍ لا تُشَبُّ بها نارُ المَجُوسِى وَلا تُبْنَى بها البِيَعُ

فقد نقله أبو الطيب إلى المدح ، وأقام دقة صنيعه فى اقتناء المكارم مقام دقة معنى الشعر

(١) الكبت الاذلال . يقول : أنت الذى غمرتنى بنعمك حتى صرت محسدا ونجم لى حساد يحسدوننى ويقصدوننى بالسوء فاكفنى شرهم بأذلالهم ورد كيدهم فى نحورهم . ومعنى المصراع الثانى من قول أبى الجويرية العبدى

فَمَا زِلتَ تُعطِينِى ومالىَ حاسدٌ مِنَ الناسِ حتى صرْتُ أُرجَى وأُحْسَدُ

وقال بعده ابو نواس

دَعينِى أُكْثِرْ حاسدِىَّ بِرِحْلَةٍ إلى بَلَدٍ فيه الخَصِيبُ أميرُ

وقال البحترى

وأَلْبَسْتَنى النُعْمَى التى غَيَّرَتْ أَخِى عَلَىَّ فَأَضْحَى نازِحَ الوُدِّ أَجْنَبا

إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمِ
ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الهَامَ مُغْمَدَا[١]

وَمَا أَنَا إِلاَّ سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ فَزَيَّنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدَّدا[٢]

وَمَا الدَّهْرُ إِلاَّ مِنْ رُوَاةِ قَلاَئِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا[٣]

فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشَمِّرًا وَغَنَّى بِهِ مَنْ لَا يُغَنِّي مُغَرِّدَا[٤]

أَجِزْنِي إِذَا أُنْشِدْتَ شِعْرًا فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَتَاكَ المَادِحُونَ مُرَدَّدَا[٥]

---

(١) فيهم متعلق برأيك والهام الرؤس . يقول : إذا قوى ساعدى حسن رأيك فيهم بأن آنست منك اعراضا عنهم ، كان ذلك خذلانا أى خذلان لهم ، فلوضربتهم إذ ذاك بسيفى وهو فى غمده لقطع وأصمى (٢) السمهرى الرمح . ومعروضا أى محمولا بالعرض وذلك يكون حين لا يقصد به الطعن . ومسددا موجها إلى المطعون . يقول : أنا زين لك فى السلم أمدحك وأشيد بذكرك ، وشجى لا ينتزع فى حلوق أعدائك أذود عنك وأنافح بلسانى ، فأنا لك كالرمح ان حملته بالعرض كان زينا لك ، وان حملته مسدداً راع أعداءك (٣) جعل شعره فى حسنه كالقلائد التى يتقلد بها . يقول : أن الدهر من رواة شعرى لأن الناس جميعا يروونه ويتناشدونه فى كل وقت فكأن الدهر كله إنسان ينشد شعرى . ويروى بدل قلائدى قصائدى

(٤) يقول : ان شعرى ينشط الكسلان إذا سمعه ، فيسير على سماع شعرى مجدا مشيحا ، وإذا سمعه من لا يغنى استراح إليه وطرب وغنى به مغرداً . والمراد أن شعره سار فى الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رواة الشعر . والتغريد رفع الصوت للتطريب (٥) . يقول : إذا أنشدك شاعر شعرا فاجعل جائزته لى ، لأن الذى أنشدت إنما هو شعرى أتاك به المادحون يرددونه عليك ، يعنى أنهم يسلخون معانى أشعارى فيك ، ويأخذون الفاظى فيأتون بها اليك . كما قال بشار

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرِ صَوْتِى فَإِنَّنِى
أَنَا الصَّائِحُ المَحْكِىُّ وَالآخَرُ الصَّدَى (١)

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِى لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِى بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا (٢)

وَقَيَّدْتُ نَفْسِى فى ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا (٣)

إِذَا سَأَلَ الانْسَانُ أَيَّامَهُ الغِنَى وَكُنْتَ على بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدَا (٤)

إذا أَنشَدَ حَمَّادٌ قُلِ أحْسَنَ بشَّارُ

وقال أبو هفان

إذَا أَنشدَكم شِعراً فقُولوا أَحْسَنَ الناسُ

وقال ابو تمام فى غير هذا المعنى

فَمهْما تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لا تَكنْ سِوَى حَسَنٍ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدَّدِ

(١) الصدى الصوت الذى يجيبك من الجبل وغيره كأنه يحكى قولك وصياحك وهذا مثل، يقول : لا تحفل بشعر غير شعرى فان شعرى هو الأصل وغيره كالصدى له (٢) السرى سير الليل . والعسجد الذهب . يقول : لقد أثريت بما توالى على من نعمائك حتى لو شئت لا تخذت لخيلى نعال الذهب ومن ثم تركت السير إليك لغيرى من المعوزين المقترين (٣) فى ذراك فى كنفك . يقول:إنى إنما أقمت عندك حبا لك لأنك قيدتنى باحسانك.وهذا كما قال أبو تمام

وَتَرْكِى سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتِباطاً يَدُلُّ على مُوَافقَةِ الوُرُودِ

وقال ايضا

هِمَمِى مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقابُها مغلُولَةٌ ـ إنَّ الوفاءَ إسارُهَا

(٤) يقول : إذا طلب الانسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيدا عنه وعدته بالغنى لدى وصوله إليك، ومن هذا قول أبى تمام

شكَوْتُ إلى الزمَان نُحُولَ حالى فأرْشدَنى إلى عبدِ الحميدِ

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة

فَارَقْتُكُمْ فإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمُ قَبْلَ الفِرَاقِ أذًى بَعْدَ الفِرَاقِ يَدُ (١)

إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بيْنِي وَبَيْنَكُمُ أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ (٢)

وقال فى صباه يمدح محمد بن عُبَيد الله العلوى المشطّب

أَهْلاً بِدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عنكَ خُرَّدُهَا (٣)

ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِى عَلَى كَبِدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا (٤)

---

(١) مامن قوله فاذا ما كان اسم موصول بمعنى الذى مبتدا وخبره يد فى آخر البيت وأذى خبر كان . يقول : غادرتكم فاذا جفاؤكم الذى كنت أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده، وذلك كما قال الآخر

عَتَبْتُ عَلَى سَلْمٍ فلَمَّا هَجَرْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلْمِ

(٢) يقول : إذا تذكرت ما كان بيننا قبل الفراق من الجفاء أعان قلبى على الشوق فلايغلبه الشوق إليكم . وقيل المعنى : إذا تذكرت مابيني وبينكم من صفاء المودة أعانني ذلك على مقاومة الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالمودة (٣) سباه أسره بحبه . والأغيد الناعم المتثنى لينا والمراد الحبيبة وذكّر على معنى الشخص . والخرد جمع خريدة وهي البكر التى لم تمس أو الحيية .لما دعا للدار — التى سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قال : أبعد شيء فارقك جوارى هذه الدار .

(٤) ظلت أصله ظللت فحذفت إحدى اللامين تخفيفا . وخلب الكبد غشاؤها . يقول : ظللت بتلك الدار تنثني على كبدك التى انضجتها حرارة الوجد واضعا يدك فوقها . والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد فى كبده من حرارة الوجد كأنه يخاف أن تنشق كما قال الشاعر

عشيَّةَ أَثْنِي البُرْدَ ثم أَلُوثُهُ على كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقَطَّمَا

وقال الحماسى

وأَذْكُرُ أَيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

يَاحَادِيَىْ عِيرِهَا وَأَحْسَبُنِي أُوجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا[1]

قِفَا قَلِيلاً بِهَا عَلَيَّ فَلاَ أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُهَا[2]

فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارُ جَوًى أَحَرُّ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا[3]

شَابَ مِنَ الْهَجْرِ فَرْقُ لِمَّتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أَسْوَدُهَا[4]

بَانُوا بِخُرْعُوبَةٍ لَهَا كَفَلٌ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُقْعِدُهَا[5]

وقال الآخر

لَمَّا رَأَوْهُمْ لم يَحُسُّوا مُدْرِكاً وَضَعُوا أَنَامِلَهُمْ على الأَكْبَادِ

(١) العير الابل التي تحمل عليها الميرة ويروى عيسها وهي كرام الابل . وقوله قبيل أفقدها أراد قبيل ان أفقدها فلما حذف أن عاد الفعل إلى الرفع . وقوله واحسبنى الخ جملة اعتراضية — دعا الحاديين ثم ترك ما دعاهما له فذكره فى البيت التالى وأتى بهذه الجملة المعترضة الجميلة (٢) يقول — للحاديين اللذين يحدوان عيرها أو عيسها — : احبساها على قليلا لأنظر إليها وأتزود منها نظرة فلا شىء أقل منها . وقريب من هذا المعنى قول ذى الرمة

وإنْ لم يَكُنْ إلا تَعَلُّلُ ساعةٍ قليلاً فإنى نافعٌ لى قليلُها

(٣) عنى بالمحب نفسه ، والجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن والجحيم النار العظيمة الشديدة التوقد يقول : أى نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم

(٤) اللمة من الشعر ما ألم بالمنكب وجاوز شحمة الاذن . والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس والدمقس الحرير الابيض ، يقول : لعظم ما ألم به من هجر الحبيب ابيض شعره حتى صار ما كان أسود من لمته أبيض (٥) الخرعوبة الشابة اللينة الطرية يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة اذا قامت يكاد ردفها يقعدها لكثرة ما عليه من اللحم . وهم يصفون المرأة بثقل العجيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيرا قال ابن أبى ربيعة

تَنُوءُ بأُخْرَاهَا فلأياً قِيامُها وتَمْشِي الهُوَيْنا عن قريبٍ فتَبْهَرُ

رِبَحْلَةٍ أَسْمَرٍ مَقْبَلُهَا ... سِبَحْلَةٍ أَبْيَضٍ مُجَرَّدُهَا (١)

يَاعَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعْ فِئَةً ... أَضَلَّهَا اللّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا (٢)

لَيْسَ يُحِيكُ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ ... أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا (٣)

بِئْسَ اللَّيَالِي سَهِدْتُ مِنْ طَرَبٍ ... شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا (٤)

أَحْيَيْتُهَا وَالدُّمُوعُ تُنْجِدُنِي ... شُئُونُهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا (٥)

ويقول أبو العتاهية

بدَتْ بيْنَ حُورٍ قِصَارِ الخُطَى ... تُجَاهِدُ بالمشْيِ أكْفالَهَا

وقال ابو دلامة

وقدْ حاولَتْ نحْوِي القيامَ لِحاجَةٍ ... فأثْقَلَهَا عنْ ذلك الـكَفَلُ النَّهْدُ

(١) الربحلة والسبحلة من نعوت النساء وهي الجسيمة الطويلة العظيمة . والمقبل موضع التقبيل وهو الشفة ، وتحمد فيهاالسمرة قال ذو الرمة

لمْياء فى شفتَيْها حُمْرَةٌ لعَسٌ ... وفى اللِّثاتِ وفى أَنْيابِها شَنَبُ

والمجرد حيث تجرد اى آمرى من الثوب ، وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون ، وخص المجرد — وهو الاطراف — لأنه اذا ابيض المجرد — وهو الذى يصيبه الريح والشمس ويظهر للرائين — كان سائر بدنها اشد بياضا (٢) يقول : يامن يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قوما اضلهم الله فى الهوى حتى تهالكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم ، فكيف ترشدهم بعد ذلك ؟ اى انهم لا يصغون إلى لومك لما بهم من ضلال العشق (٣) احاك فيه الشيء وحاك اثر يقول : ان لومك لايؤثر فى همم اقربها منك فى تقديرك ابعدها عنك فى الواقع ، اى ان الذى تظنه ينجع فيه لومك هو الأبعد عما تظن ، فما الظن بالبعيد البعيد

(٤) يذم الليالى التى لم ينم فيها لما اخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذى يرقد الليالى ساليا لايجد من اسباب السهر ما كان يجده هو ، واين الخلى من الشجى ؟ وهذا ينظر الى قول ابى نواس

شكَوْنا إلى أحْبابِنا طُولَ ليْلِنا ... فقالوا لنا ما أقصَرَ اللَّيْلَ عِندَنا

(٥) احياء الليل سهره ، وانجده اعانه ، والشؤن قبائل الرأس وهي مجارى الدموع

لاَ نَاقَتِى تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلاَ　　بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا[1]

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا　　زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا[2]

أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبِقُهُ　　تَحْتِىَ مِنْ خَطْوِهَا تَأَيُّدُهَا[3]

يقول : كان للدموع من الشؤن امداد ، ولليالى من الظلام امداد ، يعنى أن تلك الليالى طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن يكون الضمير فى ينجدها عائدا إلى الشؤن ، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الهموم على العاشق وفى اجتماعها عون للشؤن على تكثير البكاء يبين هذا قول قيس المجنون

يَضُمُّ إلَىَّ اللَّيلُ أَطْفَالَ حُبِّهَا　　كَمَا ضَمَّ أَزْرَارُ القميصِ البَنَائِقَا *

(١) يقول : إن ناقتى — وبريد نعله — لا تقبل الرديف — وهو الذى يرتدف خلف الراكب — واذا راهنت عليها لم أجهدها بالسوط ، وهذا كما قال فى قافية قد تقدمت

وَحُبِيتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ　　مِن دَارِش فَغَدَوْتُ أَمْشِى رَاكِبَا

وهذا المعنى من قول أبى نواس

إِلَيْكَ أَبَا العبَّاس مِنْ بيْنِ مَنْ مَشَى　　عليْهَا امْتَطَيْنَا الحضْرَمِىَّ المُلَسَّنَا

قلائصَ لم تَعْرِفْ حنيناً إلى طَلاً　　ولم تدْرِ ما قَرْعُ الفنِيق ولا الهِنا

ومثله قول الآخر

رَوَاحِلُنا سِتٌّ ونحْنُ ثلاثةٌ　　نُجَنِّبُهُنَّ الماءَ فى كلِّ منْهَلِ

(٢) جعل شراك نعله — وهو سيره — بمنزلة الكور للناقة — والكور الرحل — وأراد بالمشفر ما يقع على ظهر الرجل فى مقدم الشراك ، جعله بمنزلة الزمام للناقة ، والشسوع السيور التى تكون بين خلال الاصابع ، جعلها بمنزلة المقود للناقة — وهو الحبل الذى تقاد به سوى الزمام ، والزمام يكون فى الانف (٣) يريد أن يقول : أهون سير ناقتى — يعنى نعله — يسبق أشد سير الرياح ، يصف المتنبى نفسه بأنه

* أراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب والبنائق جمع بنيقة وهى طوق الثوب الذى يضم النحر وما حوله واذا أنشد البيت　* كما ضم أزرار القميص البنائق *　كما هو فى أصله فالبنائق العرى التى تدخل فيها الازرار

فِى مِثْلِ ظَهْرِ المِجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ المِجَنِّ قَرْدَدُهَا(١)

مُرْتَمِيَاتٌ بِنَا إِلى ابْنِ عُبَيْـــدِ اللهِ غِيطَانُهَا وَفَدْفَدُهَا(٢)

إِلَى فَتًى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنْهَلَهَا فى القُلُوبِ مُورِدُهَا(٣)

لَهُ أَيَادٍ إِلَىَّ سَابِقَةٌ أُعَدُّ مِنْهَا وَلاَ أُعَدِّدُهَا(٤)

يُعْطِى فَلاَ مَطْلَةٌ يُكَدِّرُهَا بِهَا وَلاَ مَنَّةٌ يُنَكِّدُهَا(٥)

شديد العدو متمهلا . وقوله تأيدها لا يناسب المقام لانه من الايد وهو القوة ، ويروى تأودها والتأود التمايل وهو كذلك غير مناسب وحقه تؤدها من التؤدة أى التمهل

(١) فى مثل ظهر المجن أى يسبقها تأيدها فى مفازة مثل ظهر المجن والمجن الترس . ومتصل نعت سببى لمفازة المحذوفة والقردد الارض المرتفعة . أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر المجن يتصل ما ارتفع منها بأماكن منخفضة مثل بطن المجن يعنى أنها ذات جبال ووهاد (٢) مرتميات خبر مقدم وغيطانها مبتدا مؤخر وتروى مرتميات بالنصب صفة لمفازة وغيطانها فاعل مرتميات : والغيطان جمع غائط وهو المطمئن من الارض . والفدفد الارض الغليظة المرتفعة . يقول : ان هذه المفاوز غيطانها وفدفدها ترمينا إلى الممدوح بقطعنا اياها بالسير فكأنها تلقينا إليه

(٣) إلى فتى بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح ينزعها بعد الطعن فى المطعون . وأنهلها سقاها . ومورد بضم الميم على أنه اسم فاعل ويروى بفتح الميم على معنى المصدر والاولى أجود يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الاعداء

(٤) الايادى النعم وإلى صلة سابقة أو صلة الايادى مضمنة معنى الاحسان كأنه قال له احسان إلى وقوله أعد منها يريد انى غذى نعمته وربيب احسانه فنفسى من جملة نعمه فأنا أعد منها كما قال الشاعر

لا تَنْتَفِنِّى بَعْدَ أنْ رِشْتَنِى فإننى بعضُ أياديكا

وتروى أعد منها أى أنه يعد بعض أياديه ولا يأتى على جميعها عدا لكثرتها وهو قوله ولا أعددها (٥) الضمير فى بها للمطلة وفى يكدرها وينكدها للايادى ويروى مطله ومنه وبه بدل بها . يقول : أنه لا يمطل قبل العطاء ولا يمن بعده . وينكدها أى

خَيْرُ قُرَيْشٍ أَبًا وَأَمْجَدُهَا ... أَكْثَرُهَا نَائِلاً وَأَجْوَدُهَا (١)

أَطْعَنُهَا بِالْقَنَاةِ أَضْرَبُهَا ... بِالسَّيْفِ جَحْجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا (٢)

أَفْرَسُهَا فَارِساً وَأَطْوَلُهَا ... بَاعاً وَمِغْوَارُهَا وَسَيِّدُهَا (٣)

تَاجُ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ وَبِهِ ... سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتِدُهَا (٤)

شَمْسُ ضُحَاهَا هِلاَلُ لَيْلَتِهَا ... دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا (٥)

يَالَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا ... كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا (٦)

ينغصها ويقلل خيرها وكان يقال المنة تهدم الصنيعة ، وقد مدح المولى جل وعز قوما فقال : ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى : وقال الشاعر

أفسدْتَ بالمَنِّ ما قدّمْتَ من حَسَنٍ ... ليسَ الكَرِيمُ اذا أعْطَى بِمَنَّانِ

(١) يقول : ان أباه أفضل قريش فهو خيرهم أبا لأنه ليس فيهم أحد ابوه افضل من ابى الممدوح . والنائل العطاء . واجودها اسخاها (٢) الجحجاح السيد الشريف. والمسود الذى سوده قومه . قال الواحدى : ذكر القناة والسيف مع الطعن والضرب تأكيدا للكلام كما يقال مشيت برجلى وكلمته بفمى (٣) افرسها فارسا اى هو افرسها إذا ركب فرسه وكان فارسا ، وأكد الكلام بذكر الحال لان افرس يكون من الفُرُوسِ والفِراسةِ . وطول الباع مما يمدح به الكرام يقال فلان طويل الباع اذا امتدت يده بالكرم . ويقال للئيم ضيق الباع ، والمغوار الكثير الغارة (٤) لؤى ابو قريش يقول : هولهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون ويتزينون ، وبه علا فرعهم واصولهم اى الابناء والآباء ، والمحتد الاصل (٥) التقاصير القلائد التى تعلق على القصرة والقصرة اصل العنق . يقول : هو فيما بينهم كالشمس فى النهار والهلال فى الليل والدر والزبرجد فى القلادة ، اى هو افضلهم واشهرهم ، وبه زينتهم وفخرهم

(٦) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه فى بعض الحروب فقال : ليت الضربة التى قدر لها محمدها — يعنى الممدوح — كما قدرت الضربة له كانت بى ، أى ليتنى كنت فداءه من تلك الضربة فوقعت بى دونه ، أويقول : ليت لى مثلها لما فيها من دليل الشجاعة كأنه قال : ليتنى فى رتبتك من الشجاعة

أَثَّرَ فِيهَا وَفِى الْحَدِيدِ وَمَا أَثَّرَ فِى وَجْهِهِ مُهَنَّدُهَا(١)

فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا(٢)

وَأَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ فِى قَلْبِهِ سَيَحْصُدُهَا(٣)

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا(٤)

تَبْكِى عَلَى الأَنْصُلِ الْغُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا(٥)

لِعِلْمِهَا أَنَّهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِى الرِّقَابِ يُغْمِدُهَا(٦)

---

(١) المهند السيف المطبوع من حديد الهند ، يقول : ان الضربة والسيف قصدا اهلاكه فردها عن قصدها ، فذلك تأثيره فيهما ، فقوله وما أثر فى وجهه مهندها أى لم يشنه ولم يعبه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاوانما زاده حسنا لأن الضربة على الوجه شعار المغوار والعرب يفتخرون بذلك قال الحصين بن الحمام المرى

وَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تقطُرُ الدِّمَا

والطعن والضرب فى الظهر عندهم مسبة وفضيحة قال الشاعر

وَلَكِنَّمَا يُخْزَى امْرُؤٌ يَكْلِمُ اسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا

ولك أن تقول : أنه أثر فى الضربة والسيف ضعفا بأرعاش يد الضارب لهيبته واستعظام الاقدام عليه ، فلم يؤثر السيف فى وجهه أثراً يعتد به أو لم يصرفه عن المضى فى القتال (٢) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصولها فى وجهه وحسدتها بقية الجراحات اذ لم تصب موضعا كريما مثل هذا (٣) ضمير فى قلبه يعود إما إلى الزارع اى الضارب أى زرعها بمكر فى قلبه وإما إلى الممدوح أى أن الضارب قد زرع هذه العداوة فى قلبه ، يقول أن هذه الضربة جاءته مماكرة وغدرا لا مواجهة وكفاحا ، وأن ضاربها قد بذر بذرا خبيثا لابد حاصده أى ملاق جزاءه عليه من الممدوح (٤) الواو فى وأنفسهم وواو الحال ، يقول : أنه رمى حساده بالمقيم المقعد فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفا منه وذعراً

(٥) و(٦) يقول : اذا أنذر الغمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكت الغمود على السيوف لعلمها أن السيوف المذكورة ستغمد فى دماء الاعداء حتى تتلطخ بها وتصير

أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ   يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا[1]

تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ مَضَارِبِهَا   وَصَبُّ مَاءِ الرِّقَابِ يُخْمِدُهَا[2]

إِذَا أَضَلَّ الْهُمَامُ مُهْجَتَهُ   يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا[3]

قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي   أَنَّكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا[4]

وَأَنَّكَ بِالأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً   شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا[5]

فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلِّلَةٍ   رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا[6]

كأنها دم ، وأن الممدوح سيجعل الرقاب غمودا لها بدلا منها ، وهذا المعنى تعاوره الشعراء من قديم قال عنترة

وما تَدْرِي جُرَيَّةُ أنَّ نَبْلِي   يكونُ جَفيرَهَا البطلُ النَّجيدُ

وقال حسان

ونحنُ اذا ماعصَتْنا السيوف   جَعلْنا الجَماجِمَ أَغْمادَهَا

وقال الحماسي

منابِرُهُنَّ بُطُونُ الأَكُفِّ   وأَغْمادُهُنَّ رُؤوسُ المُلوك

ويقول ابن الرومي

كَساهمُ العِزَّ إنْ عَرَّوْا مناصِلَهُم   فما لها غيرَ هامِ الصِّيْدِ أَجْفانُ

(١) يقول : أطلق الانصل وذمها العدو خوفا وجزعا منها ، وحمدها الصديق لحسن بلائها فى العدو (٢) يقول : انها من شدة الضرب تهوى الى الارض فتنقدح منها النار فيخمدها ما ينصب من الدماء عليها (٣) يقول : اذا قتل الملك ولم يعرف قاتله يوما فان أطراف السيوف هى التى تثأر له ، ويروى منشدها اسم مكان أى فسيوفه هى المكان الذى تطلب روحه منه لأنها قواتل الملوك

(٤) يقول : أجمع الناس موافقين لى أو قائلين أنك أوحدهم (٥) وانك مخففة من أنك ضرورة ، يقول : انك بالأمس حين كنت غلاما أمرد كنت شيخ معد فكيف بك اليوم مع علو السن ووفور العقل (٦) مجللة شاملة ، وربيتها تعهدتها بأن قرنتها بأمثالها وكان منك مبدؤها أى ابتداؤها أى انك ابتدأتنى بالصنيعة ثم ربيتها فلم تكن واحدة

وَكَمْ وَكَمْ حاجَةٍ سَمَحْتَ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّى إِلَىَّ مَوْعِدُهَا [1]

وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ الَى مَنْزِلِى تُرَدِّدُهَا [2]

أَقَرَّ جِلْدِى بِهَا عَلَىَّ فَلاَ أَقْدِرُ حَتَّى الْمَاتِ أَجْحَدُهَا [3]

فَعُدْ بِهَا لاَ عَدِمْتُهَا أَبَداً خَيْرُ صِلاَتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا [4]

وقال أيضاً فى صباه

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدِ بِبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ [5]

وَعُيُونِ الْمَهَا وَلاَ كَعُيُونٍ فَتَكَتْ بِالْمُتَيَّمِ الْمَعْمُودِ [6]

تنسى على طول العهد بل متعددة متوافرة (١) سمحت بها أى قضيتها لى ، وموعدها أى موعد قضائها ، أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى، يريد قصر الوعد وسرعة الانجاز (٢) يريد بالمكرمات هنا ثيابا أهداها اليه ولذلك يقول فى البيت التالى أقر جلدى بها على، وقوله على قدم البر استعارة جميلة بارعة , وقال الواحدى : قوله على قدم البر أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاما للممدوح،ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق ، وترددها يروى ترددها على المصدر (٣) أى اعترف جلدى بها لظهورها على ، فكأنه باكتسائه بها ناطق مقر كما قال الناشىء الأكبر

لولم يبح بالشكر لفظى لخبرت يمنى بما أوليتنى وشماليا

(٤) أعودها أكثرها عوداً

(٥) الطلا الاعناق . وشهيد صفة لقتيل . وأصل الشهيد من قتل مجاهداً فى سبيل الله ثم توسع فيه فأطلق على من مات غرقاً أو حرقاً ومن إليهما ،وجعل المتنبى من قتله الحب شهيداً وقد رووا فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : من عشق فعف وكف وكتم فمات مات شهيدا

(٦) المها جمع مهاة وهى بقر الوحش تشبه عيون النساء بعيونها فى حسنها وسعتها وفتكت قتلت بغتة ، والمتيم الذى استعبده الحب ، والمعمود الذى أضناه الحب وأوجعه وعنى بالمتيم المعمود نفسه ، يقول : كم قتيل قتل بعيون احبته التى هى كعيون المها وليست تلك العيون التى قتلته كالعيون التى قتلتنى فانها لا تشبه بغيرها

دَرَّ دَرُّ الصِّبَا أَيَّامَ تَجْرِيـــرِ ذُيُولِى بِدَارِ أَثْلَةَ عُودِى (١)

عَمْرَكَ اللهَ هَلْ رَأَيْتَ بُدُوراً طَلَعَتْ فى بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ (٢)

رَامِيَاتٍ بِأَسْهُمٍ رِيشُهَا الْهُدْبُ تَشُقُّ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ (٣)

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِى رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ (٤)

كُلُّ خَمْصَانَةٍ أَرَقُّ مِنَ الْخَمْـــرِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجُلْمُودِ (٥)

---

(١) الدر اللبن ويقال لمن يدعي له دردره أى كثر خيره لأن الخير فى ذلك عند العرب ، ويقال لمن يدعى عليه لادردره ، وأيام منادى . وتجرير الذيول كناية عن النشاط واللهو ، ودار أثله موضع بظهر الكوفة . يتمنى أن تعود هذه الايام له

(٢) عمرك الله أى أسأل الله أن يطيل عمرك ، يخاطب صاحبه . وشبه النساء بالبدور

(٣) راميات صفة بدوراً فى البيت السابق . والمراد بالاسهم العيون . والهدب الشعر الذى على اشفار الأجفان ، شبهه بريش السهم ، يقول : ان هذه الاسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلود بخلاف الاسهم المعروفة قال كثير

رَمَتْنِى بِسَهْمٍ رِيشُهُ الكُحْلُ لَمْ يُصِبْ ظَوَاهِرَ جِلْدِى وَهْوَ فى القَلْبِ جَارِحُ

وقال جميل

وماصائبٌ مِن نابلٍ قَذَفَتْ بِهِ يدٌ مُمَرُّ العقْدَتَيْنِ وَثيق

بأَوْشَكَ قَتْلاً منك يومَ رَمَيْتَنى نَوافِذَ لم يُعْلَمْ لَهُنَّ خُروق

(٤) رشف الريق وترشفه مصه وقوله احلى من التوحيد اى كلمة التوحيد ويروى حلاوة التوحيد اى هن فيه كحلاوة التوحيد قال ابن جنى : يروى ان المتنبى انشده هكذا ، اى هن فيه حلاوة التوحيد . وقالوا ــ للتخلص من هذه المبالغة المفرطة ــ ان التوحيد نوع من تمر العراق... والوجه أن يقال أن مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ فى مذهب الشعراء على أن أفعل قد لايراد به تفضيل الأول على الثانى فى كل المواضع وهنا مثلا قد يراد أن هذا الترشف بلغ المبالغ فى الحلاوة حتى ليشبه حلاوة كلمة التوحيد وقد جاء مثل هذا كثيراً فى كلام العرب

(٥) الخمصانة بفتح الخاء وضمها الضامرة البطن . وعنى برقتها نعومتها وصفاء لونها .

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّمَا ضُرِبَ الْعَنْـ ـبَرُ فِيهِ بِمَاءِ وَرْدٍ وَعُودِ (١)

حَالِكٍ كَالْغُدَافِ جَثْلٍ دَجُوجِيٍّ أَثِيثٍ جَعْدٍ بِلاَ تَجْعِيدِ (٢)

تَحْمِلُ الْمِسْكَ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيـ ـحُ وَتَفْتَرُّ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودِ (٣)

جَمَعَتْ بَيْنَ جِسْمِ أَحْمَدَ وَالسُّقْـ ـمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالتَّسْهِيدِ (٤)

هَذِهِ مُهْجَتِي لَدَيْكِ لِحَيْنِي فَانْقُصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَزِيدِي (٥)

أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنَى بَطَلٌ صِيـ ـدَ بِتَصْفِيفِ طُرَّةٍ وَبِجِيدِ (٦)

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلاَ دَمَ الْعُنْقُودِ (٧)

وقوله بقلب أي مع قلب أصلب من الحجر . يقول : أجسامهن ناعمة وقلوبهن قاسية

(١) ذات صفة أخرى لحصانة والفرع شعر الرأس . وضرب خلط ، وقوله وعود في آخر البيت متعلق بمحذوف أي ودخن بعود لأن ماء العود لا طيب له وانما تفوح رائحته بالاحتراق وهذا مثل قولهم * علفتها تبنا وماء باردا * يقول المتنبي : ان شعرها طيب الرائحة فكأنه خلط بهذه الانواع من الطيب (٢) حالك نعت فرع . والحالك الشديد السواد . والغداف الغراب والجثل الكثير الملتف . والدجوجي المظلم ، والأثيث الكثيف وقوله جعد بلا تجعيد أي خلق جعدا من غير أن يجعد

(٣) الغدائر جمع غديرة وهي الذؤابة . وتفتر تبتسم وعن شنيب أي عن ثغر شنيب والشنب البياض والبريق وتحزيز اطراف الأسنان وقيل طيب نكهتها ، وقيل تفليجها . والبرود البارد (٤) أحمد يعني نفسه ، والتسهيد السهر (٥) المهجة دم القلب وتوضع موضع الروح . والحين الهلاك . يقول : هذه روحي أسلمها اليك ولكن لأجل هلاكي ، فان شئت فانقصي من عذابها بالوصل وان شئت زيديها عذابا بالهجر

(٦) اهل مبتدأ وبطل خبره . والطرة شعر الجبهة وتصفيفها تسويتها — وهذا البيت كالعلة لما قال في البيت السابق . يقول : افعلي ماشئت فاني أهل لذلك ومستحق له ، لأن الرجل الشجاع اذا صادته المرأة بتصفيف طرتها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به . ويحتمل انه انما قال هذا كالمتشفي من نفسه واللائم لها على هذا العشق

(٧) دم العنقود الخمر ويروى ابنة العنقود قال الواحدي : وليس الامر على ما قال

فاسقِنيها فِدًى لِعَينَيْكَ نَفْسي ... مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي (١)

شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنُحُولِي ... وَدُمُوعِي على هَوَاكَ شُهُودِي (٢)

أَيَّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بِوِصَالٍ ... لَمْ تَرُعْنِي ثَلاثَةً بِصُدُودِ (٣)

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلاَّ ... كَمُقَامِ المَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ (٤)

مَفْرَشِي صَهْوَةُ الحِصَانِ وَلَكِنَّ ... قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ (٥)

لأن شرب الخمر لا يحل إلا ان يريد بدم العنقود العصير او ما لا يسكر من المطبوخ... أقول: ان مثل هذا انما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء وكلام المتنبي سائغ في مذهب الشعراء وهو من قبيل قول ابي نواس

فى مَجْلِسٍ ضَحِكَ السرورُ به ... عَنْ ناجذَيْهِ وحَلَّتِ الخمرُ

اى حلت الخمر المحرمة، والمعنى ان المجال بلغ من البهجة والمراح والانبساط الغاية التي لابعدها (١) طارفي وتليدي معطوفان على نفسي ، وقوله من غزال تخصيص له بالفداء من جملة الغزلان ، ومثله افديك من رجل . والطارف ومثله الطريف ما استحدث من الاموال . والتالد ومثله التليد ما كان قديما عند صاحبه (٢) شيب راسي مبتدأ وما بعده عطف عليه وشهودي خبره . ومثل هذا قول الآخر

أَوَما كفاكَ تَغَيُّرِي ... وَنُحولُ جسمِيَ شاهدا

(٣) اى منصوب على الظرفية اى فى أي يوم . وراعه افزعه يقول : لم تسرني يوما بالوصال إلا رعتني ثلاثة أيام بالصد والاعراض

(٤) المقام بمعنى الاقامة، ونخلة قرية لبني كلب قرب بعلبك . يقول : ان أهل هذه القرية أعداء لى كما كانت اليهود أعداء للسيد المسيح، قال الواحدي: وبهذا البيت لقب بالمتنبي لتشبيهه نفسه بالسيد المسيح في هذا البيت وبصالح عليه السلام فيما بعده

(٥) المفرش موضع الفراش. والصهوة مقعد الفارس من ظهر الفرس . والحصان الفرس الفحل . والمسرودة الدرع المنسوجة من الحديد . يقول : انني شجاع مكاني ظهر الفرس وثيابي الدروع . أي انني أبداً على هذه الحالة تيقظا وتأهبا

لَأْمَةٌ فاضَةٌ أَضاةٌ دِلَاصٌ   أَحْكَمَتْ نَسْجَها يَدا داوُدِ (١)

أَيْنَ فَضْلِي إِذا قَنِعْتُ مِنَ الدَّهْـ   ـرِ بِعَيْشٍ مُعَجَّلِ التَّنْكِيدِ

ضاقَ صَدْرِي وَطالَ فِي طَلَبِ الرِّزْ   قِ قِيامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي

أَبَدًا أَقْطَعُ البِلادَ وَنَجْمِي   فِي نُحُوسٍ وَهِمَّتِي فِي سُعُودِ (٢)

وَلَعَلِّي مُؤَمِّلٌ بَعْضَ ما أَبْـ   ـلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدِ (٣)

لِسَرِيٍّ لِباسُهُ خَشِنُ القُطْـ   ـنِ وَمَرْوِيُّ مَرْوَ لِبْسُ القُرُودِ (٤)

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ   بَيْنَ طَعْنِ القَنا وَخَفْقِ البُنُودِ (٥)

---

(١) لأمة ملتئمة الصنعه .وفاضة سابغة يقال درع فاضة أي تفيض على جسم لابسها فتعمه. والاضاة الغدير شبه الدرع به لبريقها وصفائها . والدلاص البراقة اللينة الملساء . وداود هو سيدنا داود أول من عمل الدروع كما قال جل شأنه : وألنا له الحديد

(٢) يقول : أنه طموح بعيد الهمة دائب السعى وإن قل حظه من الرزق كما قال أبو تمام

هِمَّةٌ تَنطَحُ النجومَ وَجدٌ   آلِفٌ للحضيضِ فهْوَ حَضيضُ

وقال الآخر

وَلِي هِمَّةٌ فوْق نجم السما   ولكنَّ حاليَ تحت الثَّرَى

فلوْ ساعدَت همَّتِي حالَتِي   لكُنتَ ترَى غيرَ ما قد ترَى

(٣) يقول : لعل العزيز الحميد سبحانه وتعالى — مبلغنى فوق ما أرجو فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه . أو تقول أن الكلام على القلب ، أى لعلى بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه (٤) السرى الماجد الشريف . والمروى ثياب رقاق تنسج بمرو — وهى بلد بفارس — يقول : لعلى بالغ بعض ما أؤمله لسرى — يعنى نفسه — يتقشف فى لبسه فلباسه القطن الخشن . والعرب تتمدح بخشونة الملبس والمطعم ، وتعيب الترف والنعيم . ويروى بسرى أي أبلغه باقدام هذا السرى وهمته (٥) البنود الاعلام الكبيرة

فَرُؤُسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْغَيْـ ظِ وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الْحَقُودِ (١)

لاَ كَمَا قَدْ حَيِيتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مُتَّ مُتَّ غَيْرَ فَقِيدِ (٢)

فاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَظَى وَذَرِ الذُّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ (٣)

يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يَعْـ ـجِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ الْمَوْلُودِ (٤)

وَيُوَقَّى الْفَتَى الْمِخَشُّ وَقَدْ خَوَّضَ فِي مَاءِ لَبَّةِ الصِّنْدِيدِ (٥)

لاَ بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لاَ بِجُدُودِي (٦)

---

(١) الغل الحقد (٢) يقول : عش عزيزا أو مت في الحرب كريما ولا تعش كما عشت الى الآن ذميما لا تستطيع أن تصطنع الناس فيحمدوك ، واذا أنت مت وجدوا مثلك كثيرا فلا يفتقدونك ولا يكترثون لموتك لأنهم إنما يبالون ذا الفعال (٣) لظى من أسماء جهنم (٤) البخنق خرقة تقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك . يقول : قد يقتل العاجز الجبان ، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء ، فأياك والعجز والجبن حبا للبقاء

(٥) المخش الجرئ على الليل والدخال في الامور والحروب. وخوض بالغ في الخوض و اللبة أعلى الصدر وماؤها دمها . والصنديد السيد الشجاع . والبيت تكملة لما ذكره في البيت السابق . يقول : كما أن العاجز الجبان قد يقتل يسلم الشجاع المغوار وقد خاض في الحروب حتى غاص في دماء الصناديد ، يحث على الأقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله (٦) هذا كما قال القائل

نَفْسُ عِصامٍ سوَّدَتْ عِصاما وعَلَّمَتْهُ الكَرَّ والإِقْداما

وَصيَّرَتْهُ مَلِكًا هماما حتى عَدَا وجاوَزَ الأقْواما

وقال عامر بن الطفيل

فما سوَّدَتْني عامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ ولا أَبِ

ولَكِنَّني أَحْمِي حِمَاها وأَتَّقِي أَذاها وأَرْمِي من رَماها بِمِقْنَبِ

قال الواحدي : لو اقتصر المتنبي على هذا البيت لكان ألأم الناس نسبا لكنه قال بعده البيت التالي

وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا | دَ وَعَوْذُ الجَانِى وَغَوْثُ الطَّرِيدِ (١)
إِنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَعُجْبُ عَجِيبٍ | لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ (٢)
أَنَا تِرْبُ النَّدَى وَرَبُّ القَوَافِى | وَسِمَامُ العِدَا وَغَيْظُ الحَسُودِ (٣)
أَنَا فى أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللّـ * ـهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فى ثَمُودِ (٤)

وأهدى اليه عبيد الله من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز فى عسل فرد اليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعفران

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بِزَائِدِى وُدًّا | بَلَغَ المَدَى وَتَجَاوَزَ الحَدَّا (٥)
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَماً | فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً حَمْدَا

---

(١) كل من نطق الضاد العرب لان الضاد لاتوجد فى غير العربية . يقول : على أنه بقومى فخر العرب جميعا ، وبهم عوذ الجانى أى أن من جنى جناية وخاف على نفسه لجأ إلى قومى ليأمن على نفسه ، وبهم غوث الطريد ــ وهو الذى نفى وطرد ــ أى أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه (٢) المعجب الذى يعجب بنفسه . والعجيب الذى يعجب غيره . يقول : إن كنت معجبا بنفسى فهذا العجب صادر من رجل عجيب لايرى لأحد مزية يمتاز بها عليه فليس عجبى إذا بمنكر (٣) يقول : أنا أخو الجود ولدنا معا ، وأنا رب القوافى ومبدعها إذ لم أسبق الى مثلها ، وأنا قاتل أعدائى كما يقتل السم ، وأنا غيظ حسادى لأنهم يتمنون مكانى فلايدركونه فيغتاظون (٤) تداركها الله جملة معترضة وهى إما دعاء لها أى أدركها الله ونجاها من لؤمها ، أو دعاء عليها أى أدركها الله بالاهلاك لأنجو منهم (٥) أقصر عن الشىء إذا كف عنه وهو قادر عليه ، وقصر عنه إذا عجز عنه ، وقصر فيه إذا لم يبالغ . يقول : إن ودى إياك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لايقبل الزيادة ، فكف عن البر فانك لاتزيدنى بذلك ودا . وهذا من قول ذى الرمة

وما زال يعلو حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنَا | ويَزْدَادُ حتى لَمْ نَجِدْ مَا يزيدُها

جاءتك تطفح وهى فارغة مثنى به وتظنها فردا (١)

تأبى خلائقك التى شرفت ألا تحن وتذكر العهدا (٢)

لو كنت عصرا منبتا زهرا كنت الربيع وكانت الوردا (٣)

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى

أليوم عهدكم فأين الموعد هيهات ليس ليوم عهدكم غد (٤)

ألموت أقرب مخلبا من بينكم والعيش أبعد منكم لا تبعدوا (٥)

إن التى سفكت دمى بجفونها لم تدر أن دمى الذى تتقلد (٦)

---

(١) طفح الاناء امتلأ . وتطفح ومثنى حالان . يقول : جاءتك الجامة طافحة بالحمد وإن كانت فارغة مما كان فيها ، وقد شفعتها بالحمد — لانه كتب هذه الابيات على جوانبها — فصارت بذلك شيئين لاشيأ واحداً كما تظنها (٢) الخلائق ما خلق عليه الانسان . يقول : إن أخلاقك الشريفة تأبى عليك أن لاتشتاق إلى أوليائك وتذكر عهودهم (٣) يقول : لو كنت زمانا ينبت الازهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد ، أى أنك بين الرجال كالربيع بين الازمنة وأخلاقك بمنزلة الورد من الازهار

(٤) يقول — مخاطبا أحبته — : اليوم ألقاكم مودعا فمتى يكون اللقاء بعد هذا الفراق ؟ ثم التفت إلى سلطان البين فقال : هيهات أى بعد ما أطلب ، ليس لهذا اليوم — يوم لقائكم للوداع — غد ، أى لا أطمع فى أن أعيش بعد فراقكم ، فلا غد لى بعد هذا اليوم . وأين وان كانت سؤالا عن المكان إلا أن المراد بها هنا ما يراد بمتى أى السؤال عن الزمان (٥) المخلب للمفترس من السباع وجوارح الطير ، فاستعاره للموت لانه باهلاكه الحيوان كأنه يفترسه . يقول : إذ تزمعون الفراق فان الموت سيدركنى قبل أن تفارقونى فزعاً من البين ، والحياة تكون أبعد عنى — بموتى من بعدكم — بشسوع الدار . وقوله لاتبعدوا دعاء لهم أى لا بعدتم عنى ولا فارقتمونى أبدا ،

(٦) يقول : إن التى عصفت بى وأنت على وقتلتنى بعيونها لم تدر أن دمى فى عنقها ، وأنها باءت بإثم قتلى . يقال تقلد الاثم ونحوه أى لزمته تبعته

قالتْ وقدْ رأتْ اصفراري مَنْ بهِ ... وتنهّدتْ فأجبتُها المتنهِّدُ (١)

فمضتْ وقدْ صبغَ الحياءُ بياضَها ... لوني كما صبغَ اللُّجينَ العسجدُ (٢)

فرأيتُ قرنَ الشمسِ في قمرِ الدُّجى ... متأوِّداً غصنٌ بهِ يتأوَّدُ (٣)

عدويّةٌ بدويّةٌ منْ دونِها ... سلبُ النفوسِ ونارُ حربٍ توقدُ (٤)

وهواجلٌ وصواهلٌ ومناصلٌ ... وذوابلٌ وتوعّدٌ وتهدُّدُ (٥)

أبلتْ مودّتَها الليالي بعدنا ... ومشى عليها الدهرُ وهوَ مقيَّدُ (٦)

(١) يقول : لما رأت اصفرار وجهي — وجدا بفراقها — قالت من به — أي من فعل به هذا الذي أراه ؟ أو من المطالب به — وتنهدت — أي علا صدرها لشدة تنفسها وزفرت استعظاما لما رأت — فأجبتها وقلت الذي فعل به هذا أو المطالب بي هو المتنهد أي أنت (٢) قوله وقد صبغ الحياء بياضها لوني عدى الصبغ إلى مفعولين لانه يضمن معنى الاحالة كأنه قال أحال الحياء بياضها لوني . يقول : إنها استحيت فاصفر لونها ، كأنها فضة قد مسها ذهب قال الواحدي : إن الحياء لايصفر اللون بل يحمره ، ولكن هذا الحياء كان مختلطا بالخوف لأنها خافت الفضيحة على نفسها ، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشعارها خوف ماجنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة (٣) قرن الشمس أول ما يبدو منها وهو أصفر . يقول : كانت كالقمر في بياضها فلما اصفرت خجلا صارت الصفرة في بياضها كقرن الشمس في القمر . قال ابن جني : أي جمعت بين حسن الشمس والقمر ، حال كون غصن قامتها متأودا به أي متثنيا متمايلا بالقمر فتأودا حال من قرن الشمس وقوله غصن به يتأود — وهو مبتدأ وخبر — بيان لسبب تأوده يعني أن قامتها تمايل بوجهها في حال مشيتها (٤) عدوية أي من بني عدي وبدوية نسبة إلى البادية أو البدو على غير قياس . يقول : إنها من قومها في منعة ، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب ، فمن حاول الوصول إليها صلى بنار الحرب

(٥) وهواجل الخ عطف على سلب النفوس في البيت السابق ، والهواجل جمع هوجل وهو المفازة لا أعلام بها . والصواهل الخيل . والمناصل السيوف . والذوابل الرماح . يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء (٦) أبلت من البلى . ومشى عليها أي على مودتها . يقول : أبلاها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا . وقوله ومشى عليها الدهر

بَرَّحْتَ يَامَرَضَ الْجُفُونِ بِمُمْرَضٍ مَرِضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعِيدَ الْعُوَّدُ (١)

فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرِّضَا وَلِكُلِّ رَكْبٍ عِيسُهُمْ وَالْفَدْفَدُ (٢)

مَنْ فِي الأَنَامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلاَ تَقُلْ

مَنْ فِيكِ شَأْمُ سِوَى شُجَاعٍ يُقْصَدُ (٣)

أَعْطَى فَقُلْتُ لِجُودِهِ مَا يُقْتَنَى وَسَطَا فَقُلْتُ لِسَيْفِهِ مَا يُولَدُ (٤)

وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ لِأَنَّهَا أَلْفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبْعُدُ (٥)

وهو مقيد مبالغة فى الابادة أى وطئها وطأ ثقيلا كوطء المقيد ، وذلك أن المقيد لايقدر على خفة المشى ورفع الرجلين فهو يطأ وطأ ثقيلا . وقال ابن جنى : هذا مثل واستعارة وذلك أن المقيد يتقارب خطوه فهو يريد أن الدهر دب إليها فغيرها . قال الواحدى: وهذا فاسد بقوله عليها ولو أراد ما قال لقال ومشى اليها الدهر كما قال أبو تمام

فَيَاحُسْنَ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إليها الدهْرُ فى صُوَرِ الْبِعَادِ

(١) برح به الأمر وأبرح به جهده واشتد عليه . وقوله يامرض الجفون يروى يا مرض بكسر الراء أى يا مريض الجفون ، وأراد بالمرض نفسه . والعود الذين يزورون المريض خاصة . يقول : لقد برحت به الجفون الذوابل ، واشتد عليه ما يلاقيه من جراء حبها حتى مرض طبيبه وزواره — حين هالهم مرضه — رحمة له ورثاء لحاله (٢) فله أى للمرض المذكور وهو المتنبى . والعيس كرام الابل . والفدفد المفازة . يقول: أن هؤلاء الممدوحين هم الذين ينتجعهم ويبلغ بهم اماله ، بينما سائر الناس من الراكبين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم الا الابل والصحراء أى لايحصلون من سفرهم على شىء سوى التعب وجوب الطريق (٣) من استفهام معناه الانكار . وشأم أى ياشأم يقول : ليس فى الخلق كلهم كريم يصمد اليه غير شجاع ، ولا تقل من فيك يا شأم ؟ أى لاتخص الشام وحدها بهذا الكلام ، لأنه ليس أوحدها حسب، بل هو أوحد جميع الخلق

(٤) لجوده خبر مقدم وما يقتنى مبتدأ مؤخر . وكذا لسيفه ما يولد . يقول : لما أخذ في العطاء أكثر حتى قلت فى نفسى أنه سيعطى جميع ما يقتنيه الناس ، ولما سطا على الاعداء أكثر القتل حتى قلت أنه سيقتل كل مولود فتكون المقتنيات جميعا لجوده والنسل كله لسيفه (٥) يقول : أن أوصاف المادحين له حارت ، لانها وجدت طرائق الممدوح ومسالكه التى تحمد وينوه بها بعيدة على الاوصاف لاتدركها

فى كلِّ مُعْـتَرَكٍ كُلًى مَفْرِيَّةٌ ... يَذُمُّ مِنْ مِنْهُ مَا الأَسِنَّةُ تَحْمَدُ(١)

نِقَمٌ عَلى نِقَمِ الزَّمَانِ يَصبُّهَا ... نِعَمٌ على النِّعَمِ الَّتِى لَا تُجْحَدُ(٢)

فى شَأنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ ... وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ(٣)

أَسَدٌ دَمُ الأَسَدِ الْهِزَبْرِ خِضَابُهُ ... مَوْتٌ فَرِيصُ الْمَوْتِ مِنْهُ يُرْعَدُ(٤)

مَا مَنْبِجٌ مُذْ غِبْتَ إِلاَّ مُقْـلَةٌ ... سَهِدَتْ وَوَجْهُكَ نَوْمُهَا وَالإِثْمِدُ(٥)

فَاللَّيلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضٌ ... وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنْهَا أَسْوَدُ(٦)

مَا زِلْتَ تَدْنُو وَهْيَ تَعْـلُو عِزَّةً ... حَتَّى تَوَارَى فِى ثَرَاهَا الْفَرْقَدُ(٧)

---

(١) المعترك ساحة القتال ، والمفرية المشقوقة . يقول : إنه يقطع كلى أعدائه ، فالكلى تذم منه ما تحمده الاسنة ، وهو الاصابة فى الطعن وجودة الشق ، والكلى تذم هذا لانه مناف للرحمة والاسنة تحمده لانه بذلك أحسن استخدامها

(٢) يقول : هى نقم يصبها الممدوح على أعدائه مضافة إلى نقم الزمان ، وهى نعم على أوليائه مضافة إلى نعمه التى لا تجحد ، يعنى أن أولياءه يعتزون بذلة أعدائه ، ويستفيدون أسلابهم إذا نكبوا (٣) يقول : فى أحواله كلها إذا تفقدتها عجب ، لانها لم تكمل فى أحد سواه ، فأى خصاله رأيت حمدتها (٤) أسد خبر عن مبتدا محذوف أي هو أسد . ودم الاسد مبتدا وخضابه خبر . وموت كذلك خبر مبتدا محذوف أى هو موت والجملة بعده نعت له . والهزبر الشديد. والفريص جمع فريصة وهى لحمة عند الكتف تضطرب عند الخوف . يقول : هو شجاع يتلطخ بدم الاسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لاعدائه حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائصه (٥) يقول : ليست منبج — وهى بلد الممدوح وعلى مرحلتين من حلب — مذ غبت عنها إلا كالمقلة الساهدة ، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل — وهما اللذان تصلح بهما العين — يعنى أن صلاح منبج بحضورك

(٦) هذا من قول أبى تمام :

وكَانَتْ ولَيْسَ الصُّبْحُ فيها بِأَبْيَضٍ ... فأَضْحَتْ وليْسَ اللَّيْلُ فيها بأسود

(٧) الفرقد نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به وبجانبه آخر أخفى منه فهما فرقدان قال قائلهم

أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا ... لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِى سِوَاهَا يُوجَدُ (١)

أَبْدَى العُدَاةُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ ... فَرِحُوا وَعِنْدَهُمُ المُقِيمُ المُقْعِدُ (٢)

قَطَّعْتَهُمْ حَسَدًا أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ ... فَتَقَطَّعُوا حَسَدًا لِمَنْ لَا يَحْسُدُ (٣)

حَتَّى انْثَنَوْا وَلَوَ انَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ ... فِى قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الجَلْمَدُ (٤)

نَظَرَ العُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ ... لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هذا السَّيِّدُ (٥)

بَقِيَتْ جُمُوعُهُمُ كَأَنَّكَ كُلُّهَا ... وَبَقِيتَ بَيْنَهُمُ كَأَنَّكَ مُفْرَدُ (٦)

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلاَّ الفَرْقَدَانِ

يقول : ما زلت تقرب من هذا البلد وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار تراه فوق الفرقدين رفعة وعلوا (١) يقول: هى أرض لها شرف وسواها لها شرف مثل شرفها لو وجد فيها مثلك ، أى إنما شرفها بك فلو وجد مثلك فى غيرها لساواها هذا الغير فى الشرف (٢) يقول : إن أعداءك أظهروا السرور بقدومك خوفا منك لا ابتهاجا بك ، وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم أى يزعجهم ويقلقهم

(٣) قطعتهم حسدا اى أنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدهم إياك فكأنك قطعتهم اربا . وقوله أراهم مابهم أى أراهم الحسد مابهم من التقصير عنك والنقص دونك ، فتقطعوا من الحسد لمن لايحسد أحدا ، لانه ليس فوقه أحد فيحسده ، ولان الحسد ليس من أخلاقه (٤) يقول : حتى انصرفوا عنك وعن مباهاتك عالمين بتخلفهم عنك وفي قلوبهم من حرارة الحسد والموجدة مالو كان فى هاجرة لذاب الحجر . والهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحر وحمارة القيظ (٥) العلج فى الاصل حمار الوحش السمين القوى أطلقوه على الغليظ الضخم الجافى من كفار العجم ، والمراد هنا قواد الروم . يقول : انهم شغلوا بالنظر اليك عن النظر الى غيرك ، فصاروا كأنهم لايرون أحدا سواك ممن حولهم ، ورأوا منك مادلهم على سيادتك فقالوا هذا هو السيد لا سواه من ساداتهم (٦) هذا البيت مترتب على ما قبله . يقول : انك كنت وحدك مثلهم جميعا لأنك وحدك اغترقت أعينهم وشغلتها عن غيرك وصار غيرك كأنه لاوجود له بجانبك بحيث لو فقدوا كنت كل من بذلك المكان فأنت مفردا مثلهم جميعا . وهذا المعنى ينظر لقول أبى نواس

وليسَ على الله بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العالَمَ فى وَاحِدِ

لَهْفَانَ يَسْتَوْبِي بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى ... لَوْ لَمْ يُنَهْنِهْكَ الْحِجَا وَالسُّؤْدُدُ (١)

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا ... فَالأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الأَوْحَدُ (٢)

وَصُنِ الْحُسَامَ وَلاَ تُذِلْهُ فَإِنَّهُ ... يَشْكُو يَمِينَكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ (٣)

يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهْوَ مُجَرَّدٌ ... مِنْ غِمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ (٤)

رَيَّانُ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتَهُ ... لَجَرَى مِنَ الْمُهَجَاتِ بَحْرٌ مُزْبِدُ (٥)

---

(١) لهفان حال من التاء فى بقيت بينهم . واصل اللهف حرارة الجوف من شدة وكرب ونحو ذلك ، والمراد باللهفان هنا الممتلىء غضبا . ويستوبى يستفعل من الوباء وأصله يستوبىء خفف للضرورة . وينهنه كفه ورده من النهى . يقول : بقيت غضبان حتى استوبأ الناس الغضب الذى بك اى ظنوه وباء مهلكا لهم لولم ينهك سؤددك وحلمك عن اهلاكهم (٢) يقول : كن فى اى موضع شئت من البلاد فانا ننتجعك ونصمد اليك فان الارض التى نغدو ونروح عليها واحدة ليس هناك ارض غيرها وأنت اوحدها لانظير لك فيها واذن لامندوحة عن السفر اليك وان طال لعدم وجود غيرك ممن يستأهل أن يصمد إليه (٣) الاذالة الامتهان والابتذال . يقول : لقد أكثرت من القتل فأغمد سيفك وكفى ما حصل فان سيفك يشكو يدك من كثرة ضربها به ، والجماجم التى حطمتها تشهد له (٤) يقول : إن الدم جمد على سيفك حتى صار كالغمد له فيرى وهو مجرد كأنه مغمد . . وهذا من قول البحترى

سُلِبُوا وأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِم ... مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا

ومن قول الآخر

وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنَىْ هُشَيْمٍ بِطَعْنَةٍ ... لها عاندٌ يكسو السَّليبَ إزارَا*

(٥) ريان بالنصب حال العامل فيه يبس وبالرفع خبر مبتدا محذوف . يقول : لو مج ما سقيته من دماء قلوب الاعداء لجرى منه بحرمزبد . يعنى أنك أكثرت به القتل

---

* عند العرق سال فلم يكد يرقأ وهو عرق عاند

مَا شَارَكَتْهُ مَنِيَّةٌ فِى مُهْجَةٍ ... إِلاَّ وَشَفْرَتُهُ عَلَى يَدِهَا يَدُ[(١)]

إِنَّ الرَّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا ... حُلَفَاءُ طَيٍّ غَوَّرُوا أَوْ أَنْجَدُوا[(٢)]

صِحْ يَالَجُلْهُمَةٍ تُجِبْكَ وَإِنَّمَا ... أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنَّدُ[(٣)]

مِنْ كُلِّ أَكْبَرَ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ ... قَلْباً وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِى أَجْوَدُ[(٤)]

---

(١) يقول : لم يشارك الموت سيفه فى سفك دم إلا استعان بسيفه فكان كاليد للموت ، يعنى أن لسيفه الاثر الاقوى الاظهر في القتل (٢) غوروا نزلوا الغور وهو المنخفض من الارض وأنجدوا نزلوا النجد وهو الارض المرتفعة. يقول: إن هذه الأشياء لاتفارقهم أينما ثقفوا ويمموا ، أى أنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لاعدائهم ، وعطايا لأوليائهم كما قال أبو تمام

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصوَارِمَ والْقَنَا ... أَقَارِبُهُم فِى الرَّوْعِ دُونَ الأَقَارِبِ

(٣) جلهمة اسم طيء وطيء لقب له . واللام لام الاستغاثة . والواو فى وإنما للحال. وأشفار العين منابت الاهداب . يقول : إذا صحت يالجلهمة أسرعت إليك وأحدقت بك فهابك كل أحد حتى إذا نظرت إلى أى انسان بعينيك فكأنك أشرعت اليه رماحا وسللت عليه سيوفا . فقامت أشفار عينيك مقام الذابل — الرمح — والمهند — السيف — وهذا ينظر الى قول بعضهم

وإذَا دُعوا لِنزَالٍ يَوْم كريهةٍ ... ستروا شُعاعَ الشمسِ بالخِرْصانِ

« الخرصان الرماح والخرصان الدروع » وقال سلامة بن جندل

إنّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ ... كان الصّراخُ له قَرْعَ الظّنابيب

« يقول سلامة : إذا أتانا مستغيث كانت أغاثته الجد في نصرته ، يقال قرع لذلك الأمر ظنبوبه إذا جد فيه ، والظنبوب هو طرف العظم اليابس من الساق ، فالشاعر جعل قرع الصوت على ساق الخف فى زجر الفرس قرعا للظنبوب » (٤) الجود المطر الغزير والغوادى السحائب المنتشرة صباحا . يقول : — يصف رجال جلهمة — : من كل رجل أكبر قلبا من الجبال — يريد قوة قلبه وشدته — وأجود من مطر السحاب . وقوله أجود خبر مبتدا محذوف أى وهو أجود من جود الغوادى

يَلْقَاكَ مُرْتَدِيًا بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ... ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطُّلَى وَالأَكْبُدُ (١)

حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلاَهُمُ ... وَهُمُ الْمَوَالِى وَالْخَلِيقَةُ أَعْبُدُ (٢)

أَنَّى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمٌ ... وَأَبُوكَ وَالثَّقَلاَنِ أَنْتَ مُحَمَّدُ (٣)

يَفْنَى الْكَلاَمُ وَلاَ يُحِيطُ بِوَصْفِكُمْ ... أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لاَ يَنْفَدُ (٤)

وقال وقد وشى به قوم الى السلطان فحبسه فكتب اليه من الحبس

أَيَا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الْخُدُودِ ... وَقَدَّ قُدُودَ الحِسَانِ الْقُدُودِ (٥)

فَهُنَّ أَسَلْنَ دَمًا مُقْلَتِى ... وَعَذَّبْنَ قَلْبِى بِطُولِ الصُّدُودِ (٦)

---

(١) خضرة السيف لون فرنده . والطلى الاعناق . يقول : يلقاك كل منهم متقلدا سيفا قد تلطخ بدم الاعناق والاكباد فاحمر واستترت خضرته وذهبت بها الطلى والاكبد

(٢) يقول : حتى يشير الناس اليك فيقولوا هذا مولى طيء أى رئيسهم وسيدهم ، وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم (٣) وأبوك مبتدأ ومحمد خبره والثقلان أنت جملة معترضة . يقول : كيف يكون آدم أبا الورى وأبوك محمد الطائى وأنت الثقلان ؟ أى أنك جميع الانس والجن جمع الله فيك ما فرقه فيهما من الفضل والكمال . روى أن أبا تمام قال لابن أبى دواد — لما اعتذر اليه — أنت جميع الناس ولا طاقة لى بغضب جميع الناس ، فقال له ما أحسن هذا المعنى ! فمن أين أخذته؟ قال من قول أبى نواس

وليْسَ عَلَى اللهِ بمستنكر ... أنْ يَجْمع العالَمَ فى واحدِ

(٤) ينفد يفنى (٥) التخديد الشق . والقد القطع طولا . يدعو على ورد الخدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع القدود الحسان ، قال ابن جنى : وهو دعاء على التعجب والاستحسان كقول جميل :

رمى اللهُ فى عينَىْ بُثَيْنَةَ بالقذى ... وفي الغُرِّ منْ أنيابها بالقوادحِ

(٦) يقول : هن أبكين عينى حتى بضت دما ، وعذبن قلبى بنار الصد وهو عذاب — لو علمت — أليم

وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ فَتًى مُدْنَفٍ	وَكَمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدِ (١)
فَوَاحَسْرَتَا مَا أَمَرَّ الْفِرَاقَ	وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكُبُودِ
وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْعَاشِقِينَ	وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ الْعَمِيدِ (٢)
وَأَلْهَجَ نَفْسِي لِغَيْرِ الْخَنَا	بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالنُّهُودِ (٣)
فَكَانَتْ وَكُنَّ فِدَاءَ الْأَمِيرِ	وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِي مَزِيدِ (٤)
لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ	وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ (٥)
فَأَنْجُمُ أَمْوَالِهِ فِي النُّحُوسِ	وَأَنْجُمُ سُؤَّالِهِ فِي السُّعُودِ (٦)
وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ	عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ (٧)

---

(١) مدنف أثقله المرض . والنوى البعد

(٢) ما أغرى ما أولع . والصبابة رقة الشوق . والعميد كالمعمود الذى اضناه العشق وهده

(٣) اللمى سمرة فى الشفة . يقول : ما أولع نفسى بحب السمر الشفاه الناهدات لغير الفحش والفجور (٤) يدعو للممدوح . يقول : كانت نفسى وأحبائى اللائى وصفتهن فداء له ، ولا زال فى مزيد من النعم (٥) يقول : لا وعيد عنده للاعداء وانما يناجزهم بالسيف ، ولا وعد عنده للاولياء وانما يلقاهم بالسيف والعطاء ، فهو يعجل ماينوى فعله واذن حال سيفه بينه وبين الوعيد ، وحال سيبه بحصوله عاجلا بينه وبين الوعود وهذا والوعيد التوعد وهو يستعمل فى الشر خاصة ، والوعود جمع وعد وهو وان كان يستعمل فى الخير والشر إلا أن المراد به هنا الخير (٦) يقول : أن أمواله فى نحوس لأنه يفرقها ويسخو بها ، وسؤاله فى سعود لانه يبذل أمواله لهم فيتنعمون بها ، وينالون منه مايقترحون عليه ، وهذا كما يقول أبو تمام

طَلَعَتْ على الأموالِ انْحَسَ مطْلعٍ ... فَغَدَتْ على الآمالِ وهي سُعُودُ

(٧) يقول : إنى إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التى لاينجو منها أحد . فأما أعداؤه فانهم لايصلون إليه بسوء ، فلو لم يكن خوفى عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود

رَمَى حَلَبًا بِنَوَاصِى الْخُيولِ وَسُمْرٍ يُرِقْنَ دَمًا فى الصَّعِيد[1]

وَبِيضٍ مُسَافِرَةٍ مَا يُقِمْـ ـنَ لا فى الرِّقَابِ وَلا فى الْغُمُود[2]

يَقُدْنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللِّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخَرْشَنِىُّ كَشَاءٍ أَحَسَّ بِزَأْرِ الأُسُودِ[3]

يَرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَاحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفْقَ الْبُنُودِ[4]

فَمَنْ كَالأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الأَمِـ ـيرِ أَوْ مَنْ كَآبَائِهِ وَالْجُدُودِ[5]

سَعَوْا لِلْمَعَالِى وَهُمْ صِبْيَةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فى الْمُهُودِ[6]

أَمَالِكَ رِقِّى وَمَنْ شَأْنُهُ هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيدِ[7]

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّى كَحَبْلِ الْوَرِيدِ[8]

---

(١) النواصى جمع ناصية وهى شعر مقدم الرأس . والسمر الرماح . والصعيد وجه الارض يعنى: أنه وجه إليها الجيش ورماحا تريق دماء أعدائه على الارض

(٢) يقول : إنه لكثرة حروبه وغزواته لاتزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الاجفان ـ الغمود ـ ومن الاجفان إلى الرقاب. فليست لسيوفه إقامة في شيء من ذلك ولهذا جعلها مسافرة (٣) ولى أدبر. وأشياع الرجل أتباعه ومشايعوه الذين يطيعونه. والخرشنى منسوب إلى خرشنة — بلد من بلاد الروم — يقول : أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغنم حين تسمع صوت الاسد (٤) يقول : إنهم لشدة خوفهم وهم هاربون كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيل الممدوح وراءهم وخفق راياته . وهذا من قول جرير

مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شىءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيكُمُ وَرِجَالاَ

(٥) من استفهام معناه الانكار . يقول : لا أحد مثله ولا مثل ابائه وجدوده

(٦) يقول: انهم ورثوا المجد والسؤدد والجود عن آبائهم فحكم لهم بالمجد والجود والسؤدد وهم صغار (٧) يقول : يا من يملك عبوديتى ، ويامن شانه أن يهب الفضة ويعتق العبيد دعوتك الى آخر ما يلى (٨) الوريد عرق فى العنق يضرب مثلا فى شدة القرب يقال هو أقرب اليه من حبل الوريد

دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِي الْبَلَاءُ ... وَأَوْهَنَ رِجْلَيَّ ثِقْلُ الْحَدِيدِ (١)

وقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي النِّعَالِ ... فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقُيُودِ

وكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفِلٍ ... فَهَا أَنَا فِي مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودِ (٢)

تُعَجِّلُ فِيَّ وُجُوبَ الْحُدُودِ ... وحَدِّي قُبَيْلَ وُجُوبِ السُّجُودِ (٣)

وقِيلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِيـ ... ـنَ بَيْنَ وِلَادِي وبَيْنَ الْقُعُودِ (٤)

فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ ... وقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ (٥)

فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ ... ولَا تَعْبَأَنَّ بِمَحْكِ الْيَهُودِ (٦)

وكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ ... ودَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ بَعِيدِ (٧)

وَفِي جُودِ كَفَّيْكَ مَا جُدْتَ لِي ... بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثَمُودِ (٨)

---

(١) البلاء الامتحان، والغم يبلى الجسم، وبراه هزله وانحله . وأوهنه أضعفه (٢) المحفل الجماعة يجتمعون فى موضع ، وعنى بالقرود المسجونين معه من اللصوص وأصحاب الجنايات الشتى الشكول (٣) تعجل أى أتعجل . وحدى عطف على وجوب . يقول : انما تجب الحدود على البالغ وأناصبى لم تجب على الصلاة بعد فكيف أحد ؟ قال ابن جنى : وليس يريد أنه فى الحقيقة صبى غير بالغ وانما يصغر أمر نفسه عند الوالى ، ألا ترى أن من كان صبيا لايظن به اجتماع الناس اليه للشقاق والخلاف (٤) عدوت من العدوان أى البغى . والولاد الولادة . يقول : ادعى على الناس ــ وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدى بعد ــ انى جرت وخرجت على الناس . . يعنى أن الناس مفترون . يدفع بهذا عن نفسه الظنة (٥) يقول : إن الناس انما شهدوا على زورا فلم تقبل شهادتهم وقدر الشهادة على قدر الشاهد ان كان الشاهد عدلا قبلت شهادته وان كان من السفلة السقاط ردت (٦) الكاشح العدو الذى يضمر العداوة فى كشحه . وقوله بمحك اليهود أى لجاجهم ويروى بمحل وهو الكيد والسعاية . قال ابن جنى : جعل خصومه يهودا ولم يكونوا فى الحقيقة يهودا . . وهو ظاهر (٧) يقول : إن بين دعوى أردت ودعوى فعلت بونا بعيدا فافرق بينهما لأنهم إنما ادعوا على أنى أردت أن أفعل ولم يدعوا على إنى فعلت وبينهما فرق ظاهر (٨) ما من قوله ماجدت لى مصدرية مؤولة مع ما بعدها

ونام أبو بكر الطائى وهو ينشد فقال

إنَّ القوافِيَ لم تُنِمْكَ وإنَّما ... مَحَقَتْكَ حتَّى صِرْتَ مالا يُوجَدُ (١)

فَكَأَنَّ أُذْنَكَ فُوكَ حِينَ سَمِعْتَها ... وكأَنَّها مِمَّا سَكِرْتَ المُرْقِدُ (٢)

وقال يمدح محمد بن زريق الطَّرَسُوسِيَّ

مُحَمَّدُ بْنَ زُرَيْقٍ ما نَرَى أَحَدًا ... إِذا فَقَدْناكَ يُعْطِي قَبْلَ أَنْ يَعِدَا

وقد قَصَدْتُكَ والتَّرْحالُ مُقْتَرِبٌ ... والدارُ شاسِعةٌ والزَّادُ قد نَفِدَا (٣)

فَخَلِّ كَفَّكَ تَهْمِي وَاثْنِ وَابِلَها ... اذا اكْتَفَيْتُ وَإِلاَّ أَغْرَقَ البَلَدَا (٤)

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحترى

مَاالشَّوْقُ مُقْتَنِعًا مِنِّى بذا الكَمَدِ ... حَتَّى أَكُونَ بلا قَلْبٍ ولا كَبِدِ (٥)

ولا الدِّيارُ الَّتِى كانَ الحَبِيبُ بِها ... تَشْكُو إِلَيَّ ولا أَشْكُو إِلَى أَحَدِ (٦)

بمصدر مبتدأ مؤخر وفى جود كفيك خبر مقدم . وأشقى ثمود هو قدار عاقر ناقة صالح يقول : إن جودك لى بنفسى هو فى جملة عطايا كفيك (١) يقول : إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا ولكن السبب أنك حسدتنى على شعرى فمحقك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم (٢) المرقد ما إذا شربه الانسان غلبه النوم . يقول : حين سمعت شعرى نمت فكأن ما سمعت منه بأذنك مرقد شربته بفيك . وقوله : مما سكرت أى من سكرك أى خدرك وتفترك فما مصدرية (٣) الترحال الرحيل . والشسوع البعد . ونفد فرغ (٤) همى الماء سال . وثناه صرفه ورده . والوابل المطر الغزير . يقول : أطلق يديك هامية بالعطاء ، واصرف عنى معظم مطرها إذا اكتفيت يعنى أن فى قليل عطائها غناء وكفاية ولا حاجة الى كثيرها الذى هو كالوابل يغرق البلد

(٥) يقول : إن شوقى إلى الأحبة لايقنع منى بهذا الحزن الذى أنا فيه أو يحرق كبدى ويوله عقلى فأصير مجنونا ذاهب العقل (٦) اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت . وأوجهها فيما أرى ما قال ابن فورجه . قال : يعنى لا الشوق يقنع منى بهذا

مازالَ كُلُّ هَزِيمِ الوَدْقِ يُنْحِلُها
والسُّقمُ يُنْحِلُنِي حَتّى حكَتْ جَسَدِي (١)

وَكلّمافاضَ دَمْعِي غاضَ مُصْطَبَرِي كأنَّ ماسالَ مِنْ جفنَيَّ مِنْ جلَدِي (٢)

فأَيْنَ مِنْ زَفَرَاتِي مَنْ كَلِفتُ بِهِ
وَأَيْنَ مِنْكَ ابْنَ يَحْيى صَوْلَةُ الأَسَدِ (٣)

لمَّا وَزَنتَ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بهَا وَبِالْوَرَى قلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ (٤)

الكمد ولا الديار التى كان الحبيب بها تقنع منى به . وتم الكلام بقوله الحبيب بها ، ثم ابتدأ « المتنبى » فقال : هذه الديار تشكو إلى وحشتها بفراق أهلها ، وأنا لا أشكو إلى أحد ، إما لجلدى أو لأنى كتوم لا سرارى ، فيكون قد نظر إلى قول القائل

فأنّى مِثْلُ ماتجدينَ وجْدى ولكنى أسِرُّ وَتُعْلِنينا

(١) سحاب هزيم منبعث لايستمسك كأنه منهزم . والودق المطر . وفى معنى البيت يقول مخلد بن بكار الموصلى

يامَنزِلا ضنَّ بالسلام سُقِّيت صَوْباً من الغمام
ماترك الحُزْنُ منك إلاّ ما ترك السقْمُ مِنْ عظامى

ويقول ابن وهب

لَبِسَا البِلى فكأنما وَجَدا بعدَ الأَحِبةِ مِثْلَ مَا أجد

وقال البحترى

حملتْ معَا لَهُنَّ أعباءَ البِلَى حتى كأنَّ نحولَهنّ نحولى

(٢) غاض نقص . والمصطبر الاصطبار . والجلد القوة والصبر . يقول : كأن دموعى جارية من جلدى لأنى كلما بكيت نقص صبرى (٣) يقول : أين من عشقته وأولعت به من معرفة مابى من الشوق إليه والحسرة على فراقه ؟ وأين تقع من صولتك صولة الاسد؟ أنكر أن يعرف الحبيب حاله ، وأن تكون صولة الاسد كصولة الممدوح . وفيه من البديع حسن التخلص (٤) يقول : لما رجحت كفتك ـــ وقدوضعت الدنيا وأهلها فى الكفة الثانية ـــ علمت أن الرزانة للفضل لا للاشخاص ، أى إذا رجح الواحد على

مادَارَ فى خَلَدِ الأَيَّامِ لِى فَرَحٌ أَبَا عُبَادَةَ حتَّى دُرْتَ فى خَلَدِى (١)
مَلِكٌ إِذَا امتَلأَتْ مَالاً خزَائِنُهُ أَذَاقَهَا طَعْمَ ثُكْلِ الأُمِّ لِلْوَلَدِ (٢)
مَاضِى الجَنَانِ يُرِيهِ الحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدِ (٣)
مَاذَا البَهَاءُ وَلاَ ذَا النُّورُ مِنْ بَشَرٍ وَلا السَّمَاحُ الذِى فِيهِ سَمَاحُ يَدِ (٤)

الكثير كان ذلك الكثير قليلا بالقياس إلى ذلك الواحد الراجح . قال البحترى

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ لَدَى المَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

(١) يقول : لم يقع فى قلب الايام أن تسرنى حتى وقعت أنت فى قلبى أن أصمد إليك ، والمعنى ما أقبلت على الدنيا حتى أملتك وصمدت إليك . وهـذا ينظر إلى قول الآخر

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِى بِسُلْمَى لَزَمَانٌ يَهُمُّ بالإِحْسَانِ

(٢) جعل الخزائن كالأم والمال كالولد . يقول : إذا امتلأت خزائنه بالمال فرق بينه وبينها فكأنها أم فقدت ولدها ، وهذا كقول أبى نواس

إلى فَتًى أُمُّ مَالِهِ أَبدًا تَسْعَى بِجَيْبٍ فى النَّاسِ مَشْقُوقِ

(٣) الماضى النافذ . والجنان القلب . والحزم ضبط الامر وأحكامه والاخذ فيه بالثقة . يقول : أن حزمه فى الأمور يريه فى يومه حتى يرى بقلبه ما تراه عينه بعد غد ، يعنى أنه يفطن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر

الأَلمعِيُّ الذِى يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كأَنْ قَدْ رَأَى وقَدْ سَمِعَا

ويقول أبو تمام

وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ عِلْمٌ وَفى بَعْضِ القُلُوبِ عُيُونُ

ولقد كرر المتنبى هذا المعنى فى شعره . والمراد بهذا كله صحة الحدس وجودة الظن .

(٤) ماذا أى ليس هذا البهاء ولا هذا النور الخ . يقول : أنت أجل من أن تكون بشرا ، لان ما نشاهده فيك من الحسن والنور لايكون فى بشر ، وليس سماحك سماح يد وإنما هو سماح غيث وبحر . وكل هذا مبالغة وفى معناه

يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ لاَ الكَفُّ لُجَّةٌ ولا هُوَ ضِرْغَامٌ ولا الرَّأْيُ مِخْذَمُ

أَيُّ الأَكُفِّ تُبَارِي الْغَيْثَ مَا اتَّفَقَا
حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعُدِ [(١)]

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مُضَرٍ
حَتَّى تَبَحْتَرَ فَهْوَ الْيَوْمَ مِنْ أُدَدِ [(٢)]

قَوْمٌ إِذَا أَمْطَرَتْ مَوْتاً سُيُوفُهُمُ حَسِبْتَهَا سُحُباً جَادَتْ عَلَى بَلَدِ [(٣)]

لَمْ أُجْرِ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ إِلاَّ وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الأَبَدِ [(٤)]

وقال يمدح على بن ابراهيم التنوخى

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ لُيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ [(٥)]

---

(١) يقول: أي كف سوى كف هذا الممدوح تبارى الغيث فى الجود ما انفقا ماطرين؟ وإذا افترقا باقلاع السحاب عادت الكف إلى عادتها ولم يعد الغيث. يريد ان الغيث يمطر ثم ينقطع وكفه تجود ولا ينقطع جودها، فهى تزيد على الغيث، والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا اما الغيث فلا يعود عوده لأنه قد ينقطع زمانا طويلا (٢) مضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان. وتبحتر انتسب إلى بنى بحتر وهم حي من طيء من عرب اليمن. وأدد بن قحطان أبو اليمن. يقول: كنت أظن المجد مضريا حتى نقله الممدوح إلى بنى بحتر، فهو اليوم بحترى أددى (٣) يريد بالموت الدم لان سفوح الدم يسبب الموت وإذا امطرت السيوف الدم فقد امطرت الموت، شبهها — وهى تمطر الدم — بالسحب تجود بالمطر

(٤) يقول: لم أفكر فى صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لا تنتهى كغاية الابد

(٥) أحاد يريد أأحاد فحذف همزة الاستفهام للضرورة وإن لم يكن بالفصيح وأحاد من الأبنية التى سمعت عن العرب ومثلها ثناء وثلاث ورباع، وقاسه المولدون إلى العشرة قال الكميت

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالاً عُشَارَا

ولا يستعمل أحاد فى موضع الواحد فلا يقال هو أحاد أى واحد إنما يقولون جاؤا أحاد

كأنَّ بناتِ نَعْشٍ فى دُجاها ... خرائدُ سافراتٌ فى حِدادِ (١)

أفكِّرُ فى مُعاقرةِ المنايا ... وقَوْدِ الخيلِ مُشرفةَ الهوادى (٢)

زعيمٌ للقنا الخَطِّىِّ عزمى ... بسفكِ دمِ الحواضرِ والبوادى (٣)

إلى كَمْ ذا التخلُّفُ والتوانى ... وكَمْ هذا التمادى فى التمادى (٤)

أى واحدا واحدا ، وكذلك سداس . والليلة تصغير ليلة والمراد بالتصغير هنا التعظيم على حد قول لبيد

وكلُّ أُناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم ... دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأناملُ

« يعنى لبيد الموت الذى هو أعظم الدواهى » والتنادى يوم القيامة سمى كذلك لأن النداء يكثر فى ذلك اليوم . قال الواحدى : أراد واحدة أم ست فى واحدة ، وست فى واحدة — اذا جعلتها فيها كالشىء فى الظرف ولم ترد الضرب الحسابى — سبع ، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعلها اسما لليالى الدهر كلها لأن كل أسبوع بعده أسبوع اخر إلى اخر الدهر . يقول : هذه الليلة واحدة أم ليالى الدهر كلها جمعت فى هذه الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة . . أقول وهذا البيت على غموضه وقبحه وأخطائه لايخرج عن معنى قوله

مِن بعدِما كانَ لَيْلى لا صَباحَ لهُ ... كأنَّ أوَّلَ يومِ الحشرِ آخِرُهُ

(١) بنات نعش كواكب معروفة . والخرائد العذارى لم يمسسن أو الحييات الطويلات السكوت . والسافرات الكاشفات عن وجوههن : شبه بنات نعش وهى مضيئة فى سواد الليل بالحسان السافرات فى الثياب السود ، والبيت من قول ابن المعتز

وأرى الثريَّا فى السَّماءِ كأنَّها ... خودٌ تبدَّتْ فى ثيابِ حِدادِ

(٢) معاقرة المنايا أى ملازمتها وأن يكون معها فى عقر دارها وهو المعترك ، أى ملازمة الحروب ، ومشرفة الهوادى أى طوال الاعناق (٣) زعيم أى كفيل خبر مقدم عن عزمى . والقنا الرماح . والخطى المنسوب الى الخط — موضع باليمامة . يقول : عزمى كفيل بسفك دم الناس جميعا حاضرهم والباد (٤) التمادى فى الأمر بلوغ مداه والتمادى فى التمادى أن يتتابع تماديه يقول : إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالى وأقصر

وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ المَعَالِى ... بِبَيْعِ الشِّعْرِ فِى سُوقِ الكَسَادِ (١)
وَمَا مَاضِى الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ ... وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ
مَتَى لَحَظَتْ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِى ... فَقَدْ وَجَدَتْهُ مِنْهَا فِى السَّوَادِ (٢)
مَتَى مَا ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِى ... فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِى فِى ازْدِيَادِى (٣)
أَأَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلَا أُكَافِى ... عَلَى مَا لِلأَمِيرِ مِنَ الأَيَادِى (٤)
جَزَى اللهُ المَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا ... وَإِنْ تَرَكَ المَطَايَا كَالمَزَادِ (٥)
فَلَمْ تَلْقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْسِى ... وَفِيهَا قُوتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ (٦)

---

(١) كسد الشىء لم ينفق لقلة الرغاب فيه. يقول: فى ذلك وإلى كم أتمادى فى التقصير تماديا متتابعا وإلى كم أشغل نفسى عن طلب المعالى بنظم الشعر فى مدح من لا قيمة عنده للشعر (٢) يقول: متى رأت عينى بياض الشيب فى شعرى فكأنى وجدته فى سوادها كراهية له، وإذا ابيض سواد العين عمى صاحبها فكأنه يقول الشيب كالعمى، وهذا من قول أبى دلف

فى كلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ قَدْ طَلَعَتْ ... كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِى نَاظِرِ البَصَرِ

ويقول أبو تمام

لَهُ مَنْظَرٌ فى العَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ ... ولكنَّه فى القَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

(٣) يقول: إذا بلغ الشباب نهايته فزيادة العمر بعد ذلك وفور النقصان، وهو معنى بديع تعاوره الشعراء قال عبد الله بن طاهر

إِذَا مَا زَادَ عُمْرُكَ كَانَ نَقْصًا ... وَنُقْصَانُ الحَيَاةِ مَعَ التَّمَامِ

وقال آخر

إذا اتَّسَقَ الهلالُ وصار بدرًا ... تَبَيَّنْتَ المُحَاقَ مِنَ الهلالَ

(٤) الايادى النعم (٥) المزاد جمع مزادة وهى قربة الماء. يقول: إن إبلنا قد أضناها السير وهزلها حتى تركها كالمزاد التى كانت معنا ونفد ماؤها فجفت لطول السفر

(٦) العنس الناقة الصلبة. والقراد دويبة تلزق بالابل ونحوها كالقمل للانسان. يقول: لم تصل ناقتى إلى هذا الممدوح إلا بعد أن انضاها السير حتى لم يترك فيها من

أَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ ... فَصَيَّرَ طُولَهُ عَرْضَ النِّجَادِ (١)

وَأَبْعَدَ بُعْدَنَا بُعْدَ التَّدَانِي ... وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ (٢)

فَلَمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحَلِّي ... وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ (٣)

تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ ... وَأَلْقَى مَالَهُ قَبْلَ الْوِسَادِ (٤)

نَلُومُكَ يَا عَلِيُّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ ... لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ (٥)

الدم ما يقوت القراد (١) الضمير فى صير للمسير . والنجاد حمائل السيف . يقول : إن المسير أدنانى إليه حتى لم يبق بينى وبينه إلا مقدار عرض حمائل السيف

(٢) يقول : إن المسير أبعد ما كان بيننا من البعد فجعله كبعد التدانى الذى كان بيننا ، وقرب قربنا فجعله مثل قرب البعاد الذى كان بيننا . أى قربنى إليه بحسب ما كان بينى وبينه من البعد فجعل البعد بعيداً عنى وجعل القرب قريبا منى . قال العكبرى : قال الحكيم : أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الاجسام ، وأبعد البعد تنافر القلوب وان تدانت الاجسام ثم قال العكبرى : وأخذت المعنى فقلت

وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ قَلْبُهُ عَنْكَ نَازِحٌ ... وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَلْبُهُ بِكَ مُغْرَمُ

(٣) يقول : رفع منزلتى فى مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأنى به فوق السموات السبع . والشداد المتقنة المحكمة الصنعة (٤) تهلل تلألأ وجهه واستبشر برؤيتى . والوساد ما يتكأ عليه . ومثل هذا قول الآخر

إِذَا مَا أَتَاهُ السائلون توقَّدَتْ ... عليهِ مصابيحُ الطَّلَاقَةِ والبِشْرِ

والمصراع الثانى من قول على بن جبلة

أَعْطَيْتَنِي يا وليَّ الحمدِ مُبتدئاً ... عطيَّةً كافأَتْ مَدْحِي ولم ترنى

ما شِمْتُ بَرْقَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيِّقَهُ ... كَأَنَّمَا كنتَ بالجَدْوَى تُبادرنى

فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنَهُمَا ... تَلْقِيحُ مَدْحٍ ونجوَى شاعرٍ فَطِنِ

شُكْراً لتعْجيل مَاقَدَّمْتَ مِنْ حَسَنٍ

عِنْدِي وشُكْراً لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ

(٥) زريت على العباد أى حقرت أفعالهم ومناقبهم بزيادتك عليهم

وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ … هِبَاتُكَ أَنْ يُلَقَّبَ بِالْجَوَادِ (١)

كَأَنَّ سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخْشَى … إِذَا مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ (٢)

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُيُونٌ … وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ (٣)

وَقَدْ صُغْتَ الْأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ … فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ (٤)

(١) هباتك فاعل تجود وأن يلقب مؤول بمصدر فى موضع نصب بأسقاط حرف الجر يقول : إن هباتك لاتجود على أحد بلقب الجواد لأنه لايستحق هذا اللقب غيرك لأن جودك فوق كل جود (٢) حلت تحولت وتغيرت . يقول : إنك تدين بالسخاء وتعتقده كما تدين بالاسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة التى عقابها القتل ودخول النار . وهذا كقول أبى تمام

مَضَوْا وكأنما المكرُمات لديهم … لكثرةِ ما أوْصَوْا بهنّ – شرائع

ثم قلبه فقال

كَرَمٌ تَدِينُ بِحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ … فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ

(٣) الهام الرؤس والهيجا من أسماء الحرب تمد وتقصر . جعل الرؤس فى الحرب كالعيون وجعل سيوفه كالرقاد . يقول : أن سيوفك لاتقع الا على الهام ولا تحل الا فى الرؤس كالنوم محله فى الجسد العين . أوتقول : ان سيوفك ألفت الرؤس ألفة الرقاد للعين فلا تحل إلا فيها (٤) الاسنة نصال الرماح . ويخطرن إما بضم الطاء على إرادة الهموم ، وإما بكسرها على إرادة الرماح . يقول : إن أسنتك لاتقع إلا فى قلوب أعدائك كأنها الهموم لاتحل لها غير القلوب : والبيت منقول من قول أبى تمام

كَأَنَّهُ كَانَ تِرْبَ الْحُبِّ مُذْ زَمَنٍ … فَلَيْسَ يَحْجُبُهُ خِلْبٌ وَلَا كَبِدُ*

وفى معنى البيت يقول دعبل فى سيدنا على

كَأَنَّ سِنانَهُ أبداً ضميرٌ … فليسَ لهُ عن القلبِ انقلابُ

وصارمهُ كبيعته بِخُمٍّ* … فموضعها من الناسِ الرقابُ

* الخلب حجاب القلب وقيل حجاب ما بين القلب والكبد ومنه قيل للرجل الذى يحبه النساء أنه لخلب نساء أى يحبه النساء

* خم بضم الخاء وقيل بفتحها موضع بالجحفة بين مكة والمدينة تصب فيه عين هناك

وَيَوْمَ جَلَبْتَهَا شُعْثَ النَّوَاصِي ... مُعَقَّدَةَ السَّبَائِبِ لِلطِّرَادِ(١)

وَحَامَ بِهَا الْهَلَاكُ على أُنَاسٍ ... لَهُمْ بِاللَّاذِقِيَّةِ بَغْيُ عادِ(٢)

فَكانَ الغَرْبُ بَحْرًا مِنْ مِياهٍ ... وَكانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ جِيادِ(٣)

وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ ... فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبِيضِ الحِدَادِ(٤)

لَقُوكَ بِأَكْبُدِ الإِبِلِ الأَبَايَا ... فَسُقْتَهُمُ وَحَدُّ السَّيْفِ حادِ(٥)

ويقول منصور النميرى

وكأن موقِعَهُ بجُمْجُمَةِ الفتى ... سُكْرُ المُدامَةِ أو نُعَاسُ الهاجع

ويقول مهلهل

الطَّاعنُ الطَّعْنَةَ النجلاء تَحْسَبُهَا ... نوْمًا أناخَ بجَفْنِ العيْنِ يُغْفيها

بِلَهْذَمٍ من همومِ النَّفْسِ صيغتُهُ ... فليس ينفكُّ يجْرى فى مجاريها

(١) الضمير فى جلبتها للخيل وان لم يجر لها ذكر لدلالة القرائن عليها . والاشعث المغبر . والنواصى جمع ناصية وهى شعر مقدم الرأس ، وجعلها شعث النواصى لمواصلة السير عليها والحرب والغارة . والسبائب شعر العرف والذنب . وهذا الشعر يعقد — كان — عند الحرب كما قال

عقَدُوا النَّواصى للطِّعانِ فَلاَ تَرَى ... فى الخيلِ — إذ يعدُونَ — إلاَّ أَنْزَعَا

وقوله ويوم الخ أى أذكرك ذلك اليوم (٢) حام دار من قولهم حام الطير حول الماء أى دار حوله ليشرب منه . يقول : دار الهلاك بخيلك على أناس بغوا باللاذقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم (٣) يقول : إن الاعداء وقعوا بين بحرين أحدهما من الجانب الغربى وهو بحر الماء — لان اللاذقية على ساحل البحر — والآخر من الجانب الشرقى وهو جيش الممدوح . شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الاسلحة (٤) فيه أى فى بحر الجياد . والبيض السيوف والحداد الرقاق . يقول : اضطربت الاعلام فى هذا البحر — بحر الجياد — وتحركت لك لاعليك فظل ذلك البحر يموج ويتحرك بالسيوف (٥) الأبايا جمع الابية أى الآبية الممتنعة . يقول : لقوك عاصين غليظة أكبادهم كأكباد الابل التى تأبى على أربابها ولا تنقاد إليهم فذللتهم وسقتهم

وَقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ الْغَيِّ عَنْهُمْ   وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرَّشَادِ (١)

فَمَا تَرَكُوا الْإِمَارَةَ لِاخْتِيَارٍ   وَلَا انْتَحَلُوا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادِ (٢)

وَلَا اسْتَفَلُوا لِزُهْدٍ فِي التَّعَالِي   وَلَا انْقَادُوا سُرُورًا بِانْقِيَادِ (٣)

وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فِي حَشَاهُمْ   هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رِجْلِ الْجَرَادِ (٤)

وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمِ فَلَمَّا   مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ (٥)

غَمَدْتَ صَوَارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبُوا   مَحَوْتَهُمُ بِهَا مَحْوَ الْمِدَادِ (٦)

وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى
بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْكَرَمِ التِّلَادِ (٧)

أمامك كما تساق الابل وحاديهم الذى يسوقهم هو حد سيفك ، والابل توصف بغلظ الكبد كما قال

* لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا من الإِبلِ *

(١) يقول : أخرجتهم من ضلال المعصية إلى رشد الطاعة وفيه من البديع المقابلة بين الغي والرشاد (٢) انتحل الشيء ادعاه . يقول : إنك اضطررتهم إلى ترك الامارة فتركوها خوفا ، وادعوا حبك ادعاء لا لأنهم يودونك حقيقة (٣) استفلوا من السفال أي تسفلوا وانحطوا . وانقادوا أطاعوا (٤) هب ثار واضطرب . والحشا ما انضمت عليه الضلوع . والرجل من الجراد القطعة منه . يقول : إنهم لم يفعلوا شيأ من ذلك رغبة فى فعله ولكن لان ريح الخوف عصفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رجل الجراد

(٥) يقول : ماتوا خوفا منك قبل أوان موتهم فلما مننت بالعفو عنهم كان ذلك احياء لهم قبل يوم البعث . وهذا منقول من قول أبي تمام

مَعادُ البعثِ معروفٌ ولكنْ   نَدَى كَفَّيْكَ فى الدُّنيا مَعَادى

(٦) الصوارم السيوف القواطع . والمداد الحبر (٧) الطريف المستحدث . وانتصف منه استوفى حقه . والتلاد القديم . يقول : ان الغضب الحادث وان كان قويا نزاعا إلى الانتقام لايغلب الكرم القديم الذى يقتضى العفو والصفح ؛ فلا ينتصف منه باستيفاء

فلاَ تَغرُرْكَ أَلْسِنَةٌ مَوَالٍ … تُقلّبُهُنَّ أَفْئِدَةٌ أَعَادِى (١)

وَكُنْ كالمَوْتِ لاَ يَرْثِى لِبَاكٍ … بَكَى مِنْهُ وَيَرْوَى وَهْوَ صَادِ (٢)

فإِنَّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ … إِذَا كَانَ البِنَاءُ عَلَى فَسَادِ (٣)

وَإِنَّ المَاءَ يَجْرِى مِنْ جَمَادٍ … وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ (٤)

وَكَيفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعاً جَبَانٌ … فَرَشْتَ لِجَنْبِهِ شَوْكَ القَتَادِ (٥)

يَرَى فى النَّوْمِ رُمْحَكَ فى كُلاَهُ … وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فى السُّهَادِ (٦)

حق الانتقام (١) موال جمع مولى وهو الولى والصديق . يقول : إن ألسنتهم تظهرلك الولاية والمحبة وقلوبهم تضمر لك العداوة ، فلا تغتر بذلك لان تلك الالسنة الموالية تقلبها أفئدة معادية (٢) الصادى العطشان . يقول : كن قاسيا عليهم كالموت لا يرحم الباكى من خوفه ، ويروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان لحرصه على الاهلاك وقال ابن جنى : كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد أى لطلب النفوس ، ومعنى يروى ينال مالو أدركه لروى وفى معناه

* كالمَوْتِ لِيسَ لهُ رِىٌّ ولا شِبَعُ *

(٣) نفر الجرح هاج وورم بعد البرء . وقوله إذا كان البناء على فساد أى إذا نبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد . يقول : إنهم يطوون العداوة فى أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة . وهذا من قول البحترى

إذا ما الجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ … تبيَّنَ فيه تفريطُ الطَّبِيب

(٤) الجماد الصخر . والزناد جمع زند وهو العود الذى تقدح به النار . يقول : إن العداوة تكمن فى الوداد كمون النار فى الزناد والماء فى الجماد كما قال نصر بن سيار

وإنّ النَّارَ بالزَّنْدَيْنِ تُورِى … وإنّ الفِعْلَ يقدُمُهُ الكلام

وكل هذا تحذير له من أعدائه (٥) الجبان هو عدوه الخائف . والقتاد شجر له شوك . يقول : إن خوفه إياك يحول دون نومه كما لو فرشت له شوك القتاد

(٦) يقول : لشدة ارتياعه وذعره يراك فى نومه كأنك طعنت كليتيه برمحك فهو يخشى أن يراه فى اليقظة كما قال أشجع السلمى

أَشَرْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ ... نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ [١]

وَظَنُّونِى مَدَحْتُهُمُ قَدِيمًا ... وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمُ مُرَادِى [٢]

وَإِنِّى عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادٍ ... وَقَلْبِى عَنْ فِنَائِكَ غَيْرُ غَادِ [٣]

مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ رِكَابِى

وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ [٤]

وعَلَى عدُوِّكَ يا ابنَ عَمِّ محمَّدٍ ... رَصَدانِ ضوْءُ الصُّبْحِ والإظْلَامُ

فإذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وإذا غفَا ... سَلَّتْ عليهِ سُيوفَكَ الأَحْلام

ولقد قصر أبو الطيب فى تعبيره عن اليقظة بالسهاد لان السهاد امتناع النوم ليلا ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهدا (١) و (٢) يقول: مدحت قوما أشرت على يا أبا الحسن بأن أمدحهم فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودونى شيأ، وظنوا أنى كنت أمدحهم وأثنى عليهم بذلك المديح مع أنى إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء. وفى هذا المعنى يقول أبو نواس

وَإنْ جَرَتِ الألْفاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ ... لِغَيْرِكَ إنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِى نَعْنِى

ويقول كثير

مَتَى مَا أَقُلْ فى آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً ... فما هِىَ إلاَّ لِابْنِ لَيْلَى المُكَرَّمِ

وقد ذهب اليازجى — بعد أن اعترف بأن الرواية أشرت بفتح الشين والتاء — إلى أن الاظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء من الاشر وهو الفرح بالشىء والاغترار به كأنه يقول إنى اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيأ. وهو حسن فى ذاته الا أنه يفتقر الى ثبت (٣) الفناء الساحة والمنزل. يقول: انى مرتحل عنك وقلبى مقيم عندك. وهذا كقول أبى تمام

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالأَمَانِى ... وإنْ قَلِقَتْ رِكَابِى فى الْبِلَادِ

(٤) يقول: حيثما توجهت فأنا محبك، وحيثما كنت فأنا ضيفك لأنى انما آكل مما أعطيتنى وزودتنى. وهذا من قول أبى تمام

ومَا سافَرْتُ فى الآفاقِ إلاَّ ... وَمِنْ جَدْوَاكَ راحِلَتِى وزَادِى

وقال يمدح بدر بن عمار الاسدى الطبرستانى وهو يومئذ يتولى حرب طبريَّة من قِبَلِ أبى بكر محمد بن رائق

سنة ٣٢٨

أَحلْمًا نَرَى أَمْ زَمَانًا جَدِيدَا ... أَمِ الخَلْقُ فى شخصِ حَىٍّ أُعيدَا [1]

تَجَلَّى لَنَا فَأَضَأْنَا بِهِ ... كأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُعُودَا [2]

رَأَيْنَا بِبَدْرٍ وَآبَائِهِ ... لِبَدْرٍ وَلُودًا وَبَدْرًا وَلِيدا [3]

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِى ... رَضِينَا لَهُ فتَرَكْنَا السُّجُودا [4]

أَميرٌ أَميرٌ عَليْهِ النَّدَى ... جوَادٌ بَخِيلٌ بأَنْ لا يَجُودَا [5]

(١) أم الثانية منقطعة وهى للاضراب ــ بمعنى بل ــ مع الاستفهام والخلق مبتدأ وجملة أعيدا خبر ؛ يتعجب من جمال زمان الممدوح ، يقول : أهذا الذى نراه حلم أم صار الزمان جديداً ؛ فهو غير ما نعهده ؟ وانقطع الاستفهام ثم قال : بل أعيد الخلق ــ الذين ماتوا من قبل ــ فى شخص رجل حى ــ وهو الممدوح ــ أى جمع فيه ما كان لهم من الفضائل والمكارم وسائر المعانى المحمودة وكأنهم أعيدوا فى شخصه كما قال أبو نواس

وليْسَ عَلَى اللهِ بمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ العالَمَ فى واحِدِ

(٢) أضاء يكون لازما ومتعديا يقول : ظهر لنا هذا الممدوح فصرنا به فى الضوء يعنى أعدتنا سعادته كالنجوم التى تسعد ببروجها (٣) ولودا أى والدا ، ووليدا أى مولودا يقول : رأينا برؤية بدر بن عمار بدرا مولودا ، وبرؤية آبائه والدا لبدر ؛ جعله كالبدر فى الضياء والشهرة والعلو ، والبدر لايكون والدا ولا مولودا حقيقة ولكن الغرض الاغراب وحسن الصنعة فكأنه قال أنت بدر وأبوك أبو البدر (٤) يقول : رضينا أن نسجد له لاستحقاقه غاية الخضوع منا له ، فلم يرض ذلك ، فتركنا ما رضينا له ــ وهو السجود ــ طلبا لرضاه (٥) أمير خبر مبتدا محذوف أى هو أمير ، وأمير الثانى خبر مقدم والندى مبتدا مؤخر أى هو أمير ــ ألندى أمير عليه أى ملك عليه أمره فلا يعصيه.

يُحَدَّثُ عَنْ فَضْـلِهِ مُكْرَهاً كَأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْباً حَسُودا(١)

وَيُقْدِمُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَفِرَّ وَيَقْدِرُ إِلاَّ على أَنْ يَزِيدا(٢)

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ فَمَا تُعْطِ مِنْهُ نَجِدْهُ جُدُودا(٣)

وَرُبَّتَمَا حَمْلَةٍ فِى الْوَغَى رَدَدْتَ بِهَا الذُّبَّلَ السُّمْرَ سُودَا(٤)

أى لايكون بخيلا ألبتة ، ثم قال : وهو جواد بكل شيء إلا بأن يترك الجود فانه لايجود بهذا الترك . والمصراع الاول من قول النميرى

وَقَفْتُ على حالَيكُما فإِذا النَّدَى عَليْكَ — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — أَمِيرُ

وقول أبى تمام

أَلاَ إِنَّ النَّدَى أَضحى أَمِيرًا عَلَى مالِ الأَمِيرِ أَبى الْحُسَيْنِ

(١) يقول : لايحب أن يمدحه أحد بحضرته تنزها عن ذلك المدح كأن له من نفسه قلبا يحسده فلا يحب اظهار فضله ومناقبه كما قال

انا بِالْوُشاةِ إِذا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ تَأْتِى النَّدَى وَيُذَاعُ عنْكَ فَتَكْرَهُ

وقد قال أبو تمام

وَكأَنَّما نافَسْتَ قَدْرَكَ حظَّهُ وحَسدْتَ نفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

معناه أنك نافست قدرك وحسدت نفسك فطفقت تباهى فى الشرف وتزيد على كل غاية تصل اليها وإن كنت منقطع القرين ؛ وأبو الطيب يقول . كأن قلبك يحسدك على فضائلك فهو يكره أن تستقل بذكرها ؛ وهـذا نوع آخر من المديح لكنهما اجتمعا فى حسد النفس والقلب (٢) يقول : يقدم على كل عظيم الا على الفرار فى الحرب فهو أهول عنده من كل هول ، ويقدر على كل صعب الا على ان يزيد على ماهو عليه من علو الشأن وجلال القدر فانه لاغاية له وراءه وهذا من قول أبى تمام

فَلَوْ صوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْها على ما فِيكَ مِن كَرَمِ الطِّباعِ

(٣) يقول : كأن عطاءك مشتق من القضاء فاذا وصلت أحدا بر سعد ببرك فصار برك حظا له . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن القضاء سعد ونحس ونوالك سعد كله فهو أحد شقى القضاء (٤) التاء فى ربتما للتأنيث وما زائدة . يقول رب حملة لك على أعدائك فى الحرب صرفت بها رماحك السمر سودا أى لطختها بالدماء حتى

وَهَوْلٍ كَشَفْتَ وَنَصْلٍ قَصَفْتَ ... وَرُمْحٍ تَرَكْتَ مُبَاداً مُبِيدا (١)

وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلاَ مَوْعِدٍ ... وَقِرْنٍ سَبَقْتَ إِلَيْهِ الْوَعِيدا (٢)

بِهَجْرِ سُيُوفِكَ أَغْمَادَهَا ... تَمَنَّى الطُّلَى أَنْ تَكُونَ الْغُمُودا (٣)

إِلَى الْهَامِ تَصْدُرُ عن مثلِهِ ... تَرَى صَدَرًا عَنْ وُرُودٍ وُرُودا (٤)

قَتَلْتَ نفوسَ العِدا بالحدِيـ ... ـدِ حَتَّى قَتَلْتَ بِهِنَّ الحَدِيدَا (٥)

جفت عليها فاسودت ، والدم اذا جف اسود (١) وهول عطف على حملة . يقول : ورب هول كشفته عن صحبك بنجدتك ، ورب سيف كسرته بقوة ضربتك ، ورب رمح أتلفته بالطعن فى الاضلاع وقد أتلف نفس المطعون . فقوله مبادا مبيدا حالان من الرمح . ومثل هذا المعنى فى السيف قول البعيث

وانّا لَنُعْطِى المَشْرَفِيَّةَ حَقَّها ... فَتَقْطَعُ فى أَيمانِنا وتُقطَعُ

ويقول أبو تمام

وما كُنْتَ إِلاَّ السَّيفَ لاقى ضَرِيبَةً ... فَقَطَّعَها ثُمَّ انثَنَى فَتَقَطَّعا

(٢) هذا كقوله :

لَقَدْ حالَ بالسَّيفِ دُونَ الْوَعيدِ ... وحالَتْ عطاياهُ دُونَ الوعود

وقد تقدم (٣) الطلا الاعناق ، والغمود جمع غمد جفن السيف . يقول: أن سيوفك لأنها لا تفتر عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب تبقى أبدا هاجرة أغمادها ومن ثم تتمنى الأعناق أن تكون أغمادا لها حتى تنال من الهجر ما نالت الاغماد أى حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبدا ، وهو معنى دقيق رائع (٤) يقول : أن سيوفه لا تعود إلى أغمادها أصلا فقد هجرتها إلى الرؤس لانها أبدا تصدر عن رأس لترد رأسا غيره ، ويكون صدورها عما وردت عليه ورودا على مثله . فقوله إلى الهام متعلق بهجر فى البيت السابق أى بهجر سيوفك أغمادها إلى الهام ، ويكون البيت مضمنا ، ولك أن تجعلها متعلقة بتصدر الواقعة حالا أى صادرة عن مثل ما هجرت اليه . والصدر فى الاصل صدور الشاربة عن الماء بعد الرى والورود عكسه ، وصدرا وورودا مفعولان لترى . ومن ورود متعلق بصدر (٥) يقول : مازلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بهم أى كسرته وثلمته وهذا مثل قول ابى تمام

فَأَنفَدْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ البَقاءَ ... وَأبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكْتَ النُّفُودَا (١)

كأنَّكَ بِالفَقْرِ تَبْغِي الغِنَى ... وَبالمَوتِ فِى الحَرْبِ تَبْغِى الخُلُودَا (٢)

خَلائِقُ تَهْدِى الى رَبِّهَا ... وَآيَةُ مَجْدٍ اَراها العَبِيدا (٣)

مُهَذَّبَةٌ حُلْوَةٌ مُرَّةٌ ... حَقَرْنا البِحارَ بها والأُسُودَا (٤)

بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِها وَصفُها ... تَغُولُ الظُّنُونَ وَتُنْضِى القَصِيدا (٥)

فَأَنْتَ وَحِيدُ بَنِى آدمٍ ... وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظيرٍ وَحِيدا (٦)

وقال لما استعظم قوم ما قاله فى آخر مرثية جدته

يَسْتَعْظِمُونَ أُبَيَّاتًا نَأَمْتُ بِهَا ... لاتَحْسُدُنَّ على أَنْ يَنأَمَ الأَسَدَا (٧)

وَمَا ماتَ حتَّى ماتَ مَضْرِبُ سيفِهِ ... مِنَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عَليْهِ القَنا السُّمْرُ

(١) أفنيت بقاء نفوس الاعداء أى أهلكتهم باحلال آجالهم وأبقيت نفود المال الذى تملك أى أتلفته حتى لم يبق منه إلاالعدم يقول : انك أهلكت أعداءك وفرقت أموالك

(٢) يقول : لأفراط سرورك بالعطاء وبذل المال كأنك تبغى بذلك الغنى لانك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه فكأن الفقر عندك هو الغنى ، وكأن الموت فى الحرب خلود فلا تنفك تسعى اليه (٣) فاعل أراها ضمير يعود إلى الرب . يقول : هذه خلائق يعنى ماذكر فى الابيات السابقة — يستدل بها على قدرة خالقها ، اذ هى أخلاق عجيبة لايقدر عليها إلا الله الواحد القادر ، وهي آية مجد أراها الله عباده حتى يستدل بها على المجد والعلاء (٤) يقول : هذه الخلائق مهذبة لاعيب فيها ، حلوة للأولياء بما تغدق به عليهم من النعماء ، مرة على الاعداء بما تنصب عليهم من النقمة واللأواء ، ولقد حقرنا بها الاسود والبحار لانك تربى عليهما فى الشجاعة والسخاء (٥) غاله أهلكه . وانضاه هزله . يقول : ان وصف اخلاقك بعيد مع قربهـا منا لانا نراها ولكن لانقدر على وصفها اذ ان الظنون تهلك دون ادراك غايتها ، ويهزل الشعر اعياء قبل الوصول إلى حقيقتها (٦) يقول : أنت وحيد لا لانه وجد لك نظير قديما ثم فقد وانما لانه لم يوجد لك نظير ألبتة في بني ادم (٧) الابيات تصغير ابيات ، صغرها تحقيرا لها . ونأم الاسد

لَوْ أَنَّ ثَمَّ قُلُوباً يَعْقِلُونَ بِهَا　　أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الحَسَدَا [١]

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التميمى

أَقَلُّ فَعَالِى بَلْهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ　　وَذَا الجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جَدُّ [٢]

سَأَطْلُبُ حَقِّى بِالْقَنَا وَمَشَايِخٍ　　كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ [٣]

ثِقَالٍ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا　　كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا [٤]

وَطَعْنٍ كَأَنَّ الطَّعْنَ لَا طَعْنَ عِنْدَهُ　　وَضَرْبٍ كَأَنَّ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدُ [٥]

زأر . والاسد مفعول تحسدن ويعنى بالاسد نفسه . يقول : انهم يستعظمون أبياتا هى عندى حقيرة . ثم قال لا تحسدن الاسد على زأره (١) الضمير فى قوله تحتها للأبيات والحسدا مفعول انساهم يقول : لو كان لهم قلوب يعقلون بها ماتضمنته أبياتى من الوعيد لأنساهم الذعر منها الحسد (٢) الفعال هنا مصدر فعل فعالا كذهب ذهابا ، والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . وبله اسم فعل بمعنى دع وأكثره منصوب به . والجد بالكسر الاجتهاد . وبالفتح الحظ . يقول : أقل فعلى مجد دع أكثره ، اى اذا عرفت أن الأقل مجد أغناك ذلك عن تعرف الاكثر، يعنى أنى لا أفعل فعلا إلا ومرماى المجد ، فكل أفعالى قليلها وكثيرها انما هى فى سبيل المجد ، وهذا الجد والاشاحة فى سبيل المجد وترك التوانى فى ذلك يعد حظا لى سواء نلت مطلوبى أم لم أنل ، لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة وحسبى ذلك حظا (٣) يقول : سأطلب حقى بالرماح ويصحبنى محنكين طال تمرسهم بالحروب ، لايفارقون الحروب فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحاهم فكأنهم مرد . واللثام فى الحرب عادة العرب لئلا تسقط عمائمهم . وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه وبالمشايخ عن أصحابه (٤) ثقال وما بعده نعت لمشايخ . ومراده بكونهم ثقالا شدة وطأتهم على العدو أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالخفة عن سرعة الاجابة اذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد منهم مسد الجماعة ، اى أنهم على قلتهم فى العدد يغنون غناء السواد الاعظم وهذا فخر لهم أى فخر

(٥) وطعن عطف على القنا . والضمير فى عنده يعود الى الطعن الاول وجملة لاطعن عنده فى موضع رفع خبر كان ، يقول : وأطلب حقى بطعن شديد كأن كل طعن غيره

إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِحٍ
رِجَالٌ كَأَنَّ المَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ (١)

أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أُهَيْلَهُ فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ (٢)

وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ
وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ (٣)

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ (٤)

بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرْوَ مِنْهَا مَلاَلَةٌ وَبِي عَنْ غَوَانِيهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّ (٥)

بالقياس اليه لاشيء، وبضرب حار كأن حر النار بالاضافة اليه برد، وكل هذا مبالغة

(١) السابح الفرس السريع الجرى . يقول : انه مطاع فى قومه ، فتى شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب الشهد (٢) صغر الاهل تحقيرا لهم . والفدم العيى فى ثقل . والوغد الاحمق الخسيس (٣) وأكرمهم كلب أى فى خسة الكلب . وأبصرهم عم أى أبصرهم بالامور — من البصيرة — أعمى القلب . وأسهدهم فهد أى أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد — وبه يضرب المثل فى كثرة النوم والقرد يضرب به المثل فى الجبن والحذر ، ويقال أن القرد لاينام الا وفى كفه حجر (٤) النكد قلة الخير والمراد بالحر الكريم « ضد اللئيم » يقول : من نكد الدنيا ان الكريم لايجد مندوحة من أظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو ليأمن شره ويدفع غائلته . وفى الواحدى بعد هذا البيت هذان البيتان

فَيَا نَكَدَ الدُّنْيَا مَتَى أَنْتَ مُقْصِرٌ عَنِ الحُرِّ حتى لاَ يَكُونَ لَهُ ضِدُّ
يَرُوحُ وَيَغْدُو كَارِهاً لِوِصَالِهِ وَتَضْطَرُّهُ الأَيَّامُ وَالزَّمَنُ النَّكْدُ

ولا يوجدان فى سائر نسخ الديوان (٥) الغوانى جمع غانية وهى المرأة التى غنيت بجمالها عن الزينة يقول : لقد مللت الدنيا وإن لم استوف حظى منها لما أواه من قبيح صنعها من مثل الاساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه ، ومن ثم كان بقلبى منها ملالة ، وبى اعراض عن نسائها وإن كنت من الشباب بحيث يرغبن فى وصالى ، ولله أبو العلاء المعرى حين يقول :

خَلِيلايَ دُونَ النَّاسِ حُزْنٌ وَعَبْرَةٌ ... على فَقْدِ مَنْ أَحْبَبْتُ مَالَهُمَا فَقْدُ (١)

تَلَجُّ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ كَأَنَّمَا ... جُفُونِي لِعَيْنَيْ كُلِّ بَاكِيَةٍ خَدُّ (٢)

وَإِنِّي لَتُغْنِينِي مِنَ المَاءِ نُغْبَةٌ ... وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرُّبْدُ (٣)

وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السِّنَانُ لِطِيَّتِي ... وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمُجَلِّحَةُ الْعُقْدُ (٤)

وَقَدْ غَرِضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي ... مُعْطٍ حَيَاتِي لِغِرٍّ بَعْدُ مَا غَرِضَا *

(١) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس لانهما يلازمانه ولايفارقانه فكأنهما خليلان له يقول : فقدت من كنت أحبه وصاحبي افقده حزن وعبرة لست أفقدهما

(٢) يقال لج به الحزن ونحوه لزمه فلم يزايله ويروى تلح من قولهم ألح السحاب بالمكان اذا أقام به . يقول : لاتخلو جفوني من الدموع ، وكأن جفوني خد كل باكية في الدنيا ، يعني ان مايسيل من جفونه مثل الذي يسيل على خد كل باكية ، يريد المبالغة في كثرة مايجري من جفونه . ولعل الاقرب أن يكون المراد : لست أخلو من بكاء ودموع كما لا تخلو الدنيا من باكية تجري دموعها (٣) و (٤) النغبة الجرعة من الماء. والربد النعام يقال ظليم اربد ونعامة ربداء وذلك لما في لونها من الغبرة يضرب بها المثل في الصبر على العطش . والطية المكان الذي تطوى اليه المراحل وينتوى القصد اليه . واطوى اجوع ومعناه اطوى بطنى عن الزاد . والمجلحة الذئاب المصممة يقال جلح الذئب على القوم اذا حمل عليهم غير مبال وانما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع . والعقد جمع الاعقد وهو الذي في ذنبه عقدة وقيل الذى انعقد خصمرا وهزالا . يصف المتنبي نفسه بالجلد والمضاء والاشاحة في أموره ، وعدم اسفافه ، وقلة مبالاته بالمشرب والمطعم ، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التي لا يهمها بر البدن والاحتفال به

☆ غرضت ضجرت وسئمت . والغر الذي لم يجرب الامور وقبل البيت

اذا الفَتَى ذَمَّ عَيْشاً فِي شَبِيبَتِهِ ... فَمَا يَقُولُ اذَا عَصْرُ الشَّبَابِ مَضَى

وَقَدْ تَعَوَّضْتُ مِنْ كُلٍّ بِمُشْبِهِهِ ... فَمَا وَجَدْتُ لأَيَّامِ الصِّبَا عِوَضَا

وبعدها البيت وبعده :

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ ... لِيَ التَّجَارِبُ فِي وِدِّ امْرِئٍ غَرَضَا

وَأُكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بِغِيبَةٍ ... وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ مَالَهُ جُهْدُ (١)

وَأَرْحَمُ أَقْوَامًا مِنَ الْعِيِّ وَالْغَبَا ... وَأَعْذِرُ فِي بُغْضِي لِأَنَّهُمُ ضِدُّ (٢)

وَيَمْنَعُنِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ ... أَيَادٍ لَهُ عِنْدِي تَضِيقُ بِهَا عِنْدُ (٣)

تَوَالَى بِلَا وَعْدٍ وَلَكِنَّ قَبْلَهَا ... شَمَائِلَهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ لَهَا وَعْدُ (٤)

سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي

إِلَى السَّيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللهُ لَا الْهِنْدُ (٥)

فَلَمَّا رَآنِي مُقْبِلًا هَزَّ نَفْسَهُ ... إِلَيَّ حُسَامٌ كُلُّ صَفْحٍ لَهُ حَدُّ (٦)

---

(١) الغيبة الاسم من الاغتياب وهو الوقوع فى عرض الغائب. والجهد الطاقه . يقول: أنى أكبر نفسي ان اجازى عدوى بالاغتياب لان ذلك طاقة من لاطاقة له بمواجهة عدوه ومحاربته ولله قول اياس بن قتادة

تُعاقِبُ أَيْدِينا وَيَحْلُمُ رَأْيُنا ... وَنَشْتُمُ بالافعالِ لاَ بالتَّكَلُّمِ

(٢) أصل العى العجز عن الحجة والعى فى الكلام الحصر ، والغبا الغباوة اى قلة الفطنة . يقول : اذا رأيت اناسا من أهل العى والغباء رحمتهم واشفقت عليهم ، واذا أبغضونى عذرتهم لانهم أضداد لى بسبب ما بيننا من التباين والضد يبغض ضده

(٣) عند اسم مبهم لايستعمل الا ظرفا فجعله اسما خاصا للمكان كأنه قال : يضيق بها المكان . يقول : يمنعني من الانصراف الى غيره ماله عندى من النعم التى قد تكاثرت على حتى ليس لها مكان . وهذا كما قال أبو تمام

وَلا زِلْتُ مَنْشُوراً عليَّ نَوالُه ... وَعِنْدِي حَتَّى قَدْ بَقِيتُ بِلا عِنْدِ

(٤) توالى بحذف احدى التاءين أى تتوالى الايادى وشمائله اسم لكن ووعد خبرها وتقدير الكلام ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد . يقول : ان أياديه تتابع من غير أن يسبقها وعد ولكن شمائله اذا رأيتها قامت لديك مقام الوعد أى أنك حين تراها تتحقق أنه سيعطيك (٥) صاحبى بدل من السيف . يقول : سريت ومعى سيفى يصحبنى فى طريقى الى انسان ــ وهو الممدوح ــ كأنه سيف الا أن سيفى مما صنعته الهند أما هذا السيف فهو من صنع الله (٦) حسام اما فاعل هز واما خبر مبتدا محذوف

فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَهُ ... وَلاَ رَجُلاً قَامَتْ تُعَانِقُهُ الأُسْدُ

كَأَنَّ الْقِسِيَّ الْعَاصِيَاتِ تُطِيعُهُ ... هَوًى أَوْ بِهَا فِي غَيْرِ أَنْمُلِهِ زُهْدُ[(١)]

يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمْيِهِ ... وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ[(٢)]

وَيُنْفِذُهُ فِي الْعَقْدِ وَهْوَ مُضَيَّقٌ ... مِنَ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلُ مُسْوَدُّ[(٣)]

بِنَفْسِي الَّذِي لاَ يُزْدَهَى بِخَدِيعَةٍ ... وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ[(٤)]

وَمَنْ بُعْدُهُ فَقْرٌ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنًى ... وَمَنْ عِرْضُهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدُ[(٥)]

وَيَصْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدِئًا بِهِ ... وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدُ[(٦)]

أى هو حسام ويكون الكلام قد تم بقوله إلى . يقول : لما رآنى مقبلا عليه هز نفسه للقائى كما يهتز السيف . وقوله كل صفح له حد من أحسن الكلام أى كل وجه من وجهيه حد ينفذ فى أعدائه ، فهو يقطع بصفحه كما يقطع بحده (١) أراد بالعاصيات القسى الشديدة التى تستعصى على النازع فلا يستطيع جذبها . يقول : أنها تطيعه إذا جذبها حبا له أو زهدا فى غير أنامله (٢) ويمكنه عطف على يصيب . يقول . ان الاصابة لمساعفتها إياه تكاد تسبق رميه ، ويكاد السهم لانقياده له يرجع من طريقه إليه . وهذا مبالغة فى وصف اقتداره على الرمى (٣) وينفذه عطف أيضا على يصيب . والعقد : العقدة . يقول : ويكاد ينفذ سهمه فى العقدة الضيقة من الشعرة السوداء فى الليل المظلم وكل هذا من المبالغة التى تعد غلوا . . .

(٤) يقول — حسب مدلول البيت والذى يجب أن يكون — : أفدى بنفسى الممدوح الذى هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لا يغتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بشتى وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد والموجدة .

(٥) ومن عرضه حر أى لا مغمز فيه ، عزيز عزة الحر . ومن ماله عبد أى ممتهن مبذول فى سبيل المجد . وفى البيت من الطباق ما لا يخفى (٦) يقول : أنه يعطي المستحقين وذوى القدر قبل أن يسألوه ، ويمنع معروفه عن كل ساقط لئيم إذا ذم أحدا كان ذمه

وَيَحْتَقِرُ الْحُسَّادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ ... كأَنَّهُمُ فِى الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ(١)

وَتَأْمَنُهُ الأَعْدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ ... وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الَّذِى يُذْنِبُ الْحِقْدُ(٢)

فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرَمٍ انْقَضَى ... فَإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ(٣)

مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدْتَ بِفَضْلِهِمْ ... وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِّعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ(٤)

حمدا له لدلالة ذلك على أنه لايشا كله (١) يقول : أنه يحتقر حساده فيعرض لاعن عتبهم أو مؤاخذتهم حسب بل حتى عن أن يجرى ذكرهم له على لسان لانهم لديه والعدم سواء.

(٢) على قدر خبر مقدم والحقد مبتدأ مؤخر . يقول : إن أعداءه يأمنون جانبه لا لأنه ضعيف ذليل لايستطيع إيذاءهم ولكن لان الحقد يكون على قدر المذنب فان كان حقيرا لم يحقد عليه وإذا لم يحقد عليه أمن المذنب ، يعنى أنه يحتقر أعداءه ولا يكترث لهم لانهم ليسو هناك (٣) يقول : إن كان جدك قد مات فان فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كماء الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته. وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال

يُحْيِي بِحُسْنِ فَعَالِهِ ... أَفْعَالَ وَالِدِهِ الْحُلاحِلْ

كَالْوَرْدِ زَالَ وَمَاؤُهُ ... عَبِقُ الرَّوائِحِ غَيْرُ زائِلْ

هذا وقد كرر المتنبى تفضيل الفرع على الاصل فى غير موضع فقال

* فَإِنَّ فِى الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِى الْعِنَبِ *

وقال :

* فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ *

(٤) يقول : مضى جدك وبنوه وبقيت وحدك منفردا بفضلهم جميعا فأنت واحد صورة جماعة معنى كالالف الذى هو واحد فى الصورة جمع فى المعنى . وفى هذا المعنى يقول البحترى

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ ... إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

وقال غيره

وَمَا النَّاسُ إِلا وَاحِدٌ كَقَبِيلَةٍ ... يُعَدُّ وَأَلْفٌ لا يُعَدُّ بِوَاحِدِ

لَهُمْ أَوْجُهٌ غُرٌّ وَأَيْدٍ كَرِيمَةٌ وَمَعْرِفَةٌ عِدٌّ وَأَلْسِنَةٌ لُدُّ (١)

وَأَرْدِيَةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاعَةٌ وَمَرْكُوزَةٌ سُمْرٌ وَمُقْرَبَةٌ جُرْدُ (٢)

وماعِشْتَ ما مَاتُوا وَلاَ أَبَواهُمُ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَابْنُ طَابِخَةٍ أُدُّ (٣)

فَبَعْضُ الَّذِى يَبْـدُو الَّذِى أَنَا ذَاكِرٌ

وبَعْضُ الذِى يَخْفَى عَلَىَّ الَّذِى يَبْدُو (٤)

أَلُومُ بِهِ مَنْ لاَمَنِى فى وِدَادِهِ وَحُقَّ لِخَيْرِ الخَلْقِ مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُّ (٥)

هذا وقد عطف المتنبي بنوه على الضمير المستتر فى مضى من غير توكيد ولافصل وهو ممنوع عند البصريين وأنث الالف في قوله جمعت على معنى الجماعة

(١) الغر جمع أغر وهو الابيض المشرق ، والعرب تتمدح ببياض الوجه وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب كما أنهم يكنون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه ، وأيد كريمة أى بالعطاء . ومعرفة عد أى قديمة كثيرة لاتنقطع مادتها كالماء العد أى الغزير الذى لاتنقطع مادته . والالد جمع الألد وهو الشديد الخصومة يريد ألسنة قوية فى مواطن الكلام (٢) خضرة الرداء يكنى بها عن السيادة وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الالوان لان خضرة النبات تدل على الخصب وسعه العيش . والملك السلطان يذكر ويؤنث ولذا قال مطاعة . ومركوزة سمر أى رماح تركز فى الارض وتنصب . والمقربة الخيل تربط قريبة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة إليها . والجرد القصار الشعر (٣) يقول : ما دمت حيا فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم فى النسب لأن جميع محاسنهم موجودة فيك . فما الاولى شرطية زمانية ، وما الثانية نافية . وكان الوجه أن يقول فما ماتوا ولكنه حذف الفاء ضرورة كقوله

☆ مَنْ يَفْعَلِ الحسنَاتِ اللهُ يشْكُرُها ☆

أى فالله يشكرها . وتميم بن مرواد بن طابخة قبيلتان مشهورتان من العرب اليهما ينتسب الممدوح (٤) يقول : أن الذى أذكره وأنوه به من فضائله هو بعض ما يظهر لى ، والذى يظهر لى هو بعض ما كان خافيا على ، يعنى أنه قد بقى من تلك الفضائل ما لم يعلمه وبقى مما علمه ما لم يذكره . يريد كثرة فضائله (٥) يقول : من لامنى فى وده

كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطُرْقِهِ ... بَنِي اللُّؤْمِ حَتَّى يَعْبُرَ المَلِكُ الجَعْدُ (١)

فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ العُلَى ... وَلَا فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ المِسْكُ وَالنَّدُّ (٢)

وودعه صديق له يقال له أبو البهى فقال ارتجالا

عند مسيره عنه

أَمَّا الفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ ... هُوَ تَوْأَمِي لَوْ أَنَّ بَيْنًا يُولَدُ (٣)

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَنُطِيعُهُ ... لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَخْلُدُ (٤)

وَإِذَا الجِيَادُ أَبَا البَهِيِّ نَقَلْنَنَا ... عَنْكُمْ فَأَرْدَأُ مَا رَكِبْتُ الأَجْوَدُ (٥)

مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الفِرَاقَ فَإِنَّنِي ... مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ

وقال يمدح الحسين بن على الهمذانى

لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بُعْدُ ... فَيَالَيْتَنِي بُعْدٌ وَيَالَيْتَهُ وَجْدُ (٦)

لته بما وصفت من فضله فيتبين أنه خليق بمودتى لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضا (١) كذا أى كذا هو أى كما وصفت ، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فأنكم لستم ممن يجاريه فى طرق المجد . وبنى اللؤم أى يا بنى اللؤم. والجعد الكريم (٢) يقول : ليس فى طبائعكم أن تنازعوه العلى ، كما أنه ليس فى طبع التراب أن يفوح بالمسك والند (٣) التوأم ما يكون مع غيره فى بطن واحد . يقول: أما الفراق فهو شىء أعهده من قديم حتى لو أنه مما يولد لقلت هو توأمى، أى لا أنفك من فراق حبيب فلو كان الفراق مولودا لحكمت بأنه توأمى

(٤) يقول : لما علمنا أن خلودنا فى هذه الدنيا محال علمنا أن الفراق حتم علينا لازب فلا مندوحة لنا عن الانقياد لحكمه إن عاجلا وإن آجلا (٥) أبا البهى أى يا أبا البهى — وهى كنية الممدوح — يقول : اذا نقلتنا الخيل عنكم وباعدت ما بيننا فان أجودها حينئذ أردأها لانه يكون أسرع فى إبعادنا عنكم (٦) يقول : لقد ضمنى واشتمل على وجد بمن ضمه البعد وقارنه فياليتنى بعد لأحوزه فأكون معه ويا ليته وجد ليحوزنى ويتصل بى

أُسَرُّ بِتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرَ مَا مَضَى
وإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ(١)

سُهَادٌ أَتَانَا مِنْكِ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا رُقَادٌ وَقُلَّامٌ رَعَى سَرْبُكُمْ وَرْدُ(٢)

مُمَثَّلَةٌ حَتَّى كَأَنْ لَمْ تُفَارِقِي وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكِ الْوَعْدُ(٣)

وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِعِي وَيَعْبَقُ فِي ثَوْبَيَّ مِنْ رِيحِكِ النَّدُّ(٤)

إِذَا غَدَرَتْ حَسْنَاءُ وَفَّتْ بِعَهْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ(٥)

وَإِنْ عَشِقَتْ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً
وَإِنْ فَرِكَتْ فَاذْهَبْ فَمَا فِرْكُهَا قَصْدُ(٦)

---

(١) الصلد الشديد الصلب . يقول : انى أسر بأن الهوى يجدد لى ذكر ما مضى من أيام الوصال ولذاذتها وإن كان هـذا الذكر مما يذوب له الحجر الاصم تأسفا عليه وحنينا اليه (٢) القلام نبت من الحمض يكون فى السباخ . والسرب بالفتح المال الراعى وبالكسر القطيع يقول : ان السهاد اذا كان لأجلكم لذ فى أعيننا كالرقاد ، والقلام الذى ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد ، يعنى : لحبى اياكم أستلذ الالم ويحسن فى عينى ما ليس بالحسن (٣) يقول : انت مصورة فى خاطرى حتى لكأنك حاضرة عنـدى لم تفارقينى ، وحتى كأن يأسى من وصلك وعد منك بالوصل (٤) يقول : وحتى تـكادى — لتخيلك حاضرة بجانبى — تمسحين مدامعى بيدك فيعبق طيبك فى ثوبى . قال ابن جنى ، ومثله

☆ لَأَنْ بَعُدَتْ عَنِّي لَقَدْ سَكَنَتْ قَلْبِي ☆

(٥) يقول : اذا غدرت الحسناء لم تعد سجاياها لان شنشنتها الغدر وقد وفت بالعهد اذا غدرت لان عهدها أن لا تبقى على عهد فوفاؤها اذن غدر (٦) فركت المرأة زوجها تفركه فركا أبغضته فهى فارك يقول: ان المرأة اذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال لان النساء أرق طبعا وأقل صبرا ، واذا أبغضت جاوزت الحد كذلك فى البغض وفى هذه الحالة لا تطمع فى تلافى بغضها واذهب وشأنك لان بغضها ليس

وَإِنْ حَقَدَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضًى ... وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدُ

كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا ... يَضِلُّ بِهَا الْهَادِي وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ (١)

وَلَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصِّبَا ... يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ (٢)

سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مُزْنٍ سَقَتْكُمُ ... مُكَافَأَةً يَغْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَغْدُو (٣)

لِتَرْوَى كَمَا تُرْوِي بِلَادًا سَكَنْتِهَا ... وَيَنْبُتَ فِيهَا فَوْقَكِ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ (٤)

بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ

وَيُخْرَقُ مِنْ زَحْمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ (٥)

وَتُلْقِي وَمَا تَدْرِي الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ... لِكَثْرَةِ إِيمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو (٦)

عن قصدمنها وإنما هي مغلوبة على أمرها (١) يقول : هذه هي أخلاق النساء بيد أنهن مع ذلك يسحرن الباب الرجال حتى يضل بهن من يهدى غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وهذا كالتمهيد لما سيعتذر به عن نفسه فى البيت التالى . كأنه يقول : وإنى مع طبى بأخلاق النساء وتحذيرى منهن لم أصن قلبى عن هواهن ووقعت فى شرا كهن

(٢) قلنا أن هذا كالاعتذار عن حبه اياهن بعد ما أبان من مساوى أخلاقهن يقول : ولكن حبا خالط قلبه فى زمن الصبا واستمر مريره حتى الفه وصار كأنه من طبعه من شأنه أن يزداد ويشتد على كر الغداة ومر العشى (٣) يدعو للسحب التى سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها الممدوح مكافأة لها على ما فعلت فيغدو اليها بالسقيا كما تغدو هى اليهم ، جعل الممدوح يسقى السحاب لأنه أكثر ندى ، وفى البيت من حسن التخلص ما لا يخفى (٤) يقول : لترتوى السحاب بنداه كما تروى أرضكم بمطرها، وينبت فوقك الفخر والمجد ، لان عطاياه تورث المجد والشرف ، فيشرب السحاب بما ينال من جدواه ، فيكون الفخر والمجد نابتين فيها لما شربت من سقياه

(٥) بمن متعلقة بتروى أو ينبت أى لتروى السحاب بهذا الممدوح ، أو ينبت به الفخر أى بجوده أو بسببه . والبرد الثوب . يقول :ان الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم اليه لحسن منظره وجلالة قدره . ويكثر زحامهم حواليه حتى تتخرق ثيابهم

(٦) يقول: لشغلهم بالنظر اليه والايماء نحوه يلقون ما فى أيديهم ولا يشعرون به، قال

ضَرُوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِي الهَامِ فِي الْوَغَى ... خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللِّبْدُ (١)

بَصِيرٌ بِأَخْذِ الحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ ... وَلَوْ خَبَأَتْهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الأُسْدُ (٢)

بِتَأْمِيلِهِ يَغْنَى الْفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ ... وَبِالذُّعْرِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَنَّدِ يَنْقَدُّ (٣)

وَسَيْفِي لَأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسُلُّهُ ... لِضَرْبٍ وَمِمَّا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغِمْدُ (٤)

وَرُمْحِي لَأَنْتَ الرُّمْحُ لَا مَا تَبُلُّهُ ... نَجِيعاً وَلَوْلَا الْقَدْحُ لَمْ يُثْقِبِ الزَّنْدُ (٥)

مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ... لِأَنَّهُمُ يُسْدَى إِلَيْهِمْ بِأَنْ يُسْدُوا (٦)

الواحدى: وكأن هذا مقتبس من قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن.

(١) الهام الرؤس . والوغى الحرب . واللبد ما تحت السرج . يقول : انه شجاع . ضروب لرؤس الابطال فى ميدان القتال ، خفيف مسرع إلى الوغى ، أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لا يشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبده ثقيلا (٢) يقول: انه يتسبب إلى احراز الحمد باحسانه ، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره فلو لاح له الحمد فى فكى الاسد لأحرزه حبا فيه (٣) يقول: اذا امله الانسان استغنى بذلك الامل قبل أن يأخذ عطاءه لانه لا يخيب مؤملا ، واذا خافه انسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه (٤) الواو فى قوله وسيفى للقسم . يقسم بسيفه تعظيما له يقول: أنى أقسم بسيفى على أنك اذا سللت سيفا للضرب فأنت السيف فى الحقيقة لا هو لان مضاءه انما هو بك . ولما جعله سيفا جعل غمده من الحديد الذى السيف منه يعنى الدرع ، والمعنى اذا لبست الدرع كنت فيه كالسيف وكان لك كالغمد

(٥) النجيع الدم . والزند ما يقتدح به . ويثقب يورى نارا يقول : وحق رمحى لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيأ كما أنه لولا قدح القادح لم يور الزند

(٦) قوله من القاسمين أى هو من القوم القاسمين . وأسدى اليه أحسن وأسدى اليه معروفا اتخذه عنده يقول: هو من القوم الذين يشكروننى على الاخذ والقبول كما أشكرهم على الانعام، اذا أحسنوا إلى أحد فقبل احسانهم عدوا ذلك احسانا منه اليهم يستحق الشكر على حد قول زهير

☆ كأنك تعطيه الذى أنت سائله ☆

فَشُكْرِى لَهُمْ شُكْرَانِ شُكْرٌ على النَّدَى
وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِى وَهَبُوا بَعْدُ (١)

صِيَامٌ بأَبْوَابِ الْقِبَابِ جِيَادُهُمْ ... وَأَشْخَاصُهَا فى قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو (٢)

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْذُولَةٌ لِوُفُودِهِمْ ... وَأَمْوَالُهُمْ فى دَارِ مَنْ لَمْ يَفِدْ وَفْدُ (٣)

كأَنَّ عَطِيَّاتِ الْحُسَيْنِ عَسَاكِرٌ ... فَفِيهَا الْعِبِدَّى وَالْمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ (٤)

أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَبِسَ الْعُلاَ ... رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّعَرَ الْخَدُّ (٥)

وَغَالَ فُضُولَ الدِّرْعِ مِنْ جَنَبَاتِهَا ... عَلَى بَدَنٍ قَدُّ الْقَنَاةِ لَهُ قَدُّ (٦)

وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدًا ... وَكَانَ كَذَا آبَاؤُهُ وَهُمْ مُرْدُ (٧)

---

(١) جعل شكرهم له على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له ، فهو يشكرهم على العطاء وعلى الشكر الذى هو عطاء ثان . وفى هذا المعنى يقول الخزيمى

كأَنَّ عليه الشُّكْرَ فى كلِّ نِعْمَةٍ ... يُقَلِّدُنيها بادِيًا وَيُعِيدُها

(٢) صيام أى واقفة تقول صام الفرس اذا وقف . يقول : ان خيلهم واقفة بأبوابهم وهى كأنها تعدو فى قلوب أعدائهم لشدة خوفهم ، يعنى انهم مخوفون وان لم يقصدوا أحدا (٣) يقول : انهم غير محجوبين عمن يقصدهم من الوافدين ، وأموالهم ترد على من لم يأتهم لأنهم يبعثونها اليهم ، فأموالهم مبذولة للحاضر والغائب

(٤) العبدى جمع عبد . والمطهمة الخيل الحسان التامة الخلق . والجرد القصار الشعر . يقول : عطاياه كالعساكر فيها كل شىء حتى العبيد والخيل (٥) جعل الممدوح قمرا وأباه شمسا يريد رفعتهما وشهرتهما وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس يقول : قد لبس العلى ثوبا ثم قال : تمهل حتى ينبت الشعر فى وجهك أى حتى تكبر، يعنى أنه قد بلغ ما بلغ وهو صغير لم يكبر بعد

(٦) غالها ذهب بها أى رفعها من الارض . وفضول الدرع ما يفضل منها عن البدن . يقول : انه من ذوى البسطة فى الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه ، وقده مع ذلك طويل معتدل كقد القناة ليس بأقعس ولا بأحدب (٧) ابكار المكارم أى التى لم يسبقه أحد اليها . يقول : انه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشىء أمرد ، وكذلك كان يفعل آباؤه

مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي
مِنَ الْعُدْمِ مَنْ تُشْفَى بِهِ الأَعْيُنُ الرُّمْدُ(١)
حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا مَخَافَةَ سَيْرِى إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدُ(٢)
وَشَهْوَةَ عَوْدٍ إِنَّ جُودَ يَمِينِهِ ثُنَاءُ ثُنَاءُ وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ(٣)
فَلاَ زِلْتُ أَلْقَى الْحَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا وَفِي يَدِهِمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِيَ الرِّفْدُ(٤)
وَعِنْدِي قَبَاطِيُّ الْهُمَامِ وَمَالُهُ وَعِنْدَهُمُ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ(٥)

---

(١) من فى قوله من تشفى به فاعل شفى ، من باب وضع الظاهر موضع المضمر أو بدل من ضميره جعل العدم — أى الفقر — كالداء الذى يطلب له الشفاء ، وإن أبا الممدوح شفاه بجوده وعطائه ، وأن من نظر اليه — أى إلى أبى الممدوح — قرت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفى . وهذا كما يقول ابن الرومى

يَارَمِدَ الْعَيْنِ قُمْ قُبَالَتَهُ فَدَاوِ بِالَّلحْظِ نَحْوَهُ رَمَدَكْ

(٢) يقول : أعطانى أثمان الخيل أى المال الذى تشترى به الخيل السوابق ولم يعطنى الخيل مخافة أن أسير عليها وأفارقه لان الخيل بجريها تعين على السفر والبعد فهى من أسباب الفراق وأعوانه . وقوله أنها لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستئناف ويكون الكلام قد تم بسيرى ، وبفتحها على أنها مفعول له أى حبانى بذلك لأنها لحذف اللام (٣) شهوة عطف على مخافة . والضمير فى بها للاثمان أو لقوله ثناء ثناء لانها بمعنى عطايا ثناء أى مثنى مثنى . يقول : حبانى بأثمان السوابق مخافة الخ وشهوة عود منه إلى حبائى مرة أخرى قبل انصرافى لان جوده مثنى وإن كان هو فردا لانظير له (٤) بمثلها أى بمثل أثمان الخيل أو بمثل عطاياه المذكورة فى قوله ثناء ثناء كما سبق . والرفد العطاء . يقول : لازلت أثيراً لديه محظوظا عنده أتاقى عطاياه وألقى بها حسادى فأفطر قلوبهم فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم . ويروى غيض بدل غيظ أى فراغ ، من غاض الماء

(٥) القباطى جمع قبطية وهى ثياب بيض تعمل فى مصر ، والجحد إنكار الشىء مع العلم به . يقول : ولا زال عندى ثياب الممدوح وماله وعند حاسدى إنكار ما ظفرت به من نعمته ؛ يقولون لم يعطه ولم ينل جميع ما يدعى ؟ حسدا لى وسترا لما فضلت به عليهم .

يَرُومُونَ شَأْوِى فى الْكَلاَمِ وَإِنَّمَا ... يُحَاكِى الفَتَى فيما خَلاَ المَنْطِقَ القِرْدُ (١)

فَهُمْ فى جُمُوعٍ لا يَرَاهَا ابْنُ دَأْيَةٍ ... وَهُمْ فى ضَجِيجٍ لا يُحِسُّ بِهَا الخُلْدُ (٢)

وَمِنِّى اسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيبَةٍ ... فَجَازُوا بِتَرْكِ الذَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ (٣)

وَجَدْتُ عَلِيًّا وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ

وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ وَاسْتَوَى الحُرُّ وَالْعَبْدُ (٤)

وَأَصْبَحَ شِعْرِى مِنْهُمَا فى مَكَانِهِ ... وَفى عُنُقِ الحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ (٥)

وقال ابن جنى فى معنى المصراع الاخير : هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا شيأ حتى إذا قيل لهم هل عندكم خير أو بر من هذا الممدوح قالوا لا ، فذلك هو الجحد

(١) يقول : إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايتى فى الشعر وهم بالقياس إلى كالقرد بالقياس إلى الانسان يحاكيه فى جميع أفعاله ماخلا المنطق فانه يعجز عنه

(٢) ابن دأية هو الغراب يقع على دأية البعير الدبر فينقرها قال الشاعر

إِنَّ ابْنَ دَأْيَةَ بِالفِرَاقِ لَمُولَعٌ ... وَبِمَا كَرِهْتُ لَدَائِمُ التَّنْعَابِ

وهو يوصف بحدة البصر . والخلد نوع من الفأر أعمى يضرب به المثل فى قوة السمع . يقول : هم فى جموع قليلة لا يبصرها الغراب مع حدة بصره ؛ ولا يسمع أصواتهم الخلد مع حدة سمعه ، والمعنى أنهم غاية فى الحقارة ودقة الشأن حتى لو أن ذلك كان فى أجسامهم ما رأى جموعهم الغراب ؛ أو فى اصواتهم ما سمعها الخلد (٣) قوله فجازوا امر من المجازاة . يقول : منى استفاد الناس كل شعر بارع رائع بديع وانتحلوه . ثم التفت إلى خطابهم وقال : فان تجازونى بالحمد على قصائدى فليكن جزائى منكم ترك ذمى ! يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم يتنقصونه ويصغون إناءه (٤) على أبو الممدوح وابنه الحسين . يقول : هو وابنه خير قومه ، وقومه خير قوم فى الدنيا ، وبعد ذلك يستوى الاحرار والعبيد فى انحطاط الجميع عن منزلتهم، وهذا كقول أبى تمام

فتَوَاطَأُوا عَقِبَيْكَ فِي طَلَبِ العُلاَ ... والمَجْدِ ثُمَّتَ تَسْتَوِى الأَقْدَامُ

(٥) يقول : وأصبح شعرى من على وابنه فى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه لانهما أهل لان يمدحا به فزاد حسنه كما أن العقد اذا حصل فى عنق الحسناء ازداد حسنه . وهذا كقوله أيضا

وساير أبا محمد بن طغج وهو لا يدرى أين يريد

فلما دخل كفرديس قال

وَزِيَارَةٍ عَنْ غيرِ مَوْعِدْ ... كالغُمْضِ فى الجَفْنِ المُسَهَّدْ[1]

مَعَجَتْ بِنا فِيهَا الجيا ... دُ مَعَ الأَمِيرِ أَبِى مُحَمَّدْ[2]

حَتَّى دَخَلْنا جَنَّـةً ... لَوْ أَنَّ سَاكِنِهَا مُخَـلَّدْ

خَضْرَاءَ حَمْرَاءَ التُّرَا ... بِ كأَنَّهَا فى خَدِّ أَغْيَدْ[3]

أَحْبَبْتُ تَشْبِيهاً لَهـا ... فوَجَدْتُهُ مَالَيْسَ يُوجَدْ[4]

وَإِذَا رَجَعْتَ إلى الحَقَا ... ئِقِ فَهْىَ وَاحِدَةٌ لِأَوْحَدْ[5]

وهمّ بالنهوض فأقعده أبو محمد فقال

يَامَنْ رَأَيْتُ الحَلِيمَ وَغْدًا ... بِهِ وَحُرَّ المُلُوكِ عَبْدَا[6]

وقد أطالَ ثنائى طولُ لابسِهِ ... إنّ الثناءَ عَلَى التِّنْبالِ تِنْبالُ

« التنبال القصير » (١) المسهد الذى منع النوم لمثلهم يقول: اتفقت لنا زيارة هذه القرية بغتة فكانت لطيبها كالنوم فى الجفن المسهد (٢) المعج أن يعتمد الفرس على احدى عضادتى العنان مرة فى الشق الايمن ومرة فى الشق الأيسر . وقيل ضرب من السير ابن سهل قال الشاعر

يَصِلُ الشَّدَّ بشَدٍّ فاذا ... وَنَتِ الخَيلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجْ

(٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بخضرة العذار على حمرة خد اغيد ، والاغيد الوسنان المائل العنق اللين الاعطاف ، وهو من أوصاف الغلمان الحسان

(٤) يقول : أحببت أن أشبهها بشىء فوجدت التشبيه معدوما . ويجوز أن يراد بالتشبيه المشبه به يقول : أردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود ، يريد أنها لا نظير لها (٥) أى هى واحدة فى الحسن لأوحد فى المجد (٦) يقول : رأيت العاقل الثبت الرزين به رذلا دنيأ ، واحرار الملوك عبيدا ، يعنى شرفه وسيادته

مَالَ عَلَيَّ الشَّرَابُ جِدًّا ... وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى [(١)]

فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي ... عَدَدْتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَا [(٢)]

وأطلق أبو محمد الباشق على سُماناة فأخذها فقال

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْمُرَادَا ... وَفِي كُلِّ شَأْوٍ شَأَوْتَ الْعِبَادَا [(٣)]

فَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ ... وَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ سَادَا [(٤)]

كَأَنَّ السُّمَانَى إِذَا مَا رَأَتْكَ ... تَصَيَّدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَا [(٥)]

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلمان خشفاً

فَتَلَقَّفَتْه الكلاب فقال

وَشَامِخٍ مِنَ الْجِبَالِ أَقْوَدِ ... فَرْدٍ كَيَافُوخِ الْبَعِيرِ الأَصْيَدِ [(٦)]

يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالْجَلْمَدِ ... فِي مِثْلِ مَتْنِ الْمَسَدِ الْمُعَقَّدِ [(٧)]

---

(١) يقول: ان الشراب — شراب الراح — قد نال منه، وأنه أراد النهوض فمنعه، ثم قال: وأنت أعرف بكل شيء وأهدى الناس إلى المكارم (٢) رفدا أي انعاما

(٣) الشأو الغاية وشآه سبقه (٤) يقول: لم تدع من السيادة شيأ يناله من لم يسده ولا شيأ يذكر لمن ساد

(٥) السماني الطائر المعروف في مصر بالسمان، يكون واحدا ويكون جمعا ويقال في الواحدة أيضا سماناة. وتصيدها بحذف احدى التاءين أي تتصيدها. يقول: ان السماني استسلمت للباشق فكأنها تشتهي أن تصاد لتفتخر بصولها في يدك

(٦) وشامخ أي ورب جبل شامخ اي عال. والاقود المنقاد طولا. والاصيد الملتوي العنق لداء والصيد داء يصيب أعناق الابل. يريد أن هذا الجبل مرتفع في اعوجاج، فشبهه بيافوخ البعير الاصيد لعلوه واعوجاجه (٧) الجلمد الصخر. والمسد الحبل من ليف. يقول: ان السائر في هذا الجبل يسير منه في طريق ضيق ذي صخور، قد تعرج واشتبك بعضه في بعض فأشبه لذلك ما بين قوى الحبل المعقد

زُرْناهُ لِلأَمْرِ الَّذِى لمْ يُعْهَدِ ... لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ (١)

بكُلِّ مَسْقِيِّ الدِّماءِ أَسْوَدِ ... مُعَاوِدٍ مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ (٢)

بِكُلِّ نَابٍ ذَرِبٍ مُحَدَّدِ ... على حِفَافَىْ حَنَكٍ كالْمِبْرَدِ (٣)

كَطَالِبِ الثَّأْرِ وَإِنْ لمْ يَحْقِدِ ... يَقْتُلُ مَا يَقْتُلُهُ وَلا يَدِى (٤)

يَنْشُدُ مِنْ ذَا الخِشْفِ مَالمْ يَفْقِدِ ... فَثارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدِى (٥)

كأَنَّهُ بَدْءُ عِذارِ الأَمْرَدِ ... فَلَمْ يَكَدْ إلاَّ لِحَتْفٍ يَهْتَدِى (٦)

وَلمْ يَقَعْ إِلاَّ على بَطْنِ يَدِ ... وَلمْ يَدَعْ لِلشَّاعِرِ الْمُجَوِّدِ (٧)

وَصْفاً لهُ عِنْدَ الأَميرِ الأَمْجَدِ ... المَلِكِ القَرْمِ أَبِى مُحَمَّدِ (٨)

---

(١) لك أن تقرأ يعهد بضم الياء على المجهول وبفتحها على أنه من فعل الجبل . والمراد بالتمرد طغيان النشاط . يقول : أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح مما لم يعهد فى مثله أو لم يعهده هو فى نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه

(٢) أى زرناه بكل كلب يسقى دم مايصيده ، أسود اللون ، تعود الصيد ومارسه كثيرا ، مقود أى جعل له مقود يقاد به إلى الصيد ، مقلد من القلادة وهى الطوق يجعل فى العنق (٣) أى معاود للصيد بكل ناب ذرب أى حاد ماض ، والحفافان الجانبان شبه حنكه بالمبرد لما فيه من التضاريس والطرائق (٤) ودى القتيل يديه أعطى ديته. يقول : كأن له عند الصيد ثأرا يطلبه وان لم يضطغن عليه ، فهو يقتل ما يقتله ولادية عليه

(٥) الخشف ولد الغزال . وقوله من اخضر اى من مكان أخضر . يقول : يطلب من هذا الخشف ضالة لم يفقدها من قبل ، فثار الخشف بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندى (٦) و(٧) قوله كأنه الخ شبه النبات الاخضر بشعر العارضين اول ما يبدو فى خد امرد وقوله فلم يكد الخ . يقول : لما ثار الخشف أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكد يهتد منها طريقا إلا كان فيها هلاكه لادراك الكلب إياه ، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيها (٨) يقول : ولم يدع الكلب للشاعر وصفا يصفه به لدى الامير ، لانه لايقدر أن يأتى بشىء أكثر مما رآه من أفعاله

(٢) القرم السيد

الْقَانِصِ الأَبْطَالَ بِالْمُهَنَّدِ ذِي النِّعَمِ الْغُرِّ الْبَوَادِي الْعُوَّدِ [1]
إِذَا أَرَدْتُ عَدَّهَا لَمْ تُعْدَدِ وَإِنْ ذَكَرْتُ فَضْلَهُ لَمْ يَنْفَدِ [2]

وقال ارتجالا يودعه

مَا ذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِدِ هذا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ [3]
إِذَا السَّحَابُ زَفَتْهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعاً فَلَا عَدَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ بَلَدِ [4]
وَيَا فِرَاقَ الأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنْزِلُهُ إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْماً فَلَا تَعُدِ [5]

ودخل على أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان يوماً فوجده على الشراب وفي يده بطيخة من الندّ في غشاء من خيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها عنبر قد أدير حولها فحياه بها وقال أي شيء تشبه هذه فقال ارتجالا

وَبَنِيَّةٍ مِنْ خَيْزُرَانٍ ضُمِّنَتْ بِطِّيخَةً نَبَتَتْ بِنَارٍ فِي يَدِ [6]
نَظَمَ الأَمِيرُ لَهَا قِلَادَةَ لُؤْلُؤٍ كَفِعَالِهِ وَكَلَامِهِ فِي الْمَشْهَدِ [7]

---

(١) سمى أخذه الابطال بالسيف قنصا لمشاكلة المقام. والغر البيض والبوادى العود أى التى تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة

(٢) لم تعدد تروى لم أعدد . وينفد يفرغ (٣) الوامق المحب . يقول : ليس هذا الوداع وداع محب لحبيبه وإنما هو وداع روح لجسدها (٤) زفته ساقته . والرملة بلد الممدوح وعدا جاوز . ومن بلد تمييز ومن زائدة (٥) منزله فاعل الرحب . يقول : إن فارقتنا أيها الفراق يوما بأن اجتمعنا فلا تفرقنا ثانية (٦) البنية المبنية ، يريد الخيزران الذى اتخذ وعاء لهذه البطيخة ، ولما قال بطيخة أثبت لها النبت على سبيل الترشيح إلا أنه جعل نبتها بنار فى يد لأنها أديرت فى يد صانعها على النار حتى تمت صنعتها

(٧) شبه القلادة المنظومة فى حسنها بفعله وكلامه الذى يتكلم به فى مشهد من الناس

كَالْكَأْسِ بَاشَرَهَا الْمِزَاجُ فَأَبْرَزَتْ
زَبَدًا يَدُورُ عَلَى شَرَابٍ أَسْوَدِ[1]

وقال فيها ارتجالا أيضاً

وَسَوْدَاءَ مَنْظُومٍ عَلَيْهَا لَآلِئٌ   لَهَا صُورَةُ الْبِطِّيخِ وَهِيَ مِنَ النَّدِّ
كَأَنَّ بَقَايَا عَنْبَرٍ فَوْقَ رَأْسِهَا
طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِي الشَّعَرِ الْجَعْدِ[2]

وعمل أبياتاً بديها فتعجب أبو العشائر من سرعته فقال

أَتُنْكِرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بَدِيهًا   وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبْقُ الْجَوَادِ
أُرَاكِضُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْرًا   فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطِّرَادِ[3]

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلثمائة

أَوَدُّ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ   وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ[4]
يُبَاعِدْنَ حِبًّا يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ   فَكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ[5]

---

(١) المزاج الماء الذى يمزج به . جعل الشراب أسود لتسوديه الكأس ثم جعله ممزوجا ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التى عليها (٢) رواعى جمع راعية وهو أول شعرة تبيض شيبا . وروى الخوارزمى دواعى الشيب يعنى أوائله التى تدعو سائر الشعر إلى البياض

(٣) اراكض أطارد . ومعوصات الشعر أى عويصاته وهي التى لايهتدى لوجهها يصف نفسه بسرعة الخاطر وقوة البادرة وشبه الشعر بالصيد . يقول : أنه يطارد العويص من الشعر فيأخذه قهراً وأما من عداه من الشعراء فباق فى مطاردته لم يدرك شيأ

(٤) يقول : أحب من الايام الانصاف وأن تجمع بينى وبين أحبتى وذلك مالاتوده الأيام . وأشكو إليها فراقنا وإنما هى جند الفراق لانها سبب البعد والتفريق فكيف أرجى أن تصغى إلى شكاتى (٥) يباعدن أى يبعدن . والحب المحبوب . ووصله وصده

أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ ... فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيباً تَرُدُّهُ (١)

وَأَسْرَعُ مفعُولٍ فعَلْتَ تَغَيُّرًا ... تَكَلُّفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ (٢)

رَعَى اللهُ عِيساً فارَقتْنَا وَفوْقَهَا ... مَهًا كلُّهَا يُولَى بجَفْنَيْهِ خَدُّهُ (٣)

معطوفان على الضمير فى يجتمعن دون أن يأتى بتوكيد وهو جائز عند الكوفيين أسلفنا، وجعل الايام تجتمع مع الوصل والصد لانهما يكونان فيها والظرف يتضمن العمل واذا تضمنه فقد لابسه فكأنه اجتمع معه . يقول : إذا كانت الايام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب القاطع ! يعنى أن الايام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود فكيف الطمع فى حبيب صده موجود (١) قال الواحدى : أى أن الدنيا قد أبت أن تديم لنا حبيبا على الوصال فكيف اطلب منها حبيبا تمنعه عن وصالنا؟ أو كيف أطلب منها ان ترده إلى الوصل بعد أن اعرض وهجر . قال العكبرى : وهذا كما قيل لبعضهم قد ظهر نبى يحيى الأموات فقال ما نريد هذا بل نريد أن يترك الاحياء فلا يميتهم (٢) يقول: أن الدنيا لو اسعدتنا بقرب أحبتنا لما دام لنا ذلك لأن الدنيا بنيت على التغير والتنقل فاذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئا هو ضد طباعه فليس الا أن يدعه وشيكا ويعود إلى طبعه كما قال حاتم

وَمَن يَبْتَدِعْ ماليس مِن خِيمِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ وتَرْجِعْهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ

ومثله قول الاعور الشنى

وَمَن يقترفْ خُلقًا سوىَ خُلْقِ نَفسِهِ ... يدَعْهُ وتَغْلِبْهُ عليه الطبائع

وَأَدْوَمُ أَخْلاقِ الفتى ما نَشا بهِ ... وأَقصَرُ أفعالِ الرِّجالِ الْبَدائعُ

ومثله

يا أيُّها المُتَحلِّى غيرَ شيمتهِ ... إنَّ التخَلُّقَ يأتى دونه الخُلُقُ

(٣) العيس الابل . والمها بقر الوحش تشبه بها النساء الحسان . ويولى من الولى وهو المطر الذى يلى الوسمى . يدعو للابل التى حملت الحبائب وذهبت بهن ، ثم ذكر أنهن يبكين لاجل الفراق فقال كلها يولى أى يمطر خده بجفنيه ، جعل بكاءهن كالمطر من جفونهن

بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ ... وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ (١)

إِذَا سَارَتِ الأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ ... تَفَاوَحَ مِسْكُ الْغَانِيَاتِ وَرَنْدُهُ (٢)

وَحَالٍ كَإِحْدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهَا ... وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ (٣)

وَأَتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ ... وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وُجْدُهُ (٤)

فَلَا يَنْحَلِلْ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ ... فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ (٥)

---

(١) بواد متعلق بفارقتنا فى البيت السابق . والجيد العنق . يقول : فارقتنا بواد به من الوجد والوحشة لفراقهم مابالقلوب ، أى استوحش وتغير لارتحالهم فصار كأنه جيد تناثر عقده ، يعنى أن الوادى كان متزينا بهم فلما ارتحلوا تعطل من الزينة

(٢) الاحداج مراكب النساء فوق الابل كالهوادج . والرند نبات من شجر البادية طيب الرائحة يشبه الآس . يقول : إذا سارت مراكبهن فوق نبات هذا الوادى وهو من الرند وهن قد تضمخن بالمسك ــ اختلطت ريح الرند بريح المسك فتفاوح الريحان

(٣) غول الطريق ما يغول سالكه أى يهلكه إنضاء . يقول : ورب حال هي فى الصعوبة والامتناع وتعذر المنال كأحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها ، وقبل الوصول اليها بعد الطريق وما فيه من المهالك ، يعنى أنه يطلب أحوالا عظيمة

(٤) الهم الهمة . والوجد السعة . قال الواحدى : هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول: أنا أتعب خلق الله لزيادة همتى وقصور طاقتى من الغنى عن مبلغ ما أهم به ، وهذا مأخوذ مما فى الحديث : ان بعض العقلاء سئل عن أسوأ الناس حالا فقال من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوَّتَه ... وما الْمُرُوةُ إلاّ كَثْرَةُ المالِ

إذا أَرَدْتُ مُساماةً تقاعَدُ بي ... عمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رِقَّةُ الحالِ

(٥) هذا نهى عن تبذير المال والاسراف فى انفاقه ، يقول : لا يذهبن مالك كله فى طلب المجد لأن من المجد ما لا ينعقد الا بالمال ، فاذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذى كان ينعقد بالمال ، قال عبد الله بن معاوية

وَدَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِى المَجْدُ كَفُّهُ ... إِذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ وَالمَالُ زَنْدُهُ (١)

فَلَا مَجْدَ فى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلَا مَالَ فى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَفِى النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ ... وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ (٢)

وَلَكِنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيَّ مَالَهُ ... مَدًى يَنْتَهِى بِى فى مُرَادٍ أَحُدُّهُ (٣)

يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ ... فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهُدُّهُ (٤)

يُكَلِّفُنِى التَّهْجِيرَ فى كُلِّ مَهْمَهٍ ... عَلِيقِى مَرَاعِيهِ وَزَادِىَ رُبْدُهُ (٥)

أَرَى نفسِى تتوقُ إلى أُمورٍ ... يُقَصِّرُ دُون مَبلغِهِنَّ مَالِى

فَلَا نفسى تُطاوِعنى بِبخلٍ ... ولا مَالى يبلِّغُنى فَعالى

يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده وأبو الطيب يقول ينبغى أن تقتصد فى العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال فتنال العلى وتصل إلى الشرف ، ثم ضرب لهذا مثلا بالبيت التالى

(١) يقول : دبر مالك تدبير من اذا خاض الوغى للطعان والنزال جعل المجد بمثابة كفه يضرب أعداءه بها ، والمال بمثابة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب ، يعنى أنه بالمجد يقود الجيوش وبالمال ينفق عليها فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر كما أبان عن ذلك فى البيت التالى (٢) يقول : فى الناس من هو دنىء الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالدون منه ويمشى على قدميه عاريا فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء (٣) يقول : لكن لى قلبا ليس له غاية تنتهى عند مطلوب اجعل له حدا ، يعنى أنى اذا جعلت حدا لمطلوبى لا يرضى قلبى بذلك فيطلب ما وراءه

(٤) الشفوف جمع شف وهو الثوب الرقيق . وتربه تنميه وتنعمه يقول : ان قلبى هذا يرى الجسم الذى هوفيه يترفه متنعما بلبس الثياب الرقيقة ، فيأبى ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعا تهده بثقلها ، يعنى أنه لا يرضى بالترف والنعيم وهو مغمور ويأبى الا ركوب الصعاب فى سبيل المجد والسيادة (٥) التهجير السير وقت الهاجرة ، وهى حر نصف النهار . والمهمه الفلاة الواسعة والربد النعام الذى خالط سواده بياض . يقول:

وَأَمْضَى سِلَاحٍ قَلَّدَ المَرْءُ نَفْسَهُ ... رَجَاءُ أَبِي المِسْكِ الكَرِيمِ وَقَصْدُهُ (١)

هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ ... وَأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ (٢)

أَنَا اليَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ ... لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُفَدِّيهِ وُلْدُهُ (٣)

فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ... وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ (٤)

نَجُرُّ القَنَا الخَطِّيَّ حَوْلَ قِبَابِهِ ... وَتَرْدِي بِنَا قُبُّ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ (٥)

وَنَمْتَحِنُ النُّشَّابَ فِي كُلِّ وَابِلٍ ... دَوِيُّ القِسِيِّ الفَارِسِيَّةِ رَعْدُهُ (٦)

ان قلبي يكلفني التهجير والسير في كل فلاة بعيدة مترامية الاطراف ينفد فيها ما معي من العليق والزاد فلا عليق لفرسي الا أن يرتعي في مراعيها ولا زاد لي الا النعام أصيده فآكله (١) يقول: وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياه لمقاومة النوائب هو رجاؤه أبا المسك وقصده إياه ، يعني أن رجاءه كافورا وقصده اياه هما اللذان هونا عليه مشقات الطريق وأخطاره فكأنه قاتل بهما هذه الاخطار والمخاوف . وهذا المخلص من أحسن المخالص

(٢) يقول: ان رجاء كافور وقصده هما ينصران على الزمان من خذله انصاره فأصبح بغير ناصر ، وهما عشيرة من لا عشيرة له ، بهما يعز فيغنيانه عن العشيرة (٣) الولد بالضم بمعنى الولد بالفتح يقع على الواحد والجمع . يقول : ان كافورا وهب له غلمانا وأنه منهم في عشيرة اذ يحفون به ويركبون معه ، وكافور له ولهم كالوالد وهم له كالاولاد البررة يفدونه بأنفسهم (٤) الدر اللبن . يقول : ان بره عم الكبير والصغير ، فالذي يملكه الكبير حتى نفسه أي حياته من ماله لانه انما يغتذي بنعمائه ، ومهد الصغير واللبن الذي يرتضعه كذلك من ماله ،وكل ذلك لانه ملك عظيم له الامر والتصرف في كل شيء

(٥) القنا الرماح . والخطي نسبة إلى الخط — خط هجر — وهو موضع باليمامة تقوم فيه الرماح . وقبابه خيامه . وتردى من الرديان وهو ضرب من العدو . والقب الضامرة البطون جمع أقب . والرباط اسم لجماعة الخيل . والجرد القصار الشعر . يقول : نقوم — يعني نفسه ومن معه من الغلمان — في خدمته أينما نزل ونصبت خيامه ، وتعدو بنا الخيل في صحبته أينما سار (٦) نمتحن نختبر. والنشاب السهام . والوابل المطر الغزير . والقسي الفارسية أي المنسوبة الى فارس ، يريد صنعة العجم . يقول: ونمتحن

فإلاَّ تكنْ مصرُ الشَّرى أو عرينَهُ فإنَّ الذى فيها من النَّاسِ أُسْدُهُ (١)

سبائكُ كافورٍ وعقيانُهُ الَّذى بصُمِّ القنا لا بالأصابعِ نقدُهُ (٢)

بلاها حواليهِ العدوُّ وغيرُهُ وجرَّبها هزْلُ الطِّرادِ وجِدُّهُ (٣)

أبو المسكِ لا يفنى بذنبكَ عفوُهُ ولكنَّهُ يفنى بعذركَ حقدُهُ (٤)

فيا أيُّها المنصورُ بالجدِّ سعيُهُ ويا أيُّها المنصورُ بالسَّعْى جَدُّهُ (٥)

بين يديه الترامى بالسهام ونحن منها فى مثل الوابل لكثرتها ، وأصوات القسى فى ذلك الوابل كالرعد ، يعنى أنهم يترامون بالسهام ويتلاعبون بالاسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماء ، كعادة الفرسان والشبان فى الحرب (١) الشرى الموضع الكثير الاسد وأصله مأسدة بجبل سلمى من بلاد طىء . والعرين الاجمة . وقوله فان الذى رواها ابن جنى فان التى قال : لانه أراد الفئة والجماعة . ولكن رواية الذى أجود وأشهر يقول : ان لم تكن مصر هي الشرى ولا عرينه فان الناس الذين فيها هم أسود الشرى

(٢) السبائك جمع سبيكة وهي القطعة من فضة أو ذهب ونحوهما ذوبت وأفرغت فى قالب . والعقيان الذهب . وصم القنا أى الرماح الصلبة . يقول: هم ذخائر كافور وعدته فى مطالبه . فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره ، ولما جعلهم سبائك وعقيانا ذكر أنه انتقدهم بالرماح — لا بالاصابع كما ينتقد الذهب — أى أنه امتحنهم بطعان الفرسان، واصطفاهم بعد أن أبلوا فى الحرب (٣) هزل الطراد مردود الى قوله وغيره ، وجده الى العدو على طريق النشر الغير المرتب . يقول : اختبرها الاعداء في الحرب حوالى كافور ، أى حاربوا أعداءه وشهدوا معه المعارك ، واختبرها غير العدو فى أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضا ، أى جربت فى حالتى الجد والهزل وتمرست بالقتال ، فى سائر الاحوال (٤) يقول : انه كثير العفو ، وأن عفوه أكثر من ذنب المذنبين ، وأنه ليس بحقود واذا اعتذر إليه الجانى ذهب حقده (٥) الجد هنا السعد . يقول: أن السعى والسعادة قد اجتمعا له فاذا سعى فى أمر نصر السعد سعيه فيصير مجدودا فى ذلك السعى ويدرك ما يريد من سعيه وإذا حفزته السعادة إلى نيل مطلوب نهض اليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده ، واذا اجتمع السعد والسعى لانسان بلغ أقصى المبالغ

تَوَلَّى الصِّبَا عَنِّى فأَخْلَفْتَ طِيبَهُ ... وَمَا ضَرَّنِى لَمَّا رَأَيْتُكَ فَقْدُهُ (١)

لَقَدْ شَبَّ فِى هذَا الزَّمَانِ كُهُولُهُ ... لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ (٢)

أَلَا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرُّهُ ... فَتَسْأَلَهُ وَاللَّيْلَ يُخْبِرُ بَرْدُهُ (٣)

وَلَيْتَكَ تَرْعَانِى وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ ... فَتَعْلَمَ أَنِّى مِنْ حُسَامِكَ حَدُّهُ (٤)

وَأَنِّى إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ ... تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ (٥)

وَمَازَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِى ... إِلَيْكَ فَلَمَّا لُحْتَ لِى لَاحَ فَرْدُهُ (٦)

يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ ... أَمَامَكَ رَبٌّ رَبُّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ (٧)

---

(١) يقول: ولى الصبا عنى وذهب فأخلفت على طيبه أى جعلت له خلفا بما أجد من طيب أيامى عندك ، يعنى أنى مبتهج بك ابتهاجى بالشباب حتى لم يضرنى فقده مع رؤيتك (٢) هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق . يقول : إن الكهول بما يلاقونه فى ذراك من رغد العيش وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابا ، والمرد عند غيرك صاروا شيبا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم (٣) يذكر أنه قاسى فى مسيره اليه حر النهار وبرد الليل . يقول : ليتهما يخبران فتسألهما عما قاسيت

(٤) ترعانى هنا بمعنى ترانى وتراقبنى . وحيران ماء بالشام على يوم من سلمية . ومعرض أى ظاهر من اعرض الشىء بدا للناظر ومنه

وأَعْرَضَت اليمامةُ واشْمَخَرَّتْ ... كأسيافٍ بأيْدى مُصْلِتينا

يقول : ليتك كنت ترانى وأنا عند هذا الماء فترى جلدى واشاحتى فى السير فتعلم أنى ماض فى الامور مضاء حد سيفك (٥) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والاقدام . يقول : إنه إذا حاول أمرا تدانت أباعده وهان أصعبه لعزمه وبعد همته

(٦) لى متعلق يشتبهون ، وإليك متعلق بمحذوف حال من ضمير المتكلم قبله أى وأنا قاصد إليك . يقول : ما زال أهل الدهر يتشابهون عندى فى مسيرى إليك فلا أكاد ارى بينهم فرقا حتى ظهرت لى فاذا أنت فردهم الذى لا يشبهه أحد منهم ، وهذا كقوله

* النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاه *

(٧) يقول : إذا رأيت جيشاً وملكه فاستعظمته ، قيل لى قدامك ملك هذا الملك الذى

وَأَلْقَى الْفَمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِى الْكَفِّ الْمُفَدَّاةِ عَهْدُهُ (١)

فَزَارَكَ مِنِّى مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ وَفِى النَّاسِ إِلَّا فِيكَ وَحْدَكَ زُهْدُهُ (٢)

يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً وَيَأْتِى فَيَدْرِى أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ (٣)

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَّلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ (٤)

وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ نَظِيرُ فَعَالِ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ (٥)

فَكُنْ فِى اصْطِنَاعِى مُحْسِنًا كَمُجَرِّبٍ يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ (٦)

تراه عبده فكيف هو . وهذا كالتفسير للبيت السابق (١) يقول : اذا لقيت إنسانا ضاحكا علمت أنه قريب عهده بكفك واخذه عطاءك فانثنى عنك مسروراً . فقوله بذى الكف أى بهذه الكف وهى متعلقة بعهده . وقريب خبر مقدم وعهده مبتدأ مؤخر

(٢) اى زارك منى رجل اشتياقه كله اليك أنت — يعنى نفسه من باب التجريد — وزهده فى الناس كلهم إلا فيك وحدك ، يعنى أنه زاهد فى قصد سواه

(٣) يقول : ان دار الممدوح هى غاية القصاد ومنتهى المنتجعين فمن لم يأتها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها فاذا أتاها علم أنه قد بلغ جهده الذى لاجهد بعده كما قال :

* هى الغرضُ الأقْصى وَرُؤيَتُكَ الْمُنَى *

(٤) يقول : ان بلغت أملى فيك فلا عجب فكم بلغت الممتنع الذى لايدرك من الأمور . وجعل الماء الذى لايرده الطير مثلا للممتنع من الامور . قال الواحدى : وانما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعد الطريق اليه . قال ابن جنى : يمكن أن يقلب هذا هجاء ومعناه ان أخذت منك شيأ على بخلك وامتناعك من العطاء فكم قد وصلت الى المستصعبات واستخرجت الاشياء المعتاصة . ولعل المتنبى يشير بما أمله منه الى ما كان يطلبه من تفويض ولاية اليه ، وكان كافور قد وعده بذلك حياء منه وهو لايريده ، وقد سئل فى ذلك يوما فقال : يا قوم اذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية أفلا ترونه يدعى الملك ؟ فقال أبو الطيب ذلك يشير الى بعد هذا المأمول وصعوبة نيله (٥) الضمير فى لانه ضمير الشأن ووعده فى آخر البيت مبتدأ مؤخر ونظير خبر مقدم . والفعال هنا الفعل . يقول : ان وعدك بمثابة الفعل الذى يقع دون ان يتقدمه وعد لان من كان صادق القول لايرجع عن وعده فوعده نظير فعله اى انه اذا وعد فكأنه قد فعل (٦) اصطنعه اختاره موضعا

إذا كُنْتَ في شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَابْلُهُ ... فإمَّا تُنَفِّيهِ وإمَّا تُعِدُّهُ (١)

وَمَا الصَّارِمُ الهِنْدِيُّ إلَّا كَغَيْرِهِ ... إذا لَمْ يُفَارِقْهُ النِّجَادُ وَغِمْدُهُ (٢)

وَإنَّكَ لَلْمَشْكُورُ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إلَّا البَشَاشَةَ رِفْدُهُ (٣)

فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ ... فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِدُّهُ (٤)

وَإنِّي لَفِي بَحْرٍ مِنَ الخَيْرِ أَصْلُهُ ... عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا وَهْيَ مَدُّهُ (٥)

لصنيعته اى بره ومعروفه . والتقريب والشد ضربان من جرى الخيل . قال ابن جنى : أى جربنى ليظهر لك صغير أمرى وكبيره فاما اصطنعتنى واما رفضتنى فلا فضل بينى وبين غيرى إذا لم تجربنى . وقال الواحدى : جربنى في اصطناعك إياى ليتبين لك أنى موضع للصنيعة فبالتجربة يعرف الفرس وأنواع جريه من التقريب والشد ، والمعنيان قريب من قريب (١) فابله فاختبره . ويقال نفاه ونفاه مخففا ومشددا . وهذا مثل فى معنى البيت السابق . يقول : إذا جربت السيف بان لك صلاحه وفساده فاما ألقيته لانه كهام وإما أعددته للحرب لأنه حسام . يعنى جربنى فان وجدتنى أهلا لما شئت فاصطنعنى وإلا فارفضنى (٢) النجاد حمالة السيف . وهذا تأكيد لما ذكره فى البيتين السابقين . يقول : إن السيف القاطع الهندى لايظهر فضله على غيره من السيوف حتى يسل ويضرب به وبذلك يعرف مضاؤه . وقد قلنا أن المتنبى كان يطلب من كافور ولاية فهو يقول له : جربنى لتعرف ماعندى من الكفاية ، وأنى أصلح لان أكون واليا . وهذا من قول أبى تمام

لَمَّا انتضيتُكَ لِلْخُطُوبِ كَفَيْتَهَا ... والسيفُ لا يكفيكَ حتّى يُنْتَضَى

(٣) الرفد العطاء والضمير فيه يرجع إلى المشكور . يقول : أنت مشكور من جهتى على كل حال وإن لم أتلق منك الا بشاشة وجهك وطلاقته (٤) الطرف العين . ونده نظيره . يقول : نظرك الى نظير كل عطاء منك أخذته أو سآخذه ، أى أن نظرة منك لى تقوم مقام عطائك (٥) أصله عطاياك مبتدا وخبر . والمد زيادة الماء وهو ما قابل الجزر يريد كثرة ما يصل اليه من البر والصلات . يقول : أنا فى بحر من الخير وأصل هذا البحر عطاياك ، وأنا أرجو زيادة عطاياك فانها زيادة ذلك البحر وهى مادته

وَمَا رَغْبَتِى فى عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ... وَلَكِنَّها فى مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ (١)

يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الجودَ جُودُهُ ... وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الحمدَ حَمْدُهُ (٢)

فإِنَّكَ مامَرَّ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ... وَقَابَلْتَهُ إِلاَّ وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ (٣)

---

(١) العسجد الذهب . يقول : لست أرغب من جهتك فى ذهب ومال ولكن فى فخر جديد يعنى الولاية . وهذا كقوله الآتى

فَسِرْتُ إليكَ فى طَلَبِ المَعالِى ... وسارَ سِواىَ فى طَلَبِ المَعاشِ

وفى هذا المعنى يقول المهلبى :

ياذَا اليَمِينَيْنِ لمْ أزُرْكَ وَلَمْ ... أصْحَبْكَ مِن خَلَّةٍ ولا عَدَمِ

زَارَكَ بِي هِمَّةٌ مُنازِعَةٌ ... إلى جَسيمٍ مِن غايَةِ الهِمَمِ

ومثله

لَمْ تزُرنى أبا علىٍّ سنو الجَد ... بِ وعندى مِنَ الكَفافِ فُضولُ

غَيْرَ أَنى باغٍ جليلاً مِنَ الأَمْـ ... ـرِ وعِندَ الجليلِ يُبْغَى الجليلُ

وقال ابن الزيات

لم أَمْتَدِحْكَ رَجاءَ المال أَطْلُبُهُ ... لكنْ لِتُلْبِسَنِي التَّجْميلَ والغُرَرا

ويقول أبو تمام

وَمَن خَدَمَ الأقوامَ يَرجو نوالَهُمْ ... فإِنِّيَ لم أَخْدُمْك إلاّ لأَخْدَمَا

(٢) يجود به أى بالمفخر . يقول : تجود به أنت وجودك فاضح لجود غيرك بزيادته عليه . وأحمدك عليه أنا وحمدى يفضح حمد غيرى لأنه فوقه ؛ (٣) يقول : إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله السعد . يعنى أنك تسعد المنحوس، وتطرد البوس . وهذا كما يقول أبو تمام

تَلْقَى السُّعودَ بوَجْهِهِ وبحُبِّهِ ... وَعليكَ مَسْحَةُ بغْضَةٍ فَتُحَبَّبُ

واتصل قوم من الغلمان بابن الاخشيد مولى كافور وأرادوا أن يفسدوا الأمر على كافور فطالبه بتسليمهم اليه فسلمهم بعد أن امتنع من ذلك مُدَيْدَةً مما سبب بينهما وحشة ، وبعد أن تسلمهم كافور ألقاهم فى النيل ثم اصطلحا فقال

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشْتَهَتْهُ الأَعادِى ... وَأَذاعَتْـهُ أَلْسُنُ الْحُسَّادِ[1]

وَأَرادَتْهُ أَنْفُسٌ حالَ تَدْبِيـ ... ـرُكَ ما بَيْنَها وَبينَ المُرادِ[2]

صارَ ما أَوْضَعَ المُخِبُّونَ فِيهِ ... مِنْ عِتابٍ زِيادَةً فى الْوِدادِ[3]

وَكلامُ الْوُشاةِ لَيْسَ على الأَحـ ... ـبابِ سُلْطَانُهُ على الأَضْدادِ[4]

إِنَّما تُنْجِحُ المَقالةُ فى المَرْ ... ءِ إِذا صادَفَتْ هَوًى فى الْفُؤادِ[5]

وَلَعَمْرِى لَقَدْ هُزِزْتَ بِمَا قِيـ ... ـلَ فأُلْفِيتَ أَوْثَقَ الأَطْوادِ[6]

---

(١) يقول: اشتهى الاعداء أن يهيج بينكما شر ، وأذاع الحساد ذلك ، ولكن الصلح حسم — أى قطع — ما اشتهوه وأذاعوه (٢) يقول : وحسم الصلح ما أرادته أنفس حجز تدبيرك بينهم وبين ما أرادوه من اثارة الشر . فما من قوله ما بينها زائدة

(٣) أوضع الراكب بعيره إذا حثه على السير السريع . والمخبون الذين يحملون مطيهم على الخبب وهو ضرب من العدو . يقول : صار سعى من سعى بينكما فى الفساد زيادة فى الوداد لان الود بعد العتاب أصفى (٤) على الاحباب فى موضع نصب خبرا لليس . وسلطانه على الاضداد جملة استئنافيه مبتدا وخبر، ولك أن تجعل سلطانه اسم ليس وعلى الاضداد صلة سلطان وتقدير الكلام : وكلام الوشاة ليس له على الاحباب السلطان الذى له على الاضداد . ومعنى البيت أن كلام الوشاة لايؤثر فى الاحبة إنما يؤثر فى الاعداء (٥) يقول : إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول ، وكأن هذا تبرئة لابن مولاه من موافقة قلبه كلام الوشاة (٦) ألفيت أى وجدت والاطواد الجبال . يقول : لقد حركت إلى الشر بما نقل اليك من الوشايات فكنت كأقوى الجبال أى لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالنميمة يريدون بذلك الفساد

وَأَشَارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ ... كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الإِرْشَادِ (١)

قَدْ يُصِيبُ الفَتَى المُشِيرُ وَلَمْ يَجْـ ... ـهَدْ وَيُشْوِى الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ (٢)

نِلْتَ مَالاً يُنَالُ بِالبِيضِ وَالسُّمْـ ... ـرِ وَصُنْتَ الأَرْوَاحَ فِى الأَجْسَادِ (٣)

وَقَنَا الخَطِّ فِى مَرَاكِزِهَا حَوْ ... لَكَ وَالمُرْهَفَاتُ فِى الأَغْمَادِ (٤)

مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ ... سَاكِناً أَنَّ رَأْيَهُ فِى الطِّرَادِ (٥)

فَفَدَى رَأْيَكَ الَّذِى لَمْ تُفَدْهُ ... كُلُّ رَأْيٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ (٦)

وَإِذَا الحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِى طِبَاعٍ ... لَمْ يُحَلِّمْ تَقَادُمُ المِيلَادِ (٧)

فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يَا كَا ... فُورُ وَاقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ القِيَادِ (٨)

---

(١) يقول : أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك لانك لم تجده من الرشاد وإنما وجدت الرشاد فى الاناة والمسالمة وبذلك أرشدتهم إلى ما هو خير مما أشاروا به عليك فكنت أعرف منهم بما هو الاصلح (٢) أشوى يشوى إذا أخطأ ورماه فأشواه إذ لم يصب المقتل . يقول : قد يصيب المشير الذى لم يجتهد فى مشورته ، وقد يخطىء المجتهد فى مشورته بعد الاجتهاد ، يعنى أن الذين أعملوا الراى قد أخطأوا حين أشاروا عليك باظهار الخلاف ، وأنت أصبت الرأى عفوا حين ملت إلى الصلح والمسالمة فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم (٣) البيض السيوف . والسمر الرماح . يقول : أدركت بالصلح مالا يدرك بالسيوف والرماح من غير إراقة دم ولا قتل نفس ، وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور (٤) يقول : وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للطعن ، والسيوف مغمدة لم تسل للضرب (٥) يقول : لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته

(٦) يقول : يفدى رأيك الذى لم تستفده بتجربة وتعليم وإنما هو نتاج أناتك ورويتك كل رأى مستفاد بالتعليم (٧) الحلم الاناة والعقل . يقول : إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها المرء وفطر لم يفده بالكبر وتقادم السن ، ومن ثم ليس الشيخ أولى بجودة الرأى من الشاب . قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : بالعزيزة يتعلق الأدب لا بتقادم السن (٨) يقول : بهذا الرأى الذى رأيت فى هذا الحادث وبمثله فى غير

وَأَطَاعَ الَّذِى أَطَاعَكَ والطَّا عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقَ الآسَادِ (١)

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالأَبُ القَا طِعُ أَحنَى مِنْ وَاصِلِ الأَوْلَادِ (٢)

لَا عدَا الشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُما الشرَّ وَخَصَّ الفَسَادُ أَهْلَ الفَسَادِ (٣)

أَنْتُمَا مَا اتَّفَقْتُمَا الجِسْمُ وَالرُّو حُ فَلَا احْتَجْتُمَا إِلَى العُوَّادِ (٤)

وإِذا كانَ فى الأَنَابِيبِ خلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فى صُدُورِ الصِّعَادِ (٥)

أَشْمَتَ الخُلْفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا وَشَفَى رَبَّ فارِسٍ مِنْ إِيَادِ (٦)

سدت الناس وانقاد لك مالا ينقاد لغيرك (١) يقول : وبمثل هذا الرأى أطاعك الناس الذين كأنهم أسود بأسا وشجاعة فلم يعرفوا الطاعة والانقياد لأحد قبلك ، لان الطاعة ليست من أخلاق الضياغم (٢) يقول : إنما أنت فى تربيتك ابن الاخشيد وقومتك عليه كالوالد ، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأحنى منه عليه

(٣) هذا دعاء . يقول : لا جاوز الشر من طلب لكما الشر ، ولا تعدى الفساد أهل الفساد ، أى لازال فى الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر ، ولا فارق الفساد من حاول فساد ذات بينكما (٤) يقول : مثلكما فى اتفاقكما مثل الروح والجسد ، إذا اتفقا صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والعواد ، وإذا تنافرا فسد البدن . ثم قال : فلا احتجتما إلى العواد ، أى لاوقع بينكما خلاف وشر (٥) أنابيب الرمح ما بين كل عقدتين والصعاد جمع صعدة وهى قناة الرمح . أى إذا اختلفت أنابيب الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن . وهذا مثل جعل الانابيب مثلا للأتباع والصدور مثلا للرؤساء . يقول : إن اختلاف الخدم يؤدى إلى النزاع بين الرؤساء . قال ابن جنى لو قال فى رؤس الصعاد لكان أولى لان الطيش يكون فيها ولانه أقرب إلى الرياسة بسبب العلو (٦) الشراة الخوارج ، سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال فى دينه . ورب فارس كسرى . وأياد حى من معد قال أبو دواد الايادى

فى فُتُوٍّ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِن إِيادِ بن نِزار ابن مضر

يريد المتنبى أن يقول : إن الشقاق بين الجماعات قديما أدى إلى شماتة أعدائهم بهم إذ سبب التنازع بينهم تمكن أعدائهم منهم كما كان من الخوارج لم يظفر بهم المهلب بن

وَتَوَلَّى بَنِى الْيَزِيدِىِّ بِالْبَصْـــــرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِى الْبِلَادِ [١]

وَمُلُوكاً كَأَمْسِ فِي الْقُرْبِ مِنَّا وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِهَا فِى الْبِعَادِ [٢]

بِكُمَا بِتُّ عَائِذًا فِيكُمَا مِنْـــهُ وَمِنْ كَيْدِ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ [٣]

وَبِلُبَّيْكُمَا الأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفْـ ـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ [٤]

أَوْ يَكُونَ الْوَلِىُّ أَشْقَى عَدُوٍّ بِالَّذِى تَذْخَرَانِهِ مِنْ عَتَادِ [٥]

هَلْ يَسُرَّنَّ بَاقِيًا بَعْدَ مَاضٍ مَا تَقُولُ الْعُدَاةُ فِى كُلِّ نَادِ [٦]

أبى صفرة إلا بعد أن نزغ الشيطان بينهم ، فقد قاتلهم المهلب نحوا من ثلاثين شهرا فلم يقدر عليهم ثم وقع الخلف بينهم واقتتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينج إلا القليل ، وأما إياد فقد كانت يدا واحدة ثم تفرقت كلمتهم وتشتتوا بأرض الجزيرة فنهد إليهم سابور ذو الاكتاف وأفنى منهم خلقا كثيرا وتفرق سائرهم فى البلاد

(١) وتولى بنى اليزيدى أى تولاهم الخلف أى اختلفوا . وبنو اليزيدي كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها فى خلافة المنصور وأخرجوا ابن رائق فعظم شأنهم ، وكانوا إخوة ثلاثة ، أبو عبدالله وأبو يوسف وأبوالحسين ، ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم فما كان إلا أن خوى نجمهم وذهب ملكهم وهلكوا جميعا (٢) وملوكا عطف على بنى اليزيدى . وأخت طسم جديس وهما قبيلتان قديمتان بادتا بحروب كانت بينهما . يقول : وتولى الخلف ملوكا قرب عهدهم منا كأمس وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجديس ، فأهلكهم هذا الخلف (٣) بكما قال الواحدى أى لاجلكما . وقال العكبرى : متعلق بمحذوف تقديره بت عائذا بالله أن يقع بكما . . . وفيكما أى بينكما . ومنه أى من الخلف . يقول : أعوذ بكما من الخلف ومن كيد أهل البغى والعدوان اللذين يريدون بكما السوء (٤) اللب العقل . والاصيلين الراسخين أو الجيدين . يقول : وأعوذبما لكما من اللب الاصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين تقتتلان فتحول الرماح بين خيلكما ــ التى هى جماعة واحدة ــ فتصير جماعتين (٥) يقول : وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضا بما تدخرانه من السلاح فيصير الصديق الذى يشقى به عدوا ، لان السلاح إنما يعد للاعداء لا للاصدقاء ، فاذا قتل به بعضكم بعضا فقد صرتم أعداء . فالولى الصديق والعتاد العدة (٦) يقول : إذا اقتتلتما وأفنى أحدكما الآخر فهل يسر الذى يبقى منكما

مَنَعَ الوُدُّ وَالرِّعايَةُ والسُّؤْ ... دُدُ أَنْ تَبلُغا إلى الأَحْقادِ [(١)]

وَحُقوقٌ تُرَقِّقُ القَلْبَ لِلقَلْـ ... ـبِ وَلَوْ ضُمِّنَتْ قُلوبَ الجَمادِ [(٢)]

فَغَدا المُلْكُ باهِرًا مَنْ رَآهُ ... شاكِراً ما أَتَيْتُما مِنْ سَدادِ [(٣)]

فيهِ أَيْديكُما عَلَى الظَّفَرِ الحُلْـ ... ـوِ وَأَيْدي قَوْمٍ على الأَكْبادِ [(٤)]

هَذِهِ دَوْلَةُ المَكارِمِ وَالرَّأْ ... فَةِ وَالمَجْدِ وَالنَّدَى والأَيادِي [(٥)]

كَسَفَتْ ساعَةً كَما تَكْسِفُ الشَّمْـ ... ـسُ وعادَتْ وَنورُهَا في ازْدِياد [(٦)]

يَزْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنُها عَنْ أَذاهَا ... بِفَتًى مارِدٍ عَلَى المُرّادِ [(٧)]

أن يتحدث الاعداء فى المحافل بغدره وتركه حرمة صاحبه؟ وهـذا استفهام إنكارى أى لايسر الباقى منكما ذلك (١) الرعاية حفظ العهود. والسؤدد السيادة. والحقد الضغن. يقول: إن ما بينكما من الود ورعاية الحقوق وما فيكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعكم من أن يحقد أحدكما على صاحبه ويصر على عدائه إياه

(٢) وحقوق عطف على الود. يقول: ويمنع أن يحقد أحدكما على صاحبه تلك الحقوق — حقوق التربية وقيام كافور بأمر ابن الاخشيد وهو طفل — تلك الحقوق التى لو كانت فى قلب الجماد لرق بعضه لبعض (٣) يقول: باتفاقكما وتصافيكما آب إلى الملك بهاؤه ورونقه، ومن ثم شكر لكما حسن صنيعكما وما كان منكما من صواب

(٤) فيه أى فى هذا الصلح أو تقول أى فيما أتيتما من سداد. يقول: فى هـذا الصلح أو فى هذا السداد الذى أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم تألما مما فعلتما وحسرة على اخفاق مسعاهم وجعل هذا الظفر حلوا إذ لم ترق فيه الدماء (٥) الندى الجود والايادى النعم. يقول: إن دولتكم ما ذكر فلا تعرضوها للخلاف (٦) كسفت الشمس وكسفها الله يتعدى ولا يتعدى والمراد بكسوف الدولة ما كان بينهما من الوحشة يقول: كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف الشمس مديدة، ثم انجلى فعادت الدولة بعودة صفائهما وهى آنق وأجمل كالشمس إذا ذهب كسوفها عادت أبهى وأنور (٧) يعنى بركنها قوتها وسعادتها. يقول: أن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن أذاها بفتى مارد على المراد — يعنى كافورا — أى أنه لاينقاد لمن تمرد عليه وطغى وإنما يعصف به عصفا

مُتلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِيٍّ أَبِيٍّ عالِمٍ حازِمٍ شُجَاعٍ جوَادِ (١)
أَجفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبي المِسْـــكِ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْعِبَادِ (٢)
كَيْفَ لاَ يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لِسَيْلٍ ضَيِّقٍ عَنْ أَتِيِّهِ كلُّ وَادِ (٣)

وقال يهجوه فى يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة خمسين وثلثمائة *

عيدٌ بأَيَّةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ بمَا مَضَى أَمْ بأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ (٤)
أَمَّا الأَحِبَّةُ فالْبَيْدَاءُ دُونَهُمُ فلَيْتَ دُونَكَ بِيداً دُونَها بِيدُ (٥)

(١) أى متلف للأموال بالعطاء ومعوضها بسيفه . وأبى أى أنوف عزيز النفس يأبى الذل . والحزم ضبط الأمر وأحكامه والاخذ فيه بالثقة . والجود السخاء (٢) أجفل الناس أسرعوا فى الهرب . يقول : أسرع الناس ذاهبين عن طريقه فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه ، وذلت له رقاب الناس فملكهم (٣) الأتى السيل يأتى من موضع بعيد إلى آخر . يقول : كيف لا يترك الطريق لسيل يضيق عن مائه الوادى . ومتى كان الماء غالبا وضاق عنه بطن الوادى فكل موضع أتى عليه صار طريقا له . وهذا مثل يقول : ان كافورا يغلب غلبة السيل الأتى والسيل لا يردعن وجهه، كذلك هو لا يعارضه أحد * أقام المتنبى بمصر بعد أن قال قصيدته البائية عاما لا يأتى كافورا ولكن يسير معه فى الموكب لئلا يوحشه وتذهب ظنون كافور مذاهبها وفى الوقت نفسه يعمل فى خفية على الرحيل عنه ؛ فأعد الابل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة فى يوم عرفة قبل رحيله بيوم واحد

(٤) عيد خبر مبتدا محذوف أى هذا عيد . وقوله بما مضى أى أبما مضى . يقول: هذا اليوم الذى أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال ياعيد بأية حال عدت ؟ أى مع أية حال عدت على ، أو أية حال أعدتها على ؟ أبالحال التى عهدتها من قبل أم أحدث فيك أمر جديد

(٥) البيداء الفلاة، يتأسف على بعد أحبته عنه يقول : أما الاحبة فبعيدون عنى ، فليتك أيها العيد كنت بعيداً عنى وكان ما بينى وبينك من البعد ضعف ما بينى وبين الاحبة يعنى أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الاحبة كما قال الآخر

مَنْ سَرَّهُ الْعيدُ الْجَديدُ فما لقيتُ بهِ السُّرُورا
كانَ السُّرورُ يَتِمُّ لى لَوْ كانَ أَحْبَابي حُضورا

لَوْلاَ الْعُلَى لَمْ تَجُبْ بِى مَا أَجُوبُ بِهَا
وَجْنَاءُ حرف ولا جَرْداءُ قَيْدُودُ (١)

وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِى مُضَاجَعَةً ... أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغِيدُ الأَمَالِيدُ (٢)

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلاَ كَبِدِى ... شَيْأً تَتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلاَ جِيدُ (٣)

يَاسَاقِيَىَّ أَخَمْرٌ فِى كُؤُسِكُمَا ... أَمْ فِى كُؤُسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ (٤)

أَصَخْرَةٌ أَنَا مَالِى لاَ تُحَرِّكُنِى ... هَذِى الْمُدَامُ وَلاَهَذِى الأَغَارِيدُ (٥)

إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً ... وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ (٦)

(١) جاب المكان يجوبه قطعه . ووجناء فاعل تجب والوجناء الناقة الشديدة . والضمير فى بها للوجناء،والحرف الضامرة . والجرداء الفرس القصير الشعر . والقيدود الطويلة وما من قوله ما أجوب بها إسم موصول فى موضع نصب أى الفلاةالتى أجوب يقول : لولا طلب العلى لم أفارق أحبتى ، ولم تقطع بى ناقة ولا فرس ما أجشمها قطعه من الفلوات (٢) الغيد جمع غيداء وهى المتثنية لينا . والاماليد الناعمات المستويات القامات غلام أملود وجارية أملودة . والاملود فى الاصل الغصن الناعم يقول : ولولا طلب العلى لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتى يشبهن رونق السيف فى بياض بشرتهن ونقائها (٣) تيمه الحب عبده وذلله . والجيد العنق . يقول : إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والاعناق فلا ينزع اليها لأنه ترك اللهو والغزل وتجرد للجد والاشاحة والتشمير (٤) يقول لساقييه أخمر ماتسقيانيه أم هم وسهاد ؟ يعنى ما أشربه لايزيدنى إلا هماً وسهراً لان قلبى مفعم بالهموم فليس فيه موضع للطرب والمرح وذلك لان أحبته بعيدون عنه أو لأنه وافر اللب لايؤثر فيه الشراب

(٥) المدام الخمر . والاغاريد الاغانى. يتعجب من حاله وأن الخمر والغناء لايطربانه ولا يؤثران فيه حتى لكانه صخرة صماء لايؤثر فيها الشراب والغناء

(٦) الكميت الاحمر فيه سواد يوصف به المذكر والمؤنث ويريد خمراً كميت اللون. وفى رواية كميت الخمر يقول : إذا طلبت الخمر وجدتها وإذا طلبت الحبيب لم أجده . يتشوق إلى أحبته يقول : إن الخمر لاتطيب إلا مع الحبيب ؛ وحبيبى بعيد عنى فلا معنى إذن للشراب

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ ... أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ (١)

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا ... أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ (٢)

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمُ ... عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ (٣)

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمُ

مِنَ اللِّسَانِ فَلاَ كَانُوا وَلاَ الْجُودُ (٤)

مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمِ ... إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ (٥)

مِنْ كُلِّ رِخْوِ وِكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِقٍ

لاَ فِي الرِّجَالِ وَلاَ النِّسْوَانِ مَعْدُودُ (٦)

---

(١) يشكو ما لقيه من تصاريف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها ثم يقول : وأعجب ما لقيه منها أني محسود بما أشكوه وما أناباك منه — يعنى انتجاعه كافورا وانقطاعه اليه — يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه.

(٢) خازنا ويدا منصوبان على التمييز . والمثرى الغنى والثراء المال . يقول : إنى من الاغنياء ذوى الثراء ولكن خازنى ويدى فى راحة من تعب حفظ المال لان أموالى إنما هى مواعيد كافور وهى أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدى وخازنى (٣) المحدود الممنوع والقرى قرى الضيف . يقول: إنهم كذابون فلا هم يقرونه ولا هم يتركونه يرحل عنهم

(٤) يقول : إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف المعهود فان الاجواد إنما جودهم بالعطاء ثم دعا عليهم فقال لا كانوا ولا كان جودهم وفى هذا المعنى يقول أبو تمام

وَأَقَلُّ الاشياء محصولَ نفعٍ ... صحةُ القولِ والفعالُ مريضُ

(٥) هذا مثل يقول : إن أرواحهم من النتن والقذارة خسة ولؤما بحيث إذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة (٦) يريد الخصيان الذين كانوا مع كافور . والوكاء ما تشد به القربة ، ومعنى رخو وكاء البطن أنه ضراط فساء لا يوكى على ما فى بطنه من الريح . والمنفتق الواسع الجلد لكثرة لحمه كأنه انفتق وانشق ،

أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ ... أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِى مِصْرَ تَمْهِيدُ(١)

صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الآبِقِينَ بِهَا ... فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ(٢)

نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا ... فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ(٣)

أَلْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ ... لَوْ أَنَّهُ فِى ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ(٤)

لَاتَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلاَّ وَالْعَصَا مَعَهُ ... إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ(٥)

وقوله لافى الرجال الخ أى لاهو معدود فى الرجال إذ لا ذكر له ولا لحية ولا فى النساء إذ لا فرج له (١) اغتاله قتله غيلة وأخذه على غفلة . يشير إلى مافعله كافور بالاخشيد وقتله إياه واستقلاله بملك مصر بعد ، يقول : أكلما أهلك عبد سوء سيده مهد أمره فى مصر وملكه أهلوها عليهم وانقادوا له وأطاعوه ؟ وهذا استفهام انكار أى لاينبغى أن يكون الامر هكذا (٢) الآبق الهارب من سيده . ومستعبد مذلل . ومعبود مطاع . يقول : أن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن اليه لأنه مثله فى الخيانة والتمرد على سيده فهو إمام الآبقين (٣) النواطير جمع ناطور وهو فى الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم قيل أنها عربية وقيل من كلام أهل السواد والمراد هنا بنواطير مصر ساداتها وأشرافها ، والمراد بثعالبها عبيدها وأراذلها ، وبالعناقيد الاموال . وبشم فلان أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . يقول : لقد غفلت سادات مصر عن أراذلها حتى عاثوا فى أموال الناس وأكلوا فوق الشبع . ثم قال وما تفنى العناقيد يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال وأنهم كلما نهبوا شيأ جد لهم غيره فلا ينفكون يطلبون المزيد (٤) يقول : ان العبد لا يؤاخى الحر لما بينهما من التباين فى الأخلاق ولو ولد العبد فى ملك الحر ، وهذا اغراء لابن سيده يريد أن كافوراً وان أظهر له الود فليس له مصاف مخلص (٥) المناكيد جمع منكود وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان قال بشار .

* الحُرُّ يُلْحَى والعَصَا للعبدِ *

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ

يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ (١)

وَلاَ تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا

وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ (٢)

وَأَنَّ ذَا الأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ

تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ (٣)

جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي

لِكَيْ يُقَالَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ (٤)

وقال الحكم بن عبدل الأسدى

وَالعبدُ لايَطْلُبُ العَلاءَ وَلا يُرْضيكَ شيئاً إلا اذا رَهِبَا

مِثْلُ الحِمَارِ المُوَقَّعِ الظهْرِ * لا يُحْسِنُ المشْيَ إلاّ اذَا ضُرِبَا

(١) يقال أساء به وأساء اليه . يقول : ما كنت أظن أجلى يمتد بى إلى زمن يسىء إلى فيه شر الخليقة وأرانى مع ذلك مضطرا إلى مدحه وحمده ولا أستطيع أن أظهر الشكوى (٢) كناه بأبى البيضاء سخرية منه . يقول : ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى لا يوجد منهم أحد وأن مثل هذا موجود بعد فقدهم حتى رأيته على عرش مصر

(٣) العضاريط جمع عضروط وهو الذى يخدم الناس بطعام بطنه . والرعديد الجبان . وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له فى عظم مشافره بالبعير الذى يثقب مشفره للزمام والمشفر فى الاصل شفة البعير . يقول : ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر يستهوى هؤلاء اللئام الانذال الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه . يريد بوصفهم بالعضاريط الرعاديد تقريعهم على طاعتهم اياه وانهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك

(٤) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه وشحه لا تسخو نفسه بشىء ولا يبض

« الموقع الظهر الذى به آثار الدبر » والدبر الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة »

إِنَّ امْرَأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ   لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْؤُودُ (١)

وَيْلُمِّهَا خُطَّةً وَيْلُمِّ قَابِلِهَا   لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ (٢)

وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ   إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْدِيدُ (٣)

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً   أَقَوْمُهُ الْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيدُ (٤)

أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً   أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ (٥)

حجره وقوله يأكل من زادي قال الواحدى: لهذا وجهان أحدهما أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها، والآخر أن المتنبي كان يأكل من خاص ماله عنده وينفق على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث اليه شيأ ومنعه من الطلب . وقال قوم: كأن الاسود قد جمع له شيأ من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيأ . يقول: هو يمسكني عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس انه عظيم القدر يقصده المتنبي مادحا (١) المستضام الذي أدركه الضيم وهو الظلم. ورجل مفؤد جبان ضعيف الفؤاد مثل المنخوب. والمفؤد ايضا الذي لا فؤاد له ولا فعل. والمفؤد الذي أصيب فؤاده بوجع. وسخين العين محزون. جعل الاسود أمة لفقدانه آلة الرجال لأنه خصي وجعله حبلى لعظم بطنه. وهذا تعريض بابن سيده يقول: ان الذي آل تدبيره الى من هذه صفته لمظلوم مفؤد سخين العين يرثى لحاله (٢) ويلمها كلمة تقال عند التعجب وأصلها وي لأمها. والخطة الأمر والشأن. والمهرية المنسوبة إلى مهرة بن حيدان بطن من قضاعة تنسب اليه الابل. والقود الطوال الظهور والاعناق. يقول: ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها، وانما خلقت الابل للفرار من مثلها

(٣) القنديد عسل قصب السكر والخمر. يقول: عند هذه الحال — طاعة الاسود والاستخذاء له والنزول على حكمه — يستلذ طعم الموت لان الموت أيسر من ذلك الذل. ولذ الشيء وجده لذيذا (٤) البيض هنا الكرام أي بيض الاعراض. والصيد الملوك. يقول: ان هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هي لانه عبد أسود لم يرث آباءه مجدا ولا مكرمة (٥) النخاس بياع الرقيق. والفلس قطعة مضروبة من النحاس

أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ ... فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ (١)

وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةٌ ... عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّودُ (٢)

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد

ويهنئه بعيد النيروز ويصف سيفاً قلده إياه وفرسا حمله عليه

وجائزة وصله بها ، وكان قد عاب قصيدته الرائية الآتية

جَاءَ نَيْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهْ ... وَوَرَتْ بِالَّذِي أَرَادَ زِنَادُهْ (٣)

هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَالَهَا مِنْـــكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَوْلِ زَادُهْ (٤)

يَنْثَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ ... نَاظِرٌ أَنْتَ طَرْفُهُ وَرُقَادُهْ (٥)

يتعامل بها . يقول : انه مملوك اشترى بثمن ان زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لخسته . وهذا غاية فى التحقير لشأنه (١) التفنيد اللوم وتضعيف الرأى . وكويفير تصغير كافور والمراد التحقير . يقول : هو أولى اللئام بأن يعذر على لؤمه لخبث أصله وخسة قدره وعجزه عن المكارم ، وهذا العذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة . وقد صرح بعذره فى البيت التالى (٢) الخصية جمع خصى . يقول : ان الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف يقدر عليه اللئام ! قال الواحدى : عرض فى المصراع الأول بغيره من الملوك .

(٣) النيروز أحد أعياد الفرس ، وهو أول يوم من السنة عند حلول الشمس فى أول الحمل. وورى الزناد كناية عن بلوغ المراد تقول العرب ورت بفلان زنادى أى أدركت به حاجتى ومرادى . يقول : جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده بمجيئه تيمنا بطلعتك ، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك ورآك

(٤) زاده آخر البيت خبر هذه . يقول : هذه النظرة التى ظفر بها النيروز منك اليوم انما يتزودها إلى أوان مثلها من العام القابل ـــ أى أنها له كالزاد يعاش به ـــ لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة فى كل عام (٥) ناظر فاعل ينثنى . والناظر العين . يقول : اذا انصرف عنك هذا اليوم بانتهائه خَلَّفَ طرفه ـــ أى بصره ـــ ورقاده

نَحْنُ فِى أَرْضِ فارِسٍ فى سرُورٍ ذَا الصباحُ الَّذِى نَرَى ميلادُهْ[١]
عظَّمَتْهُ مَمَالِكُ الفُرْسِ حتَّى كُلُّ أَيَّامِ عامِهِ حُسَّادُهْ[٢]
مَالَبِسنَا فيهِ الأَكَالِيلَ حَتَّى لَبِسَتْهَا تِلاَعُهُ وَوِهَادُهْ[٣]
عِنْدَ مَنْ لاَ يُقَاسُ كِسْرَى أَبُو سَا سَانَ مُلْكاً بِهِ وَلا أَوْلاَدُهْ[٤]

لديك فيبقى بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود اليك ، والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانيا

(١) قوله ذا الصباح مبتدأ وميلاده خبروالجملة صفة لسرور . يقول : نحن فى سرور بأرض فارس ، وقد ولد هذا السرور فى هذا الصباح أى صباح عيد النيروز لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون (٢) يقول : ان ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم اياه عليها . وممالك إما جمع ملك مثل مشايخ وشيخ واما على حذف مضاف أى أهل ممالك الفرس (٣) التلاع جمع تلعة وهى ما ارتفع من الأرض . والوهاد جمع وهدة ما انخفض من الأرض . والأكاليل جمع اكليل وهو فى الاصل ما يجعل على الرأس كالتاج . قال الامام العروضى : كان من عادة الفرس اذا جلسوا فى مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والزهر فيضعوها على رؤسهم . يقول المتنبى : ما لبسنا الأكاليل فى هذا اليوم حتى كسيت الارض جبالها ووهادها مثل الأكاليل من النبات والازهار . والاضافة فى تلاعه ووهاده على معنى فى والضمير للنيروز . والبيت من قول أبى تمام

حَتى تعمَّمَ صُلْعُ هاماتِ الرُّبَا مِنْ نَبْتِهِ وَتَأَزَّرَ الأَهضامُ*

(٤) يقول : ان ملك الممدوح — ابن العميد — أعظم من ملك الأكاسرة . وكسرى لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهمن بن ساسان الأكبر . وكسرى معرب خسرو ومعناه واسع الملك وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرها ، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق

إِذَا مَا رأَوْه طالعاً سجدوا له كما سجدَتْ يوماً لكَسرَى مرازِبُهْ

* الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الارض — جعل ما على الربا بمنزلة العمامة وما على الاهضام بمنزلة الأزار

عَرَبِيٌّ لِسَانُهُ فَلْسَفِيٌّ رَأْيُهُ فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهُ(١)

كُلَّمَا قَالَ نَائِلٌ أَنَا مِنْهُ سَرَفٌ قَالَ آخَرٌ ذَا اقْتِصَادُهُ(٢)

كَيْفَ يَرْتَدُّ مَنْكِبِي عَنْ سَمَاءٍ وَالنِّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نِجَادُهُ(٣)

قَلَّدَتْنِي يَمِينُهُ بِحُسَامٍ أَعْقَبَتْ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهُ(٤)

كُلَّمَا اسْتُلَّ ضَاحَكَتْهُ إِيَاةٌ تَزْعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرْآدُهُ(٥)

مَثَّلُوهُ فِي جَفْنِهِ خِيفَةَ الْفَقْـــدِ فَفِي مِثْلِ أَثْرِهِ إِغْمَادُهُ(٦)

---

(١) يقول : هو عربى اللسان ، ورأيه رأى الفلاسفة لأنه حكيم ؛ وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان . والبيت كما ترى مركب من ثلاث جمل كل جملة مبتدا وخبر قدم فيها الخبر على المبتدا (٢) يقول : انه كلما بالغ فى العطاء — أى أعطى كثيرا — فقال ذلك العطاء البالغ الكثير أنا سرف منه وتبذير ؛ أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول — أى هذا العطاء الأكثر — كان العطاء الاول اقتصادا . وهذا تمثيل لأن العطاء لا يقول شيأ ولكن يستدل بحاله فكأنه قائل : وملخص المعنى : أنه اذا استكثر الناس منه عطاء قل ذلك فى جنب ما يتبعه (٣) النجاد حمالة السيف . يقول : كيف أنكل عن مفاخرة ذى فخر وكيف يقصر منكبى دون سماء والنجاد الذى عليه — أى على منكبى — هو نجاده — أى نجاد الممدوح — الذى بلغ فى أقصى الشرف؛ يشير إلى السيف الذى قلده إياه وملخص المعنى : أنه تشرف بتقلده سيفه حتى ضارع ماجد به كل ماجد (٤) يقول: قلدنى سيفا ماضيا لم تعقب أجداده منه — أى لم تلد من نوعه — إلا واحداً ؛ يعنى هذا السيف نفسه ، وأراد بأجداد السيف، معادن الحديد التى يستخرج منها ، وملخص المعنى قلدنى سيفا لم يطبع مثله فلا نظير له (٥) إياة الشمس ضوءها . والأرآد جمع رأد وهو ارتفاع الضحى ورونقه . يقول : كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت فى صفحه اياة من الشمس كأنما تضاحكه ولشدة بريق الاياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها فتحسب الحسام شمسا أخرى قد التمعت هذه الأياة من أشعتها . يشير إلى أن شعاع هذا السيف يضاهى شعاع الشمس وأن الشمس تقر بأن ضوءها كضوئه . والضمير فى أنها للأياة قال الوحدى : وإنما جمع الأرآد مع توحيد الأياة حملا على المعنى فان عند كل سلة مضاحكة بينه وبين إياة الشمس (٦) مثلوه فى جفنه أى جعلوا غمد هذا

مُنْعَلٌ لاَ مِنَ الْحَفَا ذَهَباً يَحْـــمِلُ بَحْراً فِرِنْدُهُ إِزْبَادُهْ (١)

يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لاَ يَسْـــلَمُ مِنْ شَفْرَتَيْهِ إِلاَّ بِدَادُهْ (٢)

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَائِى فَاسْتَجْمَعَتْ آحَادُهْ (٣)

وَتَقَلَّدْتُ شَامَةً فِى نَدَاهُ جِلْدُهَا مُنْفِسَاتُهُ وَعَتَادُهْ (٤)

السيف على مثاله وذلك بأن غشوه فضة وقوله فبى مثل أثره اغماده يعنى أنه يغمد فى غمد عليه آثار كأثره — أى فرنده وهو جوهر السيف — يقول : إن ما نسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على متنه من الفرند ، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لاتفقده العين إذا أغمد بل يكون كأنها ناظرة اليه ، أى أنه لحسنه لايود مالكه أن يفقد منظره بأغماده ومن ثم مثله فى جفنه (١) منعل أى ملبس نعلا وهومايصاغ فى طرف الغمد . والحفاء المشى بلا نعل . يقول : إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للحفاء ، وهو يحمل من هذا السيف بحرا ، يعنى كثرة مائه ، وفرنده زبده أى أن الفرند لهذا السيف بمنزلة الزبد للبحر . هذا والسيف لايوصف بالحفاء ولكن ذكره افتنانا لأيهام لفظ النعل (٢) المدجج المغطى بالسلاح . والبداد حشية تجعل فى جانب السرج وهما بدادان . يقول : إذا ضرب به الفارس المقنع فى سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل ، وقطع السرج أيضا ، فلا يسلم منه إلا جانبا السرج ، لانحرافهما عن الوسط . وقوله من شفرتيه والحال أن السيف انما يقطع بشفرة واحدة ، لأنه أراد بأى شفرتيه ضرب عمل هذا العمل (٣) يقول : ان الدهر جمع حد هذا السيف ويدى الممدوح فى الضرب وشعرى فى وصفه ، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التى لانظير لها ، فلا سيف كهذا السيف ولا يد فى الضرب به كيد الممدوح ولا ثناء كثنائى (٤) الشامة الخال — بثرة سوداء فى الجسم حولها شعر . وقوله فى نداه أى فى جملة نداه أى جوده . والمنفسات الأشياء النفيسة جمع منفس . والعتاد العدة . يقول : تقلدت سيفا هو على نفاسته وجلالة قدره فى جنب ما أهدانيه — من نفائس الخيل والثياب والأسلحة — يعد قليلا كالشامة فى الجلد . شبه السيف الذى قلده إياه بالشامة وسائر هداياه بالجلد الذى تكون فيه الشامة . وقد اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت اضطرابا أشفقنا عليهم منه لانهم على أستاذيتهم ذهبوا فى تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للمتنبى على بال فضلا أن البيت ينبو بمثلها وقد اخترنا اليقها به

فَرَّسَتْنَا سَوَابِقٌ كُنَّ فِيهِ   فَارَقَتْ لِبْدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهْ (١)

وَرَجَتْ رَاحةً بنا لاتَرَاهَا   وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهْ (٢)

هَلْ لِعُذْرِى عِنْدَ الهُمَامِ أَبِى الفَضْـ   ـلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِى مِدَادُهْ (٣)

أَنَا مِنْ شِدَّةِ الحَيَاءِ عَلِيلٌ   مَكْرُمَاتُ المُعِلِّهِ عُوَّادُهْ (٤)

ما كَفَانِى تقصيرُ مَاقلتُ فِيهِ   عَنْ عُلاهُ حتَّى ثناهُ انْتِقَادُهْ (٥)

إِنَّنِى أَصْيَدُ البُزَاةِ وَلَـكِنَّ   أَجَلَّ النُّجُومِ لاأَصْطَادُهْ (٦)

(١) كن فيه أى كن في نداه. واللبد ما تحت السرج. يقول: كان فى جملة عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد الى سروجنا فصيرتنا فرسانا وتعلمنا الطراد بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة، فقوله فرستنا أى علمتنا الفروسية. وفارقت لبده يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجى حين أعطاناها. وفيها طراده أى وفيها تقويمه وأدب طراده (٢) يقول: إن هذه الخيل التى أهداها الينا لما انتقلت إلى رجت أن تستريح من طول كده إياها، لـكنها لاترى ماترجوه مادمنا فى بلاده لأنا لانزال نغزو معه بغزواته ونطارد عليها معه اذا ركب للصيد، وانما تستريح إذا فارقنا خدمته ونحن لانفارق خدمته وبلاده. فقوله وبلاد الخ جملة حالية من مبتدا وخبر

(٣) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ويعتذر عما فرط فيها مما يؤاخذ به يقول: هل يقبل عذرى وهل لديه قبول لعذرى وقوله سواد عينى مداده جملة استئنافية دعائية أى جعل الله سواد عينى مدادا له. وانما دعا له بذلك اشارة إلى أن ابن العميد من أهل الأدب والعلم المشتغلين بالـكتابة والتأليف.

(٤) يقول: انا لشدة حيائى كالعليل، وهدايا الذى أعلى تأتينى كل يوم كأنها عواد تعودنى. وانما كان شديد الحياء لان ابن العميد نقد شعره ولذا جعله معلا له. وقد شرح ذلك فى الأبيات التالية (٥) يقول: ما كفانى تقصير شعرى عن علاه وعجزى عن وصفه حتى شفعه بنقده، فتقصير شعرى ونقده هما سبب شدة حيائى (٦) يقول: أنا فى الشعراء كالبازى الأصيد فى البزاة ولـكن البازى مهما كان بارعا فى الصيد ليس فى مكنته أن يبلغ النجوم فيصيدها، يعنى انى وان كنت حاذقا فى الشعر وبالغا منه الغاية التى لابعدها فان كلامى لايبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه.

رُبَّ مَالاَ يُعَبِّرُ اللَّفْظُ عَنْهُ ۞ وَالَّذِي يُضْمِرُ الفُؤَادُ اعْتِقَادُهْ (١)

مَاتَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الفَضْـ ۞ ـلِ وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ اعْتِيَادُهْ (٢)

إِنَّ فِي المَوْجِ لِلْغَرِيقِ لَعُذْرًا ۞ وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهْ (٣)

لِلنَّدَى الغَلْبُ إِنَّهُ فَاضَ وَالشِّـ ۞ ـعْرُ عِمَادِي وَابْنُ العَمِيدِ عِمَادُهْ (٤)

نَالَ ظَنِّي الأُمُورَ إِلاَّ كَرِيمًا ۞ لَيْسَ لِي نُطْقُهُ وَلاَ فِيَّ آدُهْ (٥)

ظَالِمُ الجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ ۞ سِيمَ أَنْ تَحْمِلَ البِحَارَ مَزَادُهْ (٦)

وقال ابن جنى : لواستوى له أن يقول أعلى النجوم ــ بدل أجل النجوم ــ لكان أليق ولقد اصاب ابن جنى فى نقده (١) يقول : رب أمر يعتقده القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبلوغه مبلغا لا يحيط به الوصف · وهذا اعتذار عن قصوره فى وصفه ومدحه (٢) يقول : لم أتعود أن أمدح مثله فان قصرت عن كنه وصفه كنت معذورا ، لأن عادتى لم تجر بمدح مثله ، والذى ورد عليه من الشعر شىء معتاد عنده لانه لايزال يمدح فهو أعلم الناس بالشعر أو تقول وهذا الذى أتاه أى هذا الذى فعله من النقد هو عادته لبصره بالشعر ونقده · قال الواحدى : وهذا يدل على تحرز أبى الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لاحد فى شعره تواضعه لابن العميد (٣) يقول : ان فاتنى عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها كان عذرى واضحا لانى غرقت فيها لتوافر محامدك، والغريق فى البحر ان لم يستطع تعداد الامواج كان عذره واضحا ، وتلخيص المعنى : أن فكرى غرق فى فضائلك فليس لى إلى استيفاء وصفها من سبيل

(٤) يقول : ان لجوده الغلبة فهو غالبى لان عماده ابن العميد وعمادى الشعر وهو ناقده فكيف لى أن أغالبه بالشعر

(٥) الظن ههنا بمعنى العلم ويروى طبى وهو بمعنى العلم أيضا . والآد القوة · يقول : لقد قتلت الامور علما غير أنى قاصر عن مدح كريم ليس لى فصاحته فى الكلام ولا قوته فى علم الشعر (٦) المزاد جمع مزادة وهى القربة · يقول : ان جوده ظالم وذلك أنه كلما صمد اليه ركب أغدق عليهم من عطاياه مالا يطيقون حمله ، وهذا ظلم لانه غير ممكن ، وهل يمكن حمل البحر فى القرب ؟ فقوله ظالم الجود من اضافة الوصف الى فاعله · وسيم كلف

غَمَرَتْنِي فَوَائِدٌ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أُفَادُهُ (١)

مَاسَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ الْعَطَايَا فَاشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهُ (٢)

خَلَقَ اللَّهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طُرًّا فِي مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُهُ (٣)

وَأَحَقَّ الْغُيُوثِ نَفْسًا بِحَمْدٍ فِي زَمَانٍ كُلُّ النُّفُوسِ جَرَادُهُ (٤)

مِثْلَمَا أَحْدَثَ النُّبُوَّةَ فِي الْعَا لَمِ وَالْبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهُ (٥)

زَانَتِ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا لِعِ فِيهِ وَلَمْ يَشِنْهُ سَوَادُهُ (٦)

كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نُهْدِي كَمَا أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهُ (٧)

وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْـــلِ فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهُ (٨)

---

(١) يقول : انه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول ونبهه بذلك إلى ما كان غافلا عنه فكان حسن القول وصحة الكلام من جملة الفوائد التى أفادها منه

(٢) يقول : لم نسمع قبله بجواد يحب الاعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملة عطاياه يريد ان ما أفاده من العلم هو نتاج عقله وبنات فكره فكأنه أعطاه عقله. والفؤاد هنا بمعنى العقل (٣) يريد بأفصح الناس الممدوح يقول: ان الفصاحة انما هى للعرب وأهل البادية ، وأفصح الناس فى مكان بدل الاعراب به أكراد يعنى أهل فارس

(٤) وأحق عطف على أفصح . يقول : وخلق الله غيثا هو أخلق الغيوث بالحمد ــ يعنى الممدوح ــ لعموم صلاحه ، فأوجد هذا الغيث فى زمان قد استشرى فساد أهله وشاع فى الأرض فكانوا كالجراد . وقال ابن جنى : جعله غيثا وجعل الناس كلهم ــ لاحتياجهم اليه ــ جرادا ، فان الجراد حياته فى الغيث والكلأ (٥) يقول : لما شاع الفساد فى العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد خلق الله ابن العميد ليتدارك به ذلك الفساد ، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وهذا من قول الفرزدق

بُعِثْتَ لِأَهْلِ الدِّينِ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لِآثَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ

كَمَا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى فَتْرَةٍ وَالنَّاسُ مِثْلُ الْبَهَائِمِ

(٦) لما ذكر عموم الفساد فى الناس والزمان ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى اليه وأنه سبب لاصلاحه كالقمر يطلع فيجلو سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد

(٧) و (٨) يقول : كثر الفكر فى كيف نهدى إليك شيأ كما يهدى العبيد إلى أربابها

فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهَاراً كُلُّ مُهْرٍ مَيْدَانُهُ إِنْشَادُهْ (١)

عَدَدٌ عِشْتَهُ يَرَى الجِسْمُ فِيهِ أَرَباً لاَ يَرَاهُ فِيمَا يُزَادُهْ (٢)

فَارْتَبِطْهَا فَإِنَّ قَلْباً نَمَاهَا مَرْبَطٌ تَسْبِقُ الجِيَادَ جِيَادُهْ (٣)

وورد عليه كتاب ابن العميد يتشوقه فقال ارتجالا

بِكُتْبِ الأَنَامِ كِتَابٌ وَرَدْ فَدَتْ يَدَ كَاتِبِهِ كُلُّ يَدْ (٤)

يُعَبِّرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدْ (٥)

وكل ما عندنا من المال والخيل فمن عندك وهبته وقدته الينا . فقوله إلى ربها أى سيدها والضمير لعباده وعباده أى عبيده والرئيس بدل من ربها وفى البيت الثانى طى ونشر لا يخفى . وهذا من قول ابن الرومى

مِنْكَ يا جَنَّةَ النَّعِيمِ الْهَدَايَا أَفَنُهْدِي إِلَيْكَ مَا مِنْكَ يُهْدَى

(١) المهار جمع مهر . يقول : فبعثنا اليك بأربعين بيتاً من الشعر ، ميدان كل بيت انشاده ، أى أنه اذا أنشد عرف قدره كما أن المهر إذا أجرى فى الميدان عرف

(٢) عدد خبر مبتدا محذوف أى أن الاربعين هي عدد الخ وقوله عشته دعاء ، يدعو له بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه ، قال الواحدى : وكان ابن العميد فى ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهز الثمانين ، وقوله يرى الجسم فيه الخ أى أن عدد الاربعين يرى الانسان فيه من أرب العيش وحاجه ما لا يراه فى السنين التى يزادها بعد ذلك أى فلهذا اختار هذا العدد فجعل القصيدة أربعين بيتا

(٣) نماها أى ارتفع اليه نسبها فهو من نماء النسب وعبر بذلك جريا على عادة العرب فى حفظ أنساب الخيل . لما سمى الابيات مهارا عبر عن حفظها وامساكها بالارتباط ليتجانس الكلام . يقول: فاحتفظ بها فان القلب الذى صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جياده جياد كل مربط . يعنى أن الشعر الذى يقوله أفضل من شعر سواه (٤) أى يفدى بكتب الانام كتاب ورد وقوله فدت الخ جملة دعائية

(٥) يقول : ان ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذى لكاتبه عندنا ، أى أنا نشتاق اليه كما يشتاق هو الينا ، ويذكر من شوقه الينا ما نجد من الشوق اليه

فأَخْرَقَ رَائِيَهُ ما رَأَى وَابْرَقَ ناقِدَهُ ما انتَقَدْ[1]

إِذا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفاظَهُ خلقْنَ لهُ فى القلوبِ الحسدْ[2]

فقُلْتُ وقدْ فرَسَ النَّاطِقينَ كذا يفعلُ الأَسَدُ ابنُ الأَسَدْ[3]

---

(١) أخرق أدهش وحير من خرق الظبي دهش فلصق بالارض ولم يقدر على النهوض وقد أخرقه الفزع فخرق. وأبرق حير تقول برق بصره تحير فلم يطرف قال ذو الرمة

وَلوْ أَنَّ لُقْمانَ الحكيمَ تعرَّضَتْ لِعَيْنَيْهِ مَيٌّ سافِرًا كادَ يَبْرَقُ

يقول المتنبي : ان الذى رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه ، والذى انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته (٢) يقول : ان الفاظه تحدث له الحسد فى القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه (٣) فرس الناطقين أفترسهم ،جعل أحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كالافتراس، أى أنه وصل فى غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليها من الدهش والحيرة — إلى مثل ما يصل اليه الاسد اذا افترس فريسته . ولما وصفه بالافتراس جعله أسدا فى المصراع الثانى لان الافتراس من أفعال الاسد . قال الواحدى : ولو خرس المتنبي ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيرا له ، وكأنه لم يسمع قط وصف كلام ! وأى موضع للاخراق والابراق والفرس فى وصف الالفاظ والكتب ؟ هلا احتذى على مثال قول البحترى يصف كلام ابن الزيات

فى نِظامٍ مِنَ البَلاغَةِ ما شَكَّ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظامُ فَرِيدِ

وَبَدِيعٍ كأَنَّهُ الزَّهَرُ الضَّا حِكُ فى رَوْنَقِ الرَّبيعِ الجَدِيدِ

مُشْرِقٍ فى جَوانِبِ السمْعِ ما يُخْ لِقُهُ عَوْدُهُ عَلَى المُسْتَعِيدِ

ومَعانٍ لو فصَّلتها القوافى هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ ولَبِيد

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكلامِ اختياراً وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

ووَرد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره فقال عند مسيره
مودعا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَاباً عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفَراً زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الخَدِّ (١)

وَلَا لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقَصُورَةٍ
أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُحْبَةَ الْعِقْدِ (٢)

وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ كَرِهْتُهُ
قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ (٣)

---

(١) يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود ، ولا الذي غشيه عند ذلك من الحياء الذي ازدادت به حمرة وجهه . يعني أن أنس لا أنس ذلك . وكثيرا ما يذكر الشعراء ما جرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع وذلك كما يقول أحدهم

وَلَسْتُ بِنَاسٍ قَوْلَهَا يَوْمَ وَدَّعَتْ وقدْ رُحِلَتْ أَجْمَالُنا وَهْي وُقَّفُ
أَأَنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا فَلَسْنا وحَقِّ اللهِ عَنْ ذَاكَ نَصْدِفُ
فَقُلْتُ لها حِفْظِي لِعَهْدِكِ مُتْلِفِي ولوْلَا حِفَاظُ الْعَهْدِ مَا كُنتُ أَتلَفُ

ومثله كثير ، ويروى نسيت بالبناء للمجهول أي نسيني الحبيب

(٢) القصورة والقصيرة المحبوسة في خدرها الممنوعة من التصرف وقال كثير

وأنتَ الذي حَبَّبْتَ كلَّ قَصِيرَةٍ إليَّ وَمَا تَدْرِي بِذَاكَ الْقَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الحِجالِ ولمْ أُرِدْ قِصَارَ الخُطَى — شَرُّ النِّسَاءِ البَحَاتِرُ

«البحتر القصير المجتمع الخلق » . يقول المتنبي : لا أنسى ليلة قصرت على لطيب مجالستي لهذه المخدرة ومعانقتي اياها حتى طالت يدي في جيدها مثل صحبة العقد لجيدها . فقوله صحبة العقد أي مثل صحبة العقد فهو منصوب على المصدرية

(٣) يقول : من يكفل بأن يكون لي يوم آخر مثل يوم الوداع وان كرهته

وَأَنْ لاَ يَخُصَّ الْفَقْدُ شَيْئاً فَإِنَّنى
فَقَدْتُ فلَمْ أَفقِدْ دُمُوعِى وَلا وَجْدِى[١]

تَمَنٍّ يَلَذُّ الْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِهِ
وَإِنْ كَانَ لا يُغْنِى فَتِيلاً وَلا يُجْدِى[٢]

وَغَيْظٌ عَلَى الأَيَّامِ كالنَّارِ فى الْحَشَا
وَلَـكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلى القِدِّ[٣]

لأنه قربت فيه من فراقهم ، يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم ، وهم أبدا يتمنون مثل يوم التوديع لان المودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم كما قال الآخر

مَنْ يَكُنْ يكرَهُ الْوَدَاعَ فإنِّى ... أَشْتَهِيهِ لِعِلَّةِ التَّسْليمِ
إنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ ... وَانْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ
ولكَم فرقةٍ وَغَيْبَةِ شهرٍ ... هىَ أَجْدَى مِن امْتِنَاعِ مُقيمِ

(١) يقول : ومن لى بأن لا يكون الفقد فى ذلك اليوم مخصوصا بشىء دون شىء فانى فقدت فيه أحبتى ولم أفقد بكائى ولا وجدى . يتمنى أن يكون الفقد عاما شاملا حتى يفقد البكاء والوجد أيضا (٢) يقول: ان هذا الذى ذكرته هو تمن لاحقيقة له ولكن المستهام — وهو الذى هيمه الحب وشرده — يلتذ بالتمنى وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغنى عنه شيأ . والفتيل ما يكون فى شق النواة يضرب مثلا للشىء الحقير . وفى معنى البيت يقول القائل

مُنًى إنْ تَكُنْ حقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ المُنَى ... وإلاَّ فقدْ عِشْنا بها زَمَناً رَغَدَا

ويقول البحترى

تَمَنَّيتُ لَيْلَى بَعْدَ فَوْتٍ وإنما ... تَمَنَّيتُ مِنْها خُطَّةً لا أَنالُهَا

ويقول الآخر

وَأَعْلَمُ أَنَّ وَصْلَكَ لَيسَ يُرْجَى ... ولكنْ لاأقلَّ منَ التَّمَنِّى

(٣) القد سير يشد به الاسير . يقول : ولى غيظ على الايام يلتهب فى الحشا التهاب

فَإِمَّا تَرَيْنِي لَا أُقِيمُ بِبَلْدَةٍ فَآفَةُ غِمْدِي فِي دُلُوقِي وَفِي حَدِّي (١)

يَحِلُّ القَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بِعَقْوَتِي

فَأَحْرِمُهُ عِرْضِي وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي (٢)

تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي

نَجَائِبُ لَا يُفْكِرْنَ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ (٣)

وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثَّمُوا عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفًا مِنَ الحَرِّ وَالبَرْدِ (٤)

وَلَيْسَ حَيَاءُ الوَجْهِ فِي الذِّئْبِ شِيمَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ الأَسَدِ الوَرْدِ (٥)

النار ولكنه غيظ على ما لا يكترث ولا يبالى بغيظى ، لان الايام لا تؤاتينى ولا تنزل على مرادى ، ومن ثم كان كغيظ الاسير على ما يشد به من القد

(١) الدلوق سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده . يقول — معتذرا من قلة مقامه فى البلدان ومواصلته السير والتطواف : — ان رأيتنى منزعجا لا أقيم ببلدة فان ذلك لمضائى وبعدهمتى كالسيف الحاد اذا أغمد أكل غمده واندلق منه . وإما من فأما هى أن الشرطية وما الزائدة ٢) العقوة الساحة وما حول الدار والمحلة يقال نزل بعقوته . يقول : اذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدى وجعلته وقاية لعرضى يعنى أنه يؤثر وقوع الرماح فى جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالهرب وهذا من قول الجاهلى

أَخُو الحَرْبِ أَمَّا جِلْدُهُ فَمُجَرَّحٌ كَلِيمٌ وَأَمَّا عِرْضُهُ فَسَلِيمُ

(٣) النجائب جمع نجيبة وهى الناقة الكريمة . وفكر فى الشىء وأفكر فيه وتفكر بمعنى . يقول : ان هذه النجائب يمضين بى مصممات لا يلتفتن إلى نحس ولا سعد فتبدل على بمضيهن الايام والمعايش والديار ، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب

(٤) وأوجه عطف على نجائب . وأراد بالفتيان غلمانه الذين يسيرون معه . يقول : وتبدل أيامى نجائب وأوجه فتيان ، أى أنا أبدا مسافر على هذه النجائب فى هؤلاء الفتيان الذين ألفوا الاسفار ومن ثم لا يبالون بالحر والبرد وانما تلثموا على وجوههم لشدة حيائهم لا اتقاء الحر والبرد ؛ والحياء شيمه الكرام (٥) الشيمة الطبيعة والخلق

إِذَا لَمْ تُجِزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ   أَجَازَ القَنَا وَالخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الوُدِّ (١)

يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ المُلُوكِ إِلَى الذِي   تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ المُلُوكِ عَلَى الجِدِّ (٢)

وَمَنْ يَصْحَبِ اسْمَ ابْنِ العَمِيدِ مُحَمَّدٍ   يَسِرْ بَيْنَ أَنْيَابِ الأَسَاوِدِ وَالأُسْدِ (٣)

يَمُرُّ مِنَ السُّمِّ الوَحِيِّ بِعَاجِزٍ   وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ عَلَى دُرْدِ (٤)

كَفَانَا الرَّبِيعُ العِيسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ

فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءً سِوَى الرَّعْدِ (٥)

والعادة . والاسد الورد الذى فى لونه حمرة مثل الورد . يمدح الحياء . يقول : ان الذئب المعروف بالخبث والمساوىء ليس الحياء من شيمته وانما شيمته القحة ، ولكن الحياء شيمة الاسد ، وذلك أن فى طبعه كرما وحياء فيقال ان من واجهه وأحد النظر فى وجهه استحيا منه ولم يفترسه ، والمعنى أن حياءهم ليس بمزربهم كما أنه لا يزرى بالاسد حياؤه، يصفهم بالاقدام مع فرط الحياء (١) يقول : انهم من الشجاعة والاقدام بحيث اذا مروا فى أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماحهم ولم يخافوا أهل تلك الناحية ، ثم قال والخوف خير من الود أى أن تخاف خير من أن تحب لان من أطاعك خوفا منك أبلغ طاعة ممن يطيعك مودة كما تقول العرب رهبوت خير من رحموت أى لأن ترهب خير من أن ترحم

(٢) حاد عن الشىء تباعد عنه وتجنبه . وتوفر على الشىء صرف همته إليه . يقول: إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك أى الذى عمله اللهو من طراد وشراب وما إليهما ، ويأتون من توفر على الجد وترك اللهو ، يعنى ابن العميد (٣) الاساود الافاعى يقول : من جعل اسم ابن العميد صاحبا له فى سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والاسود ، يعنى إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب اليه لم يتعرض له أحد هيبة له ورهبا . فالاساود والاسد مثل لمن تخشى غائلته (٤) الوحى السريع . والدرد جمع أدرد وهو الذى ذهبت أسنانه . هذا البيت مرتب على الطى والنشر وهو تقرير للبيت السابق . يقول : ان من يستصحب اسم ابن العميد لا يعمل فيه سم الافاعى السريع ولا أنياب الاسود حتى لكأنها درد (٥) يقول : ببركته أخصب الربيع وكثر قطره ورعده فاغنانا عن تجشم حداء الابل فى المسير اليه لان الرعد أغنى غناه

إذا ما استجبنَ الماءَ يَعرِضُ نفسَهُ ... كَرِعْنَ بِسِبْتٍ في إناءٍ منَ الوَرْدِ [(١)]

كأنَّا أرادتْ شُكرَنا الأرضُ عِندَهُ ... فلَمْ يُخْلِنا جوٌّ هَبَطْناهُ مِنْ رِفْدِ [(٢)]

لَنا مَذهَبُ العُبَّادِ في تَرْكِ غيرِهِ ... وإتيانِهِ نَبغي الرَّغائبَ بالزُّهْدِ [(٣)]

رَجَوْنا الَّذي يَرْجُونَ في كلِّ جَنَّةٍ ... بأَرْجانَ حتَّى مايَئِسْنا منَ الخُلْدِ [(٤)]

الحداء . فالعيس الابل . وكفانا العيس أى كفانا حداءها . والحداء سوق الابل بالغناء وقوله من بركاته — أى بركات الممدوح — تعليل لـكفى (١) كرعن شربن وأصله من ادخال أكارع الشاربة فى الماء للشرب . والسبت جلود البقر المدبوغة بالقرظ تحذى منه النعال السبتية . يقول : إذا مرت هذه الابل بالمياه التى غادرتها السيول فصارت لـكثرتها كأنها تعرض نفسها عليها فأجابتها الابل وأقبلت عليها للشرب كرعت منها بمشافر لينة كالسبت* وقد أحدق الورد — والمراد الزهر أيا كان — بذلك الماء فصار كأنه اناء له وقد روى البيت إذا ما استحين بدل إذا ما استجبن وكرعن بشيب بدل بسبت . واستحين من الحياء والشيب صوت مشافر الابل عند الشرب

(٢) الجو هنا ما اتسع من الاودية كما جاء فى قول طرفة

* خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِري *

والرفد العطاء . يقول : ان كل موضع نزلناه فى طريقنا إليه أصبنا به ماء وكلأ فكأن الارض أرادت أن نشكرها عنده تقربا إليه (٣) الرغائب جمع رغيبة — الامر المرغوب فيه . يقول : لنا فى ترك غيره من الملوك وقصدنا اليه مذهب الزهاد الذين يزهدون فى الدنيا لينالوا خيرا مما تركوا فى الآخرة ، وذلك لانا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه ، فنحن انما نطلب الرغائب عنده بزهدنا فى غيره (٤) أرجان هى ارجان بتشديد الراء بلد بفارس يقيم فيه ابن العميد ، وخفف الراء للضرورة . يقول : رجونا أن ننال لديه من النعيم ما يرجو العباد نيله فى جنة الخلد . وذلك أنه محقق رجاء من يرجوه ومن ثم نرجو ببلده ما يرجو العباد فى الجنان حتى كدنا لا نيأس من الخلود فيها لانها كالجنة التى هى دار الخلود

* هم يشبهون المشفر بالسبت فى لينه . قال طرفة بن العبد

وخَدٌّ كقرطاسِ الشآمي ومشفرٌ ... كسِبْتِ اليماني قَدُّهُ لم يُجَرَّدِ

تَعَرَّضُ لِلزُّوَّارِ أَعْنَاقُ خَيْلِهِ ... تَعَرُّضَ وَحْشٍ خائِفَاتٍ مِنَ الطَّرْدِ (١)

وَتَلْقَى نَوَاصِيهَا المَنَايَا مُشِيحَةً ... وُرُودَ قَطَاصُمٍّ تَشَايَحْنَ فِى وِرْدِ (٢)

وَتَنْسُبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نُفُوسَهَا ... إِلَيْهِ وَيَنْسُبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الهِنْدِ (٣)

إِذَا الشُّرَفَاءُ الْبِيضُ مَتُّوا بِقَتْوِهِ ... أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الأَبِ وَالْجَدِّ (٤)

---

(١) تعرض بحذف احدى التاءين أى تتعرض أى توليهم عرضها أى جنوبها والمعنى تعرض عنهم وتزور . يقول : ان خيله تزور عن زواره خوفا ونفارا كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد ، وذلك لانها تتوقع أن يهبها لهم وهى لاتبغى مفارقته. قال العكبرى : ليس فى هذا البيت حسن مدح ... ولو عكس المعنى وقال : ان خيله تفرح بالزوار كى يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقاة الحروب لكان أمدح (٢) المشيح الجد قال

* وضربى هامةَ البطلِ المشيحِ *

يقول : وتلقى خيله المنايا فى الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة فى الورود، وجعلها صما كى لاتسمع شيأ تتشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها والنواصى جمع ناصية شعر مقدم الرأس ،وتشايحن تسارعن. وقوله ورود مفعول مطلق لتلقى

(٣) يقول : ان أفعال سيوفه تنسب نفوسها اليه أى أنها حصلت بقوته وأيده ، وتنسب السيوف إلى الهند أى انها عملت فيها ، يعنى أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على أنها حصلت بكف الممدوح ، ودلت أيضا على أنها حصلت بسيف هندى ، أى انه اجتمع فيها قوة الضارب وجودة النصل .

(٤) البيض السادة من قوله فلان أبيض أى نقى العرض كريم . وفلان يمت إلى فلان بكذا يتقرب به إليه . والقتو الخدمة وقيل حسن خدمة الملوك والمقتوى الخادم والجمع مقتويون أو مقتوون قال عمرو بن كلثوم

تُهَدِّدُنا وَتُوعِدُنا رُوَيْداً ... مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينَا

يقول : إذا تقرب الاشراف اليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسبه الاب والجد ، أى أنهم يصيرون بخدمته أعز منهم بآبائهم وأمهاتهم

فتًى فاتَتِ العَدْوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنُهُ   فما أَرْمَدَتْ أجفانَهُ كَثْرَةُ الرُّمْدِ (١)

وَخالفَهُمْ خَلْقاً وَخُلْقاً وَمَوْضِعاً   فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَي بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدِي (٢)

يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي على العِدَى   بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةِ الجُنْدِ (٣)

إِذَا ارْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ   كَتَائِبَ لا يَرْدِي الصَّبَاحُ كما تَرْدِي (٤)

وَمَبْثُوثَةً لَا تُتَّقَى بِطَلِيعَةٍ   ولا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغَوْرٍ ولا نَجْدِ (٥)

يَغُصْنَ إِذَا ما عُدْنَ فِى مُتَفَاقِدٍ   مِنَ الكُثْرِ غَانٍ بِالعَبِيدِ عَنِ الحَشْدِ (٦)

---

(١)و(٢) يقول: إن عينه فاتت العدوى فلم يعدها رمد غيرها. وهذا مثل يعنى أنه تنزه عن عمي الناس عن دقائق الكرم فلم يعده هذا العمى النفسى أى لم تعده عيوب الناس على كثرتها. ثم قال — فى البيت الثانى — : هو أجمل من سائر الناس خلقا وأنبل خلقا ورتبة ، فهو أجل من أن يعديه الناس بشيء حتى يشاركهم فى خلالهم ، ومن أن يعديهم هو لانه شاَهم وفات طورهم إلى ماليس فى مكنتهم الوصول اليه من الأخلاق العالية النبيلة

(٣) يقول : إنه يغير على أعدائه ألوان الليالى فاذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة ببريق أسلحة جيوشه التى هى منشورة الرايات — أى الأعلام — منصورة الجند ، وإذا كانت الليالى مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع — الغبار — (٤) ردى يردى أسرع من ردت الخيل رديا ورديانا رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها . يقول : إن جيوشه إذا أتت الأعداء فى ديارهم قبل الصبح أسرعت اليهم إسراعا لا يسرعه الصبح فأتت عليهم — اهلكتهم — قبل أن ينبثق ضوؤه (٥) ومبثوثة عطف على كتائب . يقول : ورأوا خيلا متفرقة فى كل ناحية لا يستطيعون أن يتوقوها بالطلائع — وهى التى ترسل لتستطلع طلع العدو — لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم ، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الارض أو مرتفع منها ، (٦) يغصن أى خيله من الغوص . وقوله فى متفاقد أى فى جيش يفقد بعضه بعضا لكثرته كما قال الآخر

* بِجمعٍ تضلُّ البُلْقُ فى حُجُراته *

حَثَتْ كلُّ أَرْضٍ تُرْبَةً فى غُبَارِهِ　فَهُنَّ عليه كالطَّرَائقِ فى البُرْدِ (١)

فَإِنْ يكُنِ المَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ　فَهذَا وَإلاَّ فالْهُدَى ذَا فما المَهْدِى (٢)

يُعَلِّلُنَا هذا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ　وَيَخْدَعُ عمَّا فى يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ (٣)

هَلِ الْخَيْرُ شَىْءٌ لَيْسَ بالْخَيْرِ غائِبٌ

أَمِ الرُّشْدُ شَىْءٌ غائِبٌ لَيْسَ بالرُّشْدِ (٤)

فقوله من الكثر أى لاجل كثره أى كثرته. وغان أى مستغن . يقول : اذا عادت سراياه أوخيله إلى معسكره «العام» الذى بلغ من الكثرة وترامى الاطراف مبلغا يفقد فيه الشيء فلا يوجد ، والذى استغنى بعبيد الممدوح عن أن يحشد اليه الغرباء — إذا عادت اليه سراياه أوخيله غاصت وبانت ضآلتها بالقياس الى جمهرة المعسكر وتوافره ، يعنى ان هذه الجيوش المتكاثرة كلها عبيد الممدوح ليسوا أوباشا أخلاطا . وروى بدل يغصن يغضن من غاض الماء نقص يعنى ان هذه السرايا اذا تغلغلت فى سائر جيشه غابت فيه لكثرته كالماء إذا غاض فى الأرض (١) حثت اى ذرت وسفت وأطارت . وقوله فى غباره أى غبار المسدر المتفاقد . وهن أى الترب جمع التربة . والبرد الثوب المخطط . يقول : إن جيشه لبعد غزواته وكثرة أسفاره يمر بأمكنة مختلف ترابها فيثير نقع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير كخطوط البرد منها أسود ومنها أحمر ومنها أبيض ومنها أصفر . وهذا معنى حسن . (٢) المهدى هو الذى يظهر آخر الزمان ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما كما هو معروف لدى المسلمين على خلاف فى ذلك كما هو مبسوط فى مقدمة ابن خلدون فراجعها ان شئت . يقول: ان كان المهدى هو من ظهر سمته وصلاحه وهداه فهذا الذى نراه — أى الممدوح — هو المهدى الموعود وإن لم يكن هو الموعود فالذى نراه من تقواه وحسن سيرته هو الهدى كله ، فما معنى المهدى بعد هذا ؟ (٣) يعللنا أى يلهينا ويشاغلنا . والنقد خلاف الوعد أى العتيد الحاضر . يقول : ان الزمان يعدنا خروج المهدى فيعللنا بوعد طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد ، يريد ان الممدوح هو المهدى نقدا حاضرا وانتظار ظهوره خداع وتعليل (٤) الاستفهام هنا انكارى . وأم بمعنى بل التى للاضراب، يقول :لا ينبغى أن يظن ان الخير والرشد المنتظرين فى المهدى هما شيء اخر غير الخير والرشد الحاضرين

أَأَحزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكرَمَ ذِي يَدٍ وَأَشجَعَ ذِي قَلبٍ وَأَرحَمَ ذِي كَبِدِ (١)
وَأَحسَنَ مُعتَمٍّ جُلُوساً وَرِكبَةً عَلَى المِنبَرِ العالي أَوِ الفَرَسِ النَّهدِ (٢)
تَفَضَّلَتِ الأَيَّامُ بِالجَمعِ بَينَنا فَلَمَّا حَمِدنا لَم تُدِمنا عَلَى الحَمدِ (٣)
جَعَلنَ وَداعِي وَاحِداً لِثَلاثَةٍ جَمالِكَ وَالعِلمِ المُبَرِّحِ وَالمَجدِ (٤)
وَقَد كُنتُ أَدرَكتُ المُنى غَيرَ أَنَّني
يُعَيِّرُني أَهلي بِإِدراكِها وَحدي (٥)
وَكُلُّ شَريكٍ في السُّرُورِ بِمُصبَحي أَرى بَعدَهُ مَن لا يَرى مِثلَهُ بَعدي (٦)

لان الشيء لا يغاير نفسه ، وأذن فالخير والرشد ماثلان فى الممدوح ،وما ينتظر من المهدى ماثل فيه فلم لا يكون هو المهدى ؟

(١) و(٢) أأحزم نصب على أنه منادى مضاف وكذلك ما بعده . يقول : يا أحزم ذوى العقل وأكرم ذوى الايادى — النعم — وأشجع الشجعان وأرحم الراحمين وأحسن من تعمم — لبس العمامة — وجلس على المنبر ، وأحسن الناس ركوبا على الفرس النهد — الجسيم الحسن العالى — فقوله على المنبر العالى الخ من باب الطى والنشر .

(٣) يقول : حمدنا الايام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد لانها أحوجت إلى الرحيل والانصراف عنك،وقوله بالجمع بيننا تعظيم لنفسه لان معناه ان ابن العميد كان يحب الاجتماع معه كما كان المتنبي يحب ذلك (٤) يقول : إن الأيام جعلت وداعى لك وداعا لثلاثة أشياء هى جمالك والعلم المبرح والمجد ، وكل واحد منها يعز على فراقه . هذا ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبى الطيب إنما يستعمل التبريح فيما يشتد على الانسان يقال وجد مبرح مثلا فلعله من قولهم برح الخفاء أى انكشف أى العلم الذى يكشف عن الحقائق . . أو تقول المبرح فراقى إياه (٥) يقول : إنى أدركت عندك من الغنى والسعادة ونيل المراد ما كنت أتمناه ، ولكن إذ انفردت به واستأثرت دون أهلى ولم أرجع إليهم عيرونى بتلك الأثرة والانانية (٦) قوله بمصبحى متعلق بالسرور وهو مصدر بمعنى الاصباح . والضمير فى قوله بعده وفى يرى راجع لكل وفى مثله راجع لمن من قوله من لا يرى . يقول : كل من شاركنى فى السرور بأصباحى عنده حين أعود إليه

فَجُدْ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فإِنَّنِي مُخَلِّفُ قَلْبي عِنْدَ مَنْ فَضْلُهُ عِنْدِي[١]
وَلَوْ فارَقَتْ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتَهَا لَقُلْتُ أَصابَتْ غيرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ[٢]

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر
هزيمة وَهْشوذان

أَزَائِرٌ يَا خَيَالُ أَمْ عائِدْ أَمْ عِنْدَ مَوْلاكَ أَنَّنِي رَاقِدْ[٣]
لَيْسَ كما ظَنَّ غَشْيَةٌ عَرَضَتْ فَجِئْتَنِي في خِلالِهَا قاصِدْ[٤]
عُدْ وَأَعِدْهَا فَحَبَّذَا تَلَفٌ أَلْصَقَ ثَدْيِي بِثَدْيِكَ النَّاهِدْ[٥]

من أهلي وغيرهم ورأى ما أوتيته أرى منك اليوم يا ابن العميد بعدمفارقتى إياه إنسانا لايرى هو مثله لانه لا نظير لك فى الدنيا ، يعنى أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم هم به فانه مع هذا السرور لايزال منغصا لفراق ابن العميد لانه لايرى عندهم بعد عودته إليهم رجلا اخر مثله (١) يقول : إنى أفارقك وارتحل عنك وأخلف قلبي لديك لانك أغدقت على افضالك فأسرت قلبى وهذا معنى متداول يكاد يكون مبتذلا (٢) يقول : لو فارقت نفسى حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معى لقلت أنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد (٣) يقول : مخاطبا خيال المحبوب — : أزائرا جئتنى أيها الخيال أم عائدا ؟ أى أنى مريض من الحب فأنا خليق منك بالعيادة ، ثم قال : أم عند مولاك — أى صاحبك وهوالحبيب — الذىأرسلك إلى أنى راقد ؟ أى ام اعتقد مولاك انى راقد فأرسلك إلي على هذا الاعتقاد

(٤) قاصد حال سكنه للضرورة . يقول : ليس الأمر على ما ظن من أنى راقد حين زرتنى وإنما هى خشية — أى همدة لا رقدة — أدركتنى من الالم فجئتنى فى خلال تلك الغشية يريد أنه لم يكن نائما وإنما يزور الخيال النائم (٥) الناهد الشاخص يقول : عد أيها الخيال وأعد الغشية التى لحقتنى وان كان فيها تلفى ، فحبذا تلف يكون سببا لقربك ومعانقتك . قال الواحدى : وكان من حقه أن يقول للغشية عودى وأعيدى الخيال لان الغشية كانت سبب زيارة الخيال لا الخيال سبب لحاق الغشية ، ولكنه قلب الكلام فى غير موضع القلب . وهذا بديع من الواحدى

وَجُدْتَ فِيهِ بِمَا يَشِحُّ بِهِ ... مِنَ الشَّتِيتِ المُؤَشَّرِ البَارِدْ[1]

إِذَا خَيَالاتُهُ أَطَفْنَ بِنَا ... أَضْحَكَهُ أَنَّنِى لَهَا حَامِدْ[2]

وَقَالَ إِنْ كَانَ قَدْ قَضَى أَرَبًا ... مِنَّا فَمَا بَالُ شَوْقِهِ زَائِدْ[3]

لَا أَجْحَدُ الفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلَتْ ... مَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا وَلَا وَاعِدْ[4]

لَا تَعْرِفُ العَيْنُ فَرْقَ بَيْنِهِمَا ... كُلٌّ خَيَالٌ وِصَالُهُ نَافِدْ[5]

يَا طَفْلَةَ الكَفِّ عَبْلَةَ السَّاعِدْ ... عَلَى البَعِيرِ المُقَلَّدِ الوَاخِدْ[6]

زِيدِى أَذَى مُهْجَتِى أَزِدْكِ هَوًى ... فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدْ[7]

حَكَيْتَ يَا لَيْلُ فَرْعَهَا الوَارِدْ ... فَاحْكِ نَوَاهَا لِجَفْنِىَ السَّاهِدْ[8]

---

(١) ثغر شتيت مفرق مفلج ، والمؤشر الذى فيه اشر أى تحزيز . يقول : وحبذا هذا التلف الذى جدت فيه بما يضن به مولاك من تقبيل الثغر المفلج المحزز البارد الريق ، يريد أنه قبل الطيف وارتشف رضابه (٢) يقول: إذا ألمت بنا خيالات الحبيب وزارتنا فحمدت زيارتها أضحك الحبيب ذلك الحمد لأن الخيال فى الحقيقة ليس بشىء . (٣) الأرب الحاجة . يقول : وقال الحبيب اذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة الخيال فلم زاد شوقه الينا ؟

(٤) يقول : وعلى هذا لا أجحد فضل الخيالات لأنها فعلت من الزيارة ما لم يفعله الحبيب ولم يعد به فضلا أن يفعله (٥) نافد أى فان يقول : انه لا فرق بين الحبيب وبين خياله لان كلا منهما لا يدوم وصاله وإذا واصل لا يعتم أن يصرم فلا يبقى إلا خيالا

(٦) يخاطب حبيبته . والطفلة الناعمة الرخصة . والعبلة الممتلئة . والبعير المقلد أى الذى عليه قلائد أى من العهن ـــ الصوف ـــ والواخد أى المسرع (٧) يقول : ان أذاك مستحلى ـــ لان الحبيب ـ لو لى منه كل شىء يصدر عنه ، قال : زيدينى أذى أزدك هوى وحبا لان العاشق لا يحقد على محبوبه ، فان حقد عليه شيأ كان ذلك منه جهلا (٨) الوارد من الشعر الطويل المسترسل . والنوى البعد . والساهد الساهر . يقول : أشبهت يا ليل شعرها فى السواد ، فأشبه بعدها عنى أى ابعد عنى كما بعدت

طَالَ بُكَائِي على تذَكُّرِهَا	وَطُلْتَ حتَّى كِلَا كُمَا وَاحِدْ[1]
ما بالُ هَذِي النُّجُومِ حائِرَةً	كأَنَّهَا الْعُمْيُ ما لَهَا قائِدْ[2]
أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلوكِ نَاحِيَةٍ	أَبُو شُجَاعٍ عليْهِم وَاجِدْ[3]
إِنْ هَرَبُوا أُدْرِكُوا وَإِنْ وَقفُوا	خَشُوا ذَهابَ الطَّرِيفِ وَالتالِدْ[4]
فَهُمْ يُرَجُّونَ عفوَ مُقْتَدِرٍ	مُبَارَكِ الْوَجْهِ جائِدٍ مَاجِدْ[5]
أَبْلَجَ لو عاذَتِ الحَمَامُ بِهِ	ماخَشِيَتْ رَامِياً ولا صَائِدْ[6]
أَوْرَعَتِ الْوَحْشُ وَهْيَ تَذْكُرُهُ	مَارَاعَهَا حابِلٌ وَلاَ طَارِدْ[7]
تُهْدِي لهُ كلُّ ساعَةٍ خَبَراً	عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بائِدْ[8]

(١) يقول : طال بكائي لأجلها وطلت أيها الليل حتى كلاكما واحد في الطول . وروى ابن جني تذكره أي الفرع (٢) يقول : لم حارت النجوم فلا تسرى لتغيب كأنها العمى ليس لها من يقودها ؟ يريد طول الليل وأن النجوم كأنها واقفة . وهذا من قول بشار

وَالنَّجْمُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ

(٣) أو عصبة عطف على العمى. وواجد غضبان . يقول : أو كأنها جماعة من ملوك النواحي قد غضب عليهم أبو شجاع فبقوا حيارى رهبة وفرقا ، وفي هذا البيت من البديع حسن التخلص (٤) الطريف المكتسب . والتالد الموروث. يقول :ـ ذاكرا سبب تحيرهم ـــ : انهم لا يجدون منه ملجأ لا بالهرب ـــ لانهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم ـــ ولا بالاقامة ـــ لانهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبقى على شيء

(٥) يقول : ان هؤلاء ملوك النواحي يرجون عفو هذا الملك المبارك ذي الجود والمجد

(٦) و (٧) الأبلج المشرق الوجه . وعاذت لجأت . وراعها أفزعها . والحابل الذى ينصب الحبالة وهي الشرك . يقول : انه عزيز الجانب مهيب، من لجأ اليه أو استأمن ذراه أمن حتى الطير والوحش (٨) يقول : لا تمر ساعة الا وتهدى اليه خبرا عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه ، يعني تتابع أخبار فتوحه لكثرة

وَمُوضِعاً فى فِتَانٍ ناجيةٍ يَحْمِلُ فى التَّاجِ هَامَةَ العَاقِدْ(١)
يَا عَضُداً رَبُّهُ بِهِ العَاضِدْ وَسَارِياً يَبْعَثُ القَطَا الهَاجِدْ(٢)
وَمُمْطِرَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ مَعاً وَأَنْتَ لا بَارِقٌ وَلا رَاعِدْ(٣)
نِلْتَ وَمَا نِلْتَ مِنْ مَضَرَّةِ وَهْـــشُوذَانَ مَانَالَ رَأْيُهُ الفَاسِدْ(٤)
يَبْدَأُ مِنْ كَيْدِهِ بِغَايَتِهِ وَإِنَّمَا الحَرْبُ غَايَةُ الكَائِدْ(٥)

سراياه إلى النواحى (١) وموضعا عطف على خبرا فى البيت السابق ، والموضع المسرع فى سيره . والفتان غشاء للرحل من أدم . والناجية الناقة السريعة . والهامة الرأس . والعاقد عاقد التاج . يقول : وتهدى له كل ساعة رسولا مسرعا يبشره بقتل عدو وفتح ناحية وأخذ ملك ذى تاج يحمل اليه رأسه وتاجه . وكان قد ورد الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشوذان بعد الكرة الاولى وضربت الدبادب * على باب عضد الدولة وهذا ما يشير اليه المتنبى (٢) العاضد المعين أى يا عضد الدولة الذى يعضدها الله سبحانه به ، ثم قال : ويا من تسرى فتقطع الصحارى بجيوشك فتثير القطا عن أفاحيصها وهي نائمة ، يريد كثرة غاراته وسيره إلى الاعداء ليلا (٣) يقال برقت السماء ورعدت وأبرقت وأرعدت . يقول : أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيى أولياءك بالبذل والاحسان فكأنك سحاب يمطر الموت والحياة غير أنه لا برق لك ولا رعد (٤) وهشوذان هو ملك الديلم، يضعف رأيه بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة يقول : نلت منه وألحقت به من المضرة ما أردت ولم تنل منه ما نال رأيه الفاسد . وهذا من قبيل قوله

مَا يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقد ذكر فساد رأيه فى البيت التالى (٥) يقول : انه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره أى الحرب لأن الحرب لايلجأ اليها إلا إذا لم تجد الوسائل يعنى أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم حتى يضطر إلى ذلك

---

* الدبادب الطبول وأصل الدبدبة الصياح والجلبة

مَاذَا عَلَى مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ ... فَذَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَتَى وَافِدْ (١)

بِلاَ سِلاَحٍ سِوَى رَجَائِكُمُ ... فَفَازَ بِالنَّصْرِ وَانْثَنَى رَاشِدْ (٢)

يُقَارِعُ الدَّهْرُ مَنْ يُقَارِعُكُمْ ... عَلَى مَكَانِ المَسُودِ وَالسَّائِدْ (٣)

وَلِيتَ يَوْمَيْ فَنَاءِ عَسْكَرِهِ ... وَلَمْ تَكُنْ دَانِيًا وَلاَ شَاهِدْ (٤)

وَلَمْ يَغِبْ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ ... جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدُّهُ الصَّاعِدْ (٥)

وَكُلُّ خَطِّيَّةٍ مُثَقَّفَةٍ ... يَهُزُّهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدْ (٦)

سَوَافِكٌ مَا يَدَعْنَ فَاصِلَةً ... بَيْنَ طَرِيِّ الدِّمَاءِ وَالجَاسِدْ (٧)

---

(١) (٢) الوافد الذى يفد طلبا للعطاء . يقول : الذى أتاكم محاربا ثم ذم مااختاره من حربكم لاخفاقه ماذا كان عليه لو جاءكم سائلا واستعان عليكم بالرجاء بدل السلاح ؟ انه لو فعل ذلك لفاز ورجع غانما راشدا (٣) يقارع يحارب من المقارعة بالسلاح . والمسود الذى ساده غيره والسائد الذى ساد غيره . يقول : من يحاربكم ويتمرد عليكم يحاربه الدهر على مقداره رئيسا كان أو مرؤسا . وفى هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب — قال العكبرى : كتبت جارية إلى مولاها — وقد باعها ، وكانت تهواه : وهب الله لطرف يشكو اليك الشوق حظا من رؤيتك . فما أشبه ابعاد الدهر لى عنك إلا بقول محمد بن وهيب

وَحَارَبَنِي فِيهِ رَيْبُ الزَّمَانِ ... كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقُ

(٤) يقول : توليت اليومين اللذين انهزم فيهما عسكر وهشوذان حتى فنى العسكر وأنت لم تحضر القتال فى الموقعتين بنفسك ولم تكن قريبا منهما ، يعنى أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائبا لأن سعدك ناب عنك فى قتالهم كما قال فى البيت التالى (٥) يقول : وان لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان جيش أبيك وحظك الصاعد فى مراقى السعد (٦) وكل عطف على جيش فى البيت السابق والخطية المثقفة الرماح المقومة المستوية . والمارد الذى لا يطاق خبثا وعتوا . يقول : وكان خليفتك فى القتال الرماح المقومة يهزها رجل مارد على فرس مارد أو على رجل مارد مثله . وهذا تفصيل بعد اجمال لان هؤلاء كانوا من جيش أبيه وقد ذكرهم (٧) سوافك خبر مبتدا محذوف تقديره :

إِذَا الْمَنَايَا بَدَتْ فَدَعْوَتُهَا ... أُبْدِلَ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدْ[1]

إذا دَرَى الحِصْنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا ... خَرَّ لَهَا فِي أَسَاسِهِ سَاجِدْ[2]

ما كَانَتِ الطِّرْمُ فِي عَجَاجَتِهَا ... إِلَّا بَعِيرًا أَضَلَّهُ نَاشِدْ[3]

تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ ... قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةً شَارِدْ[4]

تَسْتَوْحِشُ الْأَرْضُ أَنْ تُقِرَّ بِهِ ... فَكُلُّهَا مُنْكِرٌ لَهُ جَاحِدْ[5]

هي — الحطية — سوافك الخ والجاسد اللازق الذي قد جف . يقول : هذه الرماح سوافك إذا أراقت دما لجف أردفته دما طريا دون أن تفصل بينهما — فقوله ما يدعن فاصلة أي من غير فصل بينهما وقال ابن جني : أي ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلنه دما . وهذا معنى بعيد

(١) الحائد نائب فاعل أبدل وجملة ابدل الخ خبر دعوتها . يقول : إذا ظهرت المنايا وكشرت عن نابها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد — الذي ذلى الحياد وخام عن القتال — من جيش عضد الدولة حائنا أي هالكا والمعنى : أن عسكر عضد الدولة يقولون لدى الوغى جعل الله الحائد منا هالكا (٢) الضمير في بها للخيل وإن لم يتقدم لها ذكر لدلالة القرائن . يقول : إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذي رماه بالخيل سقط ساجدا وانقضت حيطانه لهاهيبة له (٣) الطرم قلاع وهشوذان . والعجاجة واحدة العجاج الغبار . وفلان ينشد ضالته يطلبها . يقول : إن الطرم كانت في غبار الخيل كأنها بعير أضله طالبه فهو ينشده ، أي أن العجاج أحاط بها لكثرته حتى غابت فيه وخفيت عن الانظار (٤) تسأل أي الطرم — قلاع وهشوذان — أو الخيل . يقول: تسأل الطرم أهل القلاع عن وهشوذان وهو قد مسخته الخيل نعامة شرودا ، يعني أنه أسرع في الهرب كالنعامة عند إقبال خيلك خوفا ورعبا . والنعامة تقع على الذكر والانثى كالبقرة والبطة والحمامة ومن ثم وصفها بالشارد (٥) يقول : تخاف الارض أن تقربه أي تعترف بموضعه منها فنطأها خيلك ، فكل موضع ينكره ويجحد أنه رآه . يريد شدة إمعانه في الهرب وتواريه حتى لا يهتدي أحد إلى مكانه . وقد روى بدل منكر آنه بالمد وكسر النون يقال أنه يأنه أنهاً وأنوهاً إذا تزحر من ثقل يجده

فَلا مُشادٌ ولا مُشيدٌ حَمَى وَلا مَشيدٌ أغنَى ولا شائِدْ (١)

فاغْتَظْ بِقَوْمٍ وَهْشُوذَ ماخُلِقُوا الاَّ لِغَيْظِ العَدُوِّ والحاسِدْ (٢)

رَأَوْكَ لمَّا بَلَوْكَ نابِتَةً يَأْكُلُها قبلَ أَهْلِهِ الرَّائِدْ (٣)

وَخَلِّ زِيًا لِمَنْ يُحَقِّقُهُ ما كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عابِدْ (٤)

انْ كانَ لمْ يَعْمِدِ الأَميرُ لِمَا لَقِيتَ منه فَيُمْنُهُ عَامِدْ (٥)

يُقْلِقُهُ الصُّبْحُ لايَرَى مَعَهُ بُشْرَى بِفَتْحٍ كأَنَّهُ فاقِدْ (٦)

وَالأَمْرُ لِلّهِ رُبَّ مُجْتَهِدٍ ماخابَ الاَّ لأَنَّهُ جاهِدْ (٧)

---

(١) المشاد البناء المرفوع المطول والمشيد المعلى للبناء وحمى يروى على انه فعل ماض. ويروى مضافا للمشيد فيكون اسما للمكان المحمى .والمشيد المطلى بالشيد وهو الجص أو الكلس. والشائد فاعل منه . يقول : لم يحم وهشوذان البناء ولا البانى من بطش عضد الدولة ،أى لم تغن عنه قلعته ولا جنده (٢) وهشوذ ترخيم وهشوذان . يقول : كن أبدا مغتاظا بقوم لم يخلقوا إلا غيظا للأعداء والحساد ، يعنى قوم عضد الدولة (٣) الرائد الذى يرسل فى طلب الكلأ ،يقول : إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقلة بمنزلة نبات يرعاه الرائد قبل جماعة الخيل . يعنى أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشوذان والظفر به وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة لأنها رأته من الضعف بحيث لا يستأهل مسير احدها. فالضمير فى اهله للرائد (٤) وخل عطف على اغتظ. يقول : ان زى الملوكية لايليق بك فاتركه لمن هو أحق به منك فليس كل من تزيا بزى الملوك ملكا كما أنه ليس كل من دمى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود. (٥) يقول : ان كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحل بك مالقيت منه فان يمنه قصدك أى فأنت قتيل سعده واقباله ان لم تكن قتيل سلاحه (٦) يقول : اذا اصبح ولم يرد عليه من يبشر بفتح قلق كانه فقد شيئا ، وقال ابن جنى : معنى كأنه فاقد أى كأنه امرأة فقدت ولدها .قوله لايرى معه جملة حالية من الصبح

(٧) يقول : ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد ، فقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد . يريد انه ما أهلكه إلا اجتهاده فى طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم ، فصار

وَمُتَّقٍ وَالسِّهَامُ مُرْسَلَةٌ ... يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إلى صَارِدْ (١)

فَلاَ يُبَلْ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ ... أَقَائِمًا نَالَ ذَاكَ أَمْ قَاعِدْ (٢)

لَيْتَ ثَنَائِى الَّذِى أَصُوغُ فِدَى ... مَنْ صِيغَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدْ (٣)

لَوَيْتُهُ دُمْلُجًا على عَضُدٍ ... لِدَوْلَةٍ رُكْنُهَا لَه وَالِدْ (٤)

وقال فى صباه

وَشَادِنٍ رُوحُ مَنْ يَهْوَاهُ فى يَدِهِ ... سَيْفُ الصُّدُودِ على أَعْلَى مُقَلَّدِهِ (٥)

اجتهاده سبب فشله وخيبته لأن الامر لله لا للمجتهد قال عبد الله بن المعتز : تذل الاشياء للتقدير ، حتى يصير الهلاك فى التدبير . (١) ومتق عطف على مجتهد . والحابض خلاف الصارد يقال حبض السهم إذا وقع بين يدى الرامى لضعف الرمى والصارد السهم النافذ فى الرمية والبيت فى معنى الذى سبقه . يقول : ورب متق خائف على نفسه من السهام إذا رميت فيهرب من سهم لاينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه

(٢) يقول : من قتل عدوه فلا يبالى أقتله قائما أم قاعدا ، يعنى أنه مادام الغرض هو قتل العدو فاذا كفيته بغيرك وأنت قاعد فليس ذلك بذى بال أى ليس بمهم أن تقتله بنفسك قال الواحدى كان حقه أن يقول لايبال بحذف الياء الاخيرة للجزم ولكنه قاس على قولهم لا تبل بمعنى لا تبال وانما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ولم يكثر استعمالهم لا يبل فيجوز فيه ما جاز فى غيره (٣) يقول : إن هذا الشعر الذى أصوغه فى الثناء على الممدوح هو باق مخلد فى الكتب ، فليته فدى الذى عمل فيه — أى الممدوح — حتى لا يهلك ويبقى خالدا (٤) الدملج مايلبس من الحلى فى العضد . يقول : جعلت مديحى حلية له كما يحلى العضد بالدملج ، وهو عضد لدولة ركن تلك الدولة والده ، أى أنهما ملاك الدولة وقوامها فهو عضدها وابوه ركنها . وسمى شعره دملجا لذكر العضد (٥) الشادن الظبى يقوى ويطلع قرناه ويستغنى عن أمه . والمقلد فى الاصل العنق لانه موضع القلادة والمراد هنا موضع تقليد السيف . يقول : انه يقتل بصدوده فكأنه تقلد سيفا من الصدود (هذا) وقد جعل الواحدى — وتبعه العكبرى — صدر هذا البيت قوله

مااهتزَّ منهُ على عضوٍ ليبترَهُ ... إلّا اتقاهُ بترسٍ من تجلُّدِهِ (١)

ذمُّ الزمانِ إليهِ من أحبتِهِ ... ماذمَّ من بدرِهِ فى حمدِ أحمدِهِ (٢)

شمسٌ إذا الشمسُ لاقتهُ على فرسٍ ... تردَّدَ النورُ فيها من تردُّدِهِ (٣)

إن يقبحِ الحسنُ إلّا عندَ طلعتِهِ ... فالعبدُ يقبحُ إلّا عندَ سيِّدِهِ (٤)

* سيفُ الصدودِ على أعلى مقلدِهِ *

أما العجز فقالا انه لم يحفظ فقال قوم هو

* بكفِّ أهيفَ ذى مطلٍ بموعِدِهِ *

وقال آخرون هو

* يفرى طُلَى وامقيه فى تجرده *

أما الرواية التى أثبتناها فهى رواية ابن القطاع . (١) يقول : لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره ، يعنى . إنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر (٢) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت وأوجه المعانى أن تقول يقول المتنبى : إن الزمان ذم إلى المتنبى من أحبة المتنبى العاب الذى ذمه المتنبى من بدر الزمان عند حمده هذا الرجل المسمى أحمد ، وذلك العاب هو النقص والتغير فى مودة الاحبة وفى القمر بالنسبة إلى الممدوح — فأحبته يجفونه ويصدون عنه والبدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا . فالضمير فى بدره وأحمده للزمان وسائر الضمائر للعاشق — أى المتنبى (٣) يقول : هو شمس إذا رأته الشمس وهو يجول فى ميدانه على فرس مترددا تردد نوره فى هيولى الشمس لانه أضوأ منها فالشمس تستفيد منه النور (٤) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين إن المعنى : هو مولى الحسن والحسن فى كل أحد قبيح الا فى طلعته كالعبد لا يحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه . وقال اليازجى . إن قوله يقبح فى عجز البيت خطأ فى الرواية والصواب يحسن فتكون إن نافية والمعنى : ان الحسن فى غير هذا الممدوح لا يظهر قبيحا الا عند مقابلته بطلعته لما فيها من الكمال وفى غيرها من النقص ، فكل ذى حسن انما يستحسن عند انفراده عنه كما ان العبد انما يستحسن عند انفراده عن سيده فاذا قوبل به ظهر قبيحا بالنسبة اليه . . . وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية

قَالَتْ عَنِ الرِّفْدِ طِبْ نَفْساً فَقُلْتُ لَهَا
لاَ يَصْدُرُ الْحُرُّ إِلاَّ بَعْدَ مَوْرِدِهِ (١)
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلاَّ مُذْ عَرَفْتُ فَتًى
لَمْ يُولَدِ الْجُودُ إِلاَّ عِنْدَ مَوْلِدِهِ
نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ … لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرَدِهِ (٢)

وقال يمدح مساور بن محمد الرومى

أَمُسَاوِرٌ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هٰذَا … أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَقْدُمُ الأُسْتَاذَا (٣)
شِمْ مَا انْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ ذُبَابَهُ … قِطَعاً وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُذَاذَا (٤)
هَبْكَ ابْنَ يَزْدَاذٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ … أَتَرَى الْوَرَى أَضْحَوْا بَنِي يَزْدَاذَ (٥)
غَادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ بِحَيْثُ لَقِيتَهُمْ … أَقْفَاءَهُمْ وَكُبُودَهُمْ أَفْلاَذَا (٦)

---

(١) يقول : قالت العاذلة طب نفسا عن الرفد ــ العطاء ــ أى دعه ولا تطلبه فانه غير مبذول . فقلت لها ان الحر اذا قصد أمرا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه . أى لابد لى من بلوغ ما أطلب (٢) الضمير فى كهله وأمرده للدهر والنهى جمع نهية العقل . يقول : ان نفسه في عظمها وكبرها تصغر نفس الدهر الذى هو مجمع الخير والشر (٣) قرن الشمس أول ما يبدو منها . وقدم يقدم إذا تقدم قال تعالى يقدم قومه . والوزير عندهم يسمى الاستاذ . شبهه فى حسنه بقرن الشمس وفى شجاعته بليث الغاب وكان يتقدم الوزير (٤) يقول : اغمد سيفك الذى سللته من الغمد فقد فللت حد طرفه بكثرة استعمالك اياه ، وقد ترك سيفك الناس قطعا . فشم أمر من شام السيف اذا أغمده . وانتضاه استله . وذباب السيف حده . والجذاذ جمع جذاذة وهى القطعة المكسورة (٥) يقول : أحسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه افتظن الناس كلهم أعداء لك مثل بنى يزداذ فتعاملهم معاملتك اياهم وتحاول أن تفنيهم جميعا . فابن يزداذ مفعول حطمت . وهو لاينصرف للعجمة ولكنه صرفه للضرورة
(٦) يذكر مافعله بهم يقول : انك هزمتهم فى الموضع الذى لقيتهم فيه فولوك اقفاءهم

فى مَوْقِفٍ وقفَ الحِمَامُ عليهِم ... فى ضَنْكِهِ واسْتَحْوَذَ استحواذا (١)

جَمَدَتْ نُفُوسُهُمُ فلمّا جئتَها ... أَجْرَيْتَها وسَقَيْتَها الفُولاذا (٢)

لمّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا ... فى جَوْشَنٍ وَاخَا أَبِيكَ مُعَاذا (٣)

أَعْجَلْتَ أَلْسُنَهُمْ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ ... عَنْ قَوْلِهِمْ لافارِسٌ إِلاَّ ذَا (٤)

غِرٌّ طَلَعْتَ عَلَيْهِ طِلْعَةَ عارِضٍ ... مَطَرَ المَنَايَا وَابِلاً وَرَذَاذَا (٥)

فَغَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَلْتَ ثِيَابَهُ ... بِدَمٍ وَبَلَّ بِبَوْلِهِ الأَفْخَاذا (٦)

حتى قامت مقام وجوههم فى استقبالك ، وتركت أكبادهم قطعا صغارا . فقوله غادرت فعل وفاعل وأوجههم مفعول أول وأقفاءهم مفعول ثان وقوله وكبودهم أى وغادرت كبودهم أفلاذا ، والأفلاذ جمع فلذ القطعة من الكبد (١) يقول: كان هذا الفعل منك فى معركة ضيقة وقف الموت عليهم فحبسهم فى ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعا . فالحمام الموت والضنك الضيق والضمير فى ضنكه لموقف . واستحوذ استولى .

(٢) الفولاذ من الحديد معروف وهو مصاص الحديد المنقى من خبثه — دخيل . قال ابن جنى يعنى : قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالشيء الجامد ثم قال المتنبى فلما جئتها أجريتها — : أى أجريت نفوسهم أى أسلت دماءهم على سيوفك فكأنك جعلتها سقيا لها كما يسقى الفولاذ الماء . وهذا أقرب التأويلات .

(٣) الجوشن الدرع . يقول لما رأوك رأوا أباك وعمك لأنك تشبههما ، فلصحة شبهك بهما كأنهم رأوهما (٤) يقول : لما رأوك ورأوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لا فارس الا هذا لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول ، أى لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك قريع دهرك وأوحده (٥) غر اى هو — ابن يزداذ — غر والغر الغافل . والعارض السحاب المعترض فى الأفق . والوابل المطر الشديد . والرذاذ الخفيف . يقول : كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب ، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحا وأسرا (٦) يريد أنه تلطخ بالدم والبول جميعا

سَدَّتْ عليهِ المَشْرَفِيَّةُ طُرْقَهُ ... فانْصَاعَ لا حَلَباً وَلا بَغْدَاذا[1]
طَلَبَ الإِمارَةَ في الثغورِ وَنَشْؤُهُ ... مابَيْنَ كَرْخايَا إلى كَلْوَاذَا[2]
فكأنَّهُ حَسِبَ الأَسِنَّةَ حُلْوَةً ... أَوْظَنَّها البَرْنِيَّ وَالآزَاذَا[3]
لمْ يلْقَ قبلكَ مَنْ إذا اختلفَ القَنا ... جَعَلَ الطِّعَانَ منَ الطِّعَانِ مَلاذَا[4]
مَنْ لا تُوافِقُهُ الحياةُ وَطِيبُها ... حتَّى يُوافِقَ عَزْمُهُ الإِنفاذا[5]
مُتَعَوِّداً لُبْسَ الدُّرُوعِ يخالُها ... في البَرْدِ خَزًّا وَالهَوَاجِرِ لاَذَا[6]

(١) المشرفية السيوف المنسوبة الى مشارف اليمن وهي قرى هناك تعمل بها السيوف . وانصاع انثنى.وبغداذ لغة في بغداد . يقول : انهزم وتلدد في أمره فلم يقصد الشام ولا العراق لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق (٢) كرخايا وكلواذا قريتان بسوادالعراق . يقول : حاول أن يكون أميراً على الثغور وهو انما نشأ في سواد العراق أي أنه لا يصلح لما طلب لأنه سوادي خسيس (٣) البرني والآزاذ نوعان من التمر كثيران بالعراق . يقول : انه تعود أكل الرطب والتمر وليس هو من أهل الطعان والحرب فكأنه ظن الحرب تمراً يأكله

(٤) يقول : لم يلق قبلك رجلا اذا اختلفت الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان ولم يلجأ إلا إلى النزال لاقدامه وحفاظه وعلمه أنه لا يحمى حقيقته إلا بالطعان كما قال الحصين بن الحمام

تأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

(٥) من في موضع نصب بدل من من الاولى . يقول : أنه لا يلتذ طعم الحياة إلا اذا أمضى عزمه فأنفذه ، أي ان طيب عيشه في انفاذ عزمه (٦) الخز ثياب غليظة تعمل من الحرير . واللاذ ثوب رقيق من الكتان ، والهواجر جمع هاجرة ، وهي وقت شدة الحر في نهار الصيف يقول : لم يلق قبلك إنسانا متعوداً لبس الدروع يظنها في صبارة البرد خزا يقيه البرد ، وفي حمارة القيظ لاذا يلاذ به من الحر . فقوله متعوداً نعت لمن على أنها نكرة . «هذا» وفي البيت عطف على معمولي عاملين مختلفين لأن

أَعْجِبْ بِأَخْذِكَهُ وَأَعْجَبُ مِنْكُمَا ... أَنْ لا تَكُونَ لِمِثْلِهِ أَخَّاذا (١)

(قافية الراء)

وقال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحُلُّهُ النُّوَّارُ ... وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ المِقْدَارُ (٢)

وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلامَةٌ ... حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ (٣)

وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تُحَاوِلُ فِي الْعِدَى ... حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ (٤)

وَصَدَرْتَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عَنْ مَوْرِدٍ ... مَرْفُوعَةً لِقُدُومِكَ الأَبْصَارُ (٥)

الهواجر معطوفة على البرد ولاذا عطف على خزا وإنما جوزه كون عامل أولها جارا وأنشدوا على جوازه قول الشاعر

أَكلَّ امْرِىءٍ تَحْسَبِينَ امْرأً ... وَنَارٍ تَأَجَّجُ بِاللَّيْلِ نَارا

(١) يقول : ما أعجب أخذك إياه فى قوته وعدده ! وأعجب من ذلك لو لم تأخذه لأنك مظفر منصور على أعدائك لا يفلت منك أحد تقصده (٢) يدعوله يقول : سر واذهب لطيتك حل النوار — الزهر الابيض — حيث تحل ، أى سقى الله المواضع التى تحلها حتى ينبت فيها الزهر ، فجعل نبات الزهر كناية عن السقى . ثم قال : ووافقك المقدار — قضاء الله وقدره — على ما تريده من المطالب فأعانك على بلوغه (٣) الديمة المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد والمدرار الدائم الدر أى السيلان . يقول : شيعتك السلامة أى صحبتك حيث كنت ، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتخصب

(٤) يقول : وأراك الدهر ما تريده فى أعدائك من الظفر بهم حتى كأن حوادثه أعوان لك على ما تريد (٥) الاصدار الانثناء عن الماء والورود ورود الماء . يقول : وردك الله علينا وأنت أغنم آيب تتطلع إليك أبصار من خلفتهم مشرئبة شوقا إلى رؤيتك وهذه الابيات كلها فى معنى الدعاء

أَنْتَ الَّذِي بَجِحَ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ ... وَتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ الأَسْمَارُ (١)

وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ ... وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الأَعْمَارُ (٢)

وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبٌ ... دَرُّ الْمُلُوكِ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ (٣)

لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا تَخَافُ مِنَ الرَّدَى ... وَتَخَافُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ الْعَارُ (٤)

وَتَحِيدُ عَنْ طَبَعِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِ ... وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَّارُ (٥)

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَى الأَعِزَّةِ جَارُهُ ... وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الْجَبَّارُ (٦)

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ ... دُونَ اللِّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ (٧)

---

(١) بجح فرح وفخر. والسمر حديث الليل. يقول: يبتهج الزمان مفتخراً إذا ما ذكرت في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأسمار بالحديث عنك (٢) يقول: إذا غضب وتغير عن حال الرضى عاقب بالهلاك والفناء وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل فكانت الأعمار عطاء منه ونوالا (٣) الدر اللبن. والاغبار جمع غبر بضم الغين بقية اللبن في الضرع. يقول: إن عطاياه تعد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير (٤) لله قلبك تعجب كقولهم لله درك يقول: إن قلبك الالهي لايتوقى الهلاك ولكنه يتوقى أن يدانيك شيء فيه عار (٥) تحيد تعدل. والطبع الدنس. والخلائق الاخلاق. والجحفل الجيش الكثير. والجرار الثقيل السير الذي لايقدر على السير إلا رويداً لكثرته. يقول: تتنكب كل شيء يدنس الاخلاق من المآثم وما إليه ويتنكبك الجيش الكثير اتقاء بأسك، فأنت هارب من وجه مهروب عنه من وجه. وهذا ينظر إلى قول البحتري.

وَأَجْبَنَ عَنْ تَعْرِيضِ عِرْضٍ لِجَاهِلٍ ... وَإِنْ كُنْتَ بِالإِقْدَامِ أَطْعَنَ فِي الصَّفِّ

(٦) يقول: إن جاره الذليل يعز على الاعزة فلا يقدرون أن ينالوه بسوء، والمتكبر العاتي العظيم يصير ذليلا لديه إذا غضب (٧) التنوفة الفلاة المترامية الأطراف. ويشط

وَبِدُونِ ماأَنامِنْ وِدادِكَ مُضْمِرٌ ... يُنْضَى المَطِيُّ وَيَقْرُبُ المُسْتارُ(١)

إِنَّ الَّذى خَلَّفْتُ خَلْفِى ضَائِعٌ ... مالِى على قَلَقِى إِلَيْهِ خِيَارُ(٢)

وَإِذَاصُحِبْتَ فَكُلُّ ماءٍ مَشْرَبٌ ... لَوْلاَ العِيَالُ وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ(٣)

إِذْنُ الأَمِيرِ بِأَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمِ ... صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهاالأَشْعارُ(٤)

وخيره بين فرسين دهماء وكُمَيت فقال

إِخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يا مَطَرُ ... وَمَنْ لهُ فى الفَضَائِلِ الخِيَرُ(٥)

وَرُبَّمــا فَالَتِ العُيُونُ وَقدْ ... يَصْدُقُ فيها وَيَكْذِبُ النَّظَرُ(٦)

يبعد . يقول : كن حيث شئت من الارض فما يمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولايبعدعلينا مزارك ، وفى هذا نظر إلى قول القائل

قَرِيبٌ عَلَى المُشْتاقِ أَوْ ذِى صبابةٍ ... وَأَمَّا عَلَى الكَسلانِ فَهْوَ بَعيدُ

(١) المستار مفتعل من السير . يقول : بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة فكيف ومودتى إليك كثيرة متوافرة (٢) يقول : إن من خلفته ورائى من أهلى ضائع بخروجى من عنده ، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقى واشتياقى إليهم ، ولا اختيار لى فى إيثارك عليهم ، فأنا مضطر إلى ذلك لانك قيدتنى باحسانك

(٣) يقول : إذا صحبتك طاب لى كل ماء ووافقتنى كل أرض حتى كأنها دارى لولا من خلفت من العيال (٤) يقول : إن إذنك لى بالعود إلى عيالى عطية منك أشكرها لك فى شعرى . وهذا كقول المهلبى

فَهَلْ لَكَ فِى الإِذْنِ لِى رَاضِياً ... فإِنِّى أَرَى الإِذْنَ غُنْماً كَثيرا

(٥) قوله دهماءتين أى الدهماء من هاتين فتين بمعنى هاتين وتا بمعنى هذه وتثنيتها تان وقوله يا مطر أى يا شبيه المطر فى الجود ، وقوله ومن له أى ويا من له الاختيار فى الفضائل فيختار منها ما يستحسن . فالخير جمع خيرة إسم من الاختيار (٦) يقال فال رأيه يفيل فيلولة أخطأ وضعف فقوله فالت العيون أى أخطأت . يقول : إنى اخترت الدهماء ولكن ربما كنت مخطئا فى الاختيار فان النظر قد يصدق فى العيون فتصيب وقد يكذب فتخطىء

أَنْتَ الَّذِى لَوْ يُعابُ فِى مَلَأٍ ۞ مَا عِيبَ إِلاَّ لِأَنَّهُ بَشَرُ (١)

وَأَنَّ إِعْطَاءَهُ الصَّوَارِمُ وَالْـ ۞ ـخَيْلُ وَسُمْرُ الرِّمَاحِ وَالْعَكَرُ (٢)

فَاضِحُ أَعْدَائِهِ كَأَنَّهُمُ ۞ لَهُ يَقِلُّونَ كُلَّمَا كَثُرُوا (٣)

أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ سِهَامِهِمِ ۞ وَمُخْطِئٌ مَنْ رَمِيُّهُ الْقَمَرُ (٤)

وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للعباس

ابن الأحنف يسأله إجازتهما فقال*

---

(١) يقول : ليس فيك من عيب ، ولا تعاب إلا بكونك بشراً ، أى أنت أجل قدرا من أن تكون بشراً آدميا لان ما فيك من الفضائل لايكون فى بشر . والملأ جماعة القوم (٢) أعطاءه مصدر وضع موضع العطاء الذى هو الاسم . والعكر جمع عكرة القطيع الضخم من الابل . يقول : إنهم لو عابوك ما عابوك إلا بسخائك وإسرافك فى هذا السخاء ، يعنى أنهم لايعيبونك إلا بما لاعيب فيه . وهذا من قبيل قول النابغة

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنَّ سيوفَهم ۞ بِهِنَّ فلولٌ منْ قِراعِ الكتائب

وقول عبد الله بن قيس الرقيات

مَا نَقِموا مِنْ بني أُمَيَّةَ إلاّ ۞ أَنّهم يَحْلُمونَ إن غَضِبُوا

(٣) يقول : إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتخلفهم عنه وتوافر فضائله ، فاذا قيسوا به واضيفوا إليه قلوا دقة وحقارة وإن كانوا كثيرين عددا وكمية وهذا معنى دقيق بديع (٤) يدعو له أن يحفظه الله من سهام الاعداء ، ويحتمل أن يكون خبرا لقوله ومخطىء من رميه القمر . يقول : إنهم لايصيبونك برميهم كما لايصيب القمر من رماه لانه أرفع محلا من أن يبلغه سهم راميه ، وكذلك أنت * والبيتان هما

أَمِنِّى تَخَافُ انتشارَ الحديثِ ۞ وحظِّىَ فى سَتْرِهِ أَوْفَرُ

وَلَوْ لم أَصُنْهُ لِبُقْيَا عَلَيْكَ ۞ نَظَرْتُ لِنَفْسِى كَمَا تَنْظُرُ

قوله : لبقيا عليك أى لأرعاه عليك ورحمة ، أى لو لم أصن سرك ارعاه عليك من إفشائه لصنته ارعاء على نفسى أنا وخشية أن تفسد حالى معك إذا اطلع الناس على ما بيننا

رِضَاكَ رِضَايَ الذي أُوثِرُ ... وَسِرُّكَ سِرِّى فَما أُظْهِرُ[1]

كَفَتْكَ المُرُوءَةُ ما تَتَّقِي ... وَآمَنَكَ الوُدُّ ما تَحْذَرُ[2]

وَسِرُّكُمُ في الحَشا مَيِّتٌ ... إِذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لا يُنْشَرُ[3]

كَأَنِّى عَصَتْ مُقْلَتِي فِيكُمُ ... وَكَاتَمَتِ القَلْبَ ما تُبْصِرُ[4]

وَإِفْشَاءُ ما أَنا مُسْتَوْدَعٌ ... مِنَ الغَدْرِ وَالحُرُّ لا يَغْدُرُ[5]

إِذا ما قَدَرْتُ علي نَطْقَةٍ ... فَإِنِّى على تَرْكِهَا أَقْدَرُ[6]

أُصَرِّفُ نَفْسِي كما أَشْتَهِي ... وَأَمْلِكُهاوَالقَنا أَحْمَرُ[7]

---

(١) قولهفما أظهر إستفهام إنكارى . يقول : إذا رضيت أمرا فهو رضاى الذى أوثره — أى أختاره — وسرنا واحد فأى شيء أظهر منه ؟ أى لا أظهر سرك لانه سرى (٢) يقول : اطمئن من جهتى لانى ذو مروءة وذو المروءة لا يكون مذياعا للأسرار وأنا مع ذلك محب لك والمحب لايسيء إلى حبيبه بأفشاء سره . والمروءة كرم الاخلاق وعلو الهمة وكفاه الشيء أغناه عن معاناته . وتتقى تحذر (٣) يقول : إن سركم فى حشاى كالميت الذى لا يحيا بعد موته ، أى أنه لشدة إخفائه السر أماته حتى لابعث له بعدها . وهذا من الآخر

إنى لأستر ماذو اللب ساتره ... من حاجة وأميت السر كتمانا

وكقول قيس بن ذريح

وإنى منَ القَوْمِ الذينَ صدورُهم ... إذا استُودِعُوا الأسرار فهى قُبورها

(٤) يقول: كأن عينى لما نظرت إليكم أخفت عن قلبى ما رأت فلم يعلم بذلك . فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبى الذى أبصرت فلم يصل إليه ؟ (٥) الحر الكريم (٦) يقول: إنه على الكتمان أقدر منه على الافشاء لان الافشاء فعل والكتمان ترك الافشاء ، ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر . والنطقة المرة من النطق (٧) يقول : إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده لاتغلبه نفسه على شيء لايريده .

دَوَالَيْكَ يَا سَيْفَهَا دَوْلَةً ... وَأَمْرَكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ (١)

أَتَانِي رَسُولُكَ مُسْتَعْجِلاً ... فَلَبَّاهُ شِعْرِي الَّذِي أَذْخَرُ

وَلَوْ كَانَ يَوْمَ وَغًى قَاتِمًا ... لَلَبَّاهُ سَيْفِيَ وَالأَشْقَرُ (٢)

فَلاَ غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ ... فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ (٣)

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك*

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ ازْوِرَارَا ... وَصَارَ طَوِيلُ السَّلاَمِ اخْتِصَارَا (٤)

تَرَكْتَنِيَ الْيَوْمَ فِي خَجْلَةٍ ... أَمُوتُ مِرَارًا وَأَحْيَا مِرَارَا (٥)

وأنه يملك نفسه ويصبرها على مكاره الحرب إذا احمرت الرماح بالدماء ، أفلا يملكها في كتمان السر (١) يقول: دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة ، وأمرك أى من أمرك فهو مطاع . ودواليك نصب على المصدر، وهو من المصادر التى استعملت مثناة والغرض التوكيد . ونصب دولة على التمييز كأنه قال من دولة (٢) إسم كان مضمر تقديره ولو كان دعاؤك إياى أو لو كان ما نحن فيه من الحال . والقاتم المظلم الذى علاه الغبار. يقول : ولو كان دعاؤك إياى يوم حرب لأجبتك مسرعاً بسيفى وبفرسى الاشقر. وهذا البيت والذى قبله من قول البحترى

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ وَلَوَانَّهُمْ ... أَهَابُوا بِسَيْفِي كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفِي

(٣) يقول: أنت عين الدهر التى ينظر بها إلى الناس فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك ، أى بقيت فان ما يصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك فلو أنت مت لبطل ذلك كله فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس * كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة فعاتبه مدة ثم لقيه فى الميدان فرأى منه انحرافا عنه وأنكر تقصيره فيما كان عوده من الاقبال إليه والسلام عليه فعاد إلى بيته وأرسل إليه هذه الابيات

(٤) الازورار العدول والانحراف . يعتب عليه . يقول : صار طويل السلام مختصرا وصار ذلك القرب منك عدولا عنى وانحرافا (٥) يقول : أنا فى خجلة من الناس

أُسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِياً ... وَأَزْجُرُ فِى الْخَيْلِ مُهْرِى سِرَارَا(١)

وَأَعْلَمُ أَنِّى إِذَا مَا اعْتَذَرْتُ ... إِلَيْكَ أَرَادَ اعْتِذَارِى اعْتِذَارَا(٢)

كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا ... تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّى اخْتِيَارَا(٣)

وَلَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ إِلاَّ الْقَلِيـ ... ـلَ هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إِلاَّ غِرَارَا(٤)

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِى بِهِ ... وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِى الْقَلْبِ نَارَا(٥)

فَلاَ تُلْزِمَنِّى ذُنُوبَ الزَّمَانِ ... إِلَىَّ أَسَاءَ وَإِيَّاىَ ضَارَا(٦)

لاعراضك عنى كلما ساورتنى ذكراها صرت كالميت وإذا زالت حييت فأموت فى اليوم مرات كثيرة وأحيا مرات كثيرة (١) السرار مصدر ساره إذا كلمه سرا . يقول: وانظر إليك لحيائى منك مسارقة ومخالسة، وإذا زجرت مهرى فى الميدان زجرته بصوت خفى ولم أجسر أن أرفع صوتى حياء منك (٢) يقول: إنى إذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترمته كان هذا الاعتذار شيأ منكرا يحمل أن أعتذر منه أيضا لانه فى غير محله

(٣) يقول: جحدت ما غمرتنى به من مكارمك الباهرة التى ليس فى مكنة أحد أن يجحدها إن كان تركى مدحك وتأخير شعرى إختيارا منى ولكن الشعر الخ . وقوله كفرت الخ قسم من أروع ما يقسم به العرب ولا يزال مثله جاريا بيننا الآن كما يقول الرجل أكون رجلا نذلا إذا حصل منى كيت وكيت (٤) الغرار النوم القليل . يقول: منعنى الهم قول الشعر إلا القليل منه وهذا الهم أخذنى منه المقيم المقعد حتى منعنى النوم فكيف لايمنعنى قول الشعر (٥) يعتذر مما ألم به من الهم الذى أسقم جسمه وأوقد فى قلبه نارا بلهيبه وكان سبب انقطاعه عن الشعر . يقول: ليس ذلك من فعلى واختيارى إذ لايرضى أحد لنفسه ذلك. وهذا من قول العطوى

أَتُرَانِى أَنَا وَفَرْ ... تُ مِنَ الْهَمِّ نَصِيبِى

أَنَا أَعْطَيْتُ الْعُيُونَ النُّجْـ ... ـلَ أَسْلاَبَ الْقُلُوبِ

لَوْ إِلَىَّ الأَمْرُ مَا أَقْـ ... ـذَيْتُ عَيْناً بِرَقِيبِ

(٦) ضاره وضره بمعنى . يقول: وإنما الذنب ذنب الزمان فهو الذى أورثنى هذا الهم فسبب ذلك انقطاعى عن الشعر فلا تؤاخذنى بذنوب الزمان ، على أن أساءته

وَعِنْدِى لَكَ الشُّرُدُ السَّائِرَا ... تُ لَا يَخْتَصِصْنَ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا (١)

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِى ... وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبِحَارَا (٢)

وَلِى فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ ... وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ ... لَكَانُوا الظَّلَامَ وَكُنْتَ النَّهَارَا

أَشَدُّهُمُ فِى النَّدَى هِزَّةً ... وَأَبْعَدُهُمْ فِى عَدُوٍّ مُغَارَا (٣)

سَمَا بِكَ هَمِّى فَوْقَ الْهُمُومِ ... فَلَسْتُ أَعُدُّ يَسَارًا يَسَارَا (٤)

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِىُّ ... لَمْ يَقْبَلِ الدُّرَّ إِلَّا كِبَارَا (٥)

أما أنت فى أنا وأنا المساء بها فلا تقع تبعتها على كذلك (١) الشرد جمع شرود يعنى القصائد التى تسير فى البلاد ولا تستقر بموضع . يقول : وعندى لك القصائد التى أقولها فى مدحك فتسير فى الآفاق ويتناقلها الناس لحسنها (٢) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق والمقول اللسان . يقول : إذا خرجت هذه القوافى من لسانى سارت فى البلاد وقطعت الجبال والبحار إلى ما وراءها أي أن الجبال والبحار لاتحول دون سيرها . قال على ابن الجهم يصف شعره

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ ... وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وقال أبو تمام

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّى صَاغِرًا ... عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِى غَيْرُ حَامِدِ (١)

بِسَيَّارَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ ... وَتَنْقَادُ فِى الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدِ

(٣) يقول : هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعطاء، وأبعد الناس مدى غارة في العدو

(٤) الهم الهمة . يقول : علت همتى بخدمتك والانتماء اليك وبما يسرت لى من المطالب — حتى صارت فوق همم الناس وحتى صرت لا أقنع بما يكون غنى ويسارا أو اطلب ما فوقه (٥) يقول : من كان مرجوه مثلك لم يرض بالقليل

---

(١) يقول ان شعره يدعو عدوك أن يثنى عليك إذا أنشده على غير رغبة منه لاستحسانه إياه

وقال يهنئه بعيد الفطر

الصَّوْمُ وَالفِطْرُ والأَعْيَادُ وَالعُصُرُ ... مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالقَمَرُ (١)

تُرِى الأَهِلَّةَ وَجْهاً عَمَّ نَائِلُهُ ... فَمَا يُخَصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا البَشَرُ (٢)

ما الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلاَّ رَوْضَةٌ أُنُفٌ ... يا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهَرُ (٣)

مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ ... فَلاَ انْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمُرُ (٤)

فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكْرَارِهَا شَرَفٌ ... وَحَظُّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشَّيْبُ وَالكِبَرُ (٥)

وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل اليه

المتنبي لزحام الناس فعاتبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه

فقال المتنبي ارتجالا وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة

ظُلْمٌ لِذَا الْيَوْمِ وَصْفٌ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ

لا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ (٦)

---

(١) العصر بضمتين لغة فى العصر وهو الدهر. وحتى حرف عطف كالواو . يقول: ان نور هذه الأشياء انما هو بك لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شيء ، يعنى أن نورك عم كل شيء حتى الشمس والقمر اللذين يستضاء بهما (٢) يقول: لم يخص البشر بعطائك فقد أنلت الاهلة بوجهك كان النور فقد عم اذن نائلك البشر والشمس والقمر

(٣) الانف التى لم ترع وهو أحسن لها . والشمائل الخلائق . يقول : الدهر بكونك فيه روضة تمت محاسنها وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة ، فهى أحسن ما فيها (٤) يقول : ليس ينتهى كرمك فى أيام الدهر ، أى أنه يزداد كرما على الايام ، ثم دعا له فقال : فلا انتهى عمرك فى أعوامه، أى لا انقضى لك أجلا

(٥) الضمير فى تكرارها ومنها للاعوام ويروى منه أى من التكرار . يقول: ان حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجدد من المناقب بينما حظ غيرك منها الشيب والهرم

(٦) يقول : أن وصفى هذا اليوم دون أن أشاهد ما جرى فيه ظلم له ، لان صدق

تَزَاحَمَ الجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَبَاً ... إِلَى بِسَاطِكَ لِي سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ (١)

فَكُنْتُ أَشْهَدَ مُخْتَصٍّ وَأَغْيَبَهُ ... مُعَايِنَاً وَعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ (٢)

اليَوْمَ يَرْفَعُ مَلْكُ الرُّومِ نَاظِرَهُ ... لِأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ (٣)

وَإِنْ أَجَبْتَ بِشَيْءٍ عَنْ رَسَائِلِهِ ... فَمَا يَزَالُ عَلَى الأَمْلَاكِ يَفْتَخِرُ (٤)

قَدِ اسْتَرَاحَتْ إِلَى وَقْتٍ رِقَابُهُمُ ... مِنَ السُّيُوفِ وَبَاقِي القَوْمِ يَنْتَظِرُ (٥)

وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالقَوْمِ غَيْرَهُمُ ... لِكَي تَجِمَّ رُؤُوسُ القَوْمِ وَالقَصَرُ (٦)

تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالأَمْطَارِ غَادِيَةً ... جُودٌ لِكَفِّكَ ثَانٍ نَالَهُ المَطَرُ (٧)

تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً

كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورَهُ القَمَرُ (٨)

الوصف موقوف على صدق النظر ، فاذا لم أكن صادق النظر بالعيان والمشاهدة لم أكن صادق الوصف (١) و (٢) سمع فى البيت الاول فاعل يجد . وسببا أى وصلة أتوصل بها أى سبيلا . ثم قال فى البيت الثانى : كنت فى هذا اليوم أحضر الناس المختصين بك لانى كنت شاهداً بشخصى ، وكنت أغيبهم عيانا لانى غبت معاينة اذ لم أر ما يجرى فكان عيانى ما يخبرنى به الذين عاينوا (٣) يقول : يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتزازا برضاك وقد كان مطرقا استخذاء وخوفا،لان عفوك فى اعتقاده ظفر وفلج

(٤) يقول : إذا أجبته افتخر على الملوك (٥) يقول : لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح ، أما سائر الذين كنت تغزوهم فانهم يترقبون ورود سيوفك عليهم لانهم يعرفون أنك لا تفتر عن الغزو أو يترقبون الصلح

(٦) الاظهر أن الضمير فى تبدلها للسيوف — كما قال ابن جنى — لا للروم — كما ذهب اليه الواحدى — وغيرهم نصب على أنه مفعول ثان لتبدلها . والباء فى بالقوم للعوض . وتجم تكثر من جم البئر إذا توافر ماؤه بعد النزح . والقصر جمع قصرة أصل العنق . يقول : وقد تحارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا وتغبهم ليتناسلوا ثم تعود اليهم فتهلكهم (٧) يقول : اذا شبهنا جودك بالامطار التى تأتى بالغدوات — وهى أغزرها — كان ذلك جودا ثانيا لكفك لان المطر يفخر بأن يشبه به جودك

(٨) تكسب بحذف إحدى التاءين أى تتكسب يقول : ان الشمس تستفيد منك

وقال لما أوقع سيف الدولة ببنى عقيل وقشير وبنى العجلان وبنى كلاب حين عاثوا فى عمله وخالفوا عليه ويذكر أجفالهم من بين يديه وظفره بهم وله خبر طويل

طِوَالُ قَنًا تُطَاعِنُهَا قِصَارُ   وَقَطْرُكَ فى نَدًى وَوَغًى بِحَارُ (١)

وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَانِى أَنَاةٌ   تُظَنُّ كَرَامَةً وَهِىَ احْتِقَارُ (٢)

وَأَخْذٌ لِلْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِى   بِضَبْطٍ لَمْ تُعَوَّدْهُ نِزَارُ (٣)

تَشَمَّمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إِنْسًا   وَتُنْكِرُهُ فَيَعْرُوهَا نِفَارُ (٤)

وَما انْقَادَتْ لِغَيْرِكَ فى زَمَانٍ   فَتَدْرِىَ مَا الْمَقَادَةُ وَالصَّغَارُ (٥)

فَقَرَّحَتِ الْمَقَاوِدُ ذِفْرَيَيْهَا   وَصَعَّرَ خَدَّهَا هذا الْعِذَارُ (٦)

النور كما يستفيد منها القمر النور ، فاذا طلعت كسبت واذا غابت عادت إلى حالها قبل ان تراك (١) يقول : ان الرماح الطوال التى تطاعنها قصار فى حقك لانها لا تنالك ولا تبلغك ، ولانها لا غناء لها معك ، وكأنها قصار كما قال

يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وفيهِ قَصْدٌ   ويَقصُرُ أَنْ يَنالَ وفيهِ طُولُ

ثم قال . والقليل منك فى الجود والحرب كثير حتى يكون القطر بمنزلة البحار

(٢) يقول : فيك رفق وحلم عن الجانى لا تسرع فى عقوبته ، يظن ذلك لكرامة له عليك وهو احتقار له عن المكافأة لا كرامة (٣) قوله نزار يريد العرب . يقول : أنت تأخذ أهل الحضر والبدو بسياسة وضبط لم تتعودها العرب (٤) يقول : ان العرب تدنو من طاعتك فاذا أحست ما عندك من السياسة أنكرت ذلك انكار الوحش اذا شمت ريح الانس فتنفر ويصيبها نفار . فقوله تشممه بحذف احدى التاءين أى تتشممه وانسا مفعول شميم والتشمم الشم فى أناة وتؤدة (٥) المقادة الانقياد . والصغار الذل . يقول : ان العرب لا تعرف هذا لانهم لم ينقادوا لاحد (٦) المقاود جمع مقود وهو الرسن . والذفرى العظم الشاخص خلف الاذن مأخوذة من ذفر العرق لانها أول ما تعرق من البعير . والصعر الميل فى الخد وفلان صعر خده أماله من الكبر . والعذار

وَأَطْمَعَ عامِرَ الْبقيَا علَيْهَا ... وَنَزَّقَهَا احتِمَالُكَ وَالْوَقارُ(١)

وَغيَّرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِى ... وَأَعْجَبَهَا التَّلَبُّبُ وَالْمُغارُ(٢)

جِيَادٌ تَعجِزُ الأَرْسَانُ عَنْها ... وَفُرْسَانٌ تَضِيقُ بِهَا الدِّيَارُ(٣)

وَكَانَتْ بالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَاهَا ... نُفُوساً فى رَدَاهَا تُسْتَشَارُ(٤)

وكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ ... وفى الأَعْدَاءِ حَدُّكَ والغِرَارُ(٥)

فَأَمْسَتْ بالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ ... وأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الحِيَارُ(٦)

من اللجام ما سال على خدى الفرس . يقول : لما وضعت على العرب المقاود لتقودهم إلى طاعتك وبالغت فى رياضتهم تقرحت ذفاريهم من جذب المقاود رؤسهم أى جعلتهم كالقرح فى الذل والانقياد ، وأمال خدودهم هذا المذارأى أملهم إلى طاعتك.والقرح عض السلاح ونحوه مما يجرح الجسد ومما يخرج بالبدن وروى الواحدى فأفدحت بالفاء من افدحه الدين انقله يعنى : لما وضعت على العرب المقاود اثقلت. مقاودك رؤسهم لانك ضبطتهم ومنعتهم عن التلصص والغارة فصاروا كالدابة التى تقاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيلة (١) منع عامر من التصرف لانه اراد القبيلة ولذلك انثها . والبقيا اسم من الابقاء . والنزق الخفة والطيش . يقول : واطمعهم فى العصيان ابقاؤك عليهم وعدولك عن الايقاع بهم ، وحملهم على الطيش أناتك وحلمك عنهم وتوقفك عن اهلاكهم

(٢) تلبب الرجل تحزم وتشمر والمتلبب المتحزم بالسلاح وغيره . والمغار الاغارة . يقول: وغيرها عن الطاعة انها كانت تتراسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك وتتشاكى لما يجدونه من صعوبة الاستخذاء اليك ، واغترت بتحزبها وتأهبها ولبسها الاسلحة وكثرة غاراتها على النواحى والاطراف (٣) يقول : ان لهم خيلا تعجز الارسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة رؤسها ، او تقول : لا تسعها الارسان لكثرتها ، ثم قال : وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم (٤) يقول : وكنت تتوقف عن اهلاكهم والايقاع بهم جريا على عادتك فى الصفح والعفو فكانوا بهذا التوقف كمن يستشار فى اهلاكه وكانوا هم بعتوهم واسترسالهم فى غيهم كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم

(٥) و (٦) قائمه مقبضه . وغراره حده . والبديةوالحيار ما آن بأرضهم كانوا ينزلون

وكانَ بَنُو كِلابٍ حَيْثُ كَعْبٌ
فَخافُوا أنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صارُوا (١)

تَلَقَّوْا عِزَّ مَوْلاهُمْ بِذُلٍّ ... وَسارَ إلى بَنى كَعْبٍ وسارُوا (٢)

فأقْبَلَها المُرُوجَ مُسَوَّمَاتٍ ... ضَوامِرَ لا هِزالَ وَلا شِيارُ (٣)

تُثِيرُ على سَلَمْيَةَ مُسْبَطِرًّا ... تَناكَرُ تَحْتَهُ لَوْلا الشِّعارُ (٤)

عَجاجًا تَعْثُرُ العِقْبانُ فيهِ ... كأنَّ الجوَّ وَعْثٌ أوْ خَبارُ (٥)

عليهما . وشفرتا السيف حداه . يقول : كنت سيفا لهم مقبضه فى ايديهم وحده فى اعدائهم فلما عصوك صارت شفرتاه حيث هم اى فى البدية ، اى سرت اليهم فى منازلهم وجاوزت الحيار حتى صار خلفك واهنكتهم بسيفك الذى كنت تذود به عنهم

(١) يقول : كانوا فى التمرد والعصيان حيث كانت هذه القبيلة — قبيلة كعب — فخافوا ان ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبى . وكعب مبتدا محذوف الخبر اى حيث كعب كائنون لان حيث لا تضاف إلا إلى الجمل (٢) يقول : أستقبلوا سيف الدوله بالخضوع والذلة والانقياد وساروا معه وراء كعب . قال العكبرى : وذلك ان مشيخة بنى كلاب تلقته وقد سار عن الحيار لطلب البدية فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلكت كعب

(٣) الضمير فى اقبلها للخيل وإن لم يجر لها ذكر ، وأقبلها المروج جعل وجوهها إليها . وأراد المروج مروج سلمية — موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم انهزموا — ومسومات معلمات بسمة تعرف بها . وهزال جمع هزيل . والشيار السمان الحسنة المناظر ولا هزال ولا شيار فى الاعراب مثل قول القائل

* لا أُمَّ لِي إنْ كانَ ذاكَ ولا أبُ *

يقول : وجه خيله إلى المروج وأجاءها إليها ضامرة ، وليس ضمرها عن هزال إنما هو عن تضمير وقيام عليها ولا هي أيضا سمينة حسنة المنظر لانها قد شعثت واغبرت بمواصلة السير (٤) سلمية موضع . والمسبطر الغبار الممتد . والشعار العلامة يتعارفون بها . يقول: تثير خيلك على هذا المكان — سلمية — غبارا منتشرا لاتعرف الخيل تحته بعضها بعضا — أى أصحاب الخيل أى الجيش — لولا العلامة التى تتعارف بها . فقوله تناكر بحذف إحدى التاءين أى الخيل (٥) عجاجا بدل من مسبطرا ، والعجاج

وَظَلَّ الطَّعْنُ فى الخَيْلَيْنِ خَلْساً ... كأَنَّ المَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارُ (١)

فَلَزَّهُمُ الطِّرَادُ إِلى قِتَالٍ ... أَحَدُّ سِلاَحِهِمْ فِيهِ الفِرَارُ (٢)

مَضَوْا مُتَسَابِقِى الأَعْضَاءِ فيهِ ... لأَرْؤُسِهِمْ بأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ (٣)

يَشُلُّهُمُ بِكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ ... لِفَارِسِهِ عَلَى الخَيْلِ الخِيَارُ (٤)

وَكُلِّ أَصَمَّ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ ... عَلَى الكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ (٥)

يُغَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ ... وَلَبَّتُهُ لِثَعْلَبِهِ وِجَارُ (٦)

الغبار . والوعث من الارض ما تغيب فيه القوائم لسهولته . والخبار الارض اللينة . يصف الغبار بالكثافة . يقول : إن العقبان التى تسير مع الجيش تعثر فى ذلك الغبار ، فكأن الجو أرض لينة لكثرة ما ارتفع من غبار الخيل (١) خلسا أى اختلاسا يقول : ظلوا يتخالسون الطعن فيسرع فيهم الموت حتى كأنه اختصر الطريق إليهم

(٢) لزه إلى الشيء ألجأه إليه وأدناه منه . يقول : أحوجهم طرادك إياهم إلى قتال شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار (٣) يقول : لأسراعهم فى الهرب والهزيمة خوفا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما يسابق بعضها بعضا ، الأرجل تسابق الرؤس والرؤس تسابق الأرجل وكأن الرؤس تتعثر بالارجل حين تريد الرؤس الاسراع فتمنعها الارجل (٤) يشلهم يطردهم . والاقب من الخيل الضامر البطن . والنهد المشرف المرتفع . يقول : يطردهم بكل فرس ضامر نهد لفارسه الخيار إن شاء لحق وإن شاء سبق ، أى إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته

(٥) أصم أى رمح صلب ليس بأجوف لين . ويعسل يضطرب . وممار مسال مهرق يقول : يطردهم بكل رمح صلب يضطرب جانباه الاعلى والاسفل . قال الواحدى : وأراد بالكعبين اللذين فى عامله وهما يغيبان فى المطعون ولذلك وصفهما بأن عليهما دما ، ويجوز أن يريد الكعب الذى فيه السنان والذى فيه الزج فان الطعن يقع بهما . قال ابن جنى : يجوز أن يريد بالتثنية الجمع لان أول الجمع تثنية (٦) اللبة أعلى الصدر . والثعلب هنا ما دخل من الرمح فى السنان . والوجار بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما . يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الاعداء ونحره مطعون يدخل ثعلبه فى نحره ولقد أبدع فى هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب

إذا صرف النهار الضوء عنهم | دجا ليلان ليل والغبار (١)
وإن جنح الظلام انجاب عنهم | أضاء المشرفية والنهار (٢)
يبكّي خلفهم دثر بكاه | رغاء أو ثؤاج أو يعار (٣)
غطا بالعثير البيداء حتى | تحيّرت المتالي والعشار (٤)
ومرّوا بالجباة يضم فيها | كلا الجيشين من نقع إزار (٥)
وجاؤا الصحصحان بلا سروج | وقد سقط العمامة والخمار (٦)
وأرهقت العذارى مردفات | وأوطئت الأصيبية الصغار (٧)

(١) و (٢) دجا أظلم . وجنح الليل جانبه. وانجاب انكشف . والمشرفية السيوف نسبة إلى مشارف الشام . يقول : إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل ليل آخر من العجاج — الغبار — وإذا انقضى الليل أضاء مع النهار نهار آخر من بريق السيوف أى أنهم فى ليلين مظلمين من الليل والغبار وفى نهارين من ضوء السيوف والنهار

(٣) الدثر المال الكثير . يقول : إنهم ساقوا مواشيهم هاربين فكانت تصيح خلفهم لما ألم بها من التعب والاعياء فى السير فالابل ترغو والمعزى تيعر والغنم تثأج وكأنها بهذا الصياح تبكى (٤) غطاه وغطاه بمعنى • والعثير الغبار . والمتالى جمع متلية وهى الناقة يتلوها ولدها • والعشار التى قربت ولادتها جمع عشراء . والمتالى والعشار أعز أموال العرب ولذلك خصهما بالذكر يقول : غطى البيداء بالغبار حتى تحيرت النعم — على حدة أبصارها — فى ذلك الغبار . ورواية ابن جنى : بالغنثر : بدل بالعثير والغنثر ماء هناك وتخيرت بالخاء بصيغة المجهول فيكون المعنى : غطى سرحهم البيداء عند هذا الماء لكثرته حتى تخير منه سيف الدولة المتالى والعشار لما وصل إلى ذلك الماء (٥) الجباة إسم ماء . يقول : إنهم مروا بهذا الماء فى هربهم وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك فاشتمل النقع — الغبار — على الجيشين حتى صارا منه فى إزار (٦) الصحصحان صحراء هناك يقول : جاؤا هذه الصحراء وقد انحلت سروج خيلهم فسقطت وسقطت عمائم رجالهم وخمر نسائهم لاسراعهم وإشاحتهم فى الهرب (٧) أرهقه كلفه ما فيه مشقة . يقول : إن العذارى قد كلفن بأردافهن — أركابهن — خلف الفرسان مشقة لايطقنها ، ولم

وَقَدْ نَزِحَ الْغُوَيْرُ فَلاَ غُوَيْرٌ ... وَنِهْيَا وَالْبُيَيْضَةُ وَالْجِفَارُ[1]

وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ ... وَتَدْمُرُ كَاسْمِهَا لَهُمُ دَمَارُ[2]

أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا ... فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لاَ يُدَارُ[3]

وَجَيْشٍ كُلَّمَا حَارُوا بِأَرْضٍ ... وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ[4]

يَحُفُّ أَغَرَّ لاَ قَوَدٌ عَلَيْهِ ... وَلاَ دِيَةٌ تُسَاقُ وَلاَ اعْتِذَارُ[5]

تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الأَعَادِي ... وَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جُبَارُ[6]

وَكَانُوا الأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ ... عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ[7]

يثبت الصبيان الصغار على الخيل فى الركض فسقطوا ووطئتهم الخيل . وقد ترك ذكر الخيل للعلم بها (١) هذه كلها مياه معروفة . يقول: لما بلغوها نزحوها لما لحقهم من العطش والجهد حتى لم يبق منها شيء ولذلك قال فلا غوير (٢) يقول : لم يكن لهم مفزع يفزعون إليه إلا تدمر ظنوا أنهم إذا بلغوها حصنتهم من سيف الدولة ولكن خاب ظنهم إذ لم يعتموا أن غشيهم جيشه بها فصارت دمارا — هلاكا — لهم كاسمها . وتدمر هى المدينة المعروفة

(٣) يقول : أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأى فى تدمر فأتاهم سيف الدولة صباحا وعصف بهم ، فكان عصفه بهم — إهلاكه إياهم — رأيا لا سبيل إلى تقليبه

(٤) يقول : وصبحهم بجيش كلما أشرف هؤلاء الهاربون على أرض واسعة فحاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم ثم أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الارض تتحير فيه لكثرته وتوافره فكأنه أوسع منها (٥) يقول : يحيط هذا الجيش بأغر — سيد شريف — يعنى سيف الدولة — اذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله لانه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يراجع فيما فعل . والقود قتل النفس بالنفس . والدية ثمن الدم (٦) المهجة دم القلب والروح . والجبار الهدر الذى لا قود فيه ولا دية . والبيت فى معنى البيت السابق (٧) مصال مصدر أى صولة وقوة . وكذلك المطار بمعنى الطيران قال العروضى — ووافقه الواحدى : هذا من صفة خيل سيف الدولة يقول : هم — فرسان سيف الدولة — أسود ولا يشينهم عدم ادراكهم هؤلاء القوم لان

إذا فاتوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ ... بأَرْمَاحٍ مِنَ العَطَشِ القِفَارُ(١)

يَرَوْنَ المَوْتَ قُدَّاماً وَخَلْفاً ... فَيَخْتَارُونَ وَالمَوْتُ اضْطِرَارُ(٢)

إذا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هَادٍ ... فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ(٣)

وَلَوْ لَمْ تُبْقِ لَمْ تَعِشِ البَقَايَا ... وفي المَاضِي لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارُ(٤)

إذَا لَمْ يُرْعِ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ ... فَمَنْ يُرْعِي عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ(٥)

تُفَرِّقُهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا ... وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النِّجَارُ(٦)

الاسد — على قوته — لا يمكنه صيد الطائر لانه لا مطار للاسد ، يعنى ان هؤلاء القوم اسرعوا فى الهرب اسراع الطير فى الطيران،وهذا كالعذر لهم فى التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم، وقال آخرون : هذا من صفة القوم شبههم بالاسود فى قوة البأس وشبه جيش سيف الدولة بالطير فى سرعة الجرى وراءهم . يقول : الاسود مع شدة بطشها لاتقدر أن تسطو على الطير لانه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتفوته ، يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش لانهم لاينالونه بسلاحهم ولا وسعهم الهرب من أمامه لانه أسرع جريا منهم فهو يدركهم أينما ذهبوا (١) يقول : إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا فى القفر من العطش فقام العطش فى قتلهم مقام الرماح

(٢) يقول : يرون الموت قدامهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين ، وليس ذلك اختيارا فى الحقيقة لان الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد

(٣) المنار العلم ينصب فى الطريق . يقول : إذا ضل أحد بصحراء السماوة قامت له جثث قتلاهم بها مقام المنار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدى بالمنار ،وهذا من قول ثابت قطنة

هَدَانَا اللهُ بِالقَتْلَى نَرَاهَا ... مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشِّعَابِ

(٤) يقول : لولا ابقاؤك على من بقى منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعاً لكنك أردت تأديبهم لا إفناءهم فكان فى من هلك منهم عبرة لمن بقى فلايعصى لك أمرا أبدا

(٥) أرعى فلان على فلان مثل أبقى عليه رحمه وكف عنه يقول : أنت سيدهم فاذا لم تبق عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم ؟ اذ المولى اذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره

(٦) النجار الاصل . يقول : أن أصله وأصلهم واحد لاشتراكهم فى نزار إلا أن الطباع والاخلاق مختلفات ، وأين هم منه ؟

وَمَالَ بِهَا على أَرَكٍ وَعُرْضٍ ... وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ (١)

وَأَجْفَلَ بالفُرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ ... وَزَأْرُهُمُ الَّذِى زَأَرُوا خُوَارُ (٢)

فَهُمْ حِزَقٌ على الخَابُورِ صَرْعَى ... بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غَيْرِهِمِ خُمَارُ (٣)

فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ فى الصُّبْحِ مَالٌ ... وَلَمْ تُوقَدْ لَهُمْ بالليْلِ نارُ (٤)

حِذَارَ فَتًى إذَا لمْ يَرْضَ عَنْهُمْ ... فلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الحِذَارُ (٥)

تَبِيتُ وُفُودُهُمْ تَسْرِى إِلَيْهِ ... وَجَدْوَاهُ الَّتِى سَأَلُوا اغْتِفَارُ (٦)

تَخَلَّفَهُمْ بِرَدِّ البِيضِ عَنْهُمْ ... وَهَامُهُمُ لهُ مَعَهُمْ مُعَارُ (٧)

(١) أرك وعرض بلدان قرب تدمر . والرقتان بلدان على الفرات وهما الرقة والرافقة قيل لهما الرقتان تغليبا يقول : مال سيف الدولة بخيله على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين ، يعنى بذلك طلبه لبنى كعب فى كل مكان . وقال ابن جنى : أى مال بخيله على هاتين البقعتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها (٢) الزئير صوت الاسد . والخوار للبقر . يقول : انهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارا أى كانوا قبل ذلك يظنون أنفسهم أسودا فلما أتاهم أجفلوا أجفال الثيران (٣) الحزق الجماعات جمع حزقة . والخابور نهر على الفرات . والخمار بقية السكر . يقول : ظنوا أنهم المقصودون فهربوا خوفا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم — يريد الرقتين — فصاروا جماعات صرعى — مطروحين — حوالى هذا النهر ، وقوله بهم الخ أى أنهم لم يذنبوا وانما أذنب غيرهم فأدركهم تعب الهرب (٤) يقول : لخوفهم لم يسرحوا نعمهم نهارا ولم يوقدوا نيرانهم ليلا

(٥) يقول : هم انما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم وهو حذر فى غير موضعه لانه إذا كان غير راض عنهم فان حذرهم هذا لا يجديهم شيأ فهو يدركهم أينما كانوا ولو فى أقاصى البلاد أو فى الجواء (٦) الجدوى العطية . يقول : انهم يفدون اليه يسألونه العفو لا غير (٧) خلفهم استبقاهم . والبيض السيوف . والهام الرؤس . يقول : فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رؤسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها لأنها فى ملكه . وهذا كلام بديع

وَهُمْ مِمَّنْ أَذَمَّ لَهُمْ عَلَيْهِ ... كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسَبُ النُّضَارُ(١)

فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقِرًّا ... وَلَيْسَ لِبَحْرِ نَائِلِهِ قَرَارُ(٢)

وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ ... تُدَارُ عَلَى الْغِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ(٣)

تَخِرُّ لَهُ الْقَبَائِلُ سَاجِدَاتٍ ... وَتَحْمَدُهُ الأَسِنَّةُ وَالشِّفَارُ(٤)

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ ... فَفِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ انْكِسَارُ(٥)

فَمَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ فَذَا عَلِيٌّ ... وَخَيْلُ اللهِ وَالأَسَلُ الْحِرَارُ(٦)

يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ ... بِأَرْضٍ مَا لِنَازِلِهَا اسْتِتَارُ(٧)

يُوَسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ ... طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الِانْتِظَارُ(٨)

(١) أذم لهم صيرهم في ذمامه . والعرق الاصل . والحسب ما تعدده من مآثر الآباء والنضار الخالص من كل شيء . يقول : عقد الذمة لهم وصيرهم في ذمامه كرم أصله وصحة حسبه
(٢) العواصم بلاد حاضرتها انطاكية . والنائل العطاء . يقول : فاستقر بهذا المكان بعد عودته من هذه الغزوة لأنه مقره ، أما جوده فلا يستقر كالبحر ليس له قرار
(٣) العقار الخمر . يقول : ان ذكره قد ملأ الآفاق حتى أن الشرب — جماعة شاربي الخمر — يغنون بما مدح به من الاشعار ويشربون على ذكره (٤) الاسنة هنا الرماح . والشفار جمع شفر حد السيف . يقول : انه لمنعته تخضع له القبائل كل الخضوع . وتثني عليه الرماح والسيوف لحسن استعماله اياها لأنه أذل بها تلك القبائل
(٥) يقول : لأجلالنا اياه واعظامنا له لا نستطيع أن نملأ اعيننا من النظر اليه كما لا نستطيع ان ننظر طويلا إلى شعاع الشمس كما قال الفرزدق

* يُغضِي حَيَاءً ويُغضَى مِنْ مَهَابَتِهِ *

وهو من قول الآخر

إِنَّ الْعُيُونَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا ... رَجَعَتْ مِنَ الإِجْلَالِ غَيْرَ حِدَادِ

(٦) الأسل الرماح . والحرار العطاش . يقول : من اراد المطاعنة بالرماح فهذا علي — اسم سيف الدولة — قد تفرغ لذلك ومعه خيل الله — جيشه — والرماح العطاش لأنها لا تروى من الدم (٧) و (٨) كعب اسم القبيلة . والمفاوز الصحارى .

تُصَاهِلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ ... وَمَا مِنْ عَادَةِ الْخَيْلِ السِّرَارُ (١)

بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرْتَ فِيهِمْ ... يَدٌ لَمْ يُدْمِهَا إِلَّا السِّوَارُ (٢)

بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ ... وَفِيهَا مِنْ جَلَالَتِهِ افْتِخَارُ (٣)

لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ فِي نِزَارٍ ... وَأَدْنَى الشِّرْكِ فِي أَصْلٍ جِوَارُ (٤)

يقول : انه دائما يسرى إلى أعدائه ويجوب اليهم الصحارى التى لا يستره فيها شيء فهو يتوسط الصحارى كل يوم ليطلب الابطال الذين يطلبون القتال لاينتظر لحاقهم به يعنى أنه دائما يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتوه فيقاتلهم،أى أنه دائما طالب لاهارب « هذا » وقوله لا الانتظار فألف لا ساقطة لفظا وإن تحركت اللام بعدها لان حركة اللام عارضة دفعا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون وقوله طلاب الطالبين تروى طلاب الطاعنين أى طاعنى الاعداء (١) تصاهل بحذف إحدى التاءين أى تتصاهل . والسرار مصدر ساره كلمه سرا . وقد اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت فذكر ابن جنى معنيين والخطيب خالفه إلى معنى اخر وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجه قال ما محصله : إن خيله تتصاهل من غير سرار ، وليس السرار من عادة الخيل ، يعنى أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو ولا يحاول أن يخفى قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره ومن ثم لايكف خيله عن الصهيل لان من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها كما قال القائل

إذا الخيلُ صاحتْ صِياحَ النُّسُورِ ... جَزَزْنا شراسيفَها بالجِذَمْ (١)

وأحد معنيى ابن جنى : أن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما يجشمها به من ملاقاة الحروب وقطع المفاوز . والمعنى الآخر : أن خيله مؤدبة فتصهل سرا هيبة له وقال الخطيب : إنما أراد أن خيله اذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد فكأنما هى فى سرار

(٢) و (٣) اليد الجارحة المعروفة . والسوار الحلية من الذهب أو الفضة كالطوق تلبسها المرأة فى زندها أو معصمها . وبنو كعب مبتدأ ويد خبر . وما أثرت أى وتأثيرك يقول : إن بنى كعب وما أثرت فيهم من القتل والقتل مثلهم مثل اليد التى يدميها السوار فان اليد تتحلى بالسوار وتفتخر وإن كان يؤلمها ، كذلك بنو كعب يفتخرون بك وأنت زين لهم وإن أثرت فيهم (٤) يقول : إنهم يشاركونك فى الانتساب إلى نزار وأقل مايقتضيه

---

(١) الشرسوف طرف الضلع المشرف على البطن ، والجذم جمع جذمة السوط

لَعَلَّ بَنِيهِمِ لِبَنِيكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرَّحِ الْخَيْلِ المِهَارُ(١)
وَأَنْتَ أَبَرُّ مَنْ لَوْ عُقَّ أَفْنَى وَأَعْفَى مَنْ عُقُوبَتُهُ الْبَوَارُ(٢)
وَأَقْدَرُ مَنْ يُهَيِّجُهُ انْتِصَارٌ وَأَحلَمُ مَنْ يُحَلِّمُهُ اقْتِدَارُ(٣)
ومافى سَطْوَةِ الأَرْبابِ عَيْبٌ ولا فى ذِلَّةِ العُبْدَانِ عارُ(٤)

حق الشركة فى أصل جوار أى ذمام ورعاية حرمة (١) يستعطفه عليهم ويحثه على العفو عنهم . يقول : لعل أبناءهم يكونون جندا لابنائك وعبيدا إذا سلموا فان المهار من الخيل تصير قرحا أى أن الصغار تصير كبارا كما قيل

* وإنما القَرْمُ مِنَ الأَفِيلِ وَسُحُقُ النَّخْلِ مِنَ الفَسِيلِ *

« القرم الفحل من الابل ، والافيل الفصيل ، والفسيل ما يقلع من صغار النخل ليغرس » والقرح جمع قارح وهوالذى استكمل سنه (٢) يقول : أنت أبر الذين إذا عصوا أفنوا وإذا كنت أبرهم لم تفن ، وأنت اعفى الذين يعاقبون بالهلاك وإذا كنت أعفاهم لم تهلك، أى انت ابر الملوك القادرين واعفاهم وإذن لاتفنى من عقوك ـ عصوك ـ ولا تؤذيهم (٣) يقول: وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار اى إذا حركك الانتقام من عدوك قدرت على ماتطلب فأنت اقدر المنتصرين ، وأنت احلم من يدعوه إلى الحلم اقتداره على عدوه فصفح وعفا ، وإذا كان الاحلم كان الاعفى والأصفح عن العدو إذا اقتدر عليه (٤) يقول: لايلحقهم عار بسطوتك عليهم لانك ربهم ـ سيدهم ـ ولا فى تذللهم لك عار لانهم عبيدك . وذلك كما قال النابغة

وَعيَّرَتْنِى بَنُو ذُبْيانَ رَهْبَتَهُ وهَلْ عَلَىَّ بِأَنْ أَخْشَاكَ مِنْ عارِ

وكما قال الآخر

وإنَّ أَمِيرَ المؤمنينَ وَفِعْلَهُ لَكالدَّهْرِ لاعَارٌ بمافعلَ الدَّهْرُ

وقال ابو تمام

خَضعَتْ لِصَوْلَتِكَ الَّتِى هِىَ عِنْدَهُم كالموت يأْتِى لَيْسَ فيهِ عَارُ

وقال ارتجالا يهجو سوارا وقد نزلوا منزلا
أصابهم فيه مطر وريح

بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ ... وَأَنْضَاءُ أَسْفَارٍ كَشَرْبِ عُقَارِ (١)

نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَاحِ بِمَسْجِدٍ ... عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبَا حَصًى وَغُبَارِ (٢)

خَلِيلَيَّ مَا هذَا مُنَاخًا لِمِثْلِنَا ... فَشُدَّا عَلَيْهَا وَارْحَلَا بِنَهَارِ (٣)

وَلَا تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَاحِ فَإِنَّهَا
قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ (٤)

وقال فى صباه وهو بيت مفرد وروى قوم انهما بيتان وهما

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتُرُ الْفَقْرَ قَاعِدًا
فَقُمْ وَاطْلُبِ الشَّيْءَ الَّذِى يَبْتُرُ الْعُمْرَا (٥)

---

(١) بقية قوم خبر مبتدا محذوف . يقول : نحن بقية قوم آذن ـ أعلم ـ بعضهم بعضا بالبوار ـ الهلاك ـ أى علموا أنهم هالكون ، و ن ن مهازيل أسفار لا حراك بنا من الجهد والتعب كأننا سكارى . فأنضاء جمع نضو وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والابل . والشرب جمع شارب . والعقار الخمر (٢) يقول : تحكمت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ما سترتنا به (٣) يقول : ليس هذا المكان منزلا لنا فشدا رحالكما على الابل وارحلا قبل هجوم الليل . فالضمير فى عليها للابل وان لم يتقدم لها ذكر (٤) يقول : لا تنكرا شدة هبوب الرياح فانها طعام من بات ضيفا عند سوار ، وهذا سوار اسم رجل نزلوا فى المسجد قرب داره فهبت عليهم الرياح ولم يلتفت اليهم ولم يقرهم (٥) يقول : اذا لم تجد ما يقطع الفقر ـ أى الغنى ـ وأنت قاعد عن السعى فقم واطلب ما يقطع العمر أى الحرب يعنى مقاتلة الملوك وأشباه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء

هُمَا خَلَّتَانِ ثَرْوَةٌ أَوْ مَنِيَّـةٌ   لَعَلَّكَ أَنْ تُبْقِي بِوَاحِدَةٍ ذِكْرَا (١)

وقال في صباه في جعفر بن كيغلغ ولم ينشده اياها

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ   وَغَيَّضَ الدَّمْعَ فَانْهَلَّتْ بَوَادِرُهُ (٢)

وَكَاتِمُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكٌ   وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَخْفَى سَرَائِرُهُ (٣)

لَوْلَا ظِبَاءُ عَدِيٍّ مَا شُغِفْتُ بِهِمْ   وَلَا بِرَبْرَبِهِمْ لَوْلَا جَآذِرُهُ (٤)

مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِي أَنْيَابِهِ شَنَبٌ   خَمْرٌ يُخَامِرُهَا مِسْكٌ تُخَامِرُهُ (٥)

---

(١) يقول : هما خصلتان اما الغنى وما اليه من الرياسة والملك واما الموت فافعل لعل أحد هذين يخلد ذكرك

(٢) حاشاه تجنبه وتوقاه . والضمائر جمع ضمير وهو ما يضمره الانسان ويخفيه وغيض الدمع حبسه ونقصه . وانهلت انصبت . وبوادره سوابقه ومسرعانه . يقول : تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يحبس دموعه عن الجرى فظهر عليه مايكتمه لانه لم يقدر على كتمانه وسبقه الدمع فوقف الرقيب على سره

(٣) يعتذر لما في البيت الأول. يقول: ان الذى يكتم حبه كيلا يطلع عليه يغلبه الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سره وينهتك ستره لانه يجزع ويبكى فيستدل بجزعه وبكائه على حبه (٤) كنى بالظباء عن النساء . وعدى قبيلة من قريش . وكنى بالربرب — وهو القطيع من بقر الوحش — عن جماعة النساء مطلقا . وبالجآذر — جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية — عن الشواب منهن . يقول : لولا نساء هذه القبيلة اللائى هن كالظباء فى عيونهن وأعناقهن ما شغفت بالقبيلة كلها ، ولولا الشواب المليحات منهن ما شغفت بنسائهم جميعا . ويروى بدل ما شغفت ما شقيت أى لولا نساء هذه القبيلة ما شقيت بالقبيلة ، أى احتاج إلى مجاملتهم واحتمال الذل لاجل نسائهم الحسان ولولا الشواب ما شقيت بالكبار فى مضايقتهن (٥) الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها . والشنب صفاء الاسنان ورقة مائها وسئل ذو الرمة عن الشنب فأخذ حبة رمان فقال هذا هو الشنب أشار إلى صفائها ورقة مائها . وذهب الواحدى فى اعراب خمر إلى

نُعْجٌ مَحَاجِرُهُ دُعْجٌ نَوَاظِرُهُ حُمْرٌ غَفَائِرُهُ سُودٌ غَدَائِرُهُ (١)

أَعَارَنِي سُقْمَ عَيْنَيْهِ وَحَمَّلَنِي مِنَ الهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَآزِرُهُ (٢)

يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي نَفْسِي فَعَذَّبَنِي وَمَنْ فُؤَادِي عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ (٣)

أنها مبتدا ومسك فاعل يخامرها والجملة صفة خمر وتخامره ضمير الفاعل فيه للخمر وضمير المفعول للشنب والجملة خبر خمر وجملة خمر وما يليها إلى آخر البيت صفة لشنب يقول : بلائي أو شقائي من كل أحور في أنيابه شنب تخالطه خمر يخالطها مسك

(١) نعج جمع انعج والنعج البياض . والمحاجر جمع المحجر وهو ما دار بالعين جعلها بيضا لبياض الوانهن . والدعج السواد . والنواظر الاحداق . والغفائر جمع الغفارة وهي خرقة تكون على الرأس تقي بها المرأة الخمار من الدهن وقد تكون اسما للخمار جعلها حمراً لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك وان جعلنا الغفائر الحمر فأنما جعلها حمرا لأنهن شواب كما قال

* حُمْرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ *

والغدائر الضفائر من الشعر (٢) يريد بسقم عينيه الفتور وهو مما توصف به الحسان كما قال ابن المعتز

ضَعِيفَةٌ أَجفَانُهُ وَالقَلْبُ مِنهُ حَجَرُ

كَأَنَّمَا أَلحَاظُهُ مِن فِعْلِهِ تَعتَذِرُ

وهو كثير . والمآزر جمع المئزر وهو الأزار ، وماتحويه المآزر الكفل . يقول : أمرضني كمرض جفونه وأثقلني بالهوى كثقل أردافه . وهذا كقول منصور بن الفرج

حَلَّ فِي جِسْمِيَ مَا كَا نَ بِعَيْنَيْكِ مُقِيمَا

ومثله للبحتري

وكَأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَاظِرَيْكِ مِنَ السَّقَمْ

وقال السري الرفاء

وَنَوَاظِرٍ وَجَدَ الْمُحِبُّ فُتُورَهَا لَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَيُّ — فِي أَعْضَائِهِ

ويعجبني قول العكبري : وذكر الكفل في الشعر وغيره ليس بجيد وإن كان قد ذكره قوم من العرب (٣) المضافرة المعاونة . يقول : ان فؤاده يعين الحبيب على قتله حيث

بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاءِ ثانِيَةً ... سَلَوْتُ عَنْكَ وَنامَ اللَّيْلَ ساهِرُهُ (١)

مِنْ بَعْدِما كانَ لَيْلِي لا صَباحَ لَهُ ... كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ (٢)

غابَ الأَمِيرُ فَغابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدٍ ... كادَتْ لِفَقْدِ اسْمِهِ تَبْكِي مَنابِرُهُ (٣)

قَدِ اشْتَكَتْ وَحْشَةَ الأَحْياءِ أَرْبُعُهُ

وَخَبَّرَتْ عَنْ أَسَى المَوْتَى مَقابِرُهُ (٤)

حَتَّى إِذا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِبابُ لَهُ ... أَهَلَّ لِلّٰهِ بادِيهِ وَحاضِرُهُ (٥)

وَجَدَّدَتْ فَرَحاً لا الْغَمُّ يَطْرُدُهُ ... وَلا الصَّبابَةُ فِي قَلْبٍ تُجاوِرُهُ (٦)

لا يسلو مع ما يرى من كثرة الجفاء وهذا كما يقال : قلب العاشق عون عليه مع حبيبه . ويقول العباس بن الاحنف

كَيْفَ احْتِراسِي مِنْ عَدُوِّي إِذا ... كانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلاعِي

(١) يقول : لما عادت دولة الممدوح ـــ وكان قد عزل ثم ولى ثانيا ـــ ذهب حبك من قلبي ونمت الليل بعد أن كنت أسهره وهذا من حسن التخلص (٢) يقول : من بعد ما كنت أقاسى من الحزن ما يسهرنى فيطول على الليل حتى كأنه متصل بيوم الحشر . وهذه مبالغة فى وصف الليل بالطول (٣) هذا من قول أشجع السلمى

فَما وَجْهُ يَحْيَى وَحْدَهُ غابَ عَنْهُمُ ... وَلٰكِنَّ يَحْيَى غابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعا

ويقول الآخر

بَكَتِ المَنابِرُ يَوْمَ ماتَ وَإِنَّما ... أَبْكَى المَنابِرَ فَقْدُ فارِسِهِنَّهْ

(٤) الضمير فى اربعه ومقابره للبلد . والوحشة الاكتئاب يجده الانسان عند اعتزاله الناس . والربع المنزل . والأسى الحزن . يقول : لما غاب الامير عن البلد حزن لغيبته الاحياء حتى أحست بذلك دورهم ومنازلهم ، وكذلك الموتى حزنوا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم (٥) المراد بالقباب جمع قبة تلك التى تتخذ للزينة والنثار . وعقدت ضربت وأهل لله أى رفع أهل البادية وأهل الحضر اصواتهم بالدعاء سروراً بعودته

(٦) يقول : ان عودة دولته جددت فرحا لا يغلبه الغم ولا يجاوره الشوق فى قلب

إِذَا خَلَتْ مِنْكَ حِمْصٌ لَا خَلَتْ أَبَدًا فَلَا سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ (١)

دَخَلْتَهَا وَشُعَاعُ الشَّمْسِ مُتَّقِدٌ وَنُورُ وَجْهِكَ بَيْنَ الْخَلْقِ بَاهِرُهُ (٢)

فِي فَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ صَرْفَ الزَّمَانِ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ (٣)

تَمْضِي الْمَوَاكِبُ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ (٤)

قَدْ حِرْنَ فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظَافِرُهُ (٥)

حُلْوٍ خَلَائِقُهُ شُوسٍ حَقَائِقُهُ تُحْصَى الْحَصَى قَبْلَ أَنْ تُحْصَى مَآثِرُهُ (٦)

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحُبَتْ كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِنْ فِيهَا عَسَاكِرُهُ (٧)

أى لامتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه موضع للعشق (١) حمص بلد الممدوح وقوله لاخلت أبدا جملة دعائية معترضة جميلة . يقول : اذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر ـ أى لا أنبتت ـ ولا سقاها باكر الوسمى والوسمى أول مطر السنة والولى ثانيه (٢) يقول : دخلت حمص وقت اشراق الشمس وشعاعها ـ ضياؤها ـ يتوقد ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس (٣) الفيلق العسكر وجعله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها يقول : لو حاربت بعسكرك هذا الزمان مادارت على الناس دوائره وهى حركاته وصروفه التى تدور على الناس وتأتى حالا بعد حال وهذا غلو كما ترى (٤) المراد بالطائر الفأل والعرب يتفاءلون فى الخير والشر بالطيور فيسمون الفأل الطائر . والميمون المبارك . يقول : العيون شاخصة إلى الملك لا تنظر إلى غيره من عساكره (٥) حرن أى الابصار . وأراد بالبشر الممدوح . وبالقمر وجهه . وجعله أسدا فى درعه لشجاعته وتدمى أظافره أى تتلطخ لكثرة ما يفترس من الاعداء (٦) الخلائق جمع الخليقة وهي الخلق . والشوس جمع الأشوس وهوالذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر . والحقيقة ما يحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد يقال فلان حامى الحقيقة . يقول : ان أخلاقه حلوة معسوله وحقائقه محمية لا يحوم حولها أحد ، فهى ممتنعة امتناع المتكبر ، وهو كثير المآثر حتى لا تكاد تحصى (٧) هذا من قول أبى تمام

وَرَحْبِ صَدْرٍ لَوَ انَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ تَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ

إِذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ المَرْءِ فِي طَرَفٍ — مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ (١)

تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ — كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ (٢)

إِذَا انْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدَعْ جَسَدًا — إِلَّا وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ (٣)

فَقَدْ تَيَقَّنَّ أَنَّ الحَقَّ فِي يَدِهِ — وَقَدْ وَثِقْنَ بِأَنَّ اللهَ نَاصِرُهُ (٤)

تَرَكْنَ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثَعْلَبَةٍ — عَلَى رُؤُوسٍ بِلَا نَاسٍ مَغَافِرُهُ (٥)

---

(١) تغلغل فى الشيء دخل فيه وأمعن يكون فى الجواهر والأعراض . يقول : ان أدنى مجده يستغرق الفكر والخواطر لمن أراد أن يصفه (٢) حمى الشيء يحمى اشتد حره . والعشائر الاهل والاقارب . يقول : اذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يغضبون لغضبه ، وهذا من قول أبى تمام

كَأَنَّهَا وَهْيَ فِي الأَرْوَاحِ وَالِغَةٌ — وَفِي الكُلَى تَجِدُ الغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ

ويقول البحترى

وَمُصْلَتَاتٍ كَأَنَّ حِقْدًا — بِهَا عَلَى الهَامِ وَالرِّقَابِ

(٣) يقول : اذا استل سيوفه من اغمادها ليحارب بها لم تترك جسدا إلا قطعته اربا حتى تبدو بواطنه للعين كما تبدو ظواهره (٤) أى لكثرة ما رأت ذلك واعتادته وهذا ينظر إلى قول النابغة الذبيانى

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ — إِذَا مَا التَقَى الجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

« يصف النابغة عصائب الطير التى تتبع الجيش » (٥) الهام جمع هامة وهى أعلى الرأس ومستقر الدماغ وهامة القوم سيدهم على المثل وقد يراد هنا . وعوف وثعلبة قبيلتان . والمغافر جمع مغفر وهو ما يغفر الرأس أى يغطيه من الحديد والضمير فى مغافره للهام ، وعلى رؤس خبر مقدم ومغافره مبتدأ مؤخر . يقول : إن سيوفه فرقت بين رؤس هؤلاء القوم — وكان قد أوقع بهم — وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رؤس بلا أبدان . قال ابن جنى : وذلك لانه لما قتلهم جاؤا برؤسهم وعليها المغافر .

خَاضَ بالسَّيْفِ بَحْرَ المَوْتِ خَلْفَهُمُ ... وكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ زَاخِرُهُ (١)

حتَّى انْتَهَى الْفَرَسُ الجَارِى ومَا وَقَعَتْ ... فى الأَرْضِ مِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى حَوَافِرُهُ (٢)

كَمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ ... وَمُهْجَةٍ وَلَغَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ (٣)

وَحَائِنٍ لَعِبَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ ... فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ (٤)

مَنْ قَالَ لَسْتَ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ ... فَجَهْلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَاذِرُهُ

أَوْ شَكَّ أَنَّكَ فَرْدٌ فى زَمَانِهِمِ ... بِلا نَظِيرٍ فَفِى رُوحِى أُخَاطِرُهُ (٥)

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ (٦)

وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ ... جُودًا وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ

لا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ (٧)

---

(١) زخر البحر طمى موجه وعلا . قال ابن جنى : أى ركب معهم أمرا عظيما عليهم صغيرا عليه ، فيكون بحر الموت مثلا للأمر العظيم وقرب غوره له مثل لصغره فى نظره وقال الواحدى : بحر الموت الحرب والمعركة لكثرة ما فيها من الدماء يقول : خاض ذلك البحر خلف هؤلاء إلا أنه لم يغرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبيه (٢) يقول : حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الارض لكثرة القتلى وإنما وطىء أجسادهم ويروى بدل جثث جيف (٣) الأسنة الرماح . والمهجة دم القلب . وأصل الولوغ شرب السباع الماء بألسنتها . والبواتر السيوف القواطع (٤) يقول : وكم من حائن — هالك — لعبت رماحك به — أى نالت منه وقتلته — فهجرته الحياة وفارقته ، وزاره النسر ليأكل لحمه (٥) أخاطره أراهنه يقال خاطر فلان فلانا على كذا أى راهنه عليه . وإنما قال هذا لثقته بكونه فردا (٦) ألوذ أعوذ والجأ . ومثله لابن الرومى

ولا الْعَائِذُ اللاَّجِى إِلَيْهِ بِخَائِفٍ ... ولا الرَّائِدُ الرَّاجِى نَدَاهُ بِخَائِبِ

(٧) الجبر إصلاح الكسر . والهيض الكسر بعد الجبر يقال هضت العظم فهو مهيض

وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحترى المنبجى

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ ... بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فِى كَبِدِى جَمْرُ (١)

أَذَا الْغُصْنُ أَمْ ذَا الدِّعْصُ أَمْ أَنْتِ فِتْنَةٌ ... وَذَيَّا الَّذِى قَبَّلْتُهُ الْبَرْقُ أَمْ ثَغْرُ (٢)

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِى ... فَقُلْنَ نَرَى شَمْساً وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ (٣)

رَأَيْنَ الَّتِى لِلسِّحْرِ فِى لَحَظَاتِهَا ... سُيُوفٌ ظُبَاهَا مِنْ دَمِى أَبَداً حُمْرُ (٤)

وانهاض إذا انكسر بعد الجبر . يقول : إنهم لايقدرون على خلافك فى حال من الاحوال « هذا » ويروى بعد هذا البيت بيت قال الواحدى أنه منحول وهو

إِرْحَمْ شَبَابَ فَتًى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ ... يَدُ الْبِلَى وَذَوَى فى السِّجْنِ نَاضِرُهُ

« أودى به أهلكه والجدة مصدر الجديد وذوى ذبل» (١) يقول : است أدرى أريق ما ذقته من فمك أم هو ماء سحاب أم خمر ؟ وهو بارد فى فمى حار فى كبدى لانه يحرك الحب ويذكى جمر الهوى (٢) ذا بمعنى هذا والهمزة للاستفهام . وعنى بالغصن قوامها وبالدعص — وهو كثيب الرمل — ردفها ثم قال : أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك غصنا وردفك كثيبا ،وذيا تصغير ذا والتصغير ههنا مغزاه أن أن ثغرها محبوب عنده قريب من قلبه ، أو ارادة صغر أسنانها . وثغرها البرق لضوئه ونقائه .(٣) يقول : تعجب عواذلى من رؤية الشمس فى الليل والفجر لم يطلع لانهن حسبن وجهها شمساً ، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع انكارهن عليه حبها كان ذلك أدل على حسنها . ولله أبو تمام إذ يقول

لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى ... قُلُوباً عَهِدْنَا طَيْرَهَا وَهْىَ وُقَّعُ

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ ... بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ تَطْلُعُ

نَضَا ضَوْءُهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى ... لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْمُجَزَّعُ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَأَحْلَامُ نَائِمٍ ... أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِى الرَّكْبِ يُوشَعُ

(٤) الظبى أطراف السيوف . لما جعل سحر عينها قاتلا استعارله سيوفا ثم جعلها حمر الظبى من دمه لانها تقتله

تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِى حَرَكَاتِهَا فَلَيْسَ لِرَاءٍ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُذْرُ(١)

إِلَيْكَ ابْنَ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ بِيَ الْبِيدَ عِيسٌ لَحْمُهَا وَالدَّمُ الشِّعْرُ(٢)

نَضَحْتُ بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا فَسَارَتْ وَطُولُ الأَرْضِ فِى عَيْنِهَا شِبْرُ(٣)

إِلَى لَيْثِ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفُهُ وَبَحْرِ نَدًى فِى مَوْجِهِ يَغْرَقُ الْبَحْرُ(٤)

وَإِنْ كَانَ يُبْقِى جُودُهُ مِنْ تَلِيدِهِ شَبِيهًا بِمَا يُبْقِى مِنَ الْعَاشِقِ الْهَجْرُ(٥)

(١) يقول : أنها كيفما تحركت فالحسن ساكن فى حركاتها قد بلغ الغاية فى ذلك فمن رآها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتى عليه فليس له عذر لان مثل هذا الحسن قاتل (٢) البيد الصحارى. والعيس الابل ويروى عنس والعنس الناقة الصلبة . وقوله لحمها والدم الشعر يقول : كنت أحدوها بشعرى الذى مدحتكم به فتقوى على السير أى أن شعرى قام لها مقام اللحم والدم فى تقويتها على السير والعرب تزعم أن الابل إذا سمعت الغناء والحداء نشطت للسير . وروى الخوارزمى الشعر بفتح الشعر يعنى أنها هزلت حتى لم يبق منها غير الشعر أو الوبر . والاولى أجود يوافقها البيت التالى (٣) نضح الشىء بالماء رشه عليه . يقول : بردت بذكراكم وبشعرى الذى قلته فيكم حرارة قلب هذه الناقة — يعنى غلة عطشها — فأسرعت واستقربت البعيد لنشاطها على هذه الذكرى وهذا المديح (٤) يلحم الليث سيفه أى يمكن السيف من لحم الليث من قولهم ألحمت الرجل اذا قتلته فهو ملحم ولحيم . يعنى : أن الممدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف ، وهو بحر جود يغرق فى موجه بحر الماء لانه أعظم منه

(٥) التليد المال الموروث من الآباء : يقول: سارت ناقتى اليه وقصدته وان لم أكن واثقا بابقاء نواله شيأ من ماله ، يعنى أن جوده لا يبقى من ماله إلا المقدار اليسير الذى لا مطمع فيه لكثرة عطائه كما لا يبقى الهجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام

فَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ ... رِمَاحُ المَعَالِي لاالرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرُ (١)

تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ ... فَنَائِلُهَا قَطْرٌ وَنَائِلُهُ غَمْرُ (٢)

وَلَوْ تَنْزِلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ ... لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزْرُ (٣)

أَرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَهَا عُظْمُ قَدْرِهِ ... فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ (٤)

مَتَى مَا يُشِرْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ ... تَخِرَّ لَهُ الشِّعْرَى وَيَنْخَسِفُ البَدْرُ (٥)

تَرَ القَمَرَ الأَرْضِيَّ وَالمَلِكَ الذِي ... لَهُ المُلْكُ بَعْدَ اللهِ وَالمَجْدُ وَالذِّكْرُ (٦)

كَثِيرُ سُهَادِ العَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... يُؤَرِّقُهُ فِيمَا يُشَرِّفُهُ الفِكْرُ (٧)

---

(١) احتوى الشيء واحتوى عليه أخذه وحازه . والردينية الرماح تنسب إلى ردينة امرأة كانت تقوم الرماح . يقول : ان المعالى تغزو أموال الممدوح كل يوم فتحوزها ، يعنى أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء ، فما له عرضة لرماح المعالى تستولى عليه لا الرماح الحقيقية لان أعداءه ليس فى مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر لانه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه ويغصبه ماله

(٢) نائلها أى السحاب والنائل العطاء والقطر المطر والمراد هنا قليل . والغمر فى الاصل معظم البحر والمراد هنا كثير (٣) يقول : لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها وكان ذلك قليلا عند عطاياه لان جوده يقتضى أكثر من ذلك كما قال

☆ يَامَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنيا فَقَدْ بَخِلَا ☆

(٤) يقول : أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيراً ، وليس لشيء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر لأن خطره يربى على كل شيء (٥) المراد بالشعرى الشعرى العبور لاضاءتها وقد عبدتها العرب فى الجاهلية قال تعالى : وأنه هو رب الشعرى : يقول : ان وجهه أتم نورا واضاءة من الشعرى والبدر ، فاذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعرى حياء منه وخجلا وانخسف البدر لغلبة ضوء وجهه البدر (٦) تر بغير ياء بدل من جواب الشرط ومن رواه بالياء جعله استئنافا للمخاطب يقول : أى تر الشعرى برؤيته القمر الارضى أو ترى أنت أيها الرائى برؤيته القمر الأرضى (٧) السهاد السهر ولا يستعمل إلا فى السهر لشدة . يقول : هو يسهر من غير علة توجب السهر ولكنه

لَهُ مِنَنٌ تُفْنِي الثَّنَاءَ كَأَنَّمَا بهِ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا يُؤَدَّى لَهَا شُكْرُ (١)

أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِهِ وَمَا لِامْرِئٍ لَمْ يُمْسِ مِنْ بُحْتُرٍ فَخْرُ (٢)

هُمُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ يُغَنِّى بِهِمْ حَضْرٌ وَيَحْدُو بِهِمْ سَفْرُ (٣)

بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أَقِيسُهُ

إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالدَّهْرُ (٤)

وقال يرثى محمد بن اسحق التنوخى

إِنِّي لَأَعْلَمُ وَاللَّبِيبُ خَبِيرُ أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتُ غُرُورُ (٥)

يفكر فى كل ما يزيده شرفا إلى شرفه فسهاده لاجل ذلك (١) يقول : ان منه على الناس باحسانه وانعامه تستغرق الثناء وتربى عليه حتى لكأنها أقسمت بحق الممدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها ، والقسم به عظيم لا يجرى فيه حنث ومن ثم كانت منه زائدة على ثناء المثنين وشكر الشاكرين . والمنن جمع منة والمن له معنيان أحدهما احسان المحسن غير معتد بالاحسان يقال لحقت فلانا من فلان منه أى نعمة والثانى أن يعظم المحسن احسانه ويفخر به ويبدىء فيه ويعيد حتى يفسده وينغصه والمراد هنا الاول

(٢) بحتر قبيلة الممدوح . يقول : انما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله وليس لمن لم ينم إلى قبيلتك فخر فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك (٣) الحضر الحاضرون فى البلاد جمع حاضر والسفر المسافرون ولا يقال فى المفرد سافر . يقول : هم الناس فى الحقيقة إلا أن الله سبحانه خلقهم من طينة المكارم — لكثرة ما ركب فيهم من الكرم — ضد اللؤم — فالحاضرون يغنون بمدائحهم وبما قيل فيهم من الاشعار وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك، أى اشترك المقيم والمسافر فى ذلك (٤) يقول : ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقايس بينه وبينك وأوازن لانك أجل وأعلى من أهل الدهر ومن الدهر الذى يتصرف على مرادك والذى تحدث أنت فيه النعيم والبؤس

(٥) واللبيب خبير جملة اعتراضية واللبيب العاقل قال الواحدى : قوله واللبيب خبير إشارة إلى أنه هو لبيب لذلك علم أن الحياة — وإن حرص عليها الانسان — غرور

وَرَأَيْتُ كُلًّا مَا يُعَلِّلُ نَفْسَهُ ... بِتَعِلَّةٍ وَإِلَى الفَنَاءِ يَصِيرُ (١)

أَمُجَاوِرَ الدِّيمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ ... فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ (٢)

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى

أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُورُ (٣)

مَا كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى

رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ (٤)

خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكٍ خَلْفَهُ ... صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ (٥)

وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ ... وَالأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ (٦)

يغتر بها الانسان يظن أنه يبقى وتطول حياته كما قال البحترى

وَلَيْسَ الأَمَانِي بِالْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ ... بِهِ عَادَةٌ إِلاَّ أَحَادِيثَ بَاطِلِ

(١) ما زائدة للتوكيد كقوله تعالى « فبما نقضهم ميثاقه » وعلله بالشيء لهاه به وشغله ومناه يقول : رأيت كل أحد يعلل نفسه بشيء يلهيها به عن ترقب الموت وهو لا محالة صائر إلى الفناء (٢) الديماس السرب المظلم وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته وهو بكسر الدال يجمع على دماميس كقيراط وقراريط وبفتح الدال يجمع على دياميس مثل شيطان وشياطين — وأراد بالديماس هنا القبر . والقرارة كل موضع يستقر فيه شيء والمراد القبر أيضا ، وجعل الميت رهن القبر لاقامته هناك إلى يوم البعث فكأن القبر استرهنه ثم قال : إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه (٣) تغور تذهب وتختفى

(٤) رضوى اسم جبل بالمدينة شبه المرثى به لعظمه وفخامة شأنه ، وهـذا من قول ابن المعتز :

هذَا أَبُو الْقَاسِمِ فِي نَعْشِهِ ... قُومُوا انظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الجِبَالُ

(٥) دك هدم وسوى بالأرض . والطور الجبل والمراد به طور سيناء وقوله يوم دك الطور أشارة الى قوله تعالى : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا

(٦) كبد السماء وسطها . وواجفة مضطربة . وتمور تذهب وتجيء . يقول: إن ضوءه

وَحَفِيفُ أَجْنِحَةِ المَلاَئِكِ حَوْلَهُ ... وَعيونُ أَهْلِ اللَّاذِقِيَّةِ صُور (١)

حَتَّى أَتَوْا جَدَثًا كأَنَّ ضَرِيحَهُ ... فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ (٢)

بِمُزَوَّدٍ كَفَنَ البِلَى مِنْ مُلْكِهِ ... مُغْفٍ وَإِثْمِدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ (٣)

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّماحَةُ وَالتُّقَى ... وَالبَأْسُ أَجْمَعُ وَالحِجَى وَالخِيرُ (٤)

الشمس ضعف بموته فكأنها مريضة واضطربت الارض فهى تذهب وتجيء ، وهذا كله تعظيم لموت المرثى . وأصل هذا المعنى قول جرير يرثى عمر بن عبد العزيز

أَلشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيسَتْ بِكَاسِفَةٍ ... تَبكِى عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيلِ وَالْقَمَرَا *

ويقول ابن الرومى

عَجِبْتُ لِلأَرْضِ لم تَرْجُفْ جَوَانِبُهَا ... وَلِلْجِبَالِ الرَّوَاسِى كَيْفَ لَمْ تَمِدِ

عَجِبْتُ لِلشَّمْسِ لم تَكسِفْ لِمَهْلِكِهِ ... وَهْوَ الضِّيَاءُ الذى لَوْلاَهُ لَمْ تَقِدِ

(١) الحفيف صوت أجنحة الطير إذا حركتها . والملائك الملائكة جمع ملك على غير قياس . وصور جمع أصور وهو المائل ومنه قول الشاعر

أَللهُ يَعلَمُ أَنَّا فِي تَلَفُّتِنَا ... يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى أَحْبَابِنَا صُوَرُ

واللاذقية بلد المرثى . يقول : أحاطت بنعشه ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم حفيف ، وعيون أهل بلده مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقا اليه وحزنا عليه لشدة حبهم اياه . قال العكبرى : وقوله اللاذقية وصور — وهما بلدان — فيه تورية (٢) الجدث القبر . والضريح الشق فى وسط القبر . وهذا من قول ابن الزيات

يقولُ لِىَ الْخُلاَّنُ لَوْ زُرْتَ قَبرَهَا ... وَهَلْ غَيْرُ الْفُؤَادِ لَهَا قَبْرُ

(٣) بمزود متعلق بأتوا فى البيت السابق . والمغفى النائم أغفى اغفاء فهو مغف . والاثمد الكحل الاسود . وملكه تقرؤها بضم الميم وبكسرها روايتان . يقول : لم يزود من ملكه إلا كفنا يبلى ، وقد جعل الكافور — الذى يذر على وجه الميت — فى موضع الكحل (٤) فيه أى فى الكفن . والحجى العقل . والخير الكرم

* يقول : إن الشمس طالعة تبكى عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لانها فى طلوعها خاشعة باكية لانور لها

كَفَلَ الثَّناءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ ... لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ (١)

وَكَأَنَّمَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ ... وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ (٢)

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهُنَّ بُحُورُ ... وَخَبَتْ مَكَايِدُهُ وَهُنَّ سَعِيرُ (٣)

يُبْكَى عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ ... فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ (٤)

صَبْرًا بَنِي إِسْحَقَ عَنْهُ تَكَرُّمًا ... إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورُ (٥)

فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ ... وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرُ (٦)

أَيَّامَ قَائِمُ سَيْفِهِ فِي كَفِّهِ الْـ ... ـيُمْنَى وَبَاعُ الْمَوْتِ عَنْهُ قَصِيرُ (٧)

---

(١) يقول: ان ثناء الناس عليه وذكرهم اياه بعده كفيل برد حياته لأن من بقى ذكره كأنه لم يمت، وهذا من قول النميرى

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

ويقول أبو تمام

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَيْشًا ثَانِيًا ... وَمَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا

ويقال أنشر الله الميت ونشره (٢) يقول: ذكره أبدا يحييه كما أحيا عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات (٣) غاضت غارت. وخبت النار سكن لهبها. والمكايد جمع مكيدة وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأى. والسعير تسعر النار. يقول: لما مات غاض بحر جوده الذى كان يفيض على الناس بالعطاء وانطفأت نار كيده وكانت سعيرا على أعدائه (٤) يقول: ليس من حقه البكاء عليه لأنه لم يستقر فى قبره حتى صافحته الحور فى جنة الخلد واذا كان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء (٥) على العظيم أى على الامر العظيم وروى ابن جنى عن العظيم أى عن الرجل العظيم

(٦) يقول: ليس في العالم مثلكم ولا مثله وكلا كما عظيم (٧) العامل فى أيام محذوف تقديره لم يكن له نظير أيام الخ أى أيام يقاتل أعداءه ويد الموت غير ممتدة اليه، أو

وَلَطالمَا انْهَمَلَتْ بِمَاءٍ أَحْمَرٍ ... فى شَفْرَتَيهِ جَمَاجِمٌ وَنُحُورُ (١)

فأُعِيذُ إِخْوَتَهُ بِرَبِّ مُحَمَّدٍ ... أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورُ (٢)

أَوْ يَرْغَبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُفْرَةٍ ... حَيَّاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ (٣)

نَفَرٌ إِذَا غَابَتْ غُمُودُ سُيُوفِهِمْ ... عَنْهَا فَآجَالُ الْعِبَادِ حُضُورُ (٤)

وَإِذَا لَقُوا جَيْشاً تَيَقَّنَ أَنَّهُ ... مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوفَةٍ مَحْشُورُ (٥)

لَمْ تُثْنَ فى طَلَبٍ أَعِنَّةُ خَيْلِهِمْ ... إِلاَّ وَعُمْرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورُ (٦)

يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّةٍ ... إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْبِعَادِ يَزُورُ (٧)

تقديره أذكركم تلك الايام التى لم ينل منه عدو فيها (١) يقول : طالما سالت الجماجم والنحور من أعدائه فى حدى سيفه بالدماء (٢) قال ابن جنى : الوجه أن يكون محمد الأول النبى عليه الصلاة والسلام والثانى المرثى ويجوز أن يكون الأول والثانى كلاهما المرثى . يقول : لا ينبغى لهم أن يحزنوا عليه لانه مسرور بما أصاره الله اليه من الكرامة (٣) يقال رغب به عن هذا الأمر أى رفعه عنه . يقول : واعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيرا له من قبرصار روضة من رياض الجنة حتى حياه فيه الملكان منكر ونكير ، أى أن قبره خير له من تلك القصور ، ومنزله فى الآخرة أشرف من منازله التى كانت فى الدنيا (٤) يقول : هم — أى بنو اسحاق — نفر — أى رهط وجماعة — اذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن اغمادها حضرت آجال أعدائهم لأنهم يستأصلونهم فى النو واللحظة (٥) التنوفة الارض البعيدة — المفازة — يقول : اذا حاربوا جيشا تيقن ذلك الجيش أنهم قاتلوه لا محالة فتأكله الطير حتى اذا جاء يوم الحشر — البعث — بعث من بطون الطير (٦) المبتور المقطوع . والأعنة جمع عنان وهو سير اللجام . يقول : لم تعطف أعنة خيل هؤلاء القوم فى طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذى طردته خيلهم واتبعته قد انقطع أجله

(٧) عن نية أى عن قصد أو تقول النية بمعنى النوى أى البعد . يقول : قصدت ديارهم البعيدة لحبى اياهم لان المحب يزور حبيبه وان شطت به النوى كما قال القائل

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ ... وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجُبٌ وَأَسْتَارُ

وَقَنِعْتُ بِاللُّقْيَا وَأَوَّلِ نَظْرَةٍ ... إِنَّ القَلِيلَ مِنَ الحَبِيبِ كَثِيرُ (١)

وسأله بنو عم الميت أن ينفى الشماتة عنهم فقال ارتجالا

أَلِآلِ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... إِلَّا حَنِينٌ دَائِمٌ وَزَفِيرُ (٢)

مَاشَكَّ خَابِرُ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ ... أَنَّ العَزَاءَ عَلَيْهِمِ مَحْظُورُ (٣)

تُدْمِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقَضِي

سَاعَاتُ لَيْلِهِمِ وَهُنَّ دُهُورُ (٤)

أَبْنَاءَ عَمٍّ كُلُّ ذَنْبٍ لِامْرِئٍ ... إِلَّا السِّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَغْفُورُ (٥)

طَارَ الوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وِدَادِهِمْ ... وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ (٦)

لَا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ مِنْ زِيَارَتِهِ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

(١) هذا من قول الموصلى

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي ... وَقَلِيلٌ مِمَّنْ تُحِبُّ كَثِيرُ

(٢) هذا استفهام انكارى . والزفير امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم . يقول : ليس لهم إلا الحنين اليه والزفير على فقده (٣) الخابر العالم بالشيء مثل الخبير أو المجرب . يقول : لا يشك من خبرهم وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقده ، اى لا يصبرون عنه ، وهذا من قول البحترى

حَالَتْ بِكَ الأَشْيَاءُ عَنْ حَالَاتِهَا ... فَالحُزْنُ حِلٌّ وَالعَزَاءُ حَرَامُ

(٤) يقول : انهم يبكون عليه دما ويسهرون لفقده حتى يطول عليهم الليل فكأنه دهر (٥) يقول : كل من اذنب اليهم ذنبا فانهم يغفرون له ذلك الذنب إلا ذنب من يسعى بينهم بالنميمة والافساد

(٦) يقول : ان الوشاة نموا بينهم قصد ان يكدروا صفاء ما بينهم من ود مثلهم فى ذلك مثل الذباب الذى يطير على الطعام كأنه يريد افساده ومثله

وَجَلَّ قَدْرِي فَاسْتَحْلَوْا مُسَاجَلَتِي ... إِنَّ الذُّبَابَ عَلَى المَاذِيِّ وَقَّاعُ

وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً ... جُودِي بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْذِيرُ (١)

مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا ... يَجْرِي بِفَصْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ (٢)

وقال ارتجالا فى أبى الحسين بن ابراهيم وقد دخل

عليه وهو يشرب

مَرَتْكَ ابْنَ ابْرَاهِيمَ صَافِيَةُ الْخَمْرِ

وَهُنِّئْتَهَا مِنْ شَارِبٍ مُسْكِرِ السُّكْرِ (٣)

رَأَيْتُ الْحُمَيَّا فِى الزُّجَاجِ بِكَفِّهِ

فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِى الْبَدْرِ فِى الْبَحْرِ (٤)

إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِرًا ... نَأَى أَوْ دَنَا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الْخِضْرِ (٥)

« الماذى العسل الابيض » (١) أبو الحسين أحد أخوة المرثى . يقول : بذلت له من الود ما لو بذلت مثله لعدوه لكان ذلك منى اسرافا وتبذيراً لأن من عاداه لا يستحق منى مثل ذلك الود فاذا بذلته له كنت متلافا واضعا للشىء فى غير موضعه

(٢) المقدور القدر وفصل قضائه حكمه الفاصل بين الحق والباطل . يقول : كأن القدر يجرى بمراده واختياره ،وصدر البيت من قول أبى تمام

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا ... عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطِّبَاعِ

وعجزه من قول ابن الرومى

لَسْتَ تَحْتَجُّ بِالزَّمَانِ وَلَا الْقَدْ ... رِ وَأَنْتَ الزَّمَانُ وَالْمَقْدُورُ

(٣) فى قوله مرتك — كما قال الواحدى — نوعان من الضرورة أحدهما أنه كان يجب ان يقول أمرأتك لأنه إنما يقال مرأك إذا كان مع هناك فاذا أفرد قالوا أمرأنى الطعام ، والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب شمائله ويستحسنها فيسكر السكر حسنها ، ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون المراد أنه يغلب السكر والسكر لايغلبه وعادته أن يغلب كل شىء فكأنه قد غلبه (٤) الحميا من أسماء الخمر — شبه الخمر بالشمس والزجاجة بالبدر وكفه بالبحر (٥) زعموا أن الخضر عليه السلام

وقال ارتجالا وقد دخل على بدر بن عمار يوما فوجده خاليا
وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشراب

أَصْبَحْتَ تأْمُرُ بالْحِجَابِ لِخَلْوَةٍ هَيْهَاتَ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرِ
مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاظِرِ (١)
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحَجَّبٍ وَإِذَا بَطَنْتَ فأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ (٣)

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف
فلم يقدر على الكلام فقال هذين البيتين وهو لا يدرى

نَالَ الَّذِى نِلْتُ مِنْهُ مِنِّى لِلّٰهِ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ (٤)

لا يذكر فى موضع إلا حضر . يقول : لا نذكر جوده إلا كان حاضرا كالحضر ، يعنى أن جوده يدركنا حيثما كنا (١) نظر فى ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم

قضى لها الله حين يخلقها الـــخالق أن لا يكنها سدف (١)

ونظر فى الجود إلى قول أبى تمام

يا أيُّها الملكُ النَّائى برؤيته وَجُودُهُ لمراعى جوده كَثَبُ

ويقول أبو نواس

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ سَاطِعاً عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءِ

(٢) من قول ابى تمام

فَنَعِمت مِنْ شَمْس إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِدْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ

(٣) يقول : الشراب الذى نلت منه باحتسائه نال منى بالاخذ من عقلى وحيويتى ثم نعجب مما تفعله الخمر ، ولله أبو تمام إذ يقول

وَكَأْسٍ كَمَعْسُولِ الأَمَانِي شَرِبْتُهَا وَلَكِنَّهَا أَجْلَتْ وَقَدْ شَرِبَتْ عَقْلِى
إِذَا اليَدُ نَالَتْهَا بِوِتْرٍ تَوَقَّرَتْ عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرِّجْلِ

---

(١) السدف الظلمة والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة

وَذَا انْصِرَافِى إِلَى مَحَلِّى أَآذِنٌ أَيُّهَا الأَمِيرُ

وقال يصف لعبة فى صورة جارية وذلك انه كان لبدر بن عمار جليس أعورُ يعرف بابن كَرَوَّس يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره لأنه لم يكن شىء يجرى فى المجلس الا ارتجل فيه شعراً فقال الأعور لبدر أظنه يعمل هذا قبل حضوره وَيُعِدُّهُ فقال بدر مثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشىء أحضره للوقت فلما كمل المجلس ودارت الكؤس أخرج لعبة لها شعر في طولها تدور على لولب واحدى رجليها مرفوعة وفى يدها طاقة ريحان فاذا وقفت حذاء انسان شرب فدارت فقال ارتجالا

وَجَارِيَةٍ شَعْرُهَا شَطْرُهَا مُحَكَّمَةٍ نَافِذٍ أَمْرُهَا(١)

تَدُورُ وَفِى كَفِّهَا طَاقَةٌ تَضَمَّنَهَا مُكْرَهاً شِبْرُهَا(٢)

فَإِنْ أَسْكَرَتْنَا فَفِى جَهْلِهَا بِمَا فَعَلَتْهُ بِنَا عُذْرُهَا(٣)

ويقول أيضا

أَفِيكُمْ فَتًى حَيٌّ فَيُخْبِرَنِى عَنِّى بِمَا شَرِبَتْ مَشْرُوبَةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْنِى

(١) يقول : إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها فكأنه نصفها ، وقد حكمها أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به لانها كانت تدور فاذا وقفت حذاء واحد منهم شرب فأمرها فيهم نافذ مطاع (٢) يقول : إن هذه الطاقة من الريحان وضعت فى كفها دون اختيار منها بل كرها لانها لاتعقل (٣) يقول : فاذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا فجهلها ما فعلت عذر لها ، لاتعلم ما تفعل

وقال فى بدر أيضاً وقد وقفت هذه الجارية حذاءه

إِنَّ الأَمِيرَ أَدَامَ اللهُ دَوْلَتَهُ ... لَفَاخِرٌ كُسِيَتْ فَخْراً بِهِ مُضَرُ[1]

فى الشَّرْبِ جَارِيَةٌ مِنْ تَحْتِهَا خَشَبٌ ... مَا كَانَ وَالِدَهَا جِنٌّ وَلاَ بَشَرُ[2]

قَامَتْ عَلَى فَرْدِ رِجْلٍ مِنْ مَهَابَتِهِ ... وَلَيْسَ تَعْقِلُ مَا تَأْتِى وَمَا تَذَرُ

وقال لبدر ما حملك على احضار اللاعبة فقال أردت أن أنفى الظنة عن أدبك فقال

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنْفِى الظَّنَّ عَنْ أَدَبِى ... وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ الْعَصْرِ مِقْدَارا[3]

إِنِّى أَنَا الذَّهَبُ الْمَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ ... يَزِيدُ فِى السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَارا[4]

فقال بدر بل للدينار قنطاراً فقال

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الْفَقْرُ ... وَبِأَنْ تُعَادَى يَنْفَدُ الْعُمْرُ

فَخَرَ الزُّجَاجُ بِأَنْ شَرِبْتَ بِهِ ... وَزَرَتْ عَلَى مَنْ عَافَهَا الْخَمْرُ[5]

وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهْىَ تُسْكِرُنَا ... حَتَّى كَأَنَّكَ هَابَكَ السُّكْرُ

مَا يُرْتَجَى أَحَدٌ لِمَكْرُمَةٍ ... إِلاَّ الإِلٰهُ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ

---

(١) يقول : إن العرب جميعا قد لبسوا فخرا به ويروى كسبت (٢) الشرب جمع شارب وجن اسم كان ووالدها خبر ، وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة (٣) تنفى الظن أي ما اتهم به من أنه لايقدر على ارتجال الشعر وفى تعبيره بزعمت ما يشعر بأنه يريد : أنى أبعد من أن يظن بى مثل ذلك ، فليس يعوزك أن تتجشم نفى هذا الظن عنى

(٤) يقول : إذا امتحنت تضاعف فضلى وارتفعت منزلتى ومثلى فى ذلك مثل الذهب الأبريز الخالص إذا اختبر بالسبك ، فان ما كان منه يظن بادىء ذى بدء أنه يساوى دينارا قد تزيد قيمته دينارا آخر (٥) يقول : إن الكؤوس تفخر بشربك فيها والخمر تعيب من يعافها — يكرهها — إذ تشرفت بشربك إياها

وأراد الارتحال عن على بن أحمد الخراسانى فقال

لَا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي عَنْكَ فِى عَجَلٍ ... فَإِنَّنِي لِرَحِيلِى غَيْرُ مُخْتَارِ
وَرُبَّمَا فَارَقَ الإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ ... يَوْمَ الْوَغَى غَيْرَ قَالٍ خَشْيَةَ الْعَارِ (١)
وَقَدْ مُنِيتُ بِحُسَّادٍ أُحَارِبُهُمْ
فَاجْعَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي (٢)

وقال يصف مسيره فى البوادى وما لقى فى أسفاره
ويذم الأعور بن كروّس

عَذِيرِى مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ ... سَكَنَّ جَوَانِحِى بَدَلَ الْخُدُورِ (٣)
وَمُبْتَسِمَاتِ هَيْجَاوَاتِ عَصْرٍ ... عَنِ الأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ (٤)
رَكِبْتُ مُشَمِّرًا قَدَمِى إِلَيْهَا ... وَكُلَّ عُذَافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ (٥)

(١) القالى من قلاه أبغضه . شبه فراقه الممدوح بفراق الانسان روحه يقول : قد يعرض للمرء ما يوجب له فراق روحه من غير بغض للروح كذلك أنا أفارقك كارها لذلك مضطرا (٢) يقول : إنى مبتلى بحساد أعاديهم فانصرنى عليهم بجودك حتى افتخر عليهم بذلك فيموتو كمدا (٣) يقولون عذيرى من فلان إذا أرادوا الشكاية منه أى من يعذرنى منه أى إذا أوقعت به وأسأت إليه فانه يستأهل ذلك . والعذارى الابكار لم يفرعهن بعل ، والمراد هنا الامور العظام والخطوب التى لم يسبق إليها ولا عهد بمثلها . والجوانح الضلوع . يقول : إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعى وقلبى مسكنا كما تسكن العذارى الخدور (٤) الهيجاوات جمع الهيجاء وهى الحرب . ومبتسمات عطف على عذارى . يقول : ومن عذيره من حروب تبتسم هبواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور ــ جمع ثغر ــ مقدم الاسنان . (٥) أصل التشمير رفع الذيل يراد به الاشاحة والجد والاسراع . والعذافر القوى من الابل ، والناقة عذافرة . والضفور جمع ضفر وهو النسع ــ الحبل ــ تشد به الرحال . يقول : قصدت الهيجاوات ــ الحروب ــ راجلا وراكبا، أى مارستها فى كل حال، وكنى بقلق الضفور عن شدة السير والهزال

أَوَانًا فى بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحْلِى ... وَآوِنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ (١)

أُعَرِّضُ لِلرِّمَاحِ الصُّمِّ نَحْرِى ... وَأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِى لِلْهَجِيرِ (٢)

وَأَسْرِى فى ظَلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِى ... كَأَنِّى مِنْهُ فى قَمَرٍ مُنِيرِ (٣)

فَقُلْ فى حاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْها ... عَلَى شَغَفِى بِهَا شَرْوَى نَقِيرِ (٤)

وَنَفْسٍ لا تُجِيبُ إِلَى خَسِيسٍ ... وَعَيْنٍ لاَ تُدَارُ عَلَى نَظِيرِ (٥)

وَكَفٍّ لا تُنَازِعُ مَنْ أَتَانِى ... يُنَازِعُنِى سِوَى شَرَفِى وَخِيرِى (٦)

وَقِلَّةِ نَاصِرٍ جُوزِيتَ عَنِّى ... بِشَرٍّ مِنْكَ يا شَرَّ الدُّهُورِ (٧)

---

(١) الآونة جمع أوان كزمان وأزمنة . والرحل ما يستصحبه الرجل من الاثاث. والقتد خشب الرحل . يصف طول ارتحاله وقلة مقامه ومن ثم قال فى النزول أوانا وفى الارتحال آونة (٢) حر الوجه ما بدا منه والهجير شدة الحر وقت الهاجرة وهى نصف النهار . والرماح الصم أى الصلاب وصدر البيت من قول القائل

نُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ إذا التَقَيْنا ... وُجُوهاً لاتُعَرَّضُ للسِبابِ

وعجزه من قول الآخر

أقول لمضهم أنْ شُدَّ رَحْلى ... لِهاجِرَةٍ نَصَبْتُ لها جَبِينى

(٣) يقول: كأنى فى الظلام أسير فى القمر الوضاء لمعرفتى بالطرق والمفاوز واهتدائى فيها (٤) فقل فى حاجة : أى قل ما شئت فان مجال القول ذو سعة : وشروى الشىء مثله والنقير نكتة فى ظهر النواة يضرب مثلا للشىء الحقير . يذكر كثرة تعبه وقلة نيله . يقول : كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أنل منها شيأ على شدة شغفى بها وحبيها (٥) يقول : وقل ما شئت فى نفس — يعنى نفسه — لا تؤاتينى على أمر خسيس ولا تقنع به ، وعين لا تفتح ولا تدار على نظير لى (٦) الخير الكرم . يقول : وقل ماشئت فى كف — يعنى كفه — سخية لا تمسك شيأ وتترك كل شىء لمن ينازعنى إلا شرفى وكرمى فانى لا أسخو بهما (٧) أى : وقل ما شئت فى قلة من ينصرنى على ما أطلبه، ثم خاطب الدهر فقال : ابتلاك الله يا دهر بدهر شر منك كما ابتلانى بك.

عَدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّى ... لَخِلْتُ الأُكْمَ مُوغَرَةَ الصُّدُورِ [1]

فَلَوْ أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ ... لَجُدْتُ بِهِ لِذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ [2]

وَلَكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي ... وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ بِلاَ سُرُورِ [3]

فَيَا ابْنَ كَرَوَّسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى ... وَإِنْ تَفْخَرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ [4]

تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ ... وَتُبْغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ [5]

فَلَوْ كُنْتَ امْرَأً يُهْجَى هَجَوْنَا ... وَلَكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ [6]

وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طغج

وَوَقْتٍ وَفَى بِالدَّهْرِ لِي عِنْدَ وَاحِدٍ ... وَفَى لِي بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرَا [7]

وأنت شر الدهور (١) خلت ظننت . والأكم جمع اكمة التلال . وموغرة الصدور متوقدة من الغيظ . يقول : ان كل شيء في الدهر يعاديه حتى ظن التلال التي لا تعقل تعاديه ، يريد بذلك المبالغة (٢) و (٣) النفيس نقيض الخسيس . والجد العثور أو العاثر الحظ التعس الذي يتعثر صاحبه ويعاني العناء في سعيه . يقول : لو حسدني الناس على شيء نفيس يرغب فيه لجدت به على المحروم المحروب منهم ، ولكنهم انما يحسدونني على حياتي مع أنها ليست بالشيء الذي يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من السرور وإلا لجدت بها عليهم أيضا كي أستريح منهم ومن شرورهم

(٤) هذا ابن كروس كان أعور وكان يعاديه ، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى وباعتبار الباقية نصف بصير يعني ان فخرت ببصرك فأنت ذو بصر واحد (٥) يقول : انما تعادينا لما بيننا من المضادة لانك ألكن — ثقيل اللسان — وأنا فصيح ، وأنت أعور وأنا بصير (٦) يقول : لخستك لا مجال للشعر فيك فان الهجاء يرتفع عن قدرك ، والفتر يضيق مقداره عن المسير فيه كذلك أنت ليس لك عرض يهجى ومثل هذا قول القائل

بِمَا أَهْجُوكَ لا أدري ... لساني فيكَ لا يَجْرِي

إِذَا فَكَّرْتُ فِي عِرْضِـ ... ـكَ أَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِي

(٧) يقول : ان وقتي عنده يفي بالدهر كله ويعادله كما أن الممدوح يفي بأهل الدهر

شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِهِ
وَزَهْرٍ تَرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرَا
غَدَا النَّاسُ مِثْلَيْهِمْ بِهِ لَا عَدِمْتُهُ وَأَصْبَحَ دَهْرِي فِي ذَرَاهُ دُهُورَا (١)

وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند

والاصوات بمجلسه

أَنَشْرُ الْكِبَاءِ وَوَجْهُ الأَمِيرِ وَصَوْتُ الْغِنَاءِ وصَافِي الْخُمُورِ (٢)
فَدَاوِ خُمَارِي بِشُرْبِي لَهَا فَإِنِّي سَكِرْتُ بِشُرْبِ السُّرُورِ (٣)

وقال أبو محمد يوما ان أباه استخفى مرة فعرفه رجل

يهودي فقال

لاَ تَلومَنَّ الْيَهُودِيَّ على أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلاَ يُنْكِرُهَا (٤)
إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى حَاسِبِهَا ظُلْمَةً مِنْ بَعْدِ مَا يُبْصِرُهَا (٥)

ويزيد عليهم (١) فى ذراه فى كنفه يقول : هو عالم وحده مثل الناس كلهم فالناس به ضعفا ما هم عليه ، ودهره عظيم القدر به فصار به الدهر دهوراً (٢) النشر الرائحة الطيبة . والكباء العود الذى يتبخر به ونشر مبتدا خبره محذوف للعلم به كأنه يقول: اتجتمع هذه الاشياء لأحد كما اجتمعت لى (٣) يقول : انى قد سكرت من سرورى حين اجتمعت لى هذه الاشياء فداوخمارى — والخمار صداع الخمر — بشرب الخمر ، اى انما اريد شرب الخمر لانفى الخمار لا للسكر فانى سكران من السرور

(٤) و (٥) روى هذان البيتان برفع القافية ونصبها فالرفع على الاستئناف والنصب عطف على يرى واذن يروى البيت الثانى من بعد ان يبصرها

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر فأعاده فعجبوا من حفظه اياه فقال

إِنَّمَا أَحْفَظُ الْمَدِيحَ بِعَيْنِي ... لاَ بِقَلْبِي لِمَا أَرَى فِي الأَمِيرِ (١)
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا ... نَظَمَتْ لِي غَرَائِبَ الْمَنْثُورِ

وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال

تَرْكُ مَدْحِيكَ كَالْهِجَاءِ لِنَفْسِي ... وَقَلِيلٌ لَكَ الْمَدِيحُ الْكَثِيرُ (٢)
غَيْرَ أَنِّي تَرَكْتُ مُقْتَضَبَ الشِّعْـ ... ـرِ لِأَمْرٍ مِثْلِي بِهِ مَعْذُورُ (٣)
وَسَجَايَاكَ مَادِحَاتُكَ لاَ لَفْـ ... ـظِي وَجُودٌ عَلَى كَلاَمِي يُغِيرُ (٤)
فَسَقَى اللهُ مَنْ أُحِبُّ بِكَفَّيْـ ... ـكَ وَأَسْقَاكَ أَيُّهَذَا الأَمِيرُ (٥)

---

(١) يقول: لا احتاج إلى حفظه بالقلب لأني اشاهد بالعين ما امدحه به وهو ما قال في البيت الثاني وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي:

وحاكة شِعْرٍ حَسَّنُوا الْقَوْلَ مِنْهُمُ ... ومِنْكَ وَمِنْ أَفْعَالِكَ امْتَازَ حُسْنُهُ

(٢) مدحيك أي مدحي إياك (٣) المقتضب هنا مصدر بمعنى الاقتضاب وهو في الاصل الاقتطاع والمراد ما أتى به بديها. هذا ولم يبين المتنبي ذلك العذر الذي اعتذر به في ترك الشعر كأنه كان عذرا واضحا قد عرفه الممدوح فأهمل ذكره (٤) يقول: انما يمدحك مافيك من الاخلاق الحميدة التي اراها فاتعلم المدح منها، وجود أكثر من شعري فهو لا يترك لي قولا إلا استغرقه. وهذا المعنى ينظر الى قول ابن الرومي

ولاَ مَدْحَ مالمْ يَمْدَحِ الْمَرْءَ نَفْسَهُ ... بِأَفْعَالِ صِدْقٍ لَمْ تَشِنْهَا الْخَسائِسُ

(٥) سقاه الله واسقاه أمطر بلاده، لغتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى: وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا. وقال سبحانه: وسقاهم ربهم شرابا طهورا يقول: سقى الله أحبائي غيث كفيك حتى يخصبوا بجودك، وسقاك غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقياك

وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل الى البسيطة فرأى بعض غلمانه ثوراً فقال هذه منارة الجامع ورأى آخر نعامة فى البرية فقال هذه نخلة

بُسَيْطَةُ مَهْلاً سُقِيتِ القِطَارَا ... تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِي حَيَارَى (١)

فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكِ النَّخِيلَ ... وَظَنُّوا الصِّوَارَ عَلَيْكِ المَنَارَا (٢)

فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأَكْوَارِهِمْ ... وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فِيهِمْ وَجَارَا (٣)

وقال يمدح على بن أحمد بن عامر الانطاكى

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ ... وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِي الصَّبْرُ (٤)

وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلاَمَتِي ... وَمَا ثَبَتَتْ إِلاَّ وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ (٥)

تَمَرَّسْتُ بِالآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا ... تَقُولُ أَمَاتَ المَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ (٦)

---

(١) بسيطة موضع بقرب الكوفة . والقطار جمع قطرة أى قطر المطر

(٢) الصوار القطيع من البقر والمنار منارة الجامع — المئذنة — (٣) يقول: امسك أصحابى برحالهم لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك فنهم من اقتصد فى الضحك ومنهم من أفرط فيه (٤) يقول : أنا أقاتل فرسانا الدهر أحدهم أى أنى أقاتل الدهر وأحداثه وحيدا لاناصر لى ، ثم رجع عن هذا وقال لم أقول انى وحيد والصبر معى ؟ يريد مقاساته شدائد الدهر ونوبه وصبره على ذلك (٥) يقول : أن سلامتى وبقاءها معى فى هذه المطاعنة أشجع منى وهذا مجاز يريد أنى أسلم من هذه الاحداث فلا تصيبنى بسوء ، ثم قال وما بقيت سلامتى إلا لأمر عظيم يعنى ليس بقائى وسلامتى إلا لأمر عظيم سيظهر على يدى (٦) تمرس بالشىء احتك به . والآفات جمع آفة وهى فى الاصل العاهة والمراد

وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الأَتِيِّ كَأَنَّ لِي
سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وِتْرُ[(١)]

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا ... فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ[(٢)]

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زِقًّا وَقَيْنَةً
فَمَا الْمَجْدُ إِلاَّ السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبِكْرُ[(٣)]

وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ الْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى
لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ[(٤)]

وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا ... تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَنْمُلُهُ الْعَشْرُ[(٥)]

هنا ما يصيب من يتصدى للأخطار والمهالك من قتل وجراحة ونحوها والذعر الخوف يقول : تمرست بالآفات فى الاسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتى وتجلدى لها وقالت هل مات الموت اذ لم يصب هذا المتمرس بى أو خافت المخاوف فلا تخيفه ، يريد أن الآفات لو كانت ممن ينطق لقالت هذا القول لكثرة ما ترانى أمارسها من غير خوف يلحقنى ولا هلاك يصيبنى (١) الاتى السيل الذى لا يرده شيء . والوتر الذحل والثأر . يقول: أقدمت على الشدائد والاهوال أقدام السيل الذى لا يرده شيء حتى كأن لى سوى نفسى نفسا أخرى ان ذهبت نفسى كانت لى بدلا او كأن لى ثأرا عند نفسى فأنا أريد اهلاكها

(٢) جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما ، وصحبتهما تكون مدة العمر فاذا فنى العمر افترقا . يقول: دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو اليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان فانها غير باقية مع الجسد (٣) الزق وعاء الخمر. والقينة هنا المغنية . والبكر من كل شيء الذى لم يسبقه نظير . يقول : لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الخمر وسماع القيان ، لا ـــ فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالاعداء بطشا لم يسمع بمثله

(٤) وتضريب عطف على السيف، والهبوات جمع هبوة وهي الغبرة العظيمة . والمجر الجيش الكثير، وان ترى لك الهبوات السود أى أن تثير الغبار بحوافر الخيل لدى الطعان والنزال

(٥) الدوي الصوت العظيم يسمع من الريح وحفيف الاشجار. وتداول بحذف احدى

اذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
عَلَى هِبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ (١)

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعاتِ فِى جَمْعِ مَالِهِ   مَخافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِى فَعَلَ الْفَقْرُ (٢)

عَلَىَّ لِأَهْلِ الْجَوْرِ كُلُّ طِمِرَّةٍ   عَلَيْهَا غُلامٌ مِلْءُ حَيْزُومِهِ غِمْرُ (٣)

التامين أى تتداول ولك أن تقرأها على أنها فعل ماض، والأنمل رؤس الاصابع يقول: وأن تبرك فى الدنيا جلبة وصياحا عظيما ــ جلبة المساعى الجسام وصياح الفعال العظيم ــ كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول اذا أناى واحدة أذن اخرى وذلك أن الانسان اذا سد أذنه سمع ضجيجا وجلبة . ونقل بعضهم هذا المعنى وجعل ذلك خرير دموعه فقال :

فاحْشُ صِماخَيْكَ بِسَبّابَتَيْ   كَفَّيْكَ تَسْمَعْ لِدُمُوعِى خَرِيرا

(١) يقول: ان الفضل والادب اذا لم يرفعاك ويربآ بك عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعا وتشكره على هبته فالناقص هو الفاضل لا أنت . يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتنزه عن الاخذ منه حتى لا تحتاج الى أن تشكره . وهذا المعنى يتضمن الحض على أن يحترم الاديب نفسه وان يربأ بأدبه عن أن يسف به . قال العكبرى : وهذا من كلام الحكمة . قال الحكيم من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل يرفع قدر الجاهل عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام

عَيَّاشُ إنَّكَ للئيمُ وإنَّنى   إذْ صرت مَوْضعَ مَطْلَبِى للئيمُ

(٢) يقول : من يجمع المال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر لانه اذا جمع حرم والحرمان فقر وهذا كما قيل قديما الناس من خوف الفقر فى فقر ويقول قائلهم

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تعجّلته   وأَخرْتَ إنفاقَ ما تَجْمَعُ
فَصِرْتَ الفقيرَ وأَنْتَ الغنىُّ   فما كانَ ينفعُ ما تصنع

وقال حكيم : من دافع الفقر بالذل قبل الفقر فقد تعجل الفقر (٣) الطمرة الفرس الوثابة نشاطا ومراحا . والحيزوم الصدر . والغمر الحقد . يقول : يحق على أن أسوق الى أهل الظلم عسكرا لجبا فيه كل فرس نشيط يحمل فارسا قد امتلأ صدره حقدا عليهم وغيظا وحنقا فلا تأخذه بهم رأفة

يُدِيرُ بأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عليهِمِ ... كُؤُسَ المَنَايا حيثُ لا تُشْتَهى الخَمرُ (١)

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّني الـ ... ـجِبالُ وَبَحْرٍ شاهِدٍ أَنَّنِي الْبَحْرُ (٢)

وَخَرْقٍ مَكَانُ الْعِيسِ مِنْهُ مَكانُنا

مِنَ الْعِيسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ (٣)

يَخِدْنَ بِنَا فِى جَوْزِهِ وَكَأَنَّنا ... عَلَى كُرَةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَنا سَفْرُ (٤)

وَيَوْمٍ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّمَا ... عَلَى أُفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ (٥)

(١) يقول: يدير عليهم — أى الغلام — كؤس الموت حين لا تشتهى الخمر ولا تراد لهول ما هم فيه من القتال (٢) يقول: كم من جبال تشهد لى بالاناة والوقار، وبحار تشهد لى بسعة الصدر والسخاء. ولعله ينظر الى قول القائل:

فتى لا يراه البحر إلا اظله ... خواطر فكر انه زاخر البحر

(٣) وخرق عطف على جبال والخرق المفازة الواسعة. ومكان العيس مبتدا ومكاننا خبره. وواسط الكور بدل من مكاننا. والعيس الابل والكور الرحل. يقول: لسعة هذا الخرق وطول مسافته وترامى أطرافه كانت ابلنا كأنها لا تنتقل عن ظهره ولا تزال متوسطة له كما أننا كنا على ظهور ابلنا لا ننتقل عنها ولا نزال متوسطى ظهورها وهذا المعنى من قول ذى الرمة

ومَهْمَهٍ فيه السَّرَابُ يَلْمَحُ ... يَدْأَبُ فيه القَوْمُ حتَّى يَطْلَحُوا

ثُمَّ يَظَلُّونَ كأَنْ لَمْ يَبْرَحُوا ... كأَنَّمَا أَمْسَوْا بحَيْثُ أصبحوا

(٤) يخدن يسرن سيرا سريعا. وجوزه وسطه. وسفر أى مسافرة يقول: ان ابلنا كانت تسير مسرعة فى هذا الخرق ولا تبلغ اخره فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهى اليه — أو كأن أرض هذا الخرق تسير معنا فلا نقطعها ولا نفوتها وهذا كما يقول السرى الرفاء

وخَرْقٍ طالَ فيهِ السيرُ حتَّى ... حَسِبْناهُ يسير معَ الركاب

(٥) ويوم عطف على ما تقدم. والضمير فى أفقه لليل وليس لليل أفق وانما أراد أفق السماء فى ذلك الليل أى ناحيتها، يصف إدآبهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل وقوله كأنما على أفقه الخ مثله قول ابن ميادة

وَلَيلٍ وَصلْنَاهُ بيَوْمٍ كأنَّمَا ... على مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلَلٌ خُضْرُ (١)

وَغَيْثٍ ظَنَنَّا تحْتَهُ أَنَّ عامِرًا ... عَلَا لَمْ يَمُتْ أَوْ فِى السَّحَابِ لَهُ قَبْرُ (٢)

أَوِ ابْنَ ابْنِهِ البَاقِى عَلِىَّ بْنَ أَحْمَدٍ ... يَجُودُ بِهِ لَوْلَمْ أَجُزْ وَيَدِى صِفْرُ (٣)

وَإِنَّ سَحَابًا جَوْدُهُ مِثْلُ جُودِهِ ... سَحَابٌ عَلى كلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرُ (٤)

فتًى لا يَضُمُّ القَلْبُ هِمَّاتِ قَلْبِهِ ... وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرُ (٥)

وَأَلْبِسَ عُرْضُ الأُفْقِ ثَوْبًا كأنَّهُ ... عَلَى الأُفُقِ الْغَرْبِىِّ ثَوْبٌ مُعَصْفَرُ

(١) متنه ظهره . والدجن الظلمة وأراد به الغيم والدجن الباس الغيم السماء يقول : كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حللا سوداء ، والسواد يسميه العرب خضرة قال ذو الرمة

* فى ظلِّ أخْضَرَ يَدْعُو هامَهُ البومُ *

أو يريد أنه سافر فى أيام الربيع والارض خضراء (٢) يقول : ورب مطر ظنناه ونحن تحته أن عامرا — وهو جد الممدوح — فى السحاب ارتفع اليه ولم يمت فهذا المطر من جوده أو ان قبره فى السحاب فأعداه بجوده (٣) الباقى نعت ابن وسكنه ضرورة . وصفرت اليد فهى صفر ولا يقال صفرة . يقول : لو لم أعبر هذا الغيث ويدى خالية لقلت أن ابن ابنه — يعنى الممدوح — كان فى السحاب وهو الذى يجود بذلك الغيث ولكن لما عبرت ويدى خالية علمت أنه جود — بفتح الجيم أى مطر — لا جود لان عادته أن يملأ يدى بالهبات (٤) يقول : أن تشبيه جود — مطر — ذلك السحاب بجود الممدوح مدح للسحاب وفخر له (٥) يقول : ان ما توافر فى قلبه من الهمم لا يجمعه قلب غيره ولو ضمها قلب أحد لكان عظيما مثلها ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب . قال الواحدى : وهذا مما أجرى فيه المجاز مجرى الحقيقة لأن عظم الهمة ليس من كثرة الاجزاء حتى يكون محلها واسعا لسعتها ، وقد قال ابن الرومى

كَضَمِيرِ الفُؤَادِ يلْتَهِمُ الدنـــــيا وتحْوِيه دَفَّتَا حَيْزُومِ

فبين ان الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانبا الصدر

وَلاَ يَنْفَعُ الإِمكَانُ لَوْلاَ سَخَاؤُهُ
وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلاَ الأَكُفُّ الْقَنَا السُّمْرُ (١)

قِرَانٌ تَلاَقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ ... كَمَا يَتَلاَقَى الهِنْدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ (٢)

فَجَاآ بِهِ صَلْتَ الْجَبِينِ مُعَظَّماً ... تَرَى النَّاسَ قُلاًّ حَوْلَهُ وَهُمُ كُثْرُ (٣)

مُفَدًّى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمَيْذَعاً ... هُوَ الْكَرَمُ الْمَدُّ الَّذِي مَالَهُ جَزْرُ (٤)

وَمَازِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ ... يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ (٥)

(١) المراد بالامكان اليسر والغنى يقول : لولا سخاؤه لما انتفع الناس بغناه لأنه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع ، والمعنى ان الوجود لا ينفع بلا جود، كالرماح لا تعمل ولا تنفع بلا ارواح — اكف — (٢) الصلت جد الممدوح لأمه وعامر جده لأبيه . وقوله قران لك ان تجعله مرفوعا بفعل مضمر تقديره اعجب به قران هذه حاله مثلا ، والقران في الاصل اسم لمقارنة الكوكبين ، جعل جديه من الطرفين في المصاهرة ونسب الممدوح كقران الكواكب تعظيما له ، ثم شبه اجتماعهما باجتماع السيف الهندى مع النصر فاذا اجتمعا حسن اثرهما وعلا امرهما ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى (٣) فجاآ به اى الجدان المذكوران . ويرى فجاء اى القران . وصلت الجبين واضحه او الواسع المستوى الجبين . يقول : ترى الناس حوله وهم كثيرون بالعدد قليلون بالقياس اليه ، والقل القلة والكثر الكثرة والتقدير ذوى قل اى فى المعنى وهم ذوو كثر فى العدد ، وفيه نظر إلى قول ابى تمام

إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلاَدِ وإِنْ ... قَلُّوا كَمَا غَيْرُهُمْ قُلٌّ وإِنْ كَثُرُوا

(٤) مفدى حال اخرى كما ان معظما فى البيت السابق حال اولى . اى يقول له الرجال فديناك باباتنا . والسميذع السيد الكريم، والمد زيادة الماء والجزر نقصانه وجعله كرما وهو مصدر — مبالغة لكثرة وجوده منه يقول : هو كرم زائد لا نقصان له

(٥) يقول : ما زلت يسايرنى فى كل ركب ذكره حتى قادنى الشوق اليه ، أى انى قبل ان اصل اليه كنت اسمع ذكره وما صاحبت احدا إلا وهو يذكره بمدح وثناء،وهذا ينظر إلى قول ابى تمام

لاشيء أَحْسَنُ من ثنائي سائراً ... ونَدَاكَ فِي أُفُقِ البلاد يسايرُه

وَأَسْتَكْبِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ ... فَلَمَّا الْتَقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ (١)

إِلَيْكَ طَعَنَّا فِى مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ ... بِكُلِّ وَآةٍ كُلُّ مَا لَقِيَتْ نَحْرُ (٢)

إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسْعَةٍ مَرِحَتْ لَهَا ... كَأَنَّ نَوَالاً صُرَّ فِى جِلْدِهَا النِّبْرُ (٣)

فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِى النَّوَى

وَدُونَكَ فِى أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ (٤)

---

(١) الخبر الخبرة والاختبار . يقول : كنت استعظم ما أسمعه من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن القاه فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر أى وجدته خيرا مما كنت أسمع . وهذا من قوله صلوات الله عليه لزيد الخيل وقد وفد عليه: ماوصف لى أحد الا رأيته دون الوصف سواك فانك فوق ما وصفت لى ويقول القائل

كَانَتْ مُحَادَثَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي ... عَنْ أَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ طَيِّبَ الْخَبَرِ

ثُمَّ الْتَقَيْنَا فَلاَ وَاللهِ ما سَمِعَتْ ... أُذْنِي بأحسنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِى

(٢) الصفصف الفلاة المستوية . والوآة الناقة القوية . جعل سير الناقة فى الفلاة طعنا وجعل ما يقطعه من الارض نحرا ، أى كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها ، يقول : أينما قصدت من الارض قطعته وجازته بمنزلة الطعنة اذا أصابت نحرا فانها تنفذ فيه نفاذا ذا أثر بالغ . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : كل ما لقيته هذه الناقة من مشاق الطريق نحر لها أى يفعل بها فعل النحر فكأنها تنحر فى كل ساعة

(٣) النبر دويبة تلسع الابل فيرم موضع لسعتها . يقول : اذا لسع النبر هذه الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت — نشطت واحتدت — فى سيرها حتى لكأنه صر فى جلدها نوالا — عطاء — شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنانير ودراهم فكأنها مرحت لذلك ، يقول : ان الشدائد لا تفل حد مرحها أى أنها لا تبالى فى طريقها إلى الممدوح بشىء ينالها (٤) يقول : جئناك وأنت دونهما فى البعد أى أقرب الينا مطلبا منهما وهما — الشمس والبدر — دونك فى جميع أحوالك ، فأنت أعم نفعا وأشهر ذكرا وأعلى منزلة وقدرا أى أنك على بعدك فان الوصول اليك والافادة منك أقرب وأيسر

كأنَّكَ بَرْدُ المَاءِ لا عَيْشَ دُونَهُ ... وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ المَاءِ لَمْ يَكُنِ العِشْرُ (١)

دَعَانِي إِلَيْكَ العِلْمُ وَالحِلْمُ وَالحِجَى ... وَهـذا الكَلامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ (٢)

وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بُيُوتُهُ ... إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ مِنْ نُورِهَا الحِبْرُ (٣)

كَأَنَّ المَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا ... نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ خَلائِقُكَ الزُّهْرُ (٤)

وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلاطِينِ مَقْتُهَا ... وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ (٥)

---

(١) العشر أبعد أظماء الابل وهو أن ترد يوما وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم العاشر . يقول : لو كنت برد الماء لما غادرت غلة إلا اطفأتها حتى تستغنى الابل عن معاودة الشرب ، وقال الواحدى : لو كنت الماء لوسعت بطبع الجود كل حيوان فى كل مكان وفى ذلك ارتفاع الاظماء ، وقال ابن جنى : أى كانت تجاوز المدة فى وردها العشر لغناها بعذوبتك وبردك (٢) يقول : دعانى إلى ان أنتجعك واصمد اليك ما آثرك الله به من العلم والحلم والحجى — العقل — وما أعددته لك من منظومى فى مدحك وما عهدناه فيك من النائل — العطاء — الذى تنثره نثرا على قاصديك ، وقيل يعنى بالكلام النظم كلام الممدوح ونظمه (٣) يروى قلت بضم التاء فيكون ذلك تأييدا لما ذهبنا اليه من تأويل البيت السابق ، ويروى بفتح التاء فيكون المعنى ما ذهب اليه الواحدى قال : يقال ان هذا الممدوح كان حسن الشعر مليحه . وقوله بيوته اى ابيات الشعر وقوله يبيض من نورها اى من نور معانيها او من نور ماتضمنته من محاسنك . وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى

وَلِمَدْحِيكَ قُلْتُهَا كَلِمَاتٍ ... هُذِّبَتْ فِيكَ أَيَّمَا تَهْذِيبِ

سَوَّدَتْ فِيكَ كُلَّ بَيْضَاءَ تَسْوِيـ ... ـدًا تَرَاهُ العُيُونُ كَالتَّذْهِيبِ

(٤) شبه معانى شعره فى فصاحة الفاظه بنجوم الثريا فى اتساقها وجمالها ، وبأخلاق الممدوح الزاهرة المشرقة فى أشراقها وسطوعها وشهرتها (٥) يقول: تنكبت السلاطين وتحيت عن قصديهم لأنى أجتويهم وامقتهم ولأنه يودى أن أعصف بهم واقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التى تترقب أكلها فهى تطالبنى بجماجمهم ، وهو المتنبى

وَإِنِّي رَأَيْتُ الضُّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا وَأَهْوَنَ مِنْ مَرْأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبْرُ (١)

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُؤَادُ وَهِمَّتِي أَوُدُّ اللَّوَاتِي ذَا اسْمُهَا مِنْكَ وَالشَّطْرُ (٢)

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ

وَلَكِنْ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ (٣)

وَماذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا وَلَكِنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ نَحْوَكَ الْبِشْرُ (٤)

وإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ (٥)

يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه وبعد مرتقى همته وان كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقته (١) الضر هنا الفقر وسوء الحال . يقول : ان معاناة الفقر والحاجة أهون عندي وأحب إلى من أن أرى أو ألقى صغيرا — حقيرا — متكبرا ، ويروى بدل مرأى لقيا ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : أعظم ما على النفوس إعظام ذوى الدناءة (٢) تقول رجل ود بتثليث الواو بمعنى ودود والجمع أود . وقوله والشطر الأوجه أنه عطف على لسانى . يقول : ان لسانى وعينى وفؤادى وهمتى تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك . وكذلك شطرى أى أن كل شطر منى يود شطرا منك يعنى أن كلى يود كلك فقوله اود اللواتى ذا اسمها منك أى ودودة اللواتى تسمى منك بهذه الأسماء أى اللسان الخ قال الواحدى . والغرض من هذا البيت التعمية فقط وإلا فما الفائدة من هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب ! أقول ومن ثم تخبط فيه الشراح أيما تخبط (٣) يقول : إنى لم استقل وحدى بهذا الشعر ولكن ظاهر عليه شعرى لانه تهالك على مدحك ونزع اليه ورغب فيه كما رغبت ، ولله قول أبى تمام فى هذا المعنى

تَغَايَرَ الشِعْرُ فيه إِذْ أُرِقْتُ لَهُ حَتَّى تكاد قَوَافِيهِ ستَقْتَتِلُ

(٤) يقول : ليس الذى يرى فى شعرى من الحسن رونقه هو أى رونق فصاحته وبلاغته ولكن شعرى تهلل وجهه ابتهاجا بلقائك واستبشر ضاحكا ناضرا حين رآك فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك (٥) الذى يوجب القدر أى الذى يستدعيه قدرك ويستأهله

أَزَالَتْ بِكَ الأَيَّامُ عَتْبِي كَأَنَّمَا بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرُ (١)

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد *

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى (٢)

---

(١) يقول : لما سمحت الايام بلقائك أزالت عتبي عليها لأني رأيت منك ما عفى سيئاتها ، فكأن الايام أتت بك عذرا عن ذنوب بنيها . والمصراع الاول من قول أبي تمام

نَوَالُكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولاً وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي

والثاني من قوله أيضا

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهرِ فِيَّ وقَدْ يُرَى بِنَدَاكَ وهْوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبُ

ويقول أبو نواس

يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُوا أَمَلٍ عَتَبُوا فأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ

ويقول ابن الرومي

أَنْتُمْ أُنَاسٌ بِأَيَادِيكُمُ يَسْتَعْتِبُ الدَّهْرُ إِذَا أَذْنَبَا

إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ وَزَادَ فِي عِدَّتِكُم أَعْتَبَا

* ذكر الخطيب التبريزي في شرحه ديوان المتنبي أن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافورا مدح الوزير أبا الفضل جعفر بن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها * بادهواك صبرت أم لم تصبرا * وجعلها موسومة باسمه فكانت احدى قوافيها جعفرا وكان قد قال فيها

صعت السوار لأي كف بشرت بابن الفرات وأي عبد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده اياها فلما توجه الى عضد الدولة قصد أرجان وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة — والكاتب الأديب الكبير المعروف — فحول القصيدة اليه وحذف منها لفظ جعفرا وجعل ابن العميد مكان ابن الفرات (٢) يقول — مخاطبا نفسه — : سواء أصبرت أم لم تصبر هواك ظاهر للناس باد ، وأي محب يستطيع أن يكتم حبه وهناك آياته من النحول والاصفرار وما اليهما وبكاؤك كذلك غير خاف على الناس أجرى دمعك أم لم يجر ، لأن مايبدو في

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِبًا لَمَّا رَآكَ وَفِي الْحَشَى مَا لَا يُرَى (١)

أَمَرَ الْفُؤَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرَا (٢)

تَعِسَ الْمَهَارِي غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَا بِمُصَوَّرٍ لَبِسَ الْحَرِيرَ مُصَوَّرَا (٣)

نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً فِي سِتْرِهِ لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَا (٤)

صوت المحب من نغمة الحزن والزفير والشهيق والتهيؤ للبكاء شواهد على الدموع «هذا» وقد قيل للمتنبي خالفت في هذا البيت بين سبك المصراعين فوضعت في المصراع الأول ايجابا بعده نفي وفي الثاني نفيا بعده ايجاب فقال لئن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وفقت بينهما من حيث المعنى وذلك أن من صبر لم يجر دمعه ومن لم يصبر جرى دمعه يعني أنه أراد صبرت فلم يجر دمعك او لم تصبر فيجرى ... وقوله لم تصبرا أراد تصبرن بنون التوكيد الخفيفة فأبدلها الفا (١) يقول : كم غر صبرك وابتسامك من نظر اليك حتى ليظن أنك غير عاشق لانه يرى صبرا وضحكا ظاهرين ولا يرى ما في الباطن من الاحتراق والوجد، ورد في الصبح المنبي أنه لما أنشد هذا البيت قال له ابن العميد يا أبا الطيب أتقول بادهواك ثم تقول كم غر صبرك؟ فما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به ! فقال المتنبي تلك حال وهذه حال ... واني لأحسب المتنبي حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض فاختصر الجواب أجزأ اختصار ... والحق مع المتنبي وهو ظاهر

(٢) الفؤاد في الجسد بمنزلة الملك فلهذا جعله آمرا للسان والجفن . يقول : أمر القلب اللسان بالكتمان والجفون بامساك الدموع فأطعنه وكتمن ولكن جسمك بنحوله دل على ما في قلبك والضمير في قوله فكتمنه عائد على قوله ما لا يرى في البيت السابق وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر

خَبَّرِي خُدَيْهِ عَنِ الضَّنَى وَعَنِ الأَسَى لَيْسَ اللِّسَانُ وَإِنْ تَلَفَّتُ بِمُخْبِرِ

(٣) تعس كبا وعثر وقد يراد به الهلاك . والمهاري جمع مهري والبعير مهري والناقة مهرية نسبة الى مهرة بن حيدان أبي قبيلة عرفت بحسن القومة على الابل . يدعو بالتعس على الابل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع — هذا الحبيب الذي لبراعة حسنه كأنه صور تصويرا والذي يلبس الديباج منقشا بالصور

(٤) يقول : انى انفس لأجل الحبيب المصور على الصورة التي في ستر هودجه واحسدها لقربها منه ، ولو كنت تلك الصورة لخفيت حتى يظهر فأراه ويزول الحجاب

لا تَتْرَبِ الأَيْدِى المُقِيمَةُ فوقَهُ ... كِسْرَى مقامَ الحاجِبَيْنِ وقَيْصَرَا (١)

يَقِيَانِ فى أَحَدِ الهَوَادِجِ مُقْلَةً ... رَحَلَتْ فكانَ لها فُؤَادِى مَحْجِرا (٢)

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ ... لَوْ كانَ يَنْفَعُ حائِناً أَنْ يَحْذَرَا (٣)

وَلَو استَطَعْتُ إِذِ اغْتَدَتْ رُوَّادُهُمْ ... لَمَنَعْتُ كلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا (٤)

فإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابِ فِرَاقِهِمْ ... جَعَلَ الصِّيَاحَ بِبَيْنِهِمْ أَنْ يَمْطُرَا (٥)

وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر فمعنى خفاء الصورة انكشاف الستر ومتى انكشف انكشف الحبيب فيراه المحب (١) لا تترب لا تفتقر. وكسرى لقب ملوك العجم. وقيصر لقب ملوك الروم. كانت صورة كسرى وقيصر على الستر كأنهما أقيما مقام الحاجبين يحجبان هذا المصور، يدعو المتنبي للأيدى التى نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بأن لا تترب (٢) الهوادج جمع هودج مركب النساء على الجمال. والمحجر ما حول العين. يقول: ان هذين الحاجبين يصرفان السوء — من الغبار وحر الهواء وحر الشمس — عن مقلة فى أحد الهوادج — يعنى هودج الحبيب — وكنى عنه بالمقلة — العين — لعزته، وجعل فؤاده محجرا لتلك المقلة، والمعنى: انها كانت ضياء قلبي بمثابة عين القلب فلما ارتحلت عنى عمى قلبى والتبس على أمرى وفقدت لى كمقلة ذهبت وبقى المحجر، وينظر فى هذا التشبيه إلى قول أبى تمام

إنَّ الْخَلِيفَةَ حينَ يُظْلِمُ حادثٌ ... عينُ الْهدَى ولهُ الخلافَةُ مَحْجِرُ

(٣) يقول: كنت أحذر بينهم — بعدهم وفراقهم — قبل حدوثه ولكن الحائن — الهالك — لا ينفعه الحذر (٤) الرواد جمع رائد وهو الذى يرتاد لأهله الكلأ والماء يقول: لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر حتى لا يجدوا ماء ولا كلأ يرتحلون اليهما للانتجاع (٥) قال الواحدى هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره كأنه قال: لمنعت كل سحابة أن تمطر لأنى تأملت الحال فاذا السحاب الذى هو أخو الغراب فى التفريق أبعدهم عنا، جعل السحاب أخا الغراب لأنه سبب الافتراق عند الانتجاع وتتبع مساقط الغيث فى الربيع كعادة أهل العير السيارة، ولما جعله أخا الغراب جعل المطر كصياح الغراب لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم كذلك سقوط الغيث من السحاب سبب للارتحال فى تتبع الغيث، فالسحاب فى قوله فاذا السحاب مبتدأ وأخو غراب فراقهم نعت له وجملة جعل الصياح خبر

وَإِذا الحَمَائِلُ مَا يَخِدْنَ بِنَفْنَفٍ ... إلاَّ شَقَقْنَ عليهِ ثوْباً أَخضَرَا (١)

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرَّوْضِ إلاَّ أَنَّهَا ... أَسْبَى مَهَاةً لِلقُلوبِ وَجؤْذُرَا (٢)

فَبِلَحْظِهَا نَكِرَتْ قَنَاتِي رَاحَتِي ... ضَعْفاً وَأَنكَرَ خاتِمَايَ الخِنْصِرَا (٣)

أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ ... وَأَرَادَ لي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَخَيَّرَا (٤)

أَرَجَانَ أَيَّتُهَا الجِيَادُ فَإِنَّهُ ... عَزْمِي الَّذِي يَذَرُ الوَشِيجَ مُكَسَّرَا (٥)

---

(١) الحمائل بالحاء المهملة جمع حمولة وهي الابل يحمل عليها وهذه رواية ابن جنى وروى غيره الجمائل بالجيم جمع جمالة جمع جمل . ويخدن من الوخد وهو ضرب من السير سريع . والنفنف المفازة والمهوى بين جبلين . يقول : كلما مرت جمالهم بأرض مخضرة بالكلأ بدت عليها آثار سيرها فكأنما شقت ثوبا أخضر ، والمعنى أنهم فارقونا أيام الربيع عند اخضرار الارض (٢) يقول : ان هذه الابل تحمل هوادج مثل الرياض — أى ازينت بالأنماط فكانت مثل الرياض فى تلون أزهارها — غير أن ما تحمله الابل من مهاها وجآذرها — يعنى الحبائب — أسبى لقلوب الرجال من مها الرياض وجآذرها . والمهاة البقرة الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها والجؤذر ولد المهاة . قال الواحدى : قوله إلا أنها رواها ابن جنى إلا أنه كناية عن المثل والناس يروون أنها لأن مثل الروض روض . فالضمير على الروايتين لمثل إلا أن ابن جنى رده على اللفظ وغيره رده على المعنى (٣) بلحظها من اضافة المصدر إلى مفعوله أى فبلحظى اياها ونكره وأنكره بمعنى . يقول : بسبب نظرى إلى هذه الهوادج يوم الفراق صرت ضاويا مهزولا حتى أنكرت قناتى يدى لضعفها عن حملها ، وأنكر خاتمى خنصرى لانه صار يقلق فيه واتسع عليه من قلة اللحم والهزال

(٤) هذا تمهيد للتخلص من النسيب للمديح . قال الواحدى : يقول : لم أقبل عطاء الزمان ترفعا وبعد همة ، أى أردت عطاءك دون عطاء الزمان ، وأراد الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك ، والمعنى أن الزمان أراد أن يسترقنى بأحسانه فأبيت ذلك واخترتك على الزمان فانك إذا ملكتنى ملكت الزمان بما فيه (٥) أرجان أى أقصدى أيتها الجياد ارجان وارجان بلد الممدوح — بلد بفارس بتشديد الراء فى الاصل إلا أنه خففه ضرورة — والوشيج شجر الرماح . يقول لخيله اقصدى هذا البلد ولا

لَوْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتِ فَعالَهُ
مَاشَقَّ كَوْكَبُكِ الْعَجَاجَ الأَكْدَرَا (١)

أُمِّى أَبَا الْفَضْلِ الْمُبِرَّ أَلِيَّتِى لأُيَمِّمَنَّ أَجَلَّ بَحْرٍ جَوْهَرَا (٢)

أَفْتَى بِرُؤْيَتِهِ الأَنَامُ وَحَاشَ لِى مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقَصِّرًا أَوْ مُقْصِرَا (٣)

صُغْتُ السِّوَارَ لأَىِّ كَفٍّ بَشَّرَتْ بِابْنِ الْعَمِيدِ وَأَىِّ عَبْدٍ كَبَّرَا (٤)

إِنْ لَمْ تُغِثْنِى خَيْلُهُ وَسِلاَحُهُ فَمَتَى أَقُودُ إِلَى الأَعَادِى عَسْكَرَا (٥)

بِأَبِى وَأُمِّى نَاطِقٌ فِى لَفْظِهِ ثَمَنٌ تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى (٦)

بالقين فى روعك أن ثم شيأ يصدك عنه فانه عزمى القوى الذى يكسر الرماح بقوته يعنى أن الرماح لا تعوقنى عن هذه العزيمة (١) الفعال الفعل . وكوكب الخيل جماعتها المجتمعة . والعجاج الغبار . والأكدر الكدر . يقول لخيله لو فعلت ما تريدين ما ركضتك فى الغبار المظلم ، يعنى أن الخيل تريد الجمام والراحة وهو يتعبها بالاسفار

(٢) امى اقصدى . والالية اليمين . وأبر يمينه وبر فى يمينه صدق . يقول : اقصدى أيتها الخيل هذا الممدوح الذى يبر قسمى اذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرا ، أى اذا قصدته برت يمينى هذه لانه هو ذلك البحر (٣) يقال قَصَّر عن الشيء اذا تركه عجزا وأقصر عنه اذا تركه قادرا عليه . يقول : أفتانى الناس كلهم فى ابرار هذه اليمين بقصده ورؤيته وأعوذ بالله أن أقصر فى ابرار هذا القسم أو أُقْصِرَ عنه فانى اذا فعلت ذلك كنت شاقا لعصا الاجماع لان الاجماع على أن قسمى لا تبر إلا برؤيته

(٤) يقول : أى كف أشارت إلى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى السوار احليها به ، وكذلك أى عبد من عبيده كبر — قال الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سرورا ببر قسمى (٥) قال الواحدى : هذا اشارة إلى أنه يمده بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الاعداء وعادة المتنبى طلب الولايات ممن يمدحه لاطلب الصلات (٦) بأبى وأمى أى أفديه بهما . يصفه بالبلاغة . يقول : انه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيتصرف فيها كما يريد بما أوتى من بلاغة ، وان شئت قلت أن الفاظه عزيزة تجعل القلوب أثمانا لها لم توجد بغيرها وقوله تباع وتشترى أى أن الناس يبيعون

مَنْ لاتُرِيهِ الحَرْبُ خَلْقاً مُقبِلاً ... فيهَا وَلا خَلْقٌ يَرَاهُ مُدْبِرَا(١)

خَنْثَى الفُحُولَ مِنَ الكُمَاةِ بِصَبْغِهِ ... مَايَلْبَسُونَ مِنَ الحَدِيدِ مُعَصْفَرَا(٢)

يَتَكَسَّبُ القَصَبُ الضَّعِيفُ بِكَفِّهِ ... شَرَفاً على صُمِّ الرِّمَاحِ وَمفْخَرَا(٣)

وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ ... تِيهُ المُدِلِّ فلَوْ مَشَى لَتَبَخْتَرَا(٤)

يَا مَنْ إذا وَرَدَ البِلَادَ كِتَابُهُ ... قَبلَ الجُيُوشِ ثَنَى الجُيُوشَ تَحَيُّرَا(٥)

أَنْتَ الوَحِيدُ إذا ارْتَكَبْتَ طَرِيقَةً

وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا(٦)

وهو يشترِ بها فيصير مالكها وان شئت جعلت الشراء بيعا فيكون مكررا بلفظين معناهما واحد ، قاله الواحدى (١) يقول : لا يقدم احد على لقائه فى الحرب تهيبا له ، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته (٢) خنثى الفحول اى جعلهم كالمخنثين فهوفعل ماض. والكماة جمع كمى وهو المستتر فى الحديد . والمعصفر المصبوغ بالعصفر . يقول : جعل أبطالهم الفحول خنائى حين صبغ مايلبسون من الحديد بالدم فأشبهت الثياب المعصفرة التى يلبسها النساء والمخنثون (٣) بكفه، رواها ابن جنى بخطه . يقول : ان الاقلام حين كتابته بها تفضل الرماح اذ باشرتها كفه (٤) يقول : ان القلم الذى يمسه ببنانه يظهر فيه الكبر حتى لو مشى ذلك القلم لتبختر تشرفا وعجبا بمسه إياه فالضمير فى منه للقصب (٥) يقول : اذا كتب إلى مخالف كتابا لم يحتج معه إلى لقاء الجيوش لانه يبلغ ما يريد بالكتاب ، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرا من فعل الكتاب وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى

تَكْفِي عَنِ النَّبْلِ أَحْيَانا مَكَايِدُهُ ... وَربما خَلَفَتْ أَقلَامُهُ الأَسَلا

(٦) الغضنفر الاسد ، والرديف الراكب خلفك وارتكبت طريقة يروى ركبت طريقة . يقول أنت فرد الطريقة فى كل أمر تحاوله لايقدر أحد أن يحذو حذوك فى طرائفك لصعوبتها وامتناعها كراكب الاسد لايقدر أحد أن يكون رديفا له ، قال الواحدى : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوبا ويجوز أن يكون حالا للممدوح

قَطَفَ الرِّجَالُ الْقَوْلَ وَقتَ نَبَاتِهِ وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا (١)

فَهُوَ الْمُشَيَّعُ بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا (٢)

وَإِذَا سَكَتَّ فَإِنَّ أَبْلَغَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الأَصَابِعَ مِنْبَرَا (٣)

وَرَسَائِلٌ قَطَعَ الْعُدَاةُ سِحَاءَهَا فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّةً وَسَنَوَّرَا (٤)

فَدَعَاكَ حُسَّدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الأَكْبَرَا (٥)

خَلَقَتْ صِفَاتُكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعَيْ مَنْ أَبْصَرَا (٦)

أي لايقدر أحد أن يكون رديفا لك لأنك غضنفر (١) يقول : أن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينعها وإدراكها فهي خداج ليست بحلوة ولا غناء فيها أما أنت فقولك كالنبات اذا نور — أزهر — وبلغ اناه فهو حلو معسول قد بلغ الغاية في الحسن والكمال

(٢) يقول أن مسامع الناس تشيع قولك — أي تتبعه في مسيره اذا انفصل من فيك بالاقبال عليه والاصغاء اليه حبا له وشغفا به . واذا كرر ازداد حسنه على خلاف ما عهد من الكلام فانه اذا أعيد سمج واذا تكرر تكرج وفي هذا نظر الى قول أبي نواس

يَزِيدُكَ وجهه حُسنا اذا ما زِدته نظرا

ويقول البحتري

مُشرِق في جوانب السمع مايخ لقه عوده على المستعيد

(٣) يقول : ان قلمه اذا ركب أصابعه كان أبلغ خاطب عند سكوت الممدوح

(٤) ورسائل عطف على قلم في البيت السابق . والسحاء ما يشد به الكتاب . والسنور الحديد والدروع . وهذا البيت كالتفسير لقوله ثنى الجيوش تحيرا يقول : ان الاعداء اذا قطعوا سحاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة الفاظك وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرا وييأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح في دفع الاعداء . ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب في جواب كتاب ملك الروم : قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرؤه فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ الاحشاء نارا ، ويدع القلوب اعشارا ، ويشعر النفوس حذارا ، ويعقب اقدام ذوي الاقدام نكوصا وفرارا . (٥) و (٦) يقول : ان ما يشاهده الناس فيك من

أرأيتَ همةَ ناقتي في ناقةٍ نقلتْ يداً سُرُحاً وخُفاً مُجْمَرا[1]
تركتْ دُخانَ الرِّمْثِ في أوطانها طلباً لقومٍ يوقدونَ العنبرا[2]
وتكرَّمتْ رُكَباتُها عنْ مَبْرَكٍ تقعانِ فيه وليسَ مسكاً أذفرا[3]
فأتتكَ داميةَ الأظلِّ كأنّما حُذِيَتْ قوائمُها العقيقَ الأحمرا[4]
بَدَرَتْ إليكَ يدَ الزمانِ كأنّها وجَدَتْهُ مشغولَ اليدَيْنِ مفكِّرا[5]

الصفات الشريفة التي آثرك الله بها تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء فصار كأنه جل شأنه دعاك الاكبر قولا من حيث دعاك فعلا كالخط فان من كاتب كمن شافه وخاطب ومن أعلم خطا فكأنه أسمع وأفهم. وحاصل المعنى أن الانسان اذا رأى ما خصك الله به من كمال الفضل علم انك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الاكبر . فقوله خلقت صفاتك تبيين لقوله ودعاك خالقك الرئيس الاكبر (١) السرح السهلة السير . والمجمر الشديد الصلب ويقال أيضا خف مجمر أي خفيف سريع قال الخوارزمي أراد خفا خفيفا فلم يوافقه اللفظ ولو وافقه لكان تجنيسا ظاهرا وإلا فهو تجنيس معنوي . يذكر المتنبي علو همة ناقته حين قصدته وانها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق وهو اخبار عن علو همته هو لانه يحمل ناقته على السير (٢) الرمث نبت يوقد به يقول: تركت الاعراب ووقودهم وأتت قوما وقودهم العنبر . وهذا من قول البحتري

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا أرضاً تَرُبُّ الشيحَ والقيصوما

(٣) الاذفر أي الذكي الرائحة . يقول: تكرمت ناقتي عن أن تبرك إلا على المسك الاذفر ، يريد أن العنبر بحضرة الممدوح يوقد به والمسك ممتهن عنده بحيث يبرك عليه البعير والركبات جمع ركبة وانما ثنى اثنين بدليل قوله تقعان .

(٤) الاظل باطن خف البعير ، وحُذِيَتْ أي جعل لها حذاء وهو النعل . يقول: أتتك الناقة وقد دميت خفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها احتذت العقيق الاحمر كما قال الآخر

كأنَّ أيديهنَّ بالمَوْماةِ أيدي جوارٍ بِتْنَ ناعماتِ

أي تخضبت بالدم خضاب هؤلاء الجواري (٥) يقول: سبقت اليك العوائق وصروف الزمان فكأنها وجدت الزمان مشغولا عنها فانتهزت الفرصة في قصدك فان

مَنْ مُبْلِغُ الأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا   شَاهَدْتُ رَسْطَالِيسَ وَالإِسْكَنْدَرَا (١)
وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِي   مَنْ يَنْحَرُ الْبِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى (٢)
وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ   مُتَمَلِّكاً مُتَبَدِّياً مُتَحَضِّرَا (٣)
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا   رَدَّ الإِلٰهُ نُفُوسَهُمْ وَالأَعْصُرَا (٤)

الزمان موكل صرفه بدفع الخيرات (١) بعدها أي بعد الاعراب . يقول : من الذى يبلغ الاعراب أنى بعد أن فارقتهم رأيت عالما هو فى علمه وحكمته مثل ارسطوطاليس ، وملكا هو فى سعة ملكه كالاسكندر . قال الواحدى : وارسطوطاليس اسم رومى لما أراد المتنبي استعماله حذف بعضه فان العرب تجترىء على استعمال الأسماء الاعجمية فان أمكن نقلها إلى أوزانهم نقلوها وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها ، ومثل هذا الاسم فى كثرة حروفه لايوجد فى كلام العرب (٢) العشار جمع عشراء وهى فى الاصل التى حملها عشرة أشهر ، والمراد هنا النياق الوالدات . والبدر جمع بدرة وهى كيس فيه سبعة آلاف دينار وقيل عشرة ، والنضار الذهب . يقول : مللت فى صحبة الاعراب نحر الابل ولحومها فأضافنى من يجعل قراه بدر الذهب ، وإنما استعمل النحر في البدر لذكره نحر العشار ، ومعنى نحر البدر فتحها لاعطاء ما فيها من الذهب . وهذا من قول البحترى

مَلِكٌ بِعَالِيَةِ الْعِرَاقِ قِبَابُهُ   يَقْرِي الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ

(٣) بطليموس هو الفلكى صاحب المجسطى ، يشبه ابن العميد ببطليموس فى علمه وحكمته . يقول : سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه أى يتكلم بالعلوم التى فيها وقد جمع بين جلالة الملك وفصاحة البدو وظرافة الحضر . قال الواحدى : وبطليموس يعنى ابن العميد سماه بهذا للمشابهة بينه وبين هذا الحكيم ونصب دارس كتبه على الحال وكذلك ما بعده ، ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد ما عفا ودرس من كتب بطليموس ، ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه ، ويجوز أن يكون دارس كتبه مفعولا ثانيا كما تقول : سمعت زيدا هذا الحديث (٤) يقول : لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين فكأن الله أحياهم ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم ، يعنى أن فيه من الفضل ما كان فى جميع الفضلاء .

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الحِسَابِ مُقَدَّماً ... وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا (١)

يَا لَيْتَ بَاكِيَةً شَجَانِي دَمْعُهَا ... نَظَرَتْ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعْذِرَا (٢)

وَتَرَى الفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً ... أَلشَّمْسَ تُشْرِقُ وَالسَّحَابَ كَنَهْوَرَا (٣)

---

(١) يقول : جمع لنا الفضلاء فى الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك فى الوجود ، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل ما كان فيهم ، مثل الحساب تذكر تفاصيله أولا ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب فى آخر الحساب فذلك كذا وكذا فيجمع فى الجملة ما ذكر في التفصيل ، كذلك أنت جمع فيك من الفضل ما فرق فيهم ، وهذا ينظر إلى قول القائل

وَفِى النَّاسِ مِمَّا خُصِصْتُمْ بِهِ ... تَفَارِيقُ لَكِنْ لَكُمْ مُجْتَمِعْ

(٢) يقول : ليت الباكية التى بكت على فراقى وأحزننى بكاؤها رأتك كما رأيتك لتعذرنى فى فراقها وركوب الاهوال والاخطار فى سفرى إليك (٣) الكنهور العظيم المتكاثف . يقول: إنهذه الباكية ترى الفضيلة عندك لاترد ضدها من الفضائل على ما عهدنا فى المتاضدين ، ثم فسر ذلك فقال . يريك الشمس مشرقةوالسحابكنهورا أى يريك الممدوح فى حال واحدة هذين المتضادين فوجهه كالشمس إضاءة ونائله كالسحابالكنهور فيضا ، وقداجتمعافىوقتواحد مع أنالسحابالكنهور فى الحقيقهيستر الشمس فلا يجتمعان والمراد أنه يتدفق بالنوال ويتبلج عند السؤال . وقد قال فىهذا المعنى محمد بن على بن بسام

أَلشَّمْسُ غُرَّتُهُ وَالغَيْثُ رَاحَتُهُ ... فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِغَيْثٍ جَاءَ مِنْ شَمْسِ

وأوضحه ابن الرومى فقال

يُلْقَى مُغِيماً مُشْمِساً فى حَالَةٍ ... هَطِلَ الإِغَامَةِ نَيِّرَ الإِشْمَاسِ

وقال أيضا

لِكُلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيْهِ وَوَجْهِهِ ... مَدَى الدَّهْرِ يَوْمٌ غَائِمُ الجَوِّ شَامِسُ

وتبعه البحترى فقال

وَأَبْيَضُ وَضَّاحٌ إِذَا مَا تَغَيَّمَتْ ... يَدَاهُ تَجَلَّى وَجْهُهُ فَتَقَشَّعَا

أَنامِنْ جميعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلاً وَأَسَرُّ راحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتْجَرا[١]

زُحَلٌ على أَنَّ الكَواكِبَ قَوْمُهُ لَوْ كانَ مِنْكَ لَكانَ أَكْرَمَ مَعْشَرا[٢]

وقال يمدح أبا بكر عليّ بن صالح الروذباريّ الكاتب

كَفِرِنْدِي فِرِنْدُ سَيْفِي الجُرازِ لَذَّةُ العَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبِرازِ[٣]

تَحْسَبُ المَاءَ خَطَّ فى لَهَبِ النَّا رِ أَدَقَّ الخُطوطِ فى الأَحْرازِ[٤]

كُلَّمَا رُمْتَ لَوْنَهُ مَنَعَ النَّا ظِرَ مَوْجٌ كأَنَّهُ مِنْكَ هَازِى[٥]

وقال الرضى

أَمْطَرُوا الْجُودَ مُضِيئاً بِشْرُهُمْ فَرَأَيْناهُمْ شُمُوساً وغَمَامَا

(١) يقول : طاب مكانى ومنزلى بقصده ، وسرتنى راحلتى إذ أدتنى إليه ، وتجارتى أربح من تجارة غيرى إذ اشترى شعرى بأوفر الأثمان (٢) جعل الكواكب المحيطة بزحل كالقوم له إذ أنه يسمى شيخ النجوم . يقول : لو كان زحل من عشيرتك لكان أكرم معشراً منه الآن والنجوم قومه ، يعنى أن قوم الممدوح ورهطه أشرف من النجوم

(٣) الفرند جوهر السيف ، وهى الخضرة التى تردد فيه معرب دخيل . والجراز القاطع . والبراز مبارزة الاقران فى الحرب . يقول : إن سيفى يشبهنى فى المضاء، وهو حسن فى مرآة العين، عدة لمبارزة الاقران، وفيه نظر إلى قول أبى تمام

فى كلّ جَوْهَرَةٍ فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ وَهُمُ الفِرِنْدُ لِهؤُلاءِ النَّاسِ

(٤) شبه بريق سيفه بالنار وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأدق الخطوط فى الاحراز — والاحراز جمع حرز وهو العوذة — وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الاحراز . وهذا ينظر إلى قول القائل

مَاضٍ تَرَى فى مَتْنِهِ مَاءً بِنَارٍ مُخْتَلِطْ

ومثله

كَأَنَّهُ فى طَبْعِهِ واللَّوْنِ مَاءٌ وَلَظَى

(٥) هازى أصلها هازىء بالهمز خففت للقافية . يقول : كلما حاولت أن تعرف لونه

وَدَقِيقٌ قَذَى الْهَبَاءِ أَنِيقٌ ... مُتَوَالٍ فِى مُسْتَوٍ هَزْهَازِ (١)

وَرَدَ الْمَاءَ فَالْجَوَانِبُ قَدْرًا ... شَرِبَتْ وَالَّتِى تَلِيهَا جَوَازِى (٢)

حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى ... هِىَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى خَرَّازِ (٣)

وَهْوَ لَا تَلْحَقُ الدِّمَاءُ غِرَارَيْـ ... ـهِ وَلَا عِرْضَ مُنْتَضِيهِ الْمَخَازِى (٤)

وأنعمت النظر منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه وبياضه الذى يترددفيه كالموج فكأنه يهزأ بك لانه لايستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك . وهذا ينظر إلى قول الآخر

وكأَنَّ الفِرِنْدَوالرَّوْنَقَ الجا ... رِى فى صَفْحَتَيْهِ مَاء مَعِين

ولابن أبى زرعة

مُتَرَدِّدٌ فِيهِ الْفِرِنْـ ... ـدُ تَرَدُّدَ الْمَاءِ الزُّلَالْ

(١) قوله ودقيق قذى هو كما يقال حسن وجها لكنه إضافه إلى الهباء إشارة إلى أن الفرند فى دقته يشبه الهباء — والهباء ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق — شبه اثار الفرند فى دقتها بقذى الهباء ، والقذى فى الاصل ما يقع فى العين — وجعله أنيقا لانه معجب للناظر ، وهو متوال — أى يتبع بعضه بعضا — فى متن مستو هزهاز أى متحرك مضطرب يجيء ويذهب . يقال سيف هزهاز وهزاهز كأن ماءه يذهب عليه ويجيء . وروى ابن جنى قدى الهباء من قولهم قدى رمح وقاد رمح وقيد رمح أى مقداره (٢) الجوازى جمع جازئة من قولهم جزأت الابل أو الوحش بالرطب — أى بالخضرة — عن الماء — أى استغنت به عنه . وقوله قدرا شربت أى شربت قدرا . يقول : إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقدارا يلينها أما ما يليها من المتن فلم يشرب ، لانه لايسقى جميع السيف بل تسقى شفرتاه ويترك المتن ليكون اثبت عند الضرب فلا ينقصف (٣) الحمائل جمع حمالة ما يحمل به : والخراز الذى يخرز الحمائل وغيرها بالسيور . يقول : إن هذا السيف من قدمه وتداول الايدى عليه قد أخلقت حمائله واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها ، وإضافة الحمائل إلى الدهر مجاز أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله ، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له (٤) غراراه حداه . والعرض ما يمدح ويذم من الانسان . وانتضى السيف سله . والمخازى جمع مخزاة ما يخزى به الانسان . يقول : إن سيفى لسرعة قطعه يسبق

يامُزِيلَ الظَّلامِ عَنِّى وَرَوْضِى ... يَوْمَ شُرْبِى وَمَعْقِلِى فى الْبَرَازِ[1]

وَالْيَمانِى الَّذِى لَوِ اسْطَعْتُ كانَتْ ... مُقْلَتِى غِمْدَهُ مِنَ الإِعْزازِ[2]

إِنَّ بَرْقِى إِذا بَرَقْتَ فَعالِى ... وَصَلِيلِى إِذا صَلَلْتَ ارْتِجازِى[3]

لَمْ أُحَمِّلْكَ مُعْلَماً هكَذا الاّ ... لِضَرْبِ الرِّقابِ وَالأَجْوَازِ[4]

وَلِقَطْعِى بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْها ... فَكِلانا لِجِنْسِهِ الْيَوْمَ غازِ[5]

الدم فلا يلصق به ولا يتلطخ ، ولا تدرك المخازى عرض منتضيه — يعنى نفسه — لحسن بلائه عند الوغى (١) البراز الخلاء أو الصحراء . يقول — لسيفه : انت تزيل عنى الظلام بصفائك ورونقك ؛ يعنى — لعله — انه يستصبح ببريقه إذا اشتد سواد الغبار فصار كالظلام ، وأنت روضى يوم شربى ، يريد — لعله — كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين فروضى يوم أشرب دماء الاعداء أى يوم الحرب هو أنت ، وذلك لخضرته والسيف يوصف بالخضرة كما قال الحامى فى مقصورة له

مُهَنَّدٌ كَأَنَّمَا طَبَّاعُهُ ... أَشْرَبَهُ بِالْهِنْدِمَاءَ الْهِنْدِبا

ومثله للبحترى

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةُ بَقْلَةً ... مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلِ

ثم قال المتنبى : ويا حصنى الذى أتحصن به وأذود عن نفسى فى البراز أى الصحراء وما إليها من الفضاء (٢) يقول : لشدة اعزازى له وإبقائى عليه لو استطعت لجعلت عينى غمدا له . واليمانى أى المنسوب إلى اليمن ، والافصح يمنى ويمان لان الالف عوض فى ياء النسب فلا يجتمعان . وقال العكبرى: اليمانى فى موضع نصب بالنداء كأنه قال : ويا اليمانى وإن كان ذلك غير جائز عند البصريين (٣) الفعال الفعل الحسن . والصليل الصوت . والارتجاز قول الرجز من الشعر . يقارن ما بين سيفه ونفسه . يقول : إذا كان لك برق فهناك فعالى بأزائه ، وإذا ارتفع صليلك — صوتك — فى الضريبة فان صليلى هو إنشادى الاراجيز من شعرى (٤) المعلم الذى قد شهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها وهو مما كانت تفعله الابطال من العرب ومعلما حال من المتكلم . والاجواز الاوساط جمع جوز . يقول : لم أحملك فى الحرب لزينة وإنما لضرب الرقاب واوساط الرجال (٥) يقول: لم أحملك إلا لاقطع بك الحديد الذى على الرقاب والاجواز

سَلَّهُ الرَّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أَهْلُ الحِجَازِ (١)

وَتَمَنَّيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّى طَالِبٌ لِابْنِ صَالِحٍ مَنْ يُوَازِى (٢)

لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوذَبَارِ ىِّ وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ بِبَازِ (٣)

فَارِسِىٌّ لَهُ مِنَ المَجْدِ تَاجٌ كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوَازِ (٤)

نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ وَلَوَ انِّى لَهُ إِلَى الشَّمْسِ عَازِ (٥)

وَكَأَنَّ الفَرِيدَ وَالدُّرَّ وَالْيَا قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ (٦)

— الاوساط — يعنى الدروع والمغافر ، فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد فكلانا يغزو جنسه (١) يقول: ركضنا الخيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من غمده ونحن بنجد بعد وهن — أى صدر من الليل — فظن أهل الحجاز لمعان ضوء برق فارتقبوا نزول الغيث — المطر — وهذا من قول على بن الجهم فى قبة المتوكل :

إذا أُوقِدَتْ نارُها بالعِرَاقِ أَضَاءَ الحِجَازَ سَنا نارِهَا

والاصل قول الوائلى

مَا سَلَّهُ أَهْلُ الحِجَازِ لِحَاجَةٍ إِلَّا يُبَشِّرُ بالسَّحَابِ الشَّامَا

(٢) يوازى يعادل ويماثل . وابن صالح هو الممدوح . يقول : هما فريدان ، لا نظير لسيفى ولا لهذا الممدوح . وهذا من أحسن المخالص (٣) السراة جمع سرى — الشريف — والروذبارى الممدوح نسبة إلى بلد أبيه روذبار بلد من بلاد العجم . يقول : هو من العلية الاشراف وهو بينهم كالبازى بين سائر الطير ، أى ليس أحد مثل هذا الممدوح الذى قد جمع ما تفرق فى غيره من العلية (٤) أبرواز هو أبرويز أحد الا كاسرة ملوك العجم تصرف فيه كعادة العرب تتصرف فى الاسماء الاعجمية ما شاءت . يقول : إنه من أولاد ملوك فارس وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبرويز يريد أنه معرق له عظامى (٥) تقول عزوته إلى فلان إذا نسبته إليه أعزوه فأنا عاز . يقول : هو بنفسه أجل من كل أب وإن كان شريفا حتى لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها

(٦) وسام الركاز عطف الفريد ، والفريد الدر إذا نظم وفصل بغيره . وفريد الدر الكبار منه . والسام عروق الذهب واضافه إلى الركاز لان الركاز معدن الذهب .

شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ الْمَعَالِي ... عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالأَعْجَازِ (١)

تَقْضَمُ الجَمْرَ وَالحَدِيدَ الأَعَادِي ... دُونَهُ قَضْمَ سُكَّرِ الأَهْوَازِ (٢)

بَلَغَتْهُ الْبَلاَغَةُ الجَهْدَ بِالْعَفْـ ... ـوِ وَنَالَ الإِسْهَابَ بِالإِيجَازِ (٣)

حَامِلُ الحَرْبِ وَالدِّيَاتِ عَنِ الْقَوْ ... مِ وَثِقْلِ الدُّيُونِ وَالإِعْوَازِ (٤)

كَيْفَ لاَ يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشَكَّوْا ... وَبِهِ لاَ بِمَنْ شَكَاهَا الْمَرَازِي (٥)

أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفِنَاءِ وَمَا فِيـ ... ـهِ مَبِيتٌ لِمَالِكَ المجْتَازِ (٦)

بِكَ أَضْحَى شَبَا الأَسِنَّةِ عِنْدِي ... كَشَبَا أَسْوُقِ الجَرَادِ النَّوَازِي (٧)

وَانْثَنَى عَنِّيَ الرُّدَيْنِيُّ حَتَّى ... دَارَ دَوْرَ الحُرُوفِ فِي هَوَّازِ (٨)

يقول : ان هذه الاشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه (١) الاعجاز جمع عجز ، وهو أسفل كل شيء . يقول : إن شغله الشاغل إنما هو المعالي لا النساء

(٢) يقول : لحنق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما يقضم السكر (٣) العفو الميسور من عفو المال ما فضل عن النفقة . والجهد المشقة . والأسهاب الاكثار . يقول . إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة ما يبلغه غيره بالجهد، وينال بايجازه في القول ما ينال غيره بالاسهاب

(٤) الديات جمع دية ما يؤخذ من القاتل عن القتيل . والاعواز الحاجة والفقر

(٥) المرازى جمع مرزئة فأصله الهمز وخفف للضرورة . يقول : إني لاعجب كيف لايشتكي ثقل ما يحمل عن قومه وكيف يشتكي مرزئة — رزيئة — أحد من قومه وهو حاملها عنه ؟ (٦) يقول : إن فناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة ، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانا يبيت فيه ، يعني أنه معطاء يبذل ماله فلا يبقى عنده (٧) شبا الاسنة حدها . وأسوق جمع ساق . والنوازى من قولك نزا الجراد ينزو وثب . يقول : لما صرت في جوارك واعتصمت بك صرت لا أكترث لعدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح في نظرى كساق الجرادة لقلة مبالاتي به (٨) قوله في هواز أراد في هوز ، والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ماوضعت كما قال أبو حنش في البرامكة

أَبُو جَادُهُمْ بَذْلُ النَّوَى يُلْهِمُونَهُ ... وَمُعْجَمُهُمْ بِالسَّوْطِ ضَرْبُ الفَوَارِسِ

وَبآبَائِكَ الْكِرَامِ التَّأَسِّى ... وَالتَّسلِّى عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَازِى (١)

تَرَكُوا الأَرْضَ بَعْدَ مَاذَلَّلُوهَا ... وَمَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلاَ مِهْمَازِ (٢)

وَأَطَاعَتْهُمُ الْجُيُوشُ وَهِيبُوا ... فَكَلاَمُ الْوَرَى لَهُمْ كَالنُّحَازِ (٣)

وَهِجَانٍ عَلَى هِجَانٍ تَآيَتْـــكَ عَدِيدَ الْحُبُوبِ فِى الأَقْوَازِ (٤)

صَفَّهَا السَّيْرُ فى الْعَرَاءِ فَكَانَتْ ... فَوْقَ مِثْلِ الْمُلاَءِ مِثْلَ الطِّرَازِ (٥)

وإنما هو أبجد . يقول المتنبي : ارتد الرمح عنى والتوى على نفسه التواء الحروف المدورة فى هوز وهي الهاء والواو والزاى . والجيد فى تعطف الرماح قول أبى العلاء المعرى

وتَعَطَّفَتْ لَعِبَ الصِّلاَلِ مِنَ الأَسَى ... فالزُّجُّ عِنْدَ اللَّهْذَمِ الرَّعَّاف

« يقول المعرى : تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات وتتلوى إذا لعبت حتى تجمع رؤسها إلى أذنابها أى تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع أسنتها وزجاجها » .

(١) التأسى التعزى . والتعازى جمع تعزية . يقول : إنما يتعزى عمن مضى منا بذكر آبائك الكرام ، فاذا ذكرنا فقدهم هان علينا فقد من بعدهم

(٢) المهماز حديدة تجعل فى عقب الراكب ينخس بها بطن الدابة لتسرع فى المشى . يقول : ماتوا بعد أن ملكوا الارض وانقادت لهم انقياد الدابة الذلول التى تمشى بغير مهماز (٣) النحاز داء يصيب الابل والغنم فى صدورها يشبه السعال . وهيبوا أى هابهم الناس . قال ابن جنى : أى لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة الجيوش إياهم صاروا لا يعبأون بكلام أحد . وقال الواحدى : وأجود من هذا أن يقال : السعال يرقق الصوت والمعنى : لهيبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت بين أيديهم

(٤) وهجان أى ورب هجان . والهجان من الابل والناس الكرام الخالصة النسب . وتآيتك أتت إليك وقصدتك . والاقواز جمع قوز القطعة المستديرة من الرمل شبه الرابية . يقول : رب رجال كرام على أبل كريمة قصدوك فى مثل عدد حبات الرمل كثرة ، يعنى جيش الممدوح وأولياءه (٥) العراء الارض الواسعة كالفضاء . والملاء جمع ملاءة الريطة ذات لفقين والازار . والطراز ما يكون فى الثوب من النقش فارسى معرب . شبه استواء الابل وانتظامها صفوفاً فى سيرها على سعة الفضاء بطراز — نقش — على ملاءة . وإذا كان هناك فى هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لبياضه

وَحَكَى فى اللُّحُومِ فِعلَكَ فى الوَفْـ ـرِ فأَوْدَى بالعَنْتَرِيسِ الكِنَازِ (١)

كُلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدٍ عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بالإِنْجَازِ (٢)

مَلِكٌ مُنْشِدُ القَرِيضِ لَدَيْهِ وَاضِعُ الثَّوْبِ فى يَدَىْ بَزَّازِ (٣)

وَلَنا القَوْلُ وهُوَ أَدْرَى بِفَحْوَا هُ وأَهْدَى فِيهِ إِلى الإِعْجَازِ (٤)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ شُعَرَاءُ كَأَنَّهَا الخَازِبَازِ (٥)

وَيَرَى أَنَّهُ البَصِيرُ بِهَذَا وَهْوَ فى العُمْىِ ضَائِعُ العُكَّازِ (٦)

كُلُّ شِعْرٍ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيـ ـكَ وَعَقْلُ المُجِيزِ عَقْلُ المُجَازِ (٧)

وهكذا سير الابل إذا كان فى بسيط من الارض وكانت كراما استقامت فى السير فلم تتقدم واحدة على أخرى كما قال أبو نواس

تَذَرُ المَطِىَّ وَرَاءهَا فَكَأَنَّهَا صَفٌّ تَقَدَّمُهُنَّ وهْىَ إِمَامُ

(١) الوفر المال الكثير . وأودى أهلك . والعنتريس الناقة الشديدة الصلبة ، والكناز المكتنزة اللحم . يقول : إن السير ذهب بلحوم هذه الابل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكى — مائل — فى ذلك جودك فى اهلاك المال (٢) يقول : كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيأ فوعدته ظنونه بذلك عنك وعدا صدقت ظنونه وأنجزت ذلك الوعد

(٣) البزاز تاجر الثياب . يقول : انه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب .

(٤) يقول : نقول القول وهو أدرى منا بمغزاه وأبصر بمواطن الاعجاز فيه . وقال ابن جنى : أى ينسب إلينا القول وهو أعلم بمعناه وأولى منا أن يأتى فى القول بالمعجز

(٥) الخازباز حكاية صوت الذباب ثم سمى به الذباب نفسه . يقول : أنت طب بالشعر ناقد له وغيرك لايعرف الشعر ولا يميز جيده من رديئه فيجوز عليه شعراء يهذون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن (٦) يقول : ويظن أنه طب بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالاعمى الذى ضاعت عصاه فهو لايهتدى للطريق وقوله وهو فى العمى الخ أى هو ضائع العكاز حال كونه فى جملة العميان (٧) المجيز الممدوح الذى يعطى الجائزة . والمجاز الشاعر الذى يأخذ الجائزة . وقوله عقل المجاز أى مثل عقل المجاز فحذف المضاف . يقول : إن الشعر حسب قارضه ، فان كان الشاعر مجودا ذا قريحة بصيرا به

قافية السين

وقال وقد أذّن المؤذن فوضع سيف الدولة الكأس من يده

فقال أبو الطيب ارتجالا

أَلاَ أَذِّنْ فَمَا أَذْكَرْتَ نَاسِي ... وَلاَ لَيَّنْتَ قَلْباً وَهْوَ قَاسِ (١)

وَلاَ شُغِلَ الأَمِيرُ عَنِ المَعَالِي ... وَلاَ عَنْ حَقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ (٢)

وقال يمدح عبيد الله بن خراسان الطرابلسي

أَظَبْيَةَ الوَحْشِ لَوْلاَ ظَبْيَةُ الأَنَسِ ... لَمَا غَدَوْتُ بِجَدٍّ فِي الهَوَى تَعِسِ (٣)

كان شعره حسب طبقته هـذه وكذلك المتخلف يكون شعره متخلفا ، والممدوح الذي يجيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع كان عقله جيداً كعقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دونا كذلك . ويروى بدل قائله فيك قاله منك فيكون الخطاب للشاعر . يقول : إذا مدحت أحدا فقبل شعرك فهو نظيره يعني أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد والجاهل به يقبل الردىء

(١) يقول — للمؤذن — : أذن فلم تذكر بأذانك ناسيا ، يعني أنه محافظ على الصلوات لا ينسى أوقاتها فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان ، وهو لين القلب خاشع فلا يحتاج إلى ما يلينه ، وكان حقه أن يقول ناسيا ولكنها الضرورة أو على لغة من يقول : رأيت قاض . وقوله وهو قاس في موضع الحال كأنه قال ولا لينت قلبا قاسيا

(٢) يقول : لم تكن الكاس لتشغله عن حق الله تعالى ، ولا عن مراعاة أسباب المعالي فهو ليس ممن يستهلكون أوقاتهم فيغفل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة حق

(٣) الانس جماعة الناس . والجد الحظ والبخت . والتعس في الأصل الانحطاط ، والكب والعثور ضد الانتعاش وقيل الهلاك ، والمراد بالجد التعس المنحوس المشؤوم وقد عابوا قوله تعس قائلين إنما يقال جد تاعس ، يخاطب الظبية الوحشية لانها ألفته لكثرة ملازمته الفيافي ومساءلته الاطلال كما قال ذو الرمة

أَخُطُّ وَأَمْحُو الخَطَّ ثُمَّ أُعِيدُهُ ... بِكَفِّيَّ وَالغِزْلاَنُ حَوْلِيَ تَرْتَعُ

أي قد ألفتني وأنست بي لكثرة ما يرينني . يقول : لولا شبيهتك من الانس أيتها الظبية

وَلا سَقَيْتُ الثَّرَى وَالْمُزْنُ مُخْلِفَةٌ دَمْعاً يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفَسِي (١)

وَلا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسْيَ ثَالِثَةٍ ذِي أَرْسُمٍ دُرُسٍ فِي الأَرْسُمِ الدُّرُسِ (٢)

صَرِيعَ مُقْلَتِهَا سَآَّلَ دِمْنَتِهَا قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ الجَفْنِ وَاللَّعَسِ (٣)

خَرِيدَةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ وَلَوْ رَآهَا قَضِيبُ البَانِ لَمْ يَمِسِ (٤)

مَا ضَاقَ قَبْلَكِ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَأٍ وَلا سَمِعْتُ بِدِيبَاجٍ عَلَى كُنُسِ (٥)

— يعنى حبيبته — لما صرت فى الحب ذا جد منحوس (١) الثرى التراب . والمزن السحاب الأبيض . ومخلفة أى غير ماطرة من أخلاف الوعد . يصف حرارة وجده وكثرة دموعه ، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الارض

(٢) المسى المساء مثل الصبح والصباح . ومسى ثالثة أى مساء ليلة ثالثة . والارسم جمع رسم آثار الديار . والدرس جمع دارس ودارسة أى التى امحت . يقول : **لولا** هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظعنها — أى لما وقفت بربعها مع قرب العهد بلقائها — بجسم دارس ناحل قد أبلاه الحزن وانحله حتى آض مثل تلك الرسوم . ومثله للمكوك

خَلَّفْتَنِي نِضْوَ أَحْزَانٍ أُعَالِجُهَا بِالجِزْعِ أَنْدُبُ فِي أَنْضَاءِ أَطْلَالِ

(٣) الدمنة جمعها دمن ما اسود من آثار الديار ، واللعس سمرة فى الشفة مثل اللمى وصريع وسآل حالان ومن خفضهما فعلى أنهما نعتان لجسم . واللعس عطف على تكسير وكاف ذاك بالكسر لانه يخاطب الظبية . يذكر شدة وجده بها ، وأن مقلتها قد صرعته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثار دارها عنها أين ذهبت ، وأنه مقتول بما فى جفنها من الانكسار وفتور النظر وما فى شفتها من السمرة (٤) الخريدة الحيية . يقول : إنها أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياء منها ، وهى أحسن تثنيا من تثنى غصن البان فلو رآها لم يتمايل . قال الواحدى : وفى هذا إشارة الى أنها فى غاية الستر وأن الشمس لم ترها ولا الغصن (٥) الرشأ الظبى الصغير . والكنس جمع الكناس الموضع الذى تتخذه الظباء من أغصان الشجر تستظل به من الحر . يقول : إن الرشأ دقيق القوائم لا يضيق الخلخال على قوائمه وأنت رشأ غليظ القوائم كثير اللحم يضيق عليك الخلخال ، ولم أسمع أن كناس الرشأ يستر بالديباج — ضرب من الثياب

إِنْ تَرْمِنِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ ... تَرْمِ امْرَأً غَيْرَ رِعْدِيدٍ وَلاَ نَكِسِ (١)

يَفْدِي بَنِيكَ عُبَيْدَ اللهِ حَاسِدُهُمْ ... بِجَبْهَةِ العَيْرِ يُفْدَى حَافِرُ الفَرَسِ (٢)

أَبَا الغَطَارِفَةِ الحَامِينَ جَارَهُمُ ... وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَرِسِ (٣)

مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ ... كَأَنَّمَا اشْتَمَلَتْ نُورًا عَلَى قَبَسِ (٤)

الحريرية — أما أنت فمستورة الكناس بالديباج — يريد هودجها (١) الكثب القرب والرعديد الجبان، والنكس الساقط الفشل وأصله بكسر النون وسكون الكاف فلما احتاج الى تحريكه نقله الى فعل بفتح فكسر أو بكسرتين على حد قول عبد مناف ابن ربع الهذلي

مَاذا يَغِيرُ ابْنَتَيْ رِبْعٍ عَوِيلُهما ... لا تَرْقُدَانِ ولاَ بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا

إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامَتا مَعَهُ ... ضَرْبًا أَلِيمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلِدَا

«يغير ينفع. والسبت جلود البقر المدبوغة، واللعج الحرقة، أراد الجلد فحرك اللام بالكسر لكسر ما قبله» ومثله كثير. يقول المتنبى: إن رمانى الدهر بنوائبه عن قرب — يعنى من حيث لا يخطىء — فانى غير جبان ولا ساقط دنىء — يعنى لا أخاف ذلك ولا أجبن منه (٢) جعل العير — الحمار — مثلا للدنىء، والفرس مثلا للكريم، والمعنى بأعز شىء فى اللئيم يفدى أخس شىء فى الكريم، أى أن حاسدهم اذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار. ومثل هذا لأبى جعفر الاسكافى

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وهْيَ غير عَزِيزَةٍ ... فى جَنْبِ شَخْصِكَ وهْوَ جِدُّ عَزِيزِ

فلَقَدْ يَقِي الحرَّ البَهِيَّ أَذاتَهُ ... فى وقْتِها كَفٌّ مِنَ الشُّونِيزِ

«الشونيز والشينيز الحبة السوداء» ومثله لابى نصر العتبى

أَللهُ يَشْهَدُ والمَلاَئِكُ أَنَّنِي ... لِجَلِيلِ مَا أَوْلَيْتَ غَيْرُ كَفُورِ

نفسِي فِدَاؤُكَ لا لِقَدْرِي بَلْ أَرَى ... أَنَّ الشَّعِيرَ وِقايَةُ الكَافُورِ

(٣) أبا الغطارفة نصب على البدل من عبيد الله — الذى هو منادى — يقول: يا أبا السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الاسد كلبا لا يصيد شيأ، يعنى أن الاسد — أى البطل الشجاع — عندهم كالكلب غير الصائد لجبنه عنهم

(٤) الابيض هنا الكريم النقى العرض، والوضاح المشرق الواضح الجبهة. والقبس

دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٍّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ أَغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٍّ لَيِّنٍ شَرِسِ (١)

نَدٍ أَبِيٍّ غَرٍ وَافٍ أَخِي ثِقَةٍ جَعْدٍ سَرِيٍّ نَهٍ نَدْبٍ رِضًى نَدُسِ (٢)

لوْ كانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءَ غَادِيَةٍ عَزَّ القَطَا فِي الفَيَافِي مَوْضِعُ اليَبَسِ (٣)

أَكَارِمٌ حَسَدَ الأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ (٤)

الشعلة من النار . وعمامته مبتدأ والخبر الجملة التي بعده أي أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه واشراق لونه (١) أمر الشيء صار مرا . يقول : هو دان — قريب — ممن يحبه ويقصده ، بعيد عمن ينازعه ، محب للفضل وأهله ، مبغض للنقص وأهله ، بهج — فرح — مبهج بالقصاد ، حلو لاوليائه مر على أعدائه ، لين في الرضى ؛ شرس — صعب — على الاعداء . وروى الخوارزمي محب مبغض بصيغة اسم المفعول

(٢) ند جواد ندى الكف ، وأبي أنوف يأبى الدنايا ، وغر مغرى بالفعل الجميل مولع به ، واف بالعهد والوعد ، أخي ثقة صاحب ثقة يوثق به . وروى ابن جني أخ ثقة أي هو مستحق لاطلاق هذا الاسم — الاخ — عليه لصحة مودته لمن خالطه ونفة موثوق به مأمون عند الغيب — وهو مصدر وصف به كقولهم زيد عدل — وجعد جواد . قال الزمخشري : وأما قولهم جعد للجواد * فمن الكناية عن كونه عربيا سخيا لان العرب موصوفون بالجعودة قال :

هَلْ يُرْوِيَنَّ ذَوْدَكَ نَزْعٌ مَعْدُ وسَاقِيَانِ سَبِطٌ وَجَعْدُ

أي عجمي وعربي لأنهما لايتفاهمان فلا يشتغلان بالكلام عن السقي . وسري شريف ، ونه ذو نهية وهي العقل ، والندب الخفيف في الامور يندب لها أي يدعى فينتدب ، ورضى أي مرضي ، والندس بضم الدال وبكسرها الفطن البحاث عن الامور العارف بها (٣) فيض يديه أي الفائض من يديه . والغادية السحابة تغدو بالمطر . يقول: لو كان عطاؤه ماء سحابة لعم الدنيا كلها حتى لا تجد القطا — وهو الطائر المعروف بالهداية — في الفلوات موضعا جافا تلتقط منه الحب أو تنام فيه . وعز هنا أعيا أي أعياه وجود موضع اليبس أي المكان اليابس وامتنع عليه (٤) أكارم جمع أكرم ، كأفاضل وأفضل . يقول : بسببهم وكونهم في الارض حسدتها السماء ، أذ لم يكن في السماء مثلهم

* لان الأصل أن يقال فلان جعد أي بخيل

أَىُّ الْمُلوكِ وَهُمْ قَصْدِى أُحاذِرُهُ ... وَأَىُّ قِرْنٍ وَهُمْ سَيْفِى وَهُمْ تُرُسِى (١)

وسأله صديق له يعرف بأبى ضبيس الشراب معه

فامتنع وقال ارتجالاً

أَلَذُّ مِنَ الْمُدامِ الْخَنْدَرِيسِ ... وَأَحْلى مِنْ مُعاطاةِ الْكُؤُسِ (٢)

مُعاطاةُ الصفائِحِ وَالْعَوالِى ... وَإِقْحامِى خَمِيساً فِى خَمِيسِ (٣)

فَمَوْتِى فى الْوَغَى أَرَبِى لِأَنّى ... رَأَيْتُ الْعَيْشَ فى أَرَبِ النُّفُوسِ (٤)

وَلَوْ سُقِّيتُها بِيَدَىْ نَدِيمٍ ... أُسَرُّ بِهِ لَكانَ أَبَا ضَبِيسِ (٥)

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسى

هَذِى بَرَزْتِ لَنا فَهِجْتِ رَسِيسَا ... ثُمَّ انْثَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيسَا (٦)

وتأخر كل مصر — بلد — عن بلدهم طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الامصار

(١) هذا استفهام معناه الانكار . يقول : إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحدا من الملوك وإذا استعنت بهم لم أحـذر قرنا يقابلنى (٢) و (٣) الخندريس الخمر القديمة . والصفائح السيوف العريضة ، والعوالى صدور الرماح . والاقحام دخول الشىء فى الشىء والخميس الجيش . ومعنى معاطاة الصفائح مد اليد بالسيوف إلى الاقران بالضرب كمد المتناول يده الى من ناوله الشىء . يقول : ان الحرب ألذ عنده من الشرب

(٤) الارب الحاجة . يقول : اذا قتلت فى الوغى — الحرب — فذلك هو حياتى لان حقيقة الحياة ما يكون فيما تشتهيه النفس وأنا أشتهى أن أموت محاربا وإذا أدركت ما أشتهى فكأنى حييت (٥) يقول : لو رغبت فى شرب الخمر لشربتها من يدى أبى ضبيس لانى أسر بمنادمته (٦) هذى أى يا هذه ناداها وحذف حرف النداء ضرورة . وقال المعرى : هذه موضوعة موضع المصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول هذه البرزة برزت لنا كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة وأنشد

ياإبلى أَمَا سَلِمْتِ هَذِى ... فاسْتَوْثِقِى لِصَارِمٍ هَذَّاذِ

أَوْ طَارِقٍ فى الدَّجْنِ والرَّذاذِ

وَجِءَاتِ حَظِّي مِنكِ حَظِّي فِى الْكَرَى ... وَتَرَكْتِنِى لِلْفَرْقَدَيْنِ جَلِيسَا (١)

قَطَّعْتِ ذَيَّالِكِ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ ... وَأَدَرْتِ مِنْ خَمْرِ الْفِرَاقِ كُؤُوسَا (٢)

إِنْ كُنْتِ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِى ... تَكْفِى مَزَادَكُمُ وَتُرْوِى الْعِيسَا (٣)

حَاشَى لِمِثْلِكِ أَنْ تَكُونَ بَخِيلَةً ... وَلِمِثْلِ وَجْهِكِ أَنْ يَكُونَ عَبُوسَا (٤)

وَلِمِثْلِ وَصْلِكِ أَنْ يَكُونَ مُمَنَّعًا ... وَلِمِثْلِ نَيْلِكِ أَنْ يَكُونَ خَسِيسَا (٥)

خَوْدٌ جَنَتْ بَيْنِى وَبَيْنَ عَوَاذِلِى ... حَرْبًا وَغَادَرَتِ الْفُؤَادَ وَطِيسَا (٦)

يريد هذه الكرة . والرسيس فى الاصل مس الحمى وأولها والمراد هنامارس فى القلب من الهوى أى ثبت قال ذو الرمة

اذا غَيَّرَ النَّأْىُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ ... رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِ مَيَّةَ يَبْرَحُ

والنسيس بقية النفس بعد المرض والهزال . يقول: رززت لنا فحركت ما كان فى قلبنا من هواك ثم انصرفت عنا مودعة ولم تشفى ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا بالوصال .

(١) يقول : حلت بينى وبينك كما حالت بينى وبين النوم ، فحظى منك ومن وصالك كحظى من النوم ، يعنى لا حظ لى من الوصال ولا من النوم (٢) ذيالك تصغير ذاك . والخمار بقية السكر . يقول: كنا مع قربك فى شبه الخمار لما كنا نقاسى من بخلك بالوصل فجاء ما طم على الخمار باسكارك إيانا بفراقك ، يعنى : بلينا من فراقك بأشد مما كنا نقاسيه من منعك مع قربك ، فشبه بخلها فى قربها بالخمار وفراقها بالسكر ، والخمار اذا قيس بالسكر صغر (٣) المراد بالمدامع الدموع . والمزاد جمع المزادة القربة . والعيس الابل يقول : إن كنت مرتحلة فانى أكثر عليك من البكاء حتى أن دموعى تملأ ما معكم من اوعية الماء وتروى إبلكم فتكتفون بها عن نشدان الماء (٤) و (٥) عبس قطب وجهه والنيل إسم لما ينال .والخسيس القليل . يقول : مثلك فى حسنه وكرم أصله لاينبغى أن يبخل على من يحبه بالوصال ، ومثل وجهك فى توافر ملاحته لاينبغى أن يكون عبوسا للناظرين إليه ، وبودى أن تجودى بوصالك وأن لا تمنعيه عنا ، يتمنى المتنبى أن لاتتمنع عليه وأى محب لايود ذلك من حبيبه ؟ اذن لامحل لنقد ابن جنى

(٦) الخود بفتح الخاء الشابة الناعمة وجمعها خود بضمها ، وارتفاع خود على أنها خبر

بَيْضَاءُ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلُّهَا تِيهاً وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسَا[1]

لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءَ دَائِي عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا[2]

أَبْقَى زُرَيْقٌ لِلثُّغُورِ مُحَمَّدًا أَبْقَى نَفِيسٌ لِلنَّفِيسِ نَفِيسَا[3]

إِنْ حَلَّ فَارَقَتِ الْخَزَائِنُ مَالَهُ أَوْ سَارَ فَارَقَتِ الْجُسُومُ الرُّوسَا[4]

مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ وَرَضِيتَ أَوْحَشَ مَا كَرِهْتَ أَنِيسَا[5]

مبتدأ محذوف . والوطيس تنور من حديد ، ويقال حمى الوطيس أي اشتدت الحرب يقول : لكثرة ما يلمني — أي العواذل — في هواها ويراجعني ويغضبني صار كأن بيني وبينهن حربا من جرائها ثم قال : وقد تركت فؤادي مثل الوطيس أي ملتهبا بما فيه من حرارة الوجد (١) يقول : انها بيضاء — نقية العرض — يمنعها دلالها أن تتكلم ويمنعها حياؤها أن تميس — تتثنى — فقوله تكلم يريد أن تتكلم فحذف واعمل وكذلك تميس ويروى بدل تكلم التكلم

(٢) دواؤه عندها هو الوصال وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليوناني المشهور — ما وصفه من الأدوية في تواليفه (٣) هذا اقتضاب فقد انتقل من التشبيب إلى ما لا يمت اليه بسبب وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين . وزريق أبو الممدوح ومحمد اسم الممدوح. يقول : لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور ، وهو نفيس وابنه نفيس وحفظ الثغور — مواضع المخافة من فروج البلاد — نفيس ، فقد أبقى رجل نفيس لابن نفيس أمرا نفيسا وهو حفظ الثغور وذب الاعداء عنها (٤) يقول : ان كان نازلا في وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه وان سار للحرب فرق بين جسوم أعدائه وبين رؤسهم

(٥) تقدير البيت هكذا : اذا عاديت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت أنيسا فعاده ، ولكنه حذف الفاء ضرورة . قال الواحدي: ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده اذا عاديت نفسك لان ما بعد ملك من الجملة صفة له وقوله عاده أمر والأمر لا يوصف به لأن الوصف لا بد من أن يكون خبرا يحتمل الصدق والكذب والامر والنهي والاستفهام لا تحتمل صدقا ولا كذبا . يقول المتنبي : ان عاديته فقد عاديت نفسك ورضيت أوحش الاشياء — وهو الموت — أنيسا ، أي أن

اَلْخَائِضَ الْغَمَرَاتِ غيرَ مُدَافَعٍ والشِّمَّرِيَّ المِطْعَنَ الدِّعِّيسَا[1]
كَشَفْتُ جَمْهَرَةَ العِبَادِ فلَمْ أَجِدْ إِلاَّ مَسُودًا جَنْبَهُ مَرْؤُسَا[2]
بَشَرٌ تَصَوَّرَ غايَةً فى آيَةٍ تَنْفِى الظُّنُونَ وتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا[3]
وبِهِ يُضَنُّ على البَرِيَّةِ لاَ بِهَا وعَلَيْهِ مِنْهَا لا عَلَيْهَا يُوسَى[4]
لَوْ كانَ ذُو القَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسَا[5]

من عاداه أتى عليه وقتله لقدرته (١) نصب الخائض بفعل مضمر كأنه قال أردت أو مدحت الخائض ، ولك أن تجعله بدلا من الهاء فى عاده . والغمرات الشدائد . والشمرى بفتح الشين وكسرها الجاد المشيح فى أمره . والمطعن الجيد الطعن . والدعيس فعيل من الدعس وهو الطعن . يقول : هو الذى يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للعجز عنه (٢) جمهرة الشىء وجمهوره أكثره ومعظمه . ونصب جنبه تشبيها بالظرف أراد أنه بالاضافة اليه مسود ومرؤس كما يقال هذا حقير فى جنب هذا . والمسود من ساده غيره . يقول : بلوت جمهور الناس فلم أجد أحدا إلا والممدوح فوقه فى السيادة والرياسة (٣) الآية العلامة وأكثر ما تستعمل الآية فى العلامة على قدرة الله سبحانه كما قال أبو العتاهية

وفى كلِّ شىْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

يقول : هو الغاية التى لا بعدها فى الدلالة على قدرة الله تعالى حين صوره بشرا فيه ما لا يوجد فى غيره من الكمال حتى نفى ظنون الناس فلا يدرك بالظن ، وأفسد مقايستهم لان الشىء يقاس على مثله ونظيره وهو لا نظير له فيقاس عليه

(٤) الضن البخل بالشىء . ويوسى يحزن تقول أسيت عليه أسى حزنت عليه وأصله يؤسى فلين للقافية . يقول : انه يضن به على الناس جميعا لا بالناس عليه أى لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يسلموا هم كلهم دونه لم يساووا قدره ، ولو جعلوا كلهم فداء له لم يبخل عليه بهم لأنه أفضل منهم ففيه منهم خلف ولا خلف منه فى جميع الناس ، وعليه يحزن لو هلك لا على الناس كلهم . والمصراع الثانى كالتفسير للأول

(٥) حديث الاسكندر ودخوله فى الظلمات معروف . يقول : لو استعمل ذو القرنين

أَوْ كانَ صادَفَ رَأْسَ عازَرَ سَيْفُهُ ... فى يَوْمِ مَعْرَكَةٍ لَأَعْيَا عِيسَى (١)

أَوْ كانَ لُجُّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ ... مَا انْشَقَّ حَتَّى جازَ فِيهِ مُوسَى

أَوْ كانَ لِلنِّيرانِ ضَوْءُ جَبِينِهِ ... عُبِدَتْ فَصارَ الْعالَمُونَ مَجُوسَا

لَمَّا سَمِعْتُ بِهِ سَمِعْتُ بِواحِدٍ ... ورَأَيْتُهُ فرَأَيْتُ مِنْهُ خَمِيسَا (٢)

ولَحَظْتُ أَنْمُلَهُ فَسِلْنَ مَواهِباً ... ولَمَسْتُ مُنْصُلَهُ فَسالَ نُفُوسَا (٣)

يا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزَّمانِ بِظِلِّهِ ... أَبَدًا ونَطْرُدُ باسْمِهِ إِبْلِيسَا (٤)

صَدَقَ الْمُخَبِّرُ عنْكَ دُونَكَ وصفُهُ ... مَنْ بِالْعِراقِ يَراكَ فى طَرَسُوسَا (٥)

رأى الممدوح لأضاءت له تلك الظلمات وهذا وما بعده من الغلو المذموم

(١) عازر رجل من بنى اسرائيل أحياه الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى . يقول : لو كان قتل بسيفه فى الحرب لأعجز عيسى احياؤه (٢) الخميس الجيش العظيم : يقول انه يقوم بنفسه مقام جماعة ويغنى غناءهم . ولله أبو تمام حين يقول

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الْوَغَى لغدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وحْدَها فى جَحْفَلٍ لَجِبِ

ويقول :

ثَبْتُ الْمُقامِ يَرَى الْقَبِيلَةَ واحِدًا ... ويُرَى فَيَحْسَبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلاَ

ويقول ابن الرومى :

فَرْدٌ وحِيدٌ يراهُ النَّاسُ كلُّهمُ ... كأَنَّه النَّاس طُرًّا وهْوَ إِنْسانُ

(٣) مواهبا ونفوسا تمييزان . والمراد بالأنمل الأصابع . والمنصل السيف . قال الواحدى : لحظ الانامل كناية عن الاستمطار ولمس المنصل كناية عن الاستنصار . يقول : تعرضت لعطائه فسالت بالمواهب أنامله ، وتعرضت لاعانته إياى فسال سيفه بنفوس أعدائى وأرواحهم لانه قتلهم (٤) يقول : إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا اليه فكفانا ذلك،أى نهرب إلى ظله وجواره من جور الزمان،وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان خوفا ورعبا منه ، قال العكبرى : ولان اسم الممدوح محمد وهو اسم المصطفى صلوات الله عليه والشيطان يطرد بذكر الله ورسوله (٥) وصفه مبتدأ ودونك الخبر يقول : ان الذى أخبر عنك مادحا مثنيا قد صدق ووصفه لك دون ما تستحقه ، وهنا تم

بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سَائِرٌ ... يَشْنَا المَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسَا[1]

فَإِذَا طَلَبْتَ فَرِيسَةً فَارَقْتَهُ ... وَإِذَا خَدَرْتَ تَخِذْتَهُ عِرِّيسَا[2]

إِنِّي نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَانْتَقِدْ ... كَثُرَ المُدَلِّسُ فَاحْذَرِ التَّدْلِيسَا[3]

الكلام ، ثم قال : من بالعراق يراك فى طرسوس أى لأن آثاره ظاهرة وذكره شائع فكأن من بالعراق يراه وهو بطرسوس والمراد التعميم أى أن آثاره قد عمت ، وقال الواحدى : من بالعراق يراك فى طرسوس أى لميله اليك ومحبته إياك كانه يراك كما قال كثير

أُرِيدُ لأَنسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا ... تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وكما قال أبو نواس

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي القُلُوبِ مِثَالُهُ ... فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ

(١) يشنا أراد يشنأ من شنأت أى أبغضت . والمقيل القيلولة ـــ النوم ـــ وقت القائلة ـــ الظهيرة ـــ والتعريس النزول فى آخر الليل للراحة . يقول : ان طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك سائر فى البلاد كلها ليلا ونهارا لايتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس (٢) خدر الاسد واخدر غاب فى اجمته . وتخذت بمعنى اتخذت . والعريس والعريسة أجمة الاسد وعرينه . يقول : أنت مقيم بهذا البلد اقامة الاسد فى عرينه فاذا أردت الغزو وان تطأ سائر الممالك فارقت بلدك كالأسد إذا طلب الصيد ، وفيه نظر الى قول ابن الرومى

هُوَ اللَّيْثُ طَوْرًا بِالعِرَاقِ وَتَارَةً ... لَهُ بَيْنَ آجَامِ القَنَا مُتَأَجَّمُ

(٣) تقول نقدت الرجل الدراهم والدنانير اذا أعطيته اياها فانتقدها أى أخذها ، هذا هو الاكثر فى كلام العرب وقد يستعملان فى تمييز الجيد ونفي الزيف يقال نقد كلامه وانتقده وكذلك فى الدراهم والدنانير وهو المراد هنا ، شبه شعره الذى مدحه به بدر نثره عليه . والتدليس اخفاء العيب فى السلعة . يقول : كثر المدلسون من الذين يبيعون الشعر فاحذر تدليسهم عليك وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه . وصدر البيت من قول أبى نواس

نَثَرْتُ عَلَيْكَ الدُّرَّ يَادُرَّ هَاشِمٍ ... فَيَامَنْ رَأَى دُرًّا عَلَى الدُّرِّ يُنْثَرُ

وعجزه ينظر الى قول ابن الرومى

أَوَّلُ مَا أَسْأَلُ مِنْ حَاجَةٍ ... انْ يُقْرَأَ الشِّعْرُ إِلَى آخِرِهْ

جَحَبْتُهَا عَنْ أَهْلِ إِنْطاكِيَّةٍ وَجلَوْتُها لكَ فاجْتَلَيْتَ عَرُوسا (١)
خَيْرُ الطُّيُورِ على القُصُورِ وَشَرُّها يأْوِي الخَرابَ وَيَسكُنُ النَّاوُوسا (٢)
لوْ جادَتِ الدُّنْيا فَدَتْكَ بِأَهْلِها أَوْجاهَدَتْ كُتِبَتْ عليكَ حَبِيسا (٣)

ودس عليه كافور من يعلم ما فى نفسه ويقول له قد طال

قيامك عند هذا الرجل فقال

يَقِلُّ لهُ القِيامُ على الرُّؤْسِ وَبَذْلُ المُكْرَماتِ مِنَ النُّفُوسِ (٤)

ثمّ كَفَانِى بالَّذِى تَرْتَئِى فى جَوْدَةِ الشِعْرِ وَفى شاعِرِهْ

(١) الضمير فى حجبتها وجلوتها للقصيدة وان لم يجرلها ذكر وانما ذكر الدر . وعروسا اما حال من القصيدة أو من الممدوح لان العرب تسمى المرأة والرجل العروس عند الزفاف. جعل قصيدته التى مدحه بها كالعروس يقول: حجبتها عن أهل هذا البلد — انطاكية — أى لم أمدحهم بها — يعرض ببعض الأكابر — ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس وتجلى على الزوج فاجتليتها أى نظرت إليها (٢) الناووس والناوس مقبرة النصارى والمجوس دخيل ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت . وهـذا مثل يقول : خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة — مثل البزاة — تطير إلى قصور الملوك ، وشر الشعر ما يمدح به اللئام والأراذل كالطيور التى تأوى إلى الخراب والمقابر يعنى : أنت خير الناس وكلامى خير الـكلام فأنت أولى به

(٣) يقول: لو كانت الدنيا ذات جود لأبقت عليك وفدتك بمن فيها ، أولو كانت غازية مجاهدة فى سبيل الله لجعلت نفسها وقفا محبوسا عليك فـكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك ، وانما قال هذا لان الممدوح كان على الثغور فى وجه الروم يجاهد فى سبيل الله (٤) يقول : يقل له أن نقوم فى خدمته ولو على الرؤس وأن نبذل فى خدمته النفوس المكرمة وتروى المـكرمات بفتح الميم وضم الراء أى الافعال الكريمة ولله قول أبى تمام

لوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا على وَجَناتِهِمْ وَخُدُودِهِمْ فَضْلاً عَنِ الأَقْدامِ

إِذَا خَانَتْهُ فِى يَوْمٍ ضَحُوكٍ فَكَيْفَ تَكُونُ فِى يَوْمٍ عَبُوسِ (١)

وقال يهجو كافورا وقد خرج من عنده

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عِرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ (٢)

وَإِنَّمَا يُظْهِرُ تَحْكِيمُهُ تَحَكُّمَ الإِفْسَادِ فِى حِسِّهِ (٣)

مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِى وَعْدِهِ كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ فِى حَبْسِهِ (٤)

أَلْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقُهُ عَنْ فَرْجِهِ الْمُنْتِنِ أَوْ ضِرْسِهِ (٥)

---

(١) يقول : اذا خانته النفوس فلم تقم بحقه ولم تخدمه فى السلم فكيف تخدمه فى الحرب ؟ (٢) النوك الحمق والانوك الاحمق . ومن مبتدا خبره ما قبله . يقول : الذى يجعل العبد حاكما على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد أى أمته ولك أن تقول : من يكون فى طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة فقوله من عرسه أى من عرس نفسه يعنى المرأة ، وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الاسود فاحتاج إلى أن يطيعه (٣) يقول : ان من حكم العبد على نفسه يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره وسوء الاختيار يدل على فساد الحس . والحس أو الحس المشترك أو الحس الباطن — وهو الذى أطلق عليه بعض متأدبى عصرنا العقل الباطن خطأ — هو كما جاء فى تعريفات السيد الجرجانى — القوة التى ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، فالحواس الخمس الظاهرة كالجواسيس لها فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها ، قال : ومحله مقدم التجويف الاول من الدماغ كأنها عين تتشعب منها خمسة أنهار . وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة — كلودبرنار — قال : هو جملة التغيرات الحاصلة فى الجسم الحى بواسطة المهيجات أو هو تكيف فى التأثير لكيفية فى المؤثر . ويسميه أهل اللغة الادراك (٤) قال الخطيب : أراد أن العبد جاهل بحق مثله فهو يرى أنه فى حبسه فليس له منه مخلص فلا يبالى به ، أما الحر الكريم فهو يرى أنك فى وعده فهو يضمر الانجاز بما وعد . وقال الواحدى : الذى يرى أنك فى حبسه يسىء اليك ، يعنى أن كافورا يعامله معاملة المحبوس عنده فلا هو يفيه ما وعده ولا هو يؤيسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل (٥) يقول : ان همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه

لاَ يُنْجِزُ الْمِيعَادَ فِى يَوْمِهِ ... وَلاَ يَعِى مَاقَالَ فِى أَمْسِهِ [1]

وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِى جَذْبِهِ ... كَأَنَّكَ المَلاَّحُ فِى قَلْسِهِ [2]

فَلاَ تُرَجِّ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِىءٍ ... مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فِى رَأْسِهِ [3]

وَإِنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فِى نَفْسِهِ ... بِحَالِهِ فَانْظُرْ إِلَى جِنْسِهِ [4]

فَقَلَّمَا يَلْؤُمُ فِى ثَوْبِهِ ... إِلاَّ الَّذِى يَلْؤُمُ فِى غِرْسِهِ [5]

مَنْ وَجَدَ المَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ ... لَمْ يَجِدِ المَذْهَبَ عَنْ قِنْسِهِ [6]

وأحضر أبو الفضل بن العميد مجمرة محشوة بالنرجس والآس حتى

حفيت نارها والدخان يخرج من خلال ذلك فقال مرتجلا

أَحَبُّ امْرِىءٍ حَبَّتِ الأَنْفُسُ ... وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مَعْطِسُ [7]

فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر واحسان (١) الضمير فى يومه للميعاد وفى أمسه لكافور . يقول : لا ينجز الميعاد فى يومه الذى وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالامس يعنى أنه لغفلته وسوء فطنته ينسى مايقوله (٢) القلس حبل للسفينة ضخم تجذب به . يقول : ان كافورا لا يأتى مكرمة بطبعه بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح — البحار — السفينة لتجرى (٣) النخاس الذى يبيع الدواب والرقيق . وفى رأسه أى على رأسه . يقول : لا يرجى الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة (٤) عراك اعتراك وغشيك وألم بك . يقول : ان شككت فى حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه فقسه بغيره من العبيد فانك لا ترى أحدا منهم له مروءة وكرم (٥) الغرس جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة . يقول : ان اللؤم طبيعة طبع عليها اللئيم فى غرسه فمن كان لئيما فى كبره فانما كان مولودا على اللؤم (٦) القنس بفتح القاف وكسرها الاصل . يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه فى الدنيا فنال ملكا أو ولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله فى اللؤم لان الاشياء تعود إلى أصولها والعرق نزاع فمن كان لئيم الاصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم (٧) المعطس الانف . يقول : أنت أحب امرىء حبته النفوس وهذا الند أطيب رائحة شمها الانف . وحذف المبتدا من الجملتين لان

وَنَشْرٌ مِنَ النَّدِّ لَكِنَّمَا ... مَجَامِرُهُ الآسُ وَالنَّرْجِسُ (١)
وَلَسْنَا نَرَى لَهَباً هَاجَهُ ... فَهَلْ هَاجَهُ عِزُّكَ الأَقْعَسُ (٢)
وَإِنَّ الفِئَامَ الَّتِي حَوْلَهُ ... لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الأَرْؤُسُ (٣)

قافية الشين

وقال يمدح أبا العشائر على بن الحسين بن حمدان ويذكر ايقاعه بأصحاب بافيس ومسيره من دمشق

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ ... حَشَاهُ لِي بِحَرٍّ حَشَايَ حَاشِ (٤)
لَقَى لَيْلٍ كَعَيْنِ الظَّبْيِ لَوْناً ... وَهَمٍّ كَالحُمَيَّا فِي المُشَاشِ (٥)

المخاطبة والحال دلنا عليه . وحبت لغة شاذة فى أحبت وإن استعمل المحبوب

(١) ونشر عطف على خبر المبتدا المحذوف كأنه قال وأطيب ما شمه الأنف هذا البخور ونشر من الند ، والنشر الرائحة . والمجامر المباخر يقول : أن هذا النشر من الند إلا أن مجامره الآس والنرجس وليس بمعروف عنهما أن يخرج منهما الدخان

(٢) عز أقعس وعزة قعساء أى الثابت وقيل العالى المرتفع الذى لا يوضع ظهره على الارض كالأقعس الذى لا ينال ظهره الارض يقول : لا نرى نارا هيجت ريح هذا الند فهل هاجه عزك الاقعس فهذه زفرات نار حسده لعزك

(٣) الفئام الجماعات من الناس . ويروى القيام جمع قائم يقول : ليس بدعا أن يحسد الند عزك فان هؤلاء الطوائف الملتفين حولك لخدمتك تحسد رؤسهم أرجلهم لانها وقفت فى خدمتك على الارض وكان بود الرؤس أن تكون هي الواقفة مكانها

(٤) يصف شدة هواه وحرارة قلبه من الحب يقول : إنى أبيت من دمشق على فراش حار حشى بحرارة قلبى من الهوى ، يعنى حرارة الهوى وأن فراشه صار حارا لذلك (٥) لقى حال أى أبيت على فراش حال كونى لقى ليل واللقى الشىء الملقى . والحميا سورة الخمر . والمشاش رؤس العظام الرخوة . وعين الظبى يضرب بها المثل فى السواد . يقول : انى طريح ليل أسود وهم قد حشاه وتمشى فيه تمشى الخمر فى العظام ،

وَشَوْقٍ كالتَّوَقُّدِ فى فُؤَادٍ ... كَجَمْرٍ فى جَوَانِحَ كالمُحَاشِ (١)

سَقَى الدَّمُ كلَّ نَصلٍ غيرِ نابٍ ... وَرَوَّى كُلَّ رُمْحٍ غيرِ رَاشِ (٢)

فإِنَّ الفَارسَ المَنْعُوتَ خفَّتْ ... لِمُنْصُلِهِ الفَوَارِسُ كالرِّيَاشِ (٣)

فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الغَمَرَاتِ يُكْنَى ... كأَنَّ أَبَا العَشَائِرِ غيرُ فاشِ (٤)

والمصراع الاول من قول أبى تمام

إِلَيْكَ تَجَرَّعْنَا دُجًى كَحِدَاقِنَا

ومثله قول التنوخى

واللَّيلُ كالثَّاكِلِ فى إِحْدَادِهَا ... وَمُقْلَةِ الظَّبْيِ إِذَا الظَّبْيُ رَنَا

والثانى من قول زهير

فَظَلْتُ كأَنِّى شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ ... مِنَ الرَّاحِ تَسْمُو فى المَفَاصِلِ والجِسْمِ

ومثله قول الابيوردى

عَسَاكِرُهُ تَغشَى النُّفُوسَ كأَنَّها ... أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الخَمْرُ

(١) وشوق عطف على ليل . والمحاش بضم الميم وكسرها ما أحرقته النار تقول. امتحش الخبز أى احترق ومحشته النار وامتحشته أحرقته . شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، شوقه بتوقد النار وقلبه ــ الذى هو محل الشوق ــ بجمر النار وجوانحه ــ اضلاعه ــ بشواء أحرقته النار (٢) يدعو بالسقيا لكل نصل ــ سيف ــ لا ينبو عن الضريبة ــ أى لا يكل ولا يرتفع ــ ولكل رمح غير راش ــ أى غير ضعيف خوار (٣) المنعوت الموصوف أى الذى تواصف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف ، يعنى به أبا العشائر وهذه رواية الخوارزمى وروى ابن جنى المبغوت وهو الذى بغته الشيء أى فاجأه يريد ما كان قد عرض لابى العشائر من الجيش الذى كبسه بأنطاكية وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وخفت لمنصله ــ سيفه ــ الفوارس أى تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش (٤) يقول : لكثرة خوضه الغمرات ــ الشدائد ــ والتباسه بالحرب وأهوالها صار يكنى أبا الغمرات وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة ــ أبا العشائر ــ غير فاشية إذ غمرتها هذه وأخملتها .

وَقَدْ نُسِيَ الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى ... رَدَى الأَبْطَالِ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ [1]

لَقُوهُ حَاسِرًا فِى دِرْعِ ضَرْبٍ ... دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهِبِ الْحَوَاشِى [2]

كَأَنَّ عَلَى الْجَمَاجِمِ مِنْهُ نَارًا ... وَأَيْدِى الْقَوْمِ أَجْنِحَةُ الْفَرَاشِ [3]

كَأَنَّ جَوَارِىَ الْمُهَجَاتِ مَاءٌ ... يُعَاوِدُهَا الْمُهَنَّدُ مِنْ عُطَاشِ [4]

فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِى رُوحٍ مُفَاتٍ ... وَذِي رَمَقٍ وَذِى عَقْلٍ مُطَاشِ [5]

وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ ... تَوَارِى الضَّبِّ خَافَ مِنِ احْتِرَاشِ [6]

يُدَمِّى بَعْضُ أَيْدِي الْخَيْلِ بَعْضًا ... وَمَا بِعُجَايَةٍ أَثَرُ ارْتِهَاشِ [7]

(١) يقول: وقد نسى اسمه العلم — وهو الحسين — بما سموه به من ردى الابطال — أى هلاك الشجعان — أو غيث — مطر — العطاش، يعنى ان صفتى الشجاعة والجود غلبا على اسمه المشهور حتى تركفلا يسمى الا بهذين (٢) الحاسر الذى لادرع له. يقول: لقوه ولا درع عليه لأنهم فاجأوه، ثم قال: لكنه من ضربه الأعداء فى درع لان ضربه بالسيف يحميه، ثم شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق وكنى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشى

(٣) يقول: كأنه يحرق الجماجم لشدة ضربه اياها ولأن سيفه يلمع كالنار عليها وكأن أيدى القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها، فشبه أيدى القوم المقطعة حوله بالفراش الذى يتهافت على النار (٤) المهجة دم القلب والمهند السيف والعطاش شدة العطش وهو من باب فعال الذى للادواء كصداع وزكام. شبه ما أجرى من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة كالعطشان يعاود الماء، يقول: ان سيفه لايزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء (٥) مفات أى أفات عليه روحه من الفوت أى حال بينه وبين روحه. والرمق بقية الروح. يقول: فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه وآخر به رمق، وثالث قد طاش عقله أى ذهب وتحير لما لاقى من الاهوال (٦) المنعفر المتلطخ بالعفر وهو التراب. ولنصل خبر مقدم وتوارى مبتدأ مؤخر. والاحتراش صيد الضب. يقول: قد غاب السيف فى هذا المنعفر كما يغيب الضب فى جحره خشية الاحتراش (٧) العجاية عصبة فى اليد فوق الحافر

وَرَائِعُهَا وَحِيدٌ لَمْ يَرُعْهُ ... تَبَاعُدُ جَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشِ (١)

كَأَنَّ تَلَوِّيَ النُّشَّابِ فِيهِ ... تَلَوِّي الْخُوصِ فِى سَعَفِ الْعِشَاشِ (٢)

وَنَهْبُ نُفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى ... بِأَهْلِ الْمَجْدِ مِنْ نَهْبِ الْقُمَاشِ (٣)

تُشَارِكُ فى النِّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا ... بِطَانٌ لا تُشَارِكُ فى الْجِحَاشِ (٤)

وَمِنْ قَبْلِ النِّطَاحِ وَقَبْلَ يَأْنِى ... تَبِينُ لَكَ النِّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ (٥)

والارتهاش اصطكاك اليدين حتى تدمى الرواهش وهى عصب الدراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديه هاربة وهى تغوص فى دماء القتلى فتلطخ أيدى بعضها أيدى بعض بالدم فكأن بها ارتهاشا ولم يكن ثم ارتهاش لأن أيديها سليمة

(١) رائعها مفزعها ومخوفها . والمستجاش الذى يطلب منه الجيش . يقول : ان الذى أفزع الخيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يخفه بعد جيشه عنه وانفراده هو منه ولا بعد سيف الدولة الذى يستجيشه اى يطلب منه الجيش لأن الممدوح — وهو ابو العشائر — كان عاملا على انطاكيه من قبل سيف الدوله (٢) الخوص ورق النخل والسعف اغصانها . والعشاش جمع عشة النخلة اذا قل سعفها ورق اسفلها — يريد انه كان يرمى بالسهام فتتلوى فيه كتلوى الخوص واغصان النخل فلا تنال منه

(٣) النهب الغارة واهل النهب الجيش . والقماش متاع البيت . يقول : ان الاعداء هجموا على انطاكية يريدون نهب امتعتها ولكن اباالعشائر نهب نفوسهم ونهب النفوس أليق بالاشراف من نهب الامتعة ، وهذا من قول أبى تمام

إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِى الْمَسْلُوبِ لا السَّلَبِ

(٤) الندام المنادمة على الشراب . والبطان جمع بطين وهو العظيم البطن الرغيب . والجحاش المجاحشة وهى المدافعة فى القتال . يقول : اذا نزلنا عن الخيل شاركنا فى شرب الخمر رجال ذوو نهم يكثرون الاكل ولا يشاركون فى القتال

(٥) النطاح مناطحة ذوات القرون ويستعمل فى الحرب . وقبل رواه الخوارزمى نصبا على الظرف ورواه غيره بالخفض عطفا على ماقبله . ويأنى يحين من قولهم أنى الشىء يأنى أنى — أراد قبل ان يأنى فحذف يقول : قبل المناطحة وقبل أوانها يتبين ماينا طح من الكباش مما لايناطح ومن يقاتل ممن لايقاتل من الأناسى ، وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم ترد

فيابحرَ البحورِ ولا أُوَرِّى ... ويا ملكَ الملوكِ ولا أُحاشى [1]

كأنَّكَ ناظرٌ فى كلِّ قلبٍ ... فما يخفى عليكَ محلُّ غاشِ [2]

أأصبرُ عنكَ لمْ تبخلْ بشىءٍ ... ولمْ تقبلْ علىَّ كلامَ واشِ [3]

وكيفَ وأنتَ فى الرؤساءِ عندى ... عتيقُ الطيرِ ما بينَ الخشاشِ [4]

فما خاشيكَ للتكذيبِ راجٍ ... ولا راجيكَ للتخييبِ خاشِى [5]

الطعن بها ، وكذلك يتلاعب الناس بالاسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لايحسن

(١) أكثر الرواية ويا ملك الملوك ، ويروى ويابدر البدور . وورى الحديث أخفاه وأظهر غيره . يقول : لا أستر قولى بل أجهر به ، ولا احاشى أى لا أدع أحدا ولا استثنى انسانا (٢) الغاش الذى يغشاك ويزورك وغاشية الرجل الذين يأتونه ويزورونه . ومنه قول ذى الرمة يصف سفودا

وذِى شُعَبٍ شتّى كسَوْتَ فروجَهُ ... لِغَاشيةٍ يوْماً مُقَطَّعَةً حُمْرَا

وقال حسان

يُغشَوْنَ حتى مَا تَهِرُّ كِلابُهُمْ ... لاَيَسْأَلونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

يقول المتنبي : إنك من الفطنة والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث ترى ما فى قلوب الناس فليس يخفى عليك حال قاصد اليك وزائر يغشاك . ومثل هذا فى المعنى قوله الآتى

ويَمتَحِنُ النّاسَ الأميرُ برأْيِهِ ... ويُغضِي عَلَى عِلمٍ بكلِّ مُمَخْرِقِ

(٣) و (٤) لم تبخل أى وأنت لم تبخل فهى جملة حالية . والاستفهام انكارى والواشى النمام ، والعتيق الكريم . والخشاش بكسر الخاء وقد تفتح صغار الطير نحو العصافير وأضرابها والحنمرات . يقول — فى البيت الثانى — : وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء كالكريم من الطير بين صغارها (٥) يقول : ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لثقته بانتقامك وقوة بطشك ، فبأسك نازل به لامحالة ، وليس يخشى من رجا إحسانك ان تخيب رجاءه لانه على يقين من فيض سخائك فأنت موضع الخوف والرجاء . وقال الواحدى : الصحيح فى هذا البيت رواية من روى

* فما خاشيك للتتريب راج * أى من خشيك لايخاف أن يترب ويعير بخشيتك فراج

تُطَاعِنُ كلُّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا ... وَلَوْ كانُوا النَّبِيطَ على الجِحَاشِ (١)

أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ ... وَإِنِّى مِنْهُمُ لَإِلَيْكَ عاشِ (٢)

بُلِيتُ بِهِمْ بَلَاءَ الوَرْدِ يَلْقَى ... أُنُوفًا هُنَّ أَوْلَى بالخِشَاشِ (٣)

عَلَيْكَ إِذَا هُزِلْتَ مَعَ اللَّيَالِى ... وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمَنُ فى هِرَاشِ (٤)

أَتَى خَبَرُ الأَمِيرِ فَقِيلَ كَرُّوا ... فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لَحِقُوا بِشَاشِ (٥)

بمعنى خائف. قال . ومن روى للتكذيب لم يكن فيه مدح لان المدح فى العفو لا فى تحقيق الخشية وإنما يمدح بتحقيق الامل وتكذيب الخوف كما قال السرى الرفاء

إِذَا وَعَدَ السَّرَّاءَ أَنْجَزَ وَعْدَهُ ... وَإِنْ وَعَدَ الضَّرَّاءَ فالعَفْوُ مَانِعُهْ

(١) النبيط قوم بسواد العراق حراثون . يقول : إذا كنت من قوم شجعوا بمكانك وان كانوا أنباطا على حمر (٢) يقال عشا الى النار يعشو فهو عاش إذا أتاها ليلا . قال الحطيئة

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

يقول : أنت بين الناس كالنور بين الظلام ومن ثم قصدت اليك أطلب من لدنك الخير كما تقصد النار فى ظلمة الليل (٣) الخشاش عود يجعل فى عظم أنف البعير . أراد أنوف اللئام من الناس وأنها أولى بالخشاش من أن تشم الورد ، شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الابل

(٤) يقول : هم عليك مع الدهر أعوانا له اذا كنت مهزولا أى اذا افتقرت فصرت كالمهزول الذى لا لحم له ، وإذا سمنت أى أثريت وكثر مالك التفوا حولك وتهارشوا تهارش الكلاب يطلبون نوالك ، وكذلك حال الناس ، فقوله عليك أى هم عليك والمراد بالهزال والسمن الفقر والغنى (٥) شاش بلد فى ما وراء النهر . يقول : ورد خبر الامير وأنه مع جيشه كروا على العدو فقلت نعم تصديقا لهذا الخبر يكر الامير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش أى ولو أمعن عدوه فى الهرب وكان بعيدا وقال ابن فورجه : الرواية بضم الكاف ــ كاف كروا ــ والمعنى : أتى خبر الامير بظفره بالعدو فقيل لنا معشر المستميحين كروا فقلت نعم نكر ولو لحقوا بشاش أى ولو كان

يَقُودُهُمُ إِلَى الْهَيْجَا لَجُوجٌ ... يُسِنُّ قِتَالُهُ وَالْكَرُّ نَاشِى[1]

وَأَسْرَجَتِ الْكُمَيْتُ فَنَاقَلَتْ بِى ... عَلَى إِعْقَاقِهَا وَعَلَى غِشَاشِى[2]

مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تُذَبُّ عَنْهَا ... بِرُمْحِى كُلُّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ[3]

وَلَوْ عُقِرَتْ لَبَلَّغَنِى إِلَيْهِ ... حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلَّ مَاشِ[4]

على البعد منا . والأولى أظهر (١) أراد باللجوج أنه لا ينثنى عن أعدائه ولا يزال يغزوهم. ويسن قتاله أى يطول من أسن أى طالت سنه أى عمره . وناش هى ناشىء بالهمز مخفف أى حديث السن . يقول : ان هذا الممدوح يقود جيوشه إلى الهيجا — الحرب — وهو لجوج فى قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن وكره لا يزال شابا فهو فى آخر القتال كما كان فى أوله وفيه نظر إلى قول البحترى

مَلِكٌ لَهُ فِى كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِزَامُ مُجَرِّبِ

(٢) الكميت ما كان بين الأشقر والادهم من الخيل يقال للذكر والأنثى . قال الكلحبة :

كُمَيْتٌ غَيْرُ مُحْلِفَةٍ وَلَكِنْ ... كَلَوْنِ الصِّرْفِ عُلَّ بِهِ الأَدِيمُ

« يعنى أنها خالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك » والمناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة . وأعقت الدابة اعقاقا انفتق بطنها للحمل . والغشاش العجلة ، أى أنها اسرعت بى على ثقلها وعلى عجلتى (٣) التمرد تفعل من المارد والمريد وهو الذى قد أعيا خبثا ، والمتمردة الممتنعة ، يصف فرسه بالخبث وترك الانقياد لمن لايحسن ركوبها . وتذب تدفع . وكل نائب فاعل تذب . وطائرة الرشاش أى كل طعنة طائرة الرشاش وهو ما يترشش من الدم . يقول : هى من الخيل الشديدة المراس وإنى أصونها برمحى عن أن تطعن (٤) يقول : لو عقرت فرسى — قطع عصب رجلها والمراد هلكت — فلم تحملنى إليه لبلغنى إليه حديث عنه — أى عن الممدوح — يحمل كل ماش إليه فلا يحتاج إلى المطية ، أى يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه . أو تقول : إنه اذا ذكرت أخباره وما يكون منه لم يجد الماشى مس النصب والاعياء لاستطابته ذلك الحديث فكأن الحديث حمله إليه . هذا على رواية كل ماش بالنصب

إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ لِحَافٍ ... وَشِيكَ فَمَا يُنَكِّسُ لِانْتِقَاشِ (١)

تُزِيلُ مَخَافَةَ المَصْبُورِ عَنْهُ ... وَتُلْهِي ذَا الفِيَاشِ عَنِ الفِيَاشِ (٢)

وَمَا وُجِدَ اشْتِيَاقٌ كَاشْتِيَاقِي ... وَلَا عُرِفَ انْكِمَاشٌ كَانْكِمَاشِي (٣)

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ المَعَالِي ... وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ المَعَاشِ (٤)

قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بانفاذ خلعة اليه فقال

فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ ... خِلَعُ الأَمِيرِ وَحَقَّهُ لَمْ نَقْضِهِ (٥)

ومن رواها بالرفع رد الضمير في عنه للحديث أي أن كل ماش يحمل حديثه لاستفاضة أخباره وشيوعها (١) شيك أي دخلت الشوكة رجله . والانتقاش اخراج الشوكة من الرجل . يقول : إذا وصفت لشجاع مواقف الممدوح في الحرب تاق اليه ورغب في صحبته وأسرع اليه لاعجابه حتى أنه لذهوله لو كان حافيا ودخلت شوكة في رجله اذ ذاك لم يكد يحس بها فلا ينكس رأسه — لا يطأطىء — لاخراجها وقيل المراد بمواقفه مواقفه في الجود والعطاء (٢) المصبور المحبوس على القتل يقال قتل فلان صبرا . والفياش المفايشة أي المفاخرة . يقول : ان مواقف الممدوح في القتال تشجع اخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل أو تقول ان التاء في تزيل وتلهي للمخاطب أي أنك أيها الممدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخر عن المفاخرة اذ يستخذي اليك حين يسمع بمفاخرك ويقر بفضلك . وفي رواية يزيل ويلهي بالياء (٣) الانكماش الجد في الأمر . يقول : لم يشتق أحد اشتياقي اليك ولم يسرع أحد سرعتي في قصدك (٤) هذا كقول أبي تمام

وَمَنْ خَدَمَ الأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ ... فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأُخْدَمَا

وقد تقدم (٥) يقول : احيتنا خلع الامير وألبستنا الوشي كما يحيي المطر الارض ويوشيها بالنبات والأزهار وما اليها ولم نقض حقه كما يستحقه من الثناء . فالمراد بالسماء المطر . والضمير في أرضه إما للممدوح أضاف الارض كلها اليه تفخيما لشأنه أو يريد

فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِهَا مِنْ لَفْظِهِ ... وَكَأَنَّ حُسْنَ نَقَائِهَا مِنْ عِرْضِهِ (١)

وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ ... فِى الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ مَحْضِهِ (٢)

وقال لما مرض

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الأَرْضُ ... وَمَنْ فَوْقَهَا وَالبَأْسُ وَالكَرَمُ المَحْضُ (٣)

وَكَيْفَ انْتِفَاعِى بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا ... بِعِلَّتِهِ يَعْتَلُّ فِى الأَعْيُنِ الغُمْضُ (٤)

أرض مملكته اشارة الى ما أفاض الله عليها من الخصب والماء ، واما راجع الى السماء وذكره على ارادة المطر أو السقف (١) يقول : ان نسج هـذه الخلع يشبه لفظ الامير فى جودته وسلامته من السخف ، وكأن نقاءها من نقاء عرضه اذ سلم مما يعاب به ، وهذا من قول ابن الرومى فى ثوب استهداه

صَحِيحاً مِثْلَ رَأْيِكَ إِنَّــــهُ ... وَالْحَزْمَ فِى قَرَنِ

نَقِيًّا مِثْلَ عِرْضِكَ إِنَّ عِرْضَكَ غَيْرُ ذِى دَرَنِ

(٢) المذيق المذوق أى الممزوج . والمحض الخالص . يقول : اذا فوضت الأمر فى الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيأ بان معيب الرأى من صحيحه لان المعيب لا يعطى شيأ على ترك السؤال والالحاح عليه والخالص الرأى لا يحوج الى السؤال بل يعطى على طبيعة جوده وكرمه (٣) قال أبو تمـام :

لاَ تَعْتَلِلْ إِنَّمَا بِالمَكْرُمَاتِ إِذَا ... أَنْتَ اعْتَلَلْتَ تَرَى الأَوْجَاعُ وَالعِلَلُ

وقال :

إِنَّا جَهِلْنَا فَخِلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ وَلاَ ... وَاللهِ مَا اعْتَلَّ إِلاَّ المُلْكُ وَالأَدَبُ

وقال :

وَإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نُعَمُّ بِهَا ... حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهْ

وقال مسلم بن الوليد :

نَالَتْكَ يَا خَيْرَ الخَلاَئِقِ عِلَّةٌ ... يَفْدِيكَ مِنْ مَكْرُوهِهَا الثَّقَلاَنِ

فَبِكُلِّ قَلْبٍ مِنْ شَكَاتِكَ عِلَّةٌ ... مَوْصُوفَةُ الشَّكْوَى بِكُلِّ لِسَانِ

(٤) اعتلال الغمض كناية عن امتناعه عن العين فجعل ذلك اعتلالا له

شَفَاكَ الَّذِى يَشْفِى بِجُودِكَ خَلْقَهُ ... لِأَنَّكَ بَحْرٌ كُلُّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

وقال في بدر بن عمار وقد قام منصرفا فى الليل

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِى لَكَ لَا يَمْضِى ... وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِى الْعُيُونِ مِنَ الْغَمْضِ (١)

على أَنَّنِى طُوِّقْتُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ ... شَهِيدٌ بِهَا بَعْضِى لِغَيْرِى عَلَى بَعْضِى (٢)

سَلَامُ الَّذِى فَوْقَ السَّمٰوَاتِ عَرْشُهُ ... تُخَصُّ بِهِ يَاخَيْرَ مَاشٍ عَلَى الْأَرْضِ

حرف العين

وخرج يماك مملوك سيف الدولة الى الرقة فخرج سيف

الدولة يشيعه وهبت ريح شديدة فقال

لَا عَدِمَ الْمُشَيِّعَ الْمُشَيَّعُ ... لَيْتَ الرِّيَاحَ صُنَّعٌ مَا تَصْنَعُ (٣)

بَكَرْنَ ضَرًّا وَبَكَرْتَ تَنْفَعُ ... وَسَجْسَجٌ أَنْتَ وَهُنَّ زَعْزَعُ (٤)

(١) قوله فى العيون يروى فى الجفون وكان يجب أن يقول ولقياك لان الرؤيا تستعمل فى المنام لكنه ذهب بالرؤيا الى الرؤية لانه كان بالليل كقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس لم يرد رؤيا المنام بل رؤيا اليقظة وكان ذلك ليلا — ليلة الاسراء . يقول : ان الليل قد مضى أما فضلك فهو ثابت باق ، وعجز البيت من قول ابن الرومى :

وَلَطَعْمُ اكْتِحَالَةٍ مِنْهُ بِالزَّا ... ئِرِ أَحْلَى فِى عَيْنِهِ مِنْ رُقَادِ

(٢) قال الواحدى : أأنصرف عنك مع أنك قلدتنى نعمة يشهد بها بعضى على بعضى أى من نظر الى استدل بنعمتك على والمعنى أن القلب ان أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه من الخلع (٣) المشيع بصيغة اسم الفاعل سيف الدولة والمشيع بصيغة اسم المفعول غلامه يماك يدعو له . يقول : لاعدمه غلامه ثم قال : ليست الرياح تصنع ما تصنع أنت من نفع الناس (٢) بكرن ضرا أراد بكرن — أى الرياح — يضرون ضرا أو بكرن ذوات ضر . والسجسج السهل اللين الذى لا حر فيه ولا برد . والزعزع

وَوَاحِدٌ أَنْتَ وَهُنَّ أَرْبَعُ   وَأَنْتَ نَبْعٌ وَالمُلُوكُ خِرْوَعُ (1)

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث وذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هذا النَّاسِ يَنْخَدِعُ   إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُعُوا (2)

أَهْلُ الحَفِيظَةِ إِلاَّ أَنْ تُجَرِّبَهُمْ   وفي التَّجَارِبِ بَعْدَ الغَيِّ مَا يَزَعُ (3)

وَمَا الحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمَتْ   أَنَّ الحَيَاةَ كَمَا لا تَشْتَهِي طَبَعُ (4)

الريح الشديدة المؤذية . يقول : إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك

(1) عنى بالاربع الجنوب والشمال والصبا والدبور . والنبع شجر صلب تتخذ منه القسي وهو عندهم من جيد الشجر . والخروع نبت ضعيف منثن وكل شيء لين فهو خروع وخريع (2) يقول : لا أنخدع بالناس فأتأول فيهم الخير وأظن فيهم الجميل لانهم يجبنون عند القتال ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل ، فلا أغتر بقولهم . وإنما قال هذا الناس ولم يقل هؤلاء لأنه ذهب إلى لفظ الناس لا إلى معناه

(3) الحفيظة الحمية والانفة . والغي الانهماك في الجهل — خلاف الرشد . ويزع يكف ويردع . يقول : هم أهل الحمية ما لم تجربهم فاذا جربتهم لم تجدهم كذلك، وفي تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطتهم . قال العكبري : يشير إلى ما ظهر من عجز أصحاب سيف الدولة في الغزاة التي جبنوا فيها وقال هم يظهرون الحمية والجلد والاقدام ويتزينون بذلك ما لم تقع التجربة فاذا جربوا تركوا (4) الطبع الدنس . وقوله ونفسي في موضع رفع عطفا على الحياة أي مع الحياة كما تقول ما أنت وزيد أي مع زيد . يقول : ما لنفسي مع الحياة أي لا أريدها بعد ما علمت أن الحياة غير المشتهاة دنس وعاب وفيه نظر إلى قول قطري بن الفجاءة

وما لِلمَرْءِ خَيْرٌ في حَيَاةٍ   إذا ما عُدَّ مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ

لَيْسَ الْجَمَالُ لِوَجْهٍ صَحَّ مَارِنُهُ ... أَنْفُ الْعَزِيزِ بِقَطْعِ الْعِزِّ يُجْتَدَعُ (١)

أَأَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِتْفِي وَأَطْلُبُهُ ... وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غِمْدِي وَأَنْتَجِعُ (٢)

وَالْمَشْرَفِيَّةُ لَا زَالَتْ مُشَرَّفَةً ... دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ (٣)

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا ... فِي الدَّرْبِ وَالدَّمُ فِي أَعْطَافِهَا دُفَعُ (٤)

وَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ ... وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ (٥)

بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمُ ... وَالْجَيْشُ بِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ (٦)

قَادَ الْمَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ ... عَلَى الشَّكِيمِ وَأَدْنَى سَيْرِهَا سِرَعُ (٧)

(١) المارن ما لان من الانف . واجتدع أنفه قطعه . يقول: ليس كل وجه صحيح المارن بجميل فان من قطع عزه وأذل كمن جدع أنفه وإن كان صحيح الانف

(٢) الانتجاع فى الاصل طلب الكلأ ثم صار كل طلب انتجاعا . وعنى بالمجد والغيث السيف لان كليهما يطلب به . يقول : ان المجد وسعة العيش انما يدركان بالسيف فلا أترك سيفى وأطلبهما بشىء آخر (٣) المشرفية السيوف نسبة إلى مشارف الشام كما تقدم . يقول : إن السيوف دواء الكريم أو داؤه لأنه إما أن يدرك بها طلبته فيملك فتكون دواء وإما أن يقتل بها دون غايته فيهلك فتكون داء . وهـذا ينظر إلى قول البحترى

وعِنْدَ بُقْرَاطَ دَاءٌ لَوْ تَأَمَّلَهُ ... قالَ الشِّفاءُ بحَدِّ البِيضِ والأَسَلِ

(٤) يريد بفارس الخيل سيف الدولة لان خيله أرادت الهزيمة فثبتها فى مضيق من مضايق الروم . فقوله خفت أى أسرعت في الهزيمة فزعا . ووقرها ثبتها . والدرب المضيق والمدخل إلى بلاد العدو . والاعطاف الجوانب . والدم فى أعطافها دفع يعنى أن الدم منصب عليها دفعة بعد دفعة (٥) أوحدته أى الخيل أى تركته وحيدا . والقذع الفحش . يقول : فتركته وحيدا وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته وأغضبته بانحيازها عنه فلم يك فى لفظه فحش ولا خنى أى أنه شجاع وإن كان وحده وحليم عند الغضب

(٦) ابن أبى الهيجاء هو سيف الدولة . يقول : إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم لانهم بهم يقوون ويمتنعون على أعدائهم ، وعز جيشك بك لانهم لايمتنعون على عدوهم إذا لم تكن فيهم فأنت عزهم وبك منعتهم (٧) المقانب جمع مقنب جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة

لا يَعْتَقِي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ   كالمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلا شِبَعُ (١)

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ   تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبانُ وَالبِيَعُ (٢)

لِلسَّبْيِ ما نَكَحُوا وَالقَتْلِ ما وَلَدُوا   وَالنَّهْبِ ما جَمَعُوا وَالنَّارِ ما زَرَعُوا (٣)

مُخْلَى لَهُ المَرْجُ مَنْصُوباً بِصارِخَةٍ   لَهُ المَنابِرُ مَشْهُوداً بِها الجُمَعُ (٤)

والهل الشرب الاول . والشكيم جمع شكيمة الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام . والسرع السرعة مصدر سرع كضخم ضخما . يقول : قاد الجيوش مسرعا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهى ملجمة ولم يتفرغوا لشدة السير أن يخلعوا اللجم ، وأقل سيرها اسراع. يصف ما كان عليه سيف الدولة من الاشاحة والجد فى لقاء العدو (١) لايعتقى أى لايعتاق يقال عاقه واعتاقه ثم يقلب ويقال عقاه واعتقاه يقول : إن سيره إلى بلد لفتحه لايعوقه عن سيره إلى غيره كالموت الذى يعم فلا يرتوى ولا يشبع أى لايقنعه كثرة من يفنيه، كذلك هو لايقنع بفتح بلد من بلاد الاعداء أو يفتح غيره (٢) خرشنة بلد بالروم . والارباض جمع ربض ما حول المدينة من العمارة « الضواحى » . يقول : ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقيت به الروم لانه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب بيعهم (٣) يقول : لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسبى نساءهم وأطفالهم وقتل أولادكم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم ، هذا وقد أقام ما مقام من فى المصراع الاول ليوافق ما فى المصراع الثانى على حد قوله تعالى « والسماء وما بناها » . قال العكبرى : واللام فى قوله للسبى لام العاقبة كقوله :

* لِدُوا لِلمَوْتِ وابْنُوا لِلخَرابِ *

وقد زاد المتنبى على أبى تمام فى قوله :

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إلاَّ وَقَدْ عَلِمَتْ   إنْ لَمْ تَتُبْ أَنَّهُ لِلسَّبْيِ ما تَلِدُ

(٤) المرج موضع ببلاد الروم وصارخة مدينة من مدائنهم . ومخلى ومنصوبا حالان من ضمير أقام — أى سيف الدولة — ومشهودا حال من صارخة وكان الوجه أن يقول منصوبة ومشهودة إلا ان التذكير جائز على قولك نصب المنابر وشهد الجمع . يقول : إنه بلغ النهاية فى النكاية بهم حتى أخلى له المرج ونصبت المنابر التي هى شعار الاسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع

يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمِ ... حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ[1]

وَلَوْ رَآهُ حَوَارِيُّوهُمُ لَبَنَوْا ... عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِى شَرَعُوا[2]

ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وَقَدْ طَلَعَتْ ... سُودُ الْغَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ[3]

فِيهَا الْكُمَاةُ الَّتِى مَفْطُومُهَا رَجُلٌ ... عَلَى الْجِيَادِ الَّتِى حَوْلِيُّهَا جَذَعُ[4]

تَذْرِى اللُّقَانُ غُبَارًا فِى مَنَاخِرِهَا ... وَفِى حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرَعُ[5]

كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُمْ لِتَسْلُكَهُمْ ... فَالطَّعْنُ يُفْتَحُ فِى الْأَجْوَافِ مَا تَسَعُ[6]

(١) يقول : ان طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الاحياء وتختطفهم فى غدواتهم ورواحاتهم

(٢) الحواريون أصحاب السيد المسيح وأضافهم إلى ضمير الروم لانهم يدعون شرعهم واتباعهم يقول : لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وانصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع (٣) الدمستق صاحب جيش الروم . والقزع المتفرق من السحاب واحدها قزعة . يقول : رأى الدمستق كتائب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة . ورأى سحابا متراكمة فظنها قطعا متفرقة فلما وجد الامر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه (٤) فيها أى فى سود الغمام وهى عساكر سيف الدولة . والكماة جمع كمى وهو الشجاع المتسلح . والحولى الذى أتى عليه حول . والجذع الذى أتى عليه حولان . يقول : فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولى خيلهم جذع ، يعنى الصغير فى جيشه كبير يعظم أمره

(٥) اللقان موضع ببلاد الروم . وآلس نهر هناك . يصف سرعة جرى خيله ومواصلتها السير . يقول : شربت الماء من آلس وبلغت اللقان قبل أن تزدرد — تبتلع — ما شربته ، فماء هذا النهر فى حلوقها ، وقد وصل إلى مناخرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة (٦) يقول : كأن خيله تتلقى الروم لتدخل فيهم لان طعن فوارسها يفتح فى أجوافهم جراحات تسع الخيل . يصف سعة الطعن ، وهـذا ينظر إلى قول قيس ابن الخطيم :

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ ... لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا[1]

(١) النفذ الثقب والشعاع حمرة الدم أى لولا الدم لاضاءها النفذ حتى تستبين

تَهْدِي نَوَاظِرَهَا وَالحَرْبُ مُظْلِمَةٌ ... مِنَ الأَسِنَّةِ نَارٌ وَالقَنَا شَمَعُ[1]

دُونَ السِّهَامِ وَدُونَ القُرِّ طَافِحَةً ... عَلَى نُفُوسِهِمِ المُقْوَرَّةُ المُزُعُ[2]

إذَا دَعَا العِلْجُ عِلْجاً حَالَ بَيْنَهُمَا ... أَظْمَى تُفَارِقُ مِنْهُ أُخْتَهَا الضِّلَعُ[3]

أَجَلُّ مِنْ وَلَدِ الفُقَّاسِ مُنْكَتِفٌ ... إِذْفَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعُ[4]

وَمَانَجَا مِنْ شِفَارِ البِيضِ مُنْفَلِتٌ ... نَجَا وَمِنْهُنَّ فِى أَحْشَائِهِ فَزَعُ[5]

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّى فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَى قَائِمٌ مِن دونِها ماوراءَها[1]

(١) يقول إذا أظلمت الحرب بالنقع — الغبار — هدت عيون الخيل فيها نار الاسنة ، ولما استعار للاسنة نارا جعل القنا شمعا ، والأسنة فى رؤس القنا كماهومعروف ولقد أحسن البحترى فى قوله

مَدَّ ليلاً مِنَ العَجاجِ فَمَا يَمْـــشُونَ إلاَّ بِضَوْءِ السُّيوفِ

(٢) يقول لوهج الصيف وحرارته سهام. والقرد البرد . وطافحة حال أى مسرعة يقال طفح يطفح اذا ذهب يعدو . والمقورة الضامرة .والمزع السريعة يقال مزع الفرس والظبى يمزع اذا مر مسرعا خفيفا . يقول : قبل حرارة الصيف وصبارة البرد تأتيهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فتطأهم بحوافرها . وكان لسيف الدولة غزوتان فى كل سنة غزوة فى الربيع وغزوة فى الخريف وروى ابن جنى دون السهام — بكسر السين — ودون الفر أى قبل أن تصل اليهم سهام الرماة وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل المسرعة الضامرة . قال ابن جنى . سألته — اى المتنبى — فقال : هذه الخيل طفحت عليهم وقد صارت أقرب إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا ، يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبتهم وغشيتهم (٣) العلج الرجل الغليظ من كفار العجم، وأظمى يعنى رمحا أسمر . يقول : إذا استعان العلج بعلج آخر حال بينهما رمح أظمى يفرق بين الضلعين فكيف بين العلجين (٤) الفقاس جد الدمستق وقال ابن جنى هو الدمستق كأنه لقبه . يقول : إن هرب الدمستق وسبق الخيل بالفرار فلم تدركه فأجل منه وأعظم قدراً اسير منكتف — مشدود الكتفين — لانه قاتل حتى أسر وأشجع منه قتيل مصروع لانه قاتل حتى قتل ولم ينهزم (٥) شفار البيض حد السيوف . يقول : لم ينج

(١) ملكت شددت وضبطت ، وأنهرت اوسعت

يُبَاشِرُ الأَمْنَ دَهْرًا وَهْوَ مُخْتَبَلٌ   وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلاً وَهْوَ مُمْتَقِعُ (١)

كَمْ مِنْ حُشَاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا   لِلْبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَا لَهُ وَرَعُ (٢)

يُقَاتِلُ الْخَطْوَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ   وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ (٣)

تَغْدُو الْمَنَايَا فلا تَنْفَكُّ وَاقِفَةً   حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ (٤)

قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ إِنَّ الْمُسْلَمِينَ لَكُمْ   خَانُوا الأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا (٥)

من السيوف من نجا إلا وفى قلبه منها فزع لان ذلك يقتله ولو بعد حين . ولله أبو تمام إذ يقول :

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ   تَنجو الرِجالُ ولَكِنْ سَلْهُ كَيفَ نَجا

(١) المختبل الذاهل المضطرب . والممتقع المتغير اللون . يقول : يصير إلى مأمنه فيعيش فى الامن حينا من الدهر وهو ذاهل مختبل العقل لشدة ما لحقه من الفزع ويحتسى الخمر وهو ممتقع اللون لاستيلاء الصفرة عليه فلا تحيل الخمر لونه إلى الحمرة

(٢) الحشاشة بقية الروح . والبطريق الفارس من الروم أو القائد . والباترات السيوف . والورع التقى والكف عن المحاوم . والمراد بالامين الذى لاورع له القيد . يقول : كم من بطريق أسر ليقتل إذا دعت الحاجة إلى قتله ، فأرواحهم فى ضمان القيد للسيوف . قال العكبرى : وقوله أمين ما له ورع من أحسن الكلام لان الامين هو الذى يؤتمن على الاشياء فلا بد له من ورع (٣) يقاتل ويطرد أى الامين وهو القيد وعنه أى عن المقيد . يقول : إن القيد يمنعه الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع

(٤) يقول : إن المنايا تنتظر أمر سيف الدولة فهى أن كفها ولت وان أمرها بأن تعود اليهم تدفقت عليهم ، وهذا من قول بكر بن النطاح

كَأَنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ يَجْرِينَ فِى الْوَغَى   إذا الْتَقَتِ الأَبْطالُ إلا بِرأْيِهِ

وبقول صريع الغوانى

كَأَنَّ الْمَنَـايا عالِمـاتٌ بِأَمْرِهِ   إذا خَطَرَتْ أَرْماحُهُ ومَناصِلُه

(٥) المسلمين بفتح اللام الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه وذلك أن سيف الدوله لما قتل من قتل وأسر من أسر غادر ذلك الموضع وبقى فيه جماعة من جيشه يجهزون على من بقى فيه رمق من القتلى ومنهم من أخـذه النوم فجاءهم العدو

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَاماً فى دِمائِـكُمُ كَأَنَّ قَتْلاَكُمُ إِيَّاهُمُ فَجَعُوا[1]

ضَعْفَى تَعِفُّ الأَيَادِى عَنْ مِثالِهِمِ مِنَ الأَعادِى وَإِنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا[2]

لاتَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كانَ ذَا رَمَقٍ فَلَيْسَ يَأْكُلُ إلاَّ المَيِّتَ الضَّبُعُ[3]

هَلاَّ على عَقَبِ الْوَادِى وَقَدْ صَعِدَتْ أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ[4]

تَشُقُّكُمْ بِقَنَاهَا كُلُّ سَلْهَبَـةٍ وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَايَدَعُ[5]

وأخذوهم وقتلوهم . يقول : إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم فاصنعوا بهم ما شئتم ، خانوا الأمير بالانحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم ، ثم بين ماصنعوا فى البيت التالى (١) فى دمائكم أى فى دماء قتلاكم وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم وألقوا أنفسهم بينهم تشبهاً بهم خوفا من الروم . يقول : كأنهم كانوا مفجوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم (٢) ضعفى جمع ضعيف . ونزع عن الشىء رغب عنه وأعرض . يقول : إن هؤلاء الذين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوهم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم وقد حقق هذا فيما يلى :

(٣) يقول : ليس لكم أن تفخروا بهؤلاء الذين أسرتم ولا تظنوهم كان فيهم رمق — بقية حياة — وإنما هم أموات من الجبن والخوف وأنتم لخستكم ودناءة نفوسكم لاتقدرون إلا على أمثالهم كما أن الضبع لاتفترس إلا الجثث الميتة (٤) العقب جمع عقبة . وفرادى جمع فردان أى فرد . يقول : هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفرادا لايتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وثقتهم بقوتهم كما قال الحماسى

قَوْمٌ إذا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لهمْ طارُوا إِلَيْهِ زَرَافاتٍ وَوُحْدَانا

(٥) السلهبة الطويلة من الخيل . يقول : يشق صفوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتى عليه الضرب أكثر ممن يدعه وروى بقناها أى برماحها ، أى تشقكم كل سلهبة برمحها والمراد كل صاحب سلهبة لان أصحاب السلاهب — الخيل — وفرسانها هم الذين يشقون بالطعن

وَإِنَّما عَرَّضَ اللهُ الْجُنُودَ بِكُمْ ... لِكَيْ يَكُونُوا بِلاَ فَسْلٍ إِذَا رَجَعُوا (١)

فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ ... وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ (٢)

يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمِ ... وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ (٣)

وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتٌ كُنْتَ فَارِسَهُ ... وَكَانَ غَيْرَكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرَعُ (٤)

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ... فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلاَ يَضَعُ (٥)

لَمْ يُسْلِمِ الْكَرُّ فِي الأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ ... إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الأَصْحَابُ وَالشِّيَعُ (٦)

---

(١) الفسل الرذل الدنىء العاجز . يقول : إنما عرض الله لكم الجنود — الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة وهم الأوباش الذين قتلتموهم — ليجرد الله عسكر الاسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة فى الابطال المنتخبين ليس فيهم فسل ولا دنىء . قال الواحدى : كل الناس رووا بكم والصحيح فى المعنى لكم باللام لانه يقال عرضت فلانا لكذا فتعرض له ويجوز أن تكون بكم من صلة معنى التعريض لا من لفظه ومعناه إنما ابتلى الله الجنود بكم أى انما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة

(٢) يقول : فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له لا عليه لأن الأوباش والضعفاء من جنوده قد قتلوا ولم يبق إلا الابطال المصطفين الاخيار ، وكل غاز تبع له لانه أمير الغزاة وسيدهم

(٣) . يقول : ان أفعالك أبكار لم يسبق اليها فأنت مبتدع فى كل مأثرة لامتبع أحدا فيها أما غيرك من الكرام فانهم يقتفون آثار غيرهم (٤) الضرع الضعيف . يقول : اذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يعيبك عجز العاجز ، يريد أن قتلهم وأسرهم ضعاف أصحابك لايشينك (٥) يقول : من بلغ الغاية فى الرفعة فليس وراء الغاية موضع واذن لايرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد

(٦) يقول : اذا كان أصحابه قد خذلوه واسلموه للاعداء بهذا التخاذل فان كره على الاعداء فى الاعقاب — أى أواخر الخيل — لم يخذله ، يعنى أنه من شجاعة نفسه فى منعة وبذلك دافعت نفسه عن نفسه ومثله لابى تمام

مَا غَابَ عَنْهُ مِنَ الإِقْدَامِ أَشْرَفُهُ ... فِى الرَّوْعِ إِنْ غَابَتِ الأَنْصَارُ وَالشِّيَعُ

لَيْتَ الملوكَ على الأَقْدارِ مُعْطِيَةٌ ... فلم يكُنْ لِدَنِيءٍ عِنْدَهَا طَمَعُ (١)

رَضِيتَ مِنْهُمْ بأَنْ زُرْتَ الوَغى فرَأَوْا ... وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ البَيْضِ فاسْتَمَعُوا (٢)

لَقَدْ أَباحَكَ غِشًّا في مُعَامَلَةٍ ... مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ (٣)

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ ... وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ (٤)

وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ ... وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الأَعْصَمُ الصَّدَعُ (٥)

(١) الدنيء مهموز وقال ابن جني أن المتنبي قال له لا تهمزه . يقول : ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم في الاستحقاق بفضلهم ولو هم فعلوا لما طمع في نوالهم خسيس . وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته في الفضل

(٢) الحبيك جمع حبيكة كسفين وسفينة وهي الطرائق تكون في السماء وفي الماء الساكن أو الرمل اذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق والبيض اما قراءتها بفتح الباء جمع بيضة وهي الخوذة من حديد تجعل على الرأس للوقاية في الحرب وحبيكها طرائقها واما بكسر الباء أي السيوف وحبيكها تلك الطرائق التي في السيوف . يقول : رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك والاستماع إلى قراعك في الوغى — الحرب — دون أن يباشروا القتال يعني أني أنا الذي أباشر القتال معك دون غيري من الشعراء (٣) لعله يريد أن يقول : لقد غشك من انتفاعك منه بغير الصدق يعني شعر هؤلاء الشعراء ، أي أن هؤلاء الشعراء انما يتقربون اليك ويأخذون أموالك بذلك الشعر الكاذب الذي لا يصحبه فعل اذ لا يباشرون معك القتال فكأنهم يغشونك أما أنا فاني أصدقك اذ أمدحك وأباشر معك القتال (٤) المصطاف والمرتبع المنزل في الصيف والربيع . يقول : ان الدهر معتذر اليك مما فعل — يعني من قتل الروم ضعفاء أصحابك — والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وربيعا ، وصدر البيت من قول أبي تمام

عَضباً إذا سَلَّهُ في وجهِ نائبةٍ ... جاءتْ إليهِ صُروفُ الدَّهرِ تَعتذِرُ

وعجزه من قوله أيضا

وأَقَمْتَ فيها وادِعاً مُتَمَهِّلاً ... حَتى ظَنَنَّا أَنَّها لَكَ دَارُ

(٥) نصران ونصراني واحد . والأعصم الوعل الذي في احدى يديه بياض

وَمَا حَمِدْتُكَ فِي هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ (١)

فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعاً مَنْ بِهِ خَرَقٌ وَقَدْ يُظَنُّ جَبَاناً مَنْ بِهِ زَمَعُ (٢)

إِنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبُعُ (٣)

وقال فى صباه يمدح على بن أحمد الطائى

حُشَاشَةَ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ (٤)

أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجُدْنَا بِأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الآمَاقِ وَالسِّمِ أَدْمُعُ (٥)

والصدع الوعل لا بالمسن ولا بالصغير أى الفتى. يقول : ان اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم لأنها لا تحميهم ولو أن أوعالها تنصرت لم تحمها الجبال (١) الامتصاع والماصعة التقاتل والتجالد بالسيوف وامتصع فى الأرض ذهب فيها . يقول : لم أحمدك على شجاعتك وثباتك فى الحرب إلا بعد أن بلوتك — خبرتك وجربتك — لدى قتال الابطال أو والابطال تهرب فارة منك (٢) الخرق الخفة والطيش . والزمع الرعدة . يقول : الظن قد يخطىء فالأخرق قد يظن شجاعا والشجاع الذى تعتريه الرعدة من الغضب قد يظن جبانا وانما يتحقق الأمر عند التجربة، يعنى أنى قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطىء ولم أكذب

(٣) كل مبتدأ والسبع خبر والجملة خبر ليس واسمها ضمير الشان . والمخلب للطير والسباع بمنزلة الظفر للانسان . وهذا مثل ضربه يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعا كما أنه ليس كل ذى مخلب أسدا يفترس (٤) يقول : لى بقية نفس ودعتنى وفارقتنى يوم ودعنى الأحباب فذهبت البقية والحبيب فبقيت حائرا لا أدرى أى المرتحلين اودع يعنى الحشاشة والحبيب المودع فى جملة من ودعوه . فقوله الظاعنين بلفظ التثنية وروى بلفظ الجمع على أرادة الحشاشة والاحبة الذين ذكرهم فى قوله ودعوا (٥) المؤق طرف العين مما يلى الأنف والجمع أماق وهو مهموز العين ويقلب فيقدم الهمز فيقال آماق مثل بئر وآبار . والسم لغة فى الاسم بكسر السين وضمها . يقول : أشاروا الينا بالسلام علينا فجدنا عليهم بأرواح سالت من الآماق تسمى دموعا ، أى انها كانت أرواحنا سالت من عيوننا فى صورة دموع ومثله

خَلِيلَيَّ لَا دَمْعاً بَكَيْتُ وَإِنَّمَا هِيَ الرُّوحُ مِنْ عَيْنِي تَسِيلُ عَلَى خَدِّي

حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكِيٍّ مِنَ الْهَوَى ... وَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ (١)

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا ... غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ (٢)

بِمَا بَيْنَ جَنْبَيَّ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا ... إِلَيَّ الدَّيَاجِي وَالْخَلِيُّونَ هُجَّعُ (٣)

أَتَتْ زَائِرًا مَا خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا ... وَكَالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ (٤)

وبقول بشار

وَلَيْسَ الذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءَهَا ... وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

(١) الحشا ما في داخل الجوف والمراد به هنا القلب . وانما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة فلا تكاد تنفرد إحداها برؤية دون الاخرى فاكتفى بضمير الواحد . يقول : قلبي على جمر شديد التوقد من الهوى لاجل توديعهم وفراقهم ، وعيناي ترتعان من وجه الحبيب في روض من الحسن ، ولله أبو تمام حين يقول

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُضْحِي بِقَلْبِيَ مَأْتَمٌ ... مِنَ الشَّوْقِ وَالْبَلْوَى وَعَيْنَايَ فِي عُرْسِ

والاصل في هذا المعنى قول ابن الدمينة

غَدَتْ مُقْلَتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَمَالِهَا ... وَقَلْبِي غَدَا مِنْ هَجْرِهَا فِي جَهَنَّمِ

(٢) الصم الصلاب . وتتصدع تتشقق . وهذا من قول البحتري

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ إِلْفًا ... لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

(٣) بما بين جنبي أى أفديها بما بين جنبي يعني قلبه أو روحه والدياجي جمع ديجوج وكان القياس دياجيج ولكنهم خففوا الكلمة بحذف الجيم الاخيرة كما قالوا مكوك ومكاكي والخلي الذي يخلو قلبه من الهوى والهم . والهجع النيام . يقول : أفدي بقلبي المرأة التي أتانا خيالها في ظلام الليل فقطع الظلمة الى والذين خلوا من الحب كانوا نياما ، قال الواحدى : وهذا كالمتضارب لانه أيضا كان نائما حين رأى خيالها لكن يجوز أن يكون نومه نعسة خفيفة فرأى خيالها في تلك النعسة وغيره من الخليين نام جميع ليلته

(٤) زائرا حال من فاعل أتت . أى أتت خيالا زائرا . وخامر خالط . والكاف في كالمسك اسم بمنزلة مثل مبتدأ والخبر الجملة بعدها . والاردان جمع ردن أصل الكم . ويتضوع يفوح . يقول : أتت زائرة ما خالط الطيب ثوبها أى لم تتعطر ومثل المسك يفوح من ثيابها لأنها طيبة الرائحة طبعا كما قال امرؤ القيس

فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْثَنَتْ تُوسِعُ الْخُطَا | كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرِّهَا قَبْلَ تُرْضِعِ (١)
فَشَرَّدَ إِعْظَامِي لَهَا مَا أَتَى بِهَا | مِنَ النَّوْمِ وَالْتَاعَ الْفُؤَادُ الْمُفَجَّعُ (٢)
فَيَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْوَلَ بِتُّهَا | وَسَمُّ الأَفَاعِي عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ (٣)
تَذَلَّلْ لَهَا وَاخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى | فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ (٤)
وَلَا ثَوْبُ مَجْدٍ غَيْرَ ثَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ | عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِلُؤْمٍ مُرَقَّعُ (٥)

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا | وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

(١) قبل ترضع أى قبل أن ترضع (٢) أعظمه اعظاما استعظمه . والتاع احترق . واللوعة الحرقه. والمفجع الموجع . يقول : لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها فنفى ذلك نومى الذى أتى بها واحترق قلبى لفقد رؤيتها (٣) يقول : ما كان أطول تلك الليلة التى فارقنى فيها خيالها فتجرعت من حرارة فراقها ما كان السم بالقياس اليه عذبا. فقوله ما كان أطول أى ما كان اطولها لحذف الضمير للوزن (٤) يقول : ارض بما تحكم منقادا مطيعا لها ، والخضوع فى القرب الطاعة والانقياد وفى البعد الرضى والتسليم لفعلها وذلك آية المحب كما قال أبو نواس

أَيَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدِّمَنِ | لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ | فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ

ويقول

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا | لِلَّذِي تَهْوَى مطيعا
لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى | تُلْزِمَ النَّفْسَ الخضوعَا

ويقول العباس بن الاحنف

تَحَمَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّهُ | وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمُ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَحْمِلِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى | يُفَارِقْكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

(٥) يقول : انه لم يسلم المجد لأحد خالصا غير مشوب باللؤم إلا للممدوح. ولا ثوب. روى بالرفع عطفا على عاشق فى البيت السابق وبالنصب على جعل لا نافية للجنس .

وَإِنَّ الَّذِى حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّىءٍ ... بِهِ أَللهُ يُعْطِى مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ (١)

بِذِى كَرَمٍ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ ... عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةً مِنْهُ تَطْلُعُ (٢)

فَأَرْحَامُ شِعْرٍ يَتَّصِلْنَ لَدُنَّهُ ... وَأَرْحَامُ مَالٍ لَاتَنِى تَتَقَطَّعُ (٣)

فَتىً أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِى زَمَانِهِ ... أَقَلُّ جُزَىْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْىُ أَجْمَعُ (٤)

وغير منصوب على الاستثناء ، واللؤم الخسة ضد الكرم . ومرقع رواها ابن جنى برقع

(١) جديلة رهط الممدوح من طيء ، قال الشراح : حابى بمعنى حبا أى أعطى وعلى هذا يكون المعنى : ان الذى اعطى بنى جديلة هذا الممدوح فجعله منهم هو الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء قال الواحدى : وحابى لايكون بمعنى حبا وانما المعنى : ان الذى حابى بنى جديلة اى غالبهم وباهاهم فى العطاء — يعنى الممدوح — به الله يعطى من يشاء ويمنع لانه ملك قد فوض الله تعالى اليه أمر الخلق فى النفع والضر ، فقوله به الله خبران (٢) بذى كرم بدل من قوله به يقول : لم يمر يوم وشمس ذلك اليوم تطلع على رأس انسان أوفى بالذمم من هذا الممدوح ، يريد أنه اكثر الناس وفاء واكرمهم عهداً فالواو فى قوله وشمسه واو الحال وشمسه مبتدا وجملة تطلع خبر وعلى رأس متعلق بتطلع (٣) يريد أن الاشعار الكثيرة التى يمدح بها تتلاقى لديه فتتصل اتصال الارحام وأن أمواله التى يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تتقاطع أرحامها فقوله لا تنى اى لا تزال من الونى وهو الضعف فوضعه موضع لا تزال لأنها اذا لم تفتر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تتقطع وشدد النون فى لدنه للضرورة ويروى يتصلن ببابه (٤) ترتيب البيت هكذا : فتى رأيه فى زمانه الف جزء ، اقل جزىء من هذه الاجزاء الألف بعضه — اى بعض جزىء من رأيه — الرأى الذى فى أيدى الناس كله ، فألف جزء خبر مقدم ورأيه مبتدا مؤخر وأقل جزىء مبتدا وبعضه مبتدا ثان وهو مضاف إلى ضمير المبتدا الاول والرأى خبر المبتدا الثانى — وهو بعضه — والجملة خبر الاول — وهو أقل — وأجمع توكيد للرأى والمعنى : أن هذا الممدوح فتى رأيه فى أحوال زمانه يقدر بألف جزء وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل ما لدى الناس من الرأى ، قال العكبرى وفيه نظر إلى قول أبى تمام

لَوْ تَرَاهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ ... قَمَراً أَوْفَى عَلَى غُصُنِ

غَمامٌ علينا مُمْطِرٌ لَيْسَ يَقْشِعُ ... وَلا الْبَرْقُ فِيهِ خُلَّباً حِينَ يَلْمَعُ (١)

إِذا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ ... إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ (٢)

خَبَتْ نارُ حَرْبٍ لمْ تَهِجْهَا بَنانُهُ ... وَأَسْمَرَ عُرْيَانٌ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ (٣)

نَحِيفُ الشَّوَى يَعْدُو على أُمِّ رَأْسِهِ ... وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدْوُهُ حِينَ يُقْطَعُ (٤)

يَمُجُّ ظَلاماً فى نَهارٍ لِسانُهُ ... وَيُفْهِمُ عَمَّنْ قالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ (٥)

كلُّ جُزْءٍ مِنْ مَحاسِنِهِ ... فيهِ أَجْزاءٌ مِنَ الْفِتَنِ

(١) الممطر مثل الماطر يقال مطرت السحابة وأمطرت . واقشع السحاب أقنع وتفرق يقال اقشع وانقشع وتقشع،والبرق الخلب المخلف الذى لامطر فيه وخلبا خبر لا كأنه قال وليس البرق فيه خلبا (٢) الحاج جمع حاجة ويقال فى جمعها أيضا حاجات وحوج . والمشفع الذى تقضى الحاجة بشفاعته . يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى نفسه فى قضائها وإذا كان المسؤل شفيعا إلى نفسه فان الحاجة مقضية ألبتة ، ومثل هذا قول الخزيمى

شَفَعَتْ مَكارِمُه لهمْ فَكَفَتْهمُ ... جَهْدَ السُّؤَالِ ولُطفَ قَوْلِ المَادِحِ

وقول أبى تمام

طَوَى شِياً كانَتْ تَروحُ وتَغْتَدِى ... وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وسائِلُهْ

(٣) خبت النار سكن لهبها . والبنان الأصابع . وأسمر عطف على بنان أى وقلم أسمر الخ وجعل القلم أصلع للينه وملاسته كالراس الأصلع . يقول : ان كل حرب تشب بغير قلمه وأنامله لا بد أن تنطفىء ولا تطول مدتها أما الحرب التى يشبها هو فانها لا تنطفىء لقوة عزمه وشدة نفسه (٤) الشوى الاطراف أى اليدان والرجلان والرأس . ونحيف دقيق . ويعدو يجرى . وام الرأس أعلاه وقيل وسطه . يقول : ان هذا القلم دقيق الاطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه فاذا حفى — أى كل عن المشى — قطع أى قط فيقوى عدوه أى يمضى فى الكتابة ويحسن به الخط

(٥) يمج يقذف . ويريد بالظلام المداد وبالنهار القرطاس . وباسانه طرفه المحدد . وقوله ويفهم الخ من قول أبى تمام

أَحَدُّ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِواه ... فَيُفْهِمُ وهْوَ لَيْسَ بِذِى سَماعِ

ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيبَةً   وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ أَطْوَعُ (١)

فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقْ تَجِدْ كُلَّ لَفْظَةٍ   أُصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَتَفَرَّعُ (٢)

بِكَفِّ جَوَادٍ لَوْ حَكَتْهَا سَحَابَةٌ   لَمَا فَاتَهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْضِعُ (٣)

وَلَيْسَ كَبَحْرِ الْمَاءِ يَشْتَقُّ قَعْرَهُ   إِلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءُ حُوتٌ وَضِفْدَعُ (٤)

أَبَحْرٌ يَضُرُّ الْمُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ   زُعَاقٌ كَبَحْرٍ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ (٥)

---

(١) ذباب السيف طرفه المحدد . ومنه متعلق بأنجى . والضريبة اسم للمضروب كالرمية للمرمى وضريبة تمييز . يفضل القلم على السيف يقول : ان المضروب بالسيف قد ينجو اذ ينبو عنه وقد يعصى صاحبه الذى يضرب به لانه قد لا يقطع أما المضروب بالقلم — وهو المكتوب بقتله — فانه لا ينجو والقلم أطوع من السيف لانه لا يرجع عن مراد الكاتب به واذن فالقلم أفضل من السيف قال ابن الرومى

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَنْفَذَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ

(٢) يقول : ان كل لفظة من الفاظه أصل من أصول البراعة — وهى الكمال فى الفصاحة — والناس يبنون كلامهم عليها ويرجعون فى استعمال الفصاحة اليها (٣) يقول : أن هذا القلم الموصوف يجرى بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه فى عموم النفع لعمت المشرق والمغرب بالمطر ، وقال ابن الرومى

خِرْقٌ يَعُمُّ وَلَا يَخُصُّ بِفَضْلِهِ   كَالْغَيْثِ فِى الْإِطْبَاقِ كُلَّ مَكَانِ

« الخرق السخى الكريم » (٤) اسم ليس ضمير يعود الى الجواد فى البيت السابق ويشتق يشق . يقول : ليس بحر جوده كبحر الماء الذى يغوص فيه الحوت والضفدع حتى ينتهيا إلى قعره وإنما هو بحر لايبلغ منتهاه ، يعنى أن جوده لاينقطع (٥) المعتفى السائل عفاه واعتفاه أتاه سائلا . والزعاق المر . يريد أن يفضل الممدوح على البحر فالاستفهام انكارى يقول : ليس البحر الذى يضر من ورده بالغرق وهو مع ذلك مر الطعم لا يمكن شربه مثل بحر ينفع الواردين بالعطاء ولايضرهم فقوله وينفع معطوف على لايضر ، وقد نقد ابن جنى البيت قائلا ان المعروف عندهم ان ينسب الممدوح الى النفع لأوليائه والضر لأعدائه كما قالوا

وَلَكِنْ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى   لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

يَتِيهُ الدَّقِيقُ الفِكْرِ فِى بُعْدِ غَوْرِهِ ... وَيَغْرَقُ فِى تَيَّارِهِ وَهْوَ مِصْقَعُ (١)

أَلاَ أَيُّهَا القَيْلُ المُقِيمُ بِمَنْبِجٍ ... وَهِمَّتُهُ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ تُوضِعُ (٢)

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ ... وَأَنَّ ظُنُونِى فِى مَعَالِيكَ تَظْلَعُ (٣)

وَأَنَّكَ فِى ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فِيكُمَا ... عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الأَرْضِ أَوْسَعُ (٤)

وَقَلْبُكَ فِى الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلَتْ بِنَا ... وَبِالجِنِّ فِيهِ مَا دَرَتْ كَيْفَ تَرْجِعُ (٥)

أَلاَ كُلُّ سَمْحٍ غَيْرَكَ اليَوْمَ بَاطِلٌ ... وَكُلُّ مَدِيحٍ فِى سِوَاكَ مُضَيَّعُ (٦)

وقال فى صباه على لسان من سأله ذلك

شَوْقِى إِلَيْكَ نَفَى لَذِيذَ هُجُوعِى ... فَارَقْتَنِى فَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِى (٧)

وقالوا

إذا أنتَ لم تنفعْ فضُرَّ فإنما ... يُرَجَّى الفتى كيما يضُرُّ وينفعُ

ولكن فاته أن المتنبى أراد كبحر لا يضر المتفين فلا ينافى ذلك أنه يضر الاعداء

(١) الغور المنتهى والقعر وضميره للبحر. والتيار الموج. والمصقع الفصيح البليغ لانه يأخذ فى كل صقع من القول. والدقيق الفكر الفهم الفطن الذى يدق فكره وخاطره حين يفكر (٢) القيل فى الاصل الملك من ملوك حمير. ومنبج بلد بالشام. والسما كان نجمان وهما السماك الرامح والسماك الاعزل. والايضاع السير السريع أوضعت الناقة إذا أسرعت (٣) ظلعت الناقة عرجت من يدها أو رجلها. يقول: أليس من العجب أنى مع جودة خاطرى وبلاغة كلامى أعجز عن وصفك ولا تبلغ ظنونى معاليك فلا أدركها لو فرتها (٤) وصدرك بالرفع استئناف. يقول: أليس عجيبا أن صدرك على أنه أوسع من الارض قد اشتمل عليك ثوب — وهو — الصدر — فيك وفى الثوب قد اشتملتما عليه

(٥) يقول: أو ليس عجيبا أن قلبك قد أحاطت به الدنيا وهو من السعة بحيث لو دخلت الدنيا بمن فيها من الانس والجن فيه لضلت وما اهتدت للرجوع (٦) السمح الذى يسمح بماله. يقول: كل جواد سواك باطل — أى بالاضافة اليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع لانه ليس فيمن يستأهله (٧) الهجوع النوم. وأقام أى الشوق

أَوَ مَا وَجَدْتُمْ فِى الصَّرَاةِ مُلُوحَةً ... مِمَّا أُرَقْرِقُ فِى الْفُرَاتِ دُمُوعِى (١)

مَازِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِدًا ... حَتَّى اغْتَدَى أَسَفِى عَلَى التَّوْدِيعِ (٢)

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِى فَكَأَنَّمَا ... أَتْبَعْتُهُ الأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيعِ (٣)

وقال يمدح على بن ابراهيم التنوخى

مُلِثَّ الْقَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبُوعَا ... وَإِلاَّ فَاسْقِهَا السُّمَّ النَّقِيعَا (٤)

أُسَائِلُهَا عَنِ الْمُتَدَيِّرِيهَا ... فَلاَ تَدْرِى وَلاَ تُذْرِى دُمُوعَا (٥)

---

(١) الصراة نهر يأخذ من الفرات فينسكب فى دجلة وكان حبيبه على جانب الصراة هذا ، ورقرق الدمع صبه . يقول: أوماجدتم طعم ملوحة من دموعى فى ما ئكم لبكائى فى الفرات ؟ وهم يقولون ان دمع الحزن ملح ودمع الفرح حلو (٢) يقول : كنت أحذر من وداعك خوف الفراق أما الآن وقد فارقتنى فانى أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه لانى لقيتك عند الوداع فودى أن أودعك لالقاك ، وقال ابن جنى : كنت أكره الوداع فلما تطاول البين أسفت على التوديع لما يصحبه من النظر والشكوى والبث

(٣) يقول : ارتحل العزاء ــ الصبر ــ عنى بارتحالى عنكم فكأن أنفاسى تبعت العزاء مشيعة له فهى صاعدة متصلة دائمة

(٤) الملث الدائم المقيم . وربوعا تميز أى من ربوع . والنقيع والمنقع المربى. يقول: يا سحابا دائم القطر ــ المطر ــ اعطش هذه الربوع أى لا تسقها وان لا تعطشها فاسقها السم النقيع فى الماء . قال ابن وكيع لم يسبق أبا الطيب أحد فى الدعاء على الديار بالسم ولو قال حجارة أو صواعق لكان أشبه إلا ان جريرا قال بعد ما استأنف لها ذنبا

سُقِيتِ دَمَ الْحَيَّاتِ مَابَالُ زَائِرٍ ... يُلِمُّ فَيعطى نائلاً ان تكلّما

والعرب من عادتها ان تدعو بالسقيا للديار

(٥) المتديريها أى المتخذيها دارا . وتذرى دموعا أى تلقيها من اذراء الحب للزرع. يريد تعليل ما فى البيت السابق . يقول : انما طلبت إلى السحاب ان يعطشها

لَحَاهَا اللهُ إِلاَّ مَاضِيَيْهَا ... زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَوْدَ الشَّمُوعَا (١)

مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَةٌ رَدَاحٌ ... يُكَلِّفُ لَفظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا (٢)

تُرَفِّعُ ثَوْبَهَا الأَرْدَافُ عَنْهَا ... فَيَبْقَى مِنْ وِشَاحَيْهَا شَسُوعَا (٣)

إِذَا مَاسَتْ رَأَيْتَ لَهَا ارْتِجَاجًا ... لَهُ لَوْلاَ سَوَاعِدُهَا نَزُوعَا (٤)

تَأَلَّمُ دَرْزَهُ وَالدَّرْزُ لَيْنٌ ... كَمَا تَتَأَلَّمُ الْعَضْبَ الصَّنِيعَا (٥)

أو يسقيها السم النقيع لأنى أسائلها عن أهلها أين ذهبوا فلا تدرى ذلك ولا تجيب ولا تساعدنى على البكاء (١) لحاه فى الاصل قشره من لحوت العود اذا قشرته ثم صار يستعمل فى الدعاء على الشيء . والخود بفتح الخاء الجارية الناعمة وجمعها خود بضم الخاء . والشموع اللعوب الضحوك . قال الواحدى : قوله إلا ماضييها استثناء من غير الجنس ويجوز أن يكون جنسا لأن زمان اللهو والخود ربع الأنس فاستثنى ربع الأنس من ربع الانس لاشتماله عليه فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الانس ووصل الخود . قال ابن وكيع : ماضياها يوجبان لها الدعاء بالسقيا . . .

(٢) امرأة رداح ضخمة العجيزة . ثم وصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام . يقول : اذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه ، ومثل هذا قول كثير

وأَدْنَيْتِنِى حَتَّى إذا ما مَلَكْتِنِى ... بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعُصْمَ سَهْلَ الأَبَاطِحِ

وقال أيضا

بِعَيْنَيْنِ نجْلاَوَيْنِ لَوْ رَقْرَقَتْهُمَا ... لِنَوْءِ الثُّرَيَّا لاسْتَهَلَّ سَحَابُهَا

وقال ابن دريد فى مقصورته

لَوْ نَاجَتِ الأَعْصَمَ لانْحَطَّ لها ... طَوْعَ الْقِيَادِ مِنْ شَمَارِيخِ الذُّرَا

(٣) أراد بالوشاحين قلادتين تتوشح بهما المرأة ترسل احداها على جنبها الايمن والاخرى على الايسر . والشسوع البعيد . يقول : ان أردافها عظيمة شاخصة عن بدنها ترفع ثوبها وتمنعه عن أن يلاصق جسدها حتى يكون بعيدا عما توشحت به من القلائد (٤) ماست مشت متبخترة والضمير فى له للثوب . ونزوعا صفة لارتجاجا يقول : اذا ماست رأيت لروادفها اضطرابا وحركة يكادان ينزعان ثوبها عنها لولا أن سواعدها تمسك عليها ثوبها لدخولها فى الكمين (٥) الدرز موضع الخياطة من الثوب .

ذِرَاعَاهَا عَدُوَّا دُمْلُجَيْهَا ... يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيعَا (١)

كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ ... يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطُّلُوعَا (٢)

أَقُولُ لَهَا اكْشِفِي ضُرِّي وَقَوْلِي ... بِأَكْثَرَ مِنْ تَدَلُّلِهَا خُضُوعَا (٣)

أَخِفْتِ اللهَ فِي إِحْيَاءِ نَفْسٍ ... مَتَى عُصِيَ الإِلَهُ بِأَنْ أُطِيعَا (٤)

غَدَا بِكِ كُلُّ خِلْوٍ مُسْتَهَامًا ... وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتُورٍ خَلِيعَا (٥)

والعضب السيف . والصنيع المصنوع المحكم العمل . يصف نعومة بدنها وانها تتوجع اذا أصابها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف ، يقول : ان للدرز فى بدنها تأثيرا كتأثير السيف ، فقوله تألم بحذف إحدى التاءين أى تتألم والتألم كالتوجع لازم يقال تألم به أو له اومنه وعداه هنا ضرورة (١) يقول : ان دملجيها يضيقان عن ذراعيها فهما ممتلئان بهما يكادان لذلك يفصمانهما ويكسرانهما، واذا ضاجعها انسان ظن ان زندها لسمنه هو ضجيعه لاهى (٢) شبه النقاب على وجهها بالغيم الرقيق ووجهها بالبدر . يقول : سترت وجهها بالنقاب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضيء الغيم الرقيق بضوء البدر ، فقوله يضيء لازم لا يتعدى والبدر مفعول أول لمنعه والطلوع مفعول ثان، وقد سبقه إلى هذا المعنى عبد الله بن الدمينة قال

مُبَرْقَعَةٌ كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابَةٍ ... وَكَالبَدْرِ فِى جِنْحٍ مِنَ اللَّيلِ مُظلِمِ

وقال بشار

بَدَا لَكَ ضَوْءُهُ ما احْتَجَبَتْ عَلَيْهِ ... بُدُوَّ الشَّمْسِ مِنْ خَلَلِ الغَمَامِ

(٣) قوله وقولى الخ اى ان خضوعى لها فى قولى هذا اكثر من تدللها على كثرته فقولى مبتدا وبأكثر خبر ، وخضوعا تمييز (٤) يقول : ان احياء النفس مما يتقرب به الى الله وليس مما يخاف منه ، يعنى انك اذا واصلتنى كنت كأنك قد احييتنى ، واحياء النفس طاعة لله والله سبحانه لا يعصى بالطاعة ، ومثله قول القائل

ما حَرَامٌ إِحْيَاءُ نَفْسٍ وَلَكِنْ ... قَتلُ نَفسٍ بِغَيْرِ نَفسٍ حَرَامُ

(٥) الخلو الخالى من الهوى . والمستهام الذى يصيره الهوى هائما ذاهب اللب . والخليع الذى خلع العذار وترك الحياء وتهتك فى الهوى ، قال ابن وكيع لو قال

أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ ثَبِيرًا وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيعَا(١)

بَعِيدُ الصِّيتِ مُنْبَثُّ السَّرَايَا يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطِّفْلَ الرَّضِيعَا(٢)

يَغُضُّ الطَّرْفَ مِنْ مَكْرٍ وَدَهْيٍ كَأَنَّ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعَا(٣)

إِذَا اسْتَعْطَيْتَهُ مَا فِي يَدَيْهِ فَقَدْكَ سَأَلْتَ عَنْ سِرٍّ مُذِيعَا(٤)

قَبُولُكَ مَنَّهُ مَنٌّ عَلَيْهِ وَإِلاَّ يَبْتَدِئْ يَرَهُ فَظِيعَا(٥)

لِهَوْنِ الْمَالِ أَفْرَشَهُ أَدِيمًا وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيعَا(٦)

غدا بك كل خلو فى اشتغال وأصبح كل ذى نسك خليعا

لكان أحسن (١) أو يقولوا أى إلى أن يقولوا لحذف أن واعملها . وثبير جبل بالحجاز معروف. وريع أخيف . وابن ابراهيم هو الممدوح . علق زول حبه بما لا يمكن وجوده يقول : لا أزال أحبك ، لان الجبل لا يجره النمل والممدوح لا يرتاع ولا يروعه شيء ، وهذا من حسن التخلص (٢) الصيت والصات ذهاب الذكر الحسن بين الناس . والسرايا جمع سرية الطائفة من الجيش . يقول : انه كثير الغارات ، سراياه مبثوثة فى الآفاق فاذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفا ورعبا

(٣) الدهى والدهاء الفكر وجودة الرأى . والخشوع الاستكانة والذل . يقول : يخفى مكره ودهاءه بغض الطرف كأن به خشوعا وليس به ذلك الخشوع ، ولله قول ابن الرومى فى هذا المعنى

سَاهٍ وَمَا تُتَّقَى فِى الرَّأْيِ سَقْطَتُهُ دَاهٍ وَمَا يَنْطَوِى مِنْهُ عَلَى رِيَبِ

فَدَهْيُهُ لِلدَّوَاهِى الرُّبْدِ يَدْمَغُهَا وَسَهْوُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَالْغِيَبِ

(٤) قدك أى حسبك وكفاك . وقوله مذيعا — أى مفشيا — مفعول سألت . يقول: اذا سألته جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذياع للأسرار اذا سألته عن سر أفشاه ولم يكتمه كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يضن به لأريحيته (٥) يقول : لأريحيته واستلذاذه العطاء يعد قبولك عطاءه منة — نعمة — منت بها عليه ، وإن لم يبتدىء بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً منكراً قبيحاً (٦) قالوا ان الممدوح كان قد حمل اليه مال يحيى فأمر أن يفرش له اديم — جلد — ويطرح عليه فاعتذر له

إذا ضَرَبَ الأميرُ رقابَ قومٍ ... فما لِكَرامةٍ مَدَّ النُّطُوعَا (١)

فليسَ بواهبٍ إلاّ كثيرًا ... وليسَ بقاتلٍ إلاّ قَرِيعَا (٢)

وليسَ مؤدِّبًا إلاّ بنصلٍ ... كفَى الصَّمْصَامةُ التَّعَبَ القَطِيعا (٣)

عليٌّ ليسَ يمنعُ من مجيءٍ ... مُبَارَزَهُ ويَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا (٤)

عليٌّ قاتلُ البَطَلِ المُفَدَّى ... ومُبْدِلُهُ منَ الزَّرَدِ النَّجِيعَا (٥)

إذا اعْوَجَّ القَنَا في حامِلِيهِ ... وجازَ إلى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا (٦)

المتنبي وقال : إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه — أي هوانه — لانه يريد أن يفرقه على القصاد والشعراء ، وهو يكره أن يضيع لا ليدخره فى خزائنه ولكن ليفرقه على السؤال وقد مثل لهذا بالبيت التالى (١) النطوع كالانطاع جمع نطع وهو الجلد الذى يبسط تحت من يراد قتله . يقول : ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة وإنما ذلك لصيان المجلس عن تلطيخه بالدم فكذلك بسطه النطع — الجلد — للمال ليس ذلك كرامة للمال وإنما لتفريقه (٢) القريع فى الاصل الفحل الكريم سمى بذلك لانه يقرع الابل والمراد به هنا السيد الشريف ، يصفه بأنه غاية فى كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب الا المال الكثير ولا يقتل إلا الشريف العظيم

(٣) القطيع السوط الذى يقطع من جلد البعير . يصف شدته على المذنبين وأهل الريب . يقول : أقام سيفه مقام سوطه فى التأديب فأغنى السيف السوط عن التعب

(٤) يقول : ان عليا — وهو اسم الممدوح — لا يمنع أحدا يأتى لمبارزته فى الحرب ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالما لانه لا يكون الا قتيلا أو أسيرا (٥) المفدى الذى يقول له الناس فدتك نفوسنا لما يرون من شجاعته وشدة بأسه . والزرد حلق الدرع . والنجيع الدم الطرى . يقول : يسلب البطل المفدى درعه ويكسوه بدله دما

(٦) جواب اذا قوله الآتى لحد . واعوج يعنى انحنى والتوى لان الرمح اذا طعن به اعوج والتوى . وقوله فى حامليه يعنى أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب . وقوله وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا أى نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين قال الواحدى : قال المتنبى وكنت قلت ☆ وأشبه فى ضلوعهم الضلوعا ☆

ثم أنشدت بيتاً لبعض المولدين يشبهه فرغبت عنه ، يعنى بيت البحترى

وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الأَكْبَادُ مِنْهُ ... فَأَوْلَتْهُ انْدِقَاقاً أَوْ صُدُوعا (١)

فَحِدْ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ ... وَإِنْ كُنْتَ الْخُبَعْثِنَةَ الشَّجِيعَا (٢)

إِنِ اسْتَجْرَأْتَ تَرْمُقُهُ بَعِيداً ... فَأَنْتَ اسْطَعْتَ شَيْأً مَا اسْتُطِيعَا (٣)

وَإِنْ مَارَيْتَنِي فَارْكَبْ حِصَاناً ... وَمَثِّلْهُ تَخِرَّ لَهُ صَرِيعَا (٤)

غَمَامٌ رُبَّمَا مَطَرَ انْتِقَاماً ... فَأَقْحَطَ وَدْقُهُ الْبَلَدَ الْمَرِيعَا (٥)

رَآنِي بَعْدَ مَاقَطَعَ الْمَطَايَا ... تَيَمُّمُهُ وَقَطَّعَتِ الْقُطُوعَا (٦)

فِي مَأْزِقٍ ضَنْكٍ تُخَالُ بِهِ الْقَنَا ... بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعَا

(١) منه أي من القنا . وأولته أنالته . والصدوع الشقوق جمع صدع . يقول : واندقت الرماح — انكسرت — وتصدعت في الاكباد لشدة الطعن فكأن الاكباد أدركت بذلك منها ثأرا (٢) هذا جواب اذا اعوج القنا والتقدير اذا اعوج القنا وجاز الضلوع الى ضلوعهم ونالت ثأرها الاكباد فحد عنه . والخبعثنة من أسماء الاسد والشجيع الشجاع يقول : اذا كان كذلك والتقى الجمعان فحد أي مل وتباعد عنه وإن كنت شجاعا قوي القلب كالاسد وإلا هلكت (٣) قال ابن جني استجرأ الرجل بمعنى جرؤ أي صار جريئا . وترمقه أي أن ترمقه فحذف ورفع الفعل . يقول : أن قدرت على النظر اليه في الحرب من بعيد فقد قدرت على شيء عظيم لم يقدر عليه أحد ، وهذا من قول أبي تمام

إمَّا وقد عشت يوما بعد رؤيته ... فاذهب فانك أنت الفارس النَجِدُ

(٥) يقول : ان جادلتني ولاججتني في قولي هذا فاركب فرسا وصوره في نفسك كأنك تحاربه فانك إذا فعلت ذلك سقطت على الارض صريعا قبل أن تلاقيه لهيبته وخوفك منه (٥) الودق المطر ، والمريع الممرع أي المخصب . يقول : هو غمام ندى ولكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحجار، كذلك هو ربما مطر نقمة على الاعداء فصير مطره البلد المريع قحطا مجدبا لما يلم به من الدمار

(٦) القطوع جمع القطع وهو الطنفسة تحت الرحل تغطي كتفي البعير . يقول : رآني بعد ما طال سفري حتى قطع تيممه — أي قصدي اياه — مطاياي — الى —

فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بَلَدِي غَدِيراً ... وَصَيَّرَ خَيْرُهُ سَنَتِي رَبِيعَا[1]

وَجَاوَدَنِي بِأَنْ يُعْطِي وَأَحْوِي ... فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخْذِي سَرِيعَا[2]

أَمُنْسِيَّ السُّكُونَ وَحَضْرَمَوْتًا ... وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيعَا[3]

قَدِ اسْتَقْصَيْتَ فِي سَلْبِ الأَعَادِي ... فَرُدَّ لَهُمْ مِنَ السَّلَبِ الهُجُوعَا[4]

إِذَا مَا لَمْ تَسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ ... أَسَرْتَ إِلَى قُلُوبِهِمِ الهُلُوعَا[5]

رَضُوا بِكَ كَالرِّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا ... وَقَدْ وَخَطَ النَّوَاصِي وَالفُرُوعَا[6]

فَلَا عَزَلٌ وَأَنْتَ بِلَا سِلَاحٍ ... لَحَاظُكَ مَا تَكُونُ بِهِ مَنِيعَا[7]

أى أنضاها وأعجزها عن السير ، وقطعت الابل ما عليها من الطنافس أى أبلتها بكثرة السير وطول المسافة (١) يقول : أعطانى حتى ملأنى بالعطاء كما يملأ السيل الغدير ، وأصلح دهرى حتى صار كالربيع فصل الخصب والامطار (٢) جعل عطاء الممدوح والاخذ منه مجاودة على معنى أن أخذى منه كالجود منى عليه . يقول : لم يلحق أخذى اعطاءه حتى أغرق أخذى، أى كان هو فى الاعطاء أسرع منى فى الاخذ

(٣) هذه أسماء أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها . يقول : ان احسانه ألهاه عن بلده وأهله ، وهذا من قول البحترى

ومثلُ نداك أذهلنى حبيبى ... وألبسنى سلوًّا عن بلادى

(٤) السلب الثانى الشىء المسلوب . والهجوع النوم . يقول : بالغت فى سلب الاعداء فسلبتهم كل شىء حتى النوم فرد ذلك النوم عليهم فانهم لا يجدون النوم خوفا منك (٥) الهلوع الجزع والخوف الشديد . يقول : اذا لم تغزهم بجيشك غزوتهم بالخوف فهم لا يزالون خائفين منك جزعين ، وهذا قريب من قول أبى تمام

لم يَغزُ قوما ولم ينهد الى بلد ... إلا تقدمه جيش من الرعب

(٦) وخط الشيب الشعر خالطه . والنواصى جمع ناصية مقدم الرأس . والفروع جمع فرع الشعر . يقول: انهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه (٧) العزل مصدر الاعزل وهو الذى لا سلاح معه . واللحاظ بفتح اللام مؤخر العين . ومنع الرجل يمنع مناعة فهو منيع . والضمير فى به يعود إلى ما أى

لَوِ استَبْدَلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ ... قَدَدْتَ بِهِ المَغَافِرَ والدُّرُوعَا[1]

لَوِ استَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالٍ ... أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعا[2]

سَمَوْتَ بِهِمَّةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو ... فَمَا تُلْفَى بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعا[3]

وَهَبْكَ سَمَحْتَ حَتَّى لا جَوَادٌ ... فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لا رَفِيعَا[4]

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبى الأصبع الكاتب

أَرَكَائِبَ الأَحْبَابِ إِنَّ الأَدْمُعَا ... تَطِسُ الخُدُودَ كَمَا تَطِسْنَ اليَرْمَعَا[5]

فاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى ... وَامْشِينَ هَوْنًا فِي الأَزِمَّةِ خُضَّعا[6]

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الحَيَاءُ مِنَ البُكَا ... فَاليَوْمَ يَمْنَعُهُ البُكَا أَنْ يَمْنَعَا[7]

الحافظك الشيء الذى تكون به منيعا . يقول : إذا كنت بلا سلاح قام لحافظك مقام السلاح ، لانك إذا نظرت إلى عدوك قتلته هيبة لك فقام لحافظك مقام سلاحك فصرت به منيعا (١) المغافر جمع مغفر زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس. يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن حتى لو أخذه بدلا من السيف لقطع به المغافر والدروع على الاعداء (٢) الجهد الطاقة وأتيت على الدنيا أى أهلكت من فيها جميعا

(٣) تلفى توجد . وقوله فتسمو يجوز أن تكون خطابا للممدوح أى كلما سمت همتك ازددت علوا ويجوز أن تكون خبرا عن الهمة يقول : سموت بهمة وتلك الهمة تسمو بك أبدا فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة (٤) يقول : أحسب أن جودك محا اسم الجواد عن الناس فكيف محا علاؤك اسم الرفيع عن كل شيء . وجواد مرفوع على أن لا بمعنى ليس . والالف فى رفيعا ليس بدلا عن التنوين لان لا تنصب النكرة بغير تنوين.

(٥) أركائب أى ياركائب والركائب جمع الركوب وهى الابل تركب : وتطس تدق والوطس الدق . واليرمع حجارة بيض صغار رخوة . يقول : إن الدموع تفعل بالخدود فعل اخفاف الابل بالحجارة التى تطؤها (٦) النوى فاعل حملت . والازمة جمع زمام ما ينقاد به الدابة . يقول — للابل : أعرفن قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكن ، وأعرفن لينها ورقتها وانها لا تصبر على احتمال الاذى فامشين بها رويدا خضعا حتى لا تتأذى بسيركن ومرحكن (٧) يقول : قد كان حيائى يغلب بكائى واليوم غلب بكائى.

حَتَّى كَأَنَّ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةً ... فِى جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَدْمَعَا[١]

وَكَفَى بِمَنْ فَضَحَ الْجَدَايَةَ فَاضِحًا ... لِمُحِبِّهِ وَبِمَصْرَعِى ذَا مَصْرَعَا[٢]

سَفَرَتْ وَبَرْقَعَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ ... سَتَرَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقُعَا[٣]

فَكَأَنَّهَا وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ... ذَهَبٌ بِسِمْطَىْ لُؤْلُؤٍ قَدْ رُصِّعَا[٤]

كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... فِى لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِىَ أَرْبَعَا[٥]

وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنِىَ الْقَمَرَيْنِ فِى وَقْتٍ مَعَا[٦]

---

(١) الرنة فعلة من الرنين وهو صوت الباكى . والمدمع مجرى الدمع . يقول لكثرة بكائى صار كأن كل عظم من عظامى يرن رنينا وكل عرق لى يبكى ، أى غلب البكاء حتى صارت حالتى بهذه الصفة

(٢) الجداية الظبية . يقول: من فضح الجداية بحسنه كفى فاضحا لمن يحبه ، وكفى بمصرعى فى حبه مصرعا ، يعنى أنه غاية فى الحسن وهو غاية فى الحب والعشق (٣) يقول : سفرت — كشفت — عن وجهها للوداع وقد ألبسها وجد الفراق صفرة كأنها برقع يستر محاجرها — ما حول العين — ولم تكن برقعا على الحقيقة . يعنى إنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها (٤) السمط خيط القلادة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ ، شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ (٥) يقول : صارت الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال لان كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها . والذؤابة الخصلة من الشعر (٦) قال الواحدى : يجوز أن يريد بالقمرين القمر والشمس وهى وجهها ، وجعل وجهها شمسا فى الحسن والضياء ، ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر فهما قران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر

وإذا الغزالة فى السماء ترفعت ... وبدا النهار لوقته يترحل

أبدت لوجه الشمس وجها مثله ... تلقى السماء بمثل ما تستقبل

ويقول صريع الغوانى

فبت أسر البدر طورا حديثها ... وطورا أناجى البدر أحسبها البدرا

رُدِّى الوِصَالَ سَقَى طُلُولَكِ عَارِضٌ ... لَوْ كَانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعَا (١)

زَجِلٌ يُرِيكَ الجوَّ نَارًا والمَلَا ... كالبَحْرِ وَالتَّلَعَاتِ رَوْضًا مُمْرِعَا (٢)

كَبَنَانِ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَدِقِ الَّذِى ... أَرْوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَاءُ وَأَفْزَعَا (٣)

أَلِفَ المُرُوءَةَ مُذْ نَشَا فَكَأَنَّهُ ... سُقِيَ اللِّبَانَ بِهَا صَبِيًّا مُرْضَعَا (٤)

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَائِمًا ... فَاعْتَادَهَا فَإِذَا سَقَطْنَ تَفَزَّعَا (٥)

الى أن رأيت الليل منكشف الدجى ... يودع فى ظلمائه الأنجم الزهرا

وهذ المعنى كثير فى كلامهم (١) العارض السحاب المعترض فى الافق . واقشع أقلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال : لو كان وصالك مثل السحاب الذى أتمناه للطلول أى دائما لا يتفرق لكان دائما لا ينقطع

(٢) زجل يسمع له زجل وهو الصوت يعنى صوت الرعد. والملا المتسع من الارض. والتلعات جمع تلعة التل يجرى منه الماء الى الوادى. والممرع المخصب. يصف هذا السحاب. يقول : أنه يملأ الجو ببرقه حتى يرى نارا ، ويملأ المتسع من الارض ماء حتى يرى كالبحر ، ويمرع التلال بمائه حتى تصير كالروض الخصيب (٣) الغدق الكثير وأسقيناهم ماء غدقا أى كثيرا . شبه ذلك السحاب الذى وصفه ببنان — أصابع — الممدوح الكثير الجود وهذا مخلص حسن ، ومثله للبحترى

كأنها حين لجت فى تدفقها ... أيدى الخليفة لما سال واديها

(٤) المروءة الكرم. واللبان جمع اللبن . يقول : ألف الكرم ناشئا وكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيعا ، وهذا من قول أبى تمام

لَبِس الشجاعة إنها كانت له ... قِدْمًا نشوءا فى الصبا ووَلُودا

(٥) التمائم جمع تميمة العوذة تعلق على الصبى للوقاية من العين قال الواحدى : من روى نظمت بضم النون فالمعنى أن هباته وما يفعل من الاعطاء جعلت له بمنزلة التمائم التى تعلق على من خاف شيأ فاذا سقطت عنه عاد الخوف ، أى أنه الف الاعطاء واعتاده حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تمائمه ، ومن روى بفتح النون فانما يعنى ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والاشعار وأدعية الفقراء ، فهو اذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك وكان كمن القى تميمته فتفزع ، وهذا من قول أبى تمام

تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِعِ بَارِقا ... تٍ والمَعَالِى كَالْعَوَالِى شُرَّعا[1]

مُتَبَسِّماً لِعُفَاتِهِ عَنْ وَاضِحٍ ... تَغْشَى لَوَامِعُهُ البُرُوقَ اللُّمَّعَا[2]

مُتَكَشِّفاً لِعُدَاتِهِ عَنْ سَطْوَةٍ ... لَوْ حَكَّ مَنْكِبُهَا السَّمَاءَ لَزَعْزَعَا[3]

أَلْحَازِمَ الْيَقِظَ الأَغَرَّ الْعَالِمَ الْـ ... فَطِنَ الأَلَدَّ الأَرْيَحِىَّ الأَرْوَعَا[4]

أَلْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْوَاهِبَ النَّدُسَ اللَّبِيبَ الْهِبْرِزِىَّ الْمِصْقَعَا[5]

نَفْسٌ لَهَا خُلُقُ الزَّمَانِ لِأَنَّهُ ... مُفْنِى النُّفُوسِ مُفَرِّقٌ مَا جَمَّعَا[6]

وَيَدٌ لَهَا كَرَمُ الْغَمَامِ لِأَنَّهُ ... يَسْقِى الْعِمَارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلْقَعَا[7]

تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونها ... اذا لم يعوذها بنغمة طالب

(١) الصنائع الايادى والنعم والمعروف . والقواطع السيوف . والعوالى الرماح. وشرعا منتصبة مرتفعة يقول : جعل نعمه واياديه مشرقة لامعة كالسيوف ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس . وقال ابن جنى : يحارب أعداءه وحساده باياديه كما يحارب بالسيوف والرماح . (٢) العفاة جمع عاف السائل . وعن واضح أى عن ثغر واضح وتغشى تغطى يقول : يبتسم للسائلين عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق (٣) حك يروى صك والمعنى زاحم . يقول : إنه يظهر للأعداء سطوة لو زاحم منكبها السماء لحركها أى أنه يجاهر الأعداء القدرة عليهم ولايكاتمهم العداوة . واستعار لسطوته منكبا لما جعلها تزاحم السماء لان الزحام يكون بالمناكب

(٤) و (٥) الحازم ذو الحزم فى أموره . واليقظ الكثير التيقظ الذى لايغفل عن أموره . والاغر الشريف . ويروى الاعز والالد الشديد الخصومة . والاريحى الذى يرتاح للمعروف والكرم أى يهتز لهما ويتحرك . والاروع الذى يروعك بجماله أو الحاد الذكى واللبق الخفيف فى الامور . والهبرزى السيد الكريم . والمصقع الخطيب البليغ

(٦) يقول : إن الزمان من خلقه افناء الاشياء وكذلك هذا الممدوح يفنى أعداءه كما يفنى ماله فهو جواد كثير الغارات (٧) العمارة بكسر العين الارض العامرة والبلقع المكان الخالى الذى لا عمارة فيه . يقول: أنه يعطى كل أحد أكان غنيا أم فقيرا كما أن الغمام يسقى كل موضع أعامرا أم غامرا . وروى الخوارزمى العمارة بفتح العين وقال يعنى القبيلة كانه يسقى المكان الذى به الناس والخالى

أَبَدًا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفْرٍ وَافِرٍ وَيَلُمُّ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَصَدِّعَا(١)

يَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى اهْتِزَازَ مُهَنَّدٍ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزْتَهُ يَوْمَ الْوَغَى(٢)

يَامُغْنِيًا أَمَلَ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا(٣)

أَقْصِرْ وَلَسْتَ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ الْمَدَى وَبَلَغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارْبَعَا(٤)

وَحَلَلْتَ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعًا لَمْ يَحْلُلِ الثَّقَلَانِ مِنْهَا مَوْضِعَا(٥)

وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعَا(٦)

نَفَذَ الْقَضَاءُ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّمَا أَزْمَعْتَ شَيْئًا أَزْمَعَا(٧)

---

(١) الشعب الشمل . ويصدع يفرق . والوفر الغنى . ويلم يجمع . يقول : انه أبدا يفرق شمل المال بالعطاء . ويجمع مفرق المكارم ، وقد جمع فى هذا البيت بين التطبيق والتجنيس ، وقال أبو تمام

له كلَّ يوم شملُ مجد مؤلَّفٌ وشملُ ندًى بين العفاة مشتَّتُ

وقال البحترى

ومعالٍ أصارها لاجتماع شملُ مالٍ أصاره لافتراق

(٢) الجدوى العطاء . والمهند السيف . والوعى بالعين والغين جلبة الحرب وصوتها يقول : يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب (٣) لقاؤه فاعل مغنيا . يقول : إن لقاء الفقير إياك ودعاءه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين (٤) أقصر عن الشىء تركه مع القدرة عليه كما تقدم . وقوله فاربعا أراد فاربعن فوقف بالالف ، ومعناه كف حسبك . وقوله ولست بمقصر قال الواحدى : يحتمل أمرين أحدهما أنى أعلم أنك لاتقصر وإن أمرتك بالاقصار ، والآخر أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك المدى ــ الغاية ــ . (٥) لك أن تقرأ الفعال بفتح الفاء اسم للفعل الحسن وبكسرها جمع فعل . والثقلان الجن والانس (٦) يقول : حويت فضل الثقلين ــ الجن والانس ــ وهذا الفضل لم يطمع فى نيله أحد ولاحدثته به نفسه لبعد مناله (٧) ازمع الشىء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك . فكلما أردت شيأ وأزمعته أنفذه ، فقوله لك خبر كأن أى كأنه موافق لك

وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِيُّ كَأَنَّهُ … عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعا[1]

أَكَلَتْ مَفَاخِرُكَ الْمَفَاخِرَ وَانْثَنَتْ … عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيُّ وَصْفِي ظُلَّعا[2]

وَجَرَيْنَ مَجْرَى الشَّمْسِ فِي أَفْلاكِها … فَقَطَعْنَ مَغْرِبَها وَجُزْنَ الْمَطْلَعَا[3]

لَوْ نِيطَتِ الدُّنْيا بِأُخْرَى مِثْلِها … لَعَمَمْنَها وَخَشِينَ أَنْ لا تَقْنَعا[4]

فَمَتَى يُكَذَّبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذَا … وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا ما ادَّعَى[5]

وَمَتَى يُؤَدِّي شَرْحَ حالِكَ ناطِقٌ … حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزْرَ مِمَّا ضَيَّعا[6]

(١) العصى العاصى فعيل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لايطيع أحدا قد اطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الاجابة (٢) الظلع جمع الظالع الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غابت مفاخرك مفاخر الناس حتى أفنتها فليس لأحد منهم فخر ، وانصرفت عن شأوهن — غايتهن — مطايا وصفى ظالعة — عرجى — أى لم يبلغ قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام

هدمت مساعيه المساعى وانثنت … خطط المكارم فى عراض الفرقد

(٣) يقول : وجرت مفاخرك فى الارض جرى الشمس فى الفلك حتى جاوزت المشرق والمغرب (٤) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت اليها لعمتها مفاخرك أيضا وخافت أن لاتقنع منها بذلك . وروى لعممتها — والضمير للممدوح — وخشيت بضم التاء والضمير للمتنبى أى لعممتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لاتقنع بها لان همتك تقتضى فوقها (٥) يقول : لايكذب من ادعى لك فوق هذا لان الله يشهد بتصديقه وذلك ماخلقه الله فيك من علو الهمة والفضائل المتوافرة ، وكان الوجه ان مادعى حق فجعل الخبر الذى هو نكرة — وهو حق — فى موضع الاسم ونصبه بأن وجعل الاسم الموصول — مادعى — فى محل الخبر وذلك جائز فى ضرورة الشعر (٦) النزر هو القليل فهو توكيد معنوى . يعنى نفسه يقول : إنما يحفظ القليل من أحوال مفاخره لانها أكثر من أن يمكنه حفظها على حد قول أبى نواس ✽ حفظت شيأ وغابت عنك أشياء ✽ وحفظ القليل مما ضيعا أى من جنس ماضيعه لان المحفوظ لايكون من المضيع ولكن يكون من جنسه

إِنْ كانَ لا يُدْعَى الْفَتى إِلاَّ كَذَا ... رَجُلاً فَسَمِّ النَّاسَ طُرًّا إِصْبَعَا (١)

إِنْ كانَ لاَ يَسْعَى لِجُودٍ مَاجِدٌ ... إِلاَّ كَذَا فالْغَيْثُ أَبْخَلُ مَنْ سَعَى (٢)

قَدْ خَلَّفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ ابْنَهُ ... مَرْأًى لَنا وَإِلى الْقِيامَةِ مَسْمَعَا (٣)

وقال يرثى أبا شجاع فاتكا وقد توفى بمصر سنة خمسين وثلاثمائة

وكانت هذه المرثية بعد خروجه من مصر

أَلْحزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ ... والدَّمْعُ بَيْنَهُما عَصِيٌّ طَيِّعُ (٤)

يَتَنازَعانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ ... هذَا يَجِيءُ بِهَا وَهذا يَرْجِعُ (٥)

أَلنَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نافِرٌ ... وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ (٦)

---

(١) يقول : ان كان لايدعى الفتى رجلا إلا اذا كان كذا أى كهذا الممدوح فسم الناس جميعا أصبعا لانهم لو وزنوا بأصبعك ماوفوا ، أو لانهم بالقياس اليك كالاصبع من الرجل ، وروى الخوارزمى أضبعا جمع الضبع أى لانهم كلهم بالاضافة اليك ضباع (٢) يقول : ان كان لا يصح سعى ماجد لجود حتى يفعل مثل فعلك فالغيث أبخل الساعين لبعد مابينه وبينك ووقوعه دونك ، وجعل الغيث أبخل الساعين مبالغة (٣) ابنه بحذف حرف النداء أى يا ابنه يقول : قد خلف أبوك العباس غرتك ــ طلعتك ــ لنشاهد فضلك وكرمك وليبقى ذكرها الى يوم القيامة (٤) يقول : الحزن لاجل المصيبة يقلقنى والتجمل ــ تكلف الصبر ــ يمنعنى عن التهالك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل مطيع للقلق (٥) عنى بالمسهد ــ أى الكثير السهاد الممنوع عنه النوم ــ نفسه . يقول : الحزن والصبر يتنازعان دموع عينى فالحزن يجيء بها أى يجريها والصبر يردها (٦) يقول : النوم بعد أبى شجاع لايألف العين أى لاتنام العيون بعده حزنا عليه ، والليل يطول فلا ينقضى كأنه قد أعيا عن المشى ــ كل من التعب ــ فانقطع والكواكب ظلع ــ كالعرجى ــ لاتقدر ان تقطع الفلك فتغرب ، يريد طول الليل لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه

إِنِّى لأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِى ... وَتُحِسُّ نَفْسِى بِالْحِمَامِ فَأَشْجُعُ (١)

وَيَزِيدُنِى غَضَبُ الأَعَادِى قَسْوَةً ... وَيُلِمُّ بِى عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ (٢)

تَصْفُو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ ... عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ (٣)

وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِى الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ ... وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ (٤)

أَيْنَ الَّذِى الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ (٥)

تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا ... حِيناً وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتْبَعُ (٦)

---

(١) يقول : أنا جبان عند فراق الاحبة أخافه خوف الجبناء ، وأشجع عند الموت في ميدان الوغى فلا أهابه ، يعني أن الفراق أعظم خطبا عنده من الموت كما قال أبو تمام

جليدٌ على عَتب الخطوب إذا عرت ... ولستُ على عتب الاخلاء بالجَلْدِ

(٢) يقول : انه صعب على أعدائه لا يلين لهم بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا ، ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله كما قال اشجع السلمى

يُعطي زمامَ الطوعِ إخوانَهُ ... ويلتوى بالملك القادر

(٣) يقول : انما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها اوغافل عما مضى فيها من العبر ومايتوقع — ينتظر — في العواقب من انقضائها او احداثها التي لايطيق لها احتمالا ، اما العاقل الفطن الذي ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريفها فانها لا تصفو له (٤) يعني بالحقائق ما لا شك فيه للعاقل وهو ان الدنيا على الحقيقة دار غرور واخطار والانسان فيها على خطر عظيم وان الحياة فانية ، فمن غالط في هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين الق عن نفسه الفكر في العواقب وسام نفسه — كلفها — طلب المحال من البقاء في السلامة مع نيل المراد فطمعت في ذلك (٥) الهرمان هما الهرم الاكبر والهرم الاوسط وهما معروفان وكل ما يتعلق بهما وبمن بناهما والغاية التي بنيا لها معروف فراجعه ان شئت. يقول : اين من بناها واين قومه ومتى كان يوم موته وكيف كان مصرعه ؟ يريد ان الفناء حتم في رقاب العباد وان الجميع صائرون إلى الفناء (٦) يقول : ان الآثار تبقى بعد اصحابها حينا من الدهر ثم تفنى وتتبع اصحابها في الفناء

لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ ... قَبْلَ المَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ (١)

كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ... ذَهَباً فَماتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ (٢)

وإذَ المَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالقنَا ... وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شيءٍ يَجْمَعُ (٣)

أَلْمجْدُ أَخْسَرُ وَالمَكَارِمُ صَفقةً * مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الكَرِيمُ الأَرْوَعُ (٤)

وَالنَّاسُ أَنزَلُ فِي زَمَانِكَ مَنزِلاً ... مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ (٥)

بَرِّدْ حَشَايَ إِنِ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ ... فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ (٦)

---

(١) يقول: انه لبعد مرتقى همته لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه فى العلا حتى يطلب ما فوقه. ولم يكن ليسعه موضع من الارض لانه لا يشبع طموحه (٢) البلقع الخالى. يقول: كنا نظنه صاحب ذخائر من الاموال فلما مات لم يخلف مالا لانه كان جوادا معطاء

(٣) ولذا عطف على وكل دار بلقع فى البيت السابق. يقول: وانما كل ما كان يجمعه فى حياته المكارم والاسلحة والخيل أما الذهب فلا لانه كان يفرقه بالعطاء، فبنات أعوج يعنى الخيل وأعوج فحل مشهور من خيل العرب تنسب اليه الخيل الاعوجية قيل سمى بذلك لان غارة وقعت على أصحابه ليلا وكان مهرا ولضنهم به حملوه فى وعاء على الابل حين هربوا من الغارة فاعوج ظهره وبقى فيه العوج فلقب بالاعوج وقد جاء فى معنى بيت المتنبى شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم وقد قال قائلهم

اذا خزن المالَ البخيلُ فإنما ... خزائنه خطية ودروع

وقال مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة

ولم يك كنزه ذهبا ولكن ... حديدَ الهند والحلَقَ المذالا

(٤) الاروع الذكى الفؤاد. يقول: ان المجد والمكارم أخس صفقة وأنقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى، يعنى أن المكارم والمجد حياتها به فالخسرانها كان بموته

(٥) يقول: ان الناس فى زمانك أقل قدرا من أن تكون بينهم تخالطهم وتعاشرهم، وقدرك أجل من أن تعايش أهل هذا الزمان (٦) يقول: كلمنى كلمة وأسمعنى منك لفظة ان قدرت عليها ليسكن ما فى قلبى من لوعة الحزن فلقد كنت فى حياتك تضر — اذا تشاء — اعداءك، وتنفع أولياءك، أى فانفعنى بكلامك

ما كانَ مِنْكَ إلى خَلِيلٍ قَبْلَها	ما يُسْتَرابُ بِهِ وَلا مايُوجِعُ (١)
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَما تُلِمُّ مُلِمَّةٌ	إلاَّ نَفاها عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ (٢)
وَيَدٌ كَأَنَّ قِتالَها وَنَوالَها	فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهْوَ تَبَرُّعُ (٣)
يامَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً	أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لاَ تُنْزَعُ (٤)
مَازِلْتَ تَخْلَعُها على مَنْ شاءَها	حتَّى لَبِسْتَ اليَوْمَ مالاَ تَخْلَعُ
ما زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فادِحٍ	حتَّى أَتَى الأَمْرُ الَّذِي لايُدْفَعُ (٥)
فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لا رِماحُكَ شُرَّعٌ	فِيما عَرَاكَ وَلا سُيُوفُكَ قُطَّعُ (٦)

(١) يقال استراب به أى رأى منه مايريبه أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة أى قبل أن تفجعهم بنفسك ما يريبهم منك أو يوجعهم، وذلك أشد لتوجعهم عليك إذ لم تربهم فى حياتك (٢) الأصمع الذكى الحاد : يقول كنت أراك فى حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكى (٣) يقول : ونفاها عنك يد شأنها أعطاء الاولياء وقتال الاعداء حتى لكأن النوال والقتال واجبان عليها وهما تبرع لا وجوب فى هذا يقول أبو تمام

يرى مالَه نَهْبَ المعالى فأوجبت عليه زكاةُ الجود ماليس واجبا

ويقول ابن الرومى

ملك لا يرى اللُّها تستحق الوسائلا
ويراها فرائضا وتُسمَّى نوافلا

(٤) يريد يامن كان في حياته يلبس كل يوم لباسا جديدا ـــ اذ يخلع الملبوس على من يقصده ـــ كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع ؟ يعنى الكفن ـــ والحلة اللباس من ثوبين ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين

(٥) الفادح الذى يثقل حمله ، وفى هذا المعنى يقول الحماسى

دفعنا بك الايام حتى اذا أتت تريدك لم تَسطِع لها عنك مدفعا

(٦) عراك أصابك ونزل بك . وأشرع الرمح بسط اليد به وسدده . يقول : ظللت

بأَبي الْوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ ... يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السِّلَاحِ الأَدْمُعُ (١)

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السِّلَاحِ عَلَى الْبُكَا ... فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ (٢)

وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْ ... بَازِي الأُشَيْهِبُ وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ (٣)

مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسُّرَى ... فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لَا يَطْلُعُ (٤)

وَمَنِ اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ... ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ (٥)

قُبْحًا لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ ... وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ (٦)

— أقمت — تنظر الى الموت نظر العاجز لم تعمل رماحك ولا سيوفك فى دفع ما نزل بك اذ لا مدفع للموت (١) يقول: يفدى بأبى الوحيد المنفرد بما أصابه على كثرة ماله من الجيش ، يعنى أن المنية سلبته وحده فلم تغن عنه كثرة جيشه ، يبكى جيشه لما نزل به من الامر ولا يندفع بالبكاء شىء والدمع من شر الاسلحة (٢) يقول: اذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غناء فى البكاء ، انما تروع به القلب وتقرع به الخد ، أى أنه لا يجدى ولا يدفع شيأ (٣) الاشيهب تصغير الاشهب وهو الذى غلب عليه البياض . والابقع الذى فى صدره بياض وهو فى الطير والكلاب كالابلق فى الدواب . يقول: وصلت اليك — يخاطب المرثى — يد — يريد يد المنية — سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع ، فالبازى مثل للشريف والغراب مثل للوضيع . ويروى البازِ الاشهب بقطع همزة أل من الباز ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة أل قد وقعت فى أول الشطر الثانى فكأنه أخذ فى بيت ثان كما قال حسان

لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكًا فِى دِيَارِكُمُ ... أَللهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا

وقال الآخر

حَتَّى أَتَيْنَ فَتًى تَأَبَّطَ خَائِفًا ... أَلسَّيْفَ فَهْوَ أَخُو لِقَاءٍ أَرْوَعُ

(٤) المحافل جمع محفل وهو المجتمع . والجحافل جمع جحفل العسكر العظيم . والسرى يريد سير الجيوش ليلا للغارة والنير الكوكب الكثير النور والنيران الشمس والقمر (٥) يقول: ومن الذى اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم ؟ لقد ضاع قصادك بعدك ومثلك من لا يضيع فى حياته قاصده

(٦) يقول: قبح الله وجهك يازمان فان وجهك وجه توافرت فيه القبائح

أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِى شُجَاعٍ فَاتِكٍ ... وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِيُّ الأَوْكَعُ (١)
أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رَأْسِهِ ... وَقَفًا يَصِيحُ بِهَا أَلاَ مَنْ يَصْفَعُ (٢)
أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ ... وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ (٣)
وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ ... وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ (٤)
فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ ... دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ (٥)
وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السِّيَاطِ وَخَيْلُهُ ... وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالأَذْرُعُ (٦)

فكأنه اتخذ القبائح برقعا . فقوله قبحا مفعول مطلق نائب عن عامله من قولهم قبحه الله أى أقصاه ونحاه عن الخير واللام من قوله لوجهك لبيان المفعول كما يقال سقيا له . والقبح فى المصراع الثانى ضد الحسن (١) الأوكع فى الاصل الذى أقبلت ابهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة وأكثر ما يكون ذلك للإماء اللواتى يكددن فى العمل ويقولون أمة وكعاء أى حمقاء وعبد أوكع أى أحمق أولئيم . والاستفهام هنا للتعجب ، يتعجب من موت أبى شجاع فاتك فى جوده وفضله مع بقاء حاسده — يعنى كافورا — الاحمق أو اللئيم (٢) يقول : ان كافورا لسقوطه أهل للإذلال فكأن قفاه يصيح الا من يصفع ولكن الايدى التى حوله مقطعة لا تقدر على صفعه، أى ليس عنده من فيه خير إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الايقاع به . وهذا استطراد من المتنبى

(٣) يخاطب الزمان يقول : أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم أى هو — كافور — أكذب من بقى من الكاذبين ، وأخذت أصدق القائلين والسامعين — أى أصدق الناس — يعنى المرثى

(٤) الريحة والريح واحد . وتتضوع تفوح . (٥) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا ، يعنى أنه كان صاحب طرد وصيد (٦) ثمر السياط العقد التى تكون فى عذباتها . وأوت عادت اليها ورجعت . والسوق جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لانه أبدا كان يضربها بسياطه لركض فى قصد عدو أو طرد ، وهى فى شدة جريها كأن سوقها وأذرعها ليست منها كأنها كانت ترميها عن أنفسها ، والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت اليها

وعَفا الطِّرَادُ فلاَ سِنَانٌ رَاعِفٌ   فَوْقَ القَنَاةِ ولا حُسَامٌ يَلْمَعُ[١]

ولَّى وكلُّ مُخَالِمٍ ومُنَادِمٍ   بَعْدَ اللُّزُومِ مُشَيِّعٌ ومُوَدِّعُ[٢]

مَنْ كانَ فيهِ لِكلِّ قَوْمٍ مَلْجَأً   ولِسَيْفِهِ فى كلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ[٣]

إِنْ حَلَّ فى فُرْسٍ فَفِيها رَبُّها   كِسْرَى تَذِلُّ لهُ الرِّقابُ وتَخْضَعُ[٤]

أَوْ حَلَّ فى رُومٍ فَفِيهَا قَيْصَرٌ   أَوْ حَلَّ فى عُرْبٍ فَفِيهَا تُبَّعُ[٥]

قَدْ كانَ أَسْرَعَ فارِسٍ فى طَعْنَةٍ   فَرَساً ولَكِنَّ المَنِيَّةَ أَسْرَعُ[٦]

لا قَلَّبَتْ أَيْدِى الفَوَارِسِ بَعْدَهُ   رُمْحاً ولا حَمَلَتْ جَوَاداً أَرْبَعُ[٧]

وقال فى صباه

بِأَبِى مَنْ وَدِدْتُهُ فافْتَرَقْنا   وَقَضَى اللهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِمَاعا[٨]

---

(١) يعنى بالطراد مطاردة الفرسان فى الحرب . والراعف الذي يسيل منه الدم من رعاف الأنف . والقناة الرمح والحسام السيف القاطع . يقول : ذهب ذلك واندرس بموته (٢) و (٣) المخالم الصديق وأصل الخلم مربض الظبية أو كناسها تتخذه مألفا وتأوى اليه فهو من هذا . والمنادم النديم . ومن فى البيت الثانى فاعل ولى . والمرتع المرعى . يقول : ولى وذهب من كان ملجأ أوليائه وكان لسيفه مرتع فى كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين (٤) و (٥) يقول : إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل فى العجم لكان ملكهم كسرى وكذلك فى كل قوم،فقوله ففيها أى فهو فيها ومثله فى البيت الثانى وكسرى بيان لرب والجملة بعده حال

(٦) فرسا نصب على التمييز . يقول : كان أسرع الفرسان فى الطعان أى كان اذا طعن لم يدرك ولكن المنية كانت أسرع منه (٧) يقول : ان الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده . فهو يقول — على طريق الدعاء — : لا حمل الفرسان بعده رمحا ولا حملت الخيل قوائمها (٨) بأبى هذه الباء باء التفدية أى أفدى بأبى من وددته

فَافْتَرَقْنا حَوْلاً فلمَّا الْتَقَيْنا　　كانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعا(١)

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه اليه

مَوْقِعُ الخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ　　وَلَوَ أَنَّ الجِيَادَ فِيهَا أُلُوفُ(٢)

وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْـ　　ـفَ وَذَاكَ المُطَهَّمُ المَعْرُوفُ(٣)

مَا لَنا فى النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارٌ　　كلُّ ما يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ(٤)

أى جعل فداه له (١) يقول: كان تسليمه على عند اللقاء توديعا لفراق ثان . وفى هذا يقول على بن جبلة العكوك

رَكِبَ الاهوالَ فى زَوْرتِهِ　　ثم ما سلم حتى ودعا

ويقول الآخر

بأبى وأمى زائر متقنع　　لم يخف ضوء البدر تحت قناعهِ

لم أستتمَّ عناقَهُ للقائه　　حتى ابتدأتُ عناقه لِوَداعه

(٢) الطفيف القليل الحقير من قولهم طف له الشىء وأطف واستطف اذا أمكن فالطفيف الممكن غير المتعذر . يقول: ان عطاياك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس اليها نزرا قليلا ولو كان فى هذه الخيل التى تهبها ألوف من الجياد

(٣) المطهم التام الجمال . يقول : ان من الألفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها وتلك اللفظة هى لفظة المطهم ، يعنى أنك أمرتنى أن أختار وصف فرس تهبه إلى والذى اختاره هو المطهم وهو المعروف عند أهله أى أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف ان ما يوصف به هو التام المحاسن الخالى من العيوب . والاشارة بقوله وذاك الى الوصف لان المطهم وصف

(٤) يقول : أنك سألتنى الوصف فذكرت وصفا واحدا امتثالا لامرك فاما الذى عندى فهو أنه لا اختيار لنا عليك فيما تهب لان ما تمنحه جليل شريف لانك جليل شريف

وأهدى إليه رجل يعرف بأبى دلف بن كنداج هدية
وهو معتقل بحمص وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى
الذى اعتقله فكتب اليه من السجن*

أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ ... وَالسِّجْنِ وَالْقَيْدِ يا أَبا دُلَفِ (١)
غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بى ... وَالجوعُ يُرْضِى الأُسُودَ بالجِيفِ (٢)

* كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكان صديقا له من قبل . قال صاحب الصبح المنبى لما اشتهر أمر المتنبى وشاع ذكره وخرج بأرض سلمية من عمل حمص فى بنى عدى قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها كوتكين وجعل فى رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف فقال المتنبى

زَعَمَ الْمُقِيمُ بِكُوتَكِينَ بأَنَّهُ ... مِن آلِ هاشِمِ بن عبد مَنافِ
فَأَجَبْتُهُ مُذْ صِرتَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ... صارَت قُيُودُهُمْ مِنَ الصَفصافِ

ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب الى الوالى

بِيَدِى أَيُّها الأميرُ الأريبُ ... لا لِشَىْءٍ إلاَّ لأنى غَرِيبُ
أَولأُمٍّ لها إذا ذَكَرَتْنى ... دَمُ قَلْبٍ بِدَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ
إنْ أَكُنْ قبلَ أنْ رَأَيْتُكَ أخطأ ... تُ فإنِّى عَلَى يَدَيْكَ أَتوبُ
عائِبٌ عابَنى لَدَيْكَ ومِنهُ ... خُلِقَتْ فى ذَوِى الْعُيُوبِ العيوبُ

وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان (١) اهون بكذا أى ما أهونه صيغة تعجب . والثواء الاقامة يريد مقامه فى السجن . يقول : ما اهون على هذه الاشياء ؟ اى انى وطنت نفسى عليها ومن وطن نفسه على شىء هان عليه وان اشتد كما قال كثير

فَقُلْتُ لها يا عَزُّ كلُّ مُصِيبَةٍ ... إذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لها النفسُ ذَلَّتِ

ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك (٢) كان ابو دلف هذا قد بر المتنبى وهو فى السجن واهدى اليه هدية . يقول : قبلت برك بى اضطرارا لا اختيارا لاحتياجى اليه كالاسد يرضى بأكل الجيف اذا لم يجد غيرها لحما . وفى مثل هذا يقول المهلبى الوزير

مَا كُنتَ إلاَّ كلحمٍ مَيْتٍ ... دَعَا إلى أَكلِهِ اضْطِرَارُ

كُنْ أَيُّهَا السِّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ ... وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ [1]

لَوْ كانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً ... لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ ساكِنَ الصَّدَفِ [2]

وقال يمدح أبا الفرج احمد بن الحسين القاضى

لِجِنِّيَّةٍ أَمْ غَادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ ... لِوَحْشِيَّةٍ لاَ مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ [3]

ومثله لابى على البصير

لَعَمرُ أَبِيكَ ما انتسبَ المُعلَّى ... إلى كَرَمٍ وفى الدُّنيا كريمُ

ولكنَّ البلادَ اذا اقشعرّتْ ... وصوَّحَ نبتُها رُعِىَ الهشيمُ

ومثله قول الآخر

فلا تحمَدُونى فى الزِيارةِ إنَّنى ... أزورُكُمُ إذ لا أرى مُتعلَّلا

ومثله

خُذ ما أتاكَ مِنَ اللئا ... مِ إذَا نأَى أَهْلُ الكَرَمْ

فالأُسدُ تَفْتَرِسُ الكِلا ... بَ إذَا تَعَذَّرَتِ الغَنَمْ

(١) المعترف والعروف الصابر على ما يصيبه . يقول للسجن : كن كيف شئت من الشدة فانى صابر عليك (٢) السكنى اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بى نقصا لما كان الدر على شرف قدره ساكنا فى الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه فى السجن بالدر فى الصدف (٣) لجنية أراد ألجنية فحذف همزة الاستفهام . والغادة والغيداء المرأة الناعمة . والسجف جانب الستر اذا كان بنصفين . وقوله لوحشية يجوز أن يكون استفهاما كالأول ويجوز أن يكون جوابا لنفسه كأنه قال ليس لجنية ولا لغادة بل هو لوحشية أى لظبية وحشية ثم رجع منكرا على نفسه فقال ما لوحشية شنف — والشنف ما يعلق فى أعلى الاذن — يعنى أن السجف الذى رفع إنما رفع لأنسية لان عليها شنوفا والوحشية لا شنف لها ، يتعجب من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء والعرب اذا بالغت فى مدح شىء جعلته من الجن كما قال قائلهم

جِنِّيَّةٌ أَوْ لها جِنٌّ يُعَلِّمُها ... رَمْىَ القلوبِ بقَوْسٍ ما لها وَتَرُ

نَفُورٌ عَرَتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَاذَبَتْ سَوالِفُهَا وَالْحَلْيُ وَالْخَصْرُ وَالرِّدْفُ (١)

وَخَيَّلَ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا تَثَنَّى لنا خُوطٌ وَلاحظَنَا خِشْفُ (٢)

زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهْيَ نَقْصُ زِيادَتِي وَقُوَّةُ عشقٍ وَهْيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ (٣)

هَرَاقَتْ دمِي مَنْ بِي من الوَجْدِ مَا بِهَا * من الْوَجْدِ بِي والشَّوْقُ لِي ولَهَا حِلْفُ (٤)

وَمَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتَهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَسَاهَا ثِيَاباً غَيْرَهَا الشَّعَرُ الوَحْفُ (٥)

---

(١) السوالف جمع السالفة صفحة العنق . وعرتها أصابتها . والمراد بالحلى هنا عقدها . يقول : هى نفور طبعا وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان فنفرت من رؤية الرجال اياها فتجاذبت سوالفها والحلى يعنى أن العقد الذى كانت تتحلى به جذب عنقها بثقله والعنق أمسكه فحصل التجاذب ، وردفها يجذب خصرها لعظم الردف ودقة الخصر (٢) المرط كساء من صوف أوخز،وخيل منها مرطها أى مثلها من قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى أى يرون ذلك كالخيال.والخوط الغصن.والخشف ولد الناقة . يقول : ان مرطها — ثوبها — أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة فاذا هي كغصن بان يتثنى وظبى يرنو — ينظر — وخص القامة واللحظ لان المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ ، وروى ابن جنى وخبل بالباء الموحدة والخبل الذى قطعت يداه هذا أصله والمراد أن مرطها ستر محاسنها فكان ذلك خبلا منه لها

(٣) يقول : حالى أو شأنى زيادة شيب وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتى ، وقوة عشق وهذه القوة ضعف أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن كما قال القائل

وأَسَرُّ فِي الدُنْيا بِكلِّ زِيادةٍ وزِيادَتِي فيها هوَ النَقْصُ

وكما قال المتنبي — وقد تقدم —

مَتَى ما ازدَدْتُ مِنْ بعدِ التَنَاهى فقد وقع انتقاصِى فى ازديادى

(٤) هراقت أراقت والهاء بدل من الهمزة . والحلف الملازم . يقول : أراقت دمى بحبها تلك التى أجد بها من الحب ما تجد بى ، والشوق لى ولها ملازم ، أى أنى أحبها فتحبنى وأشتاق اليها كما تشتاق لى . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول بى من الوجد بها ما بها من الوجد لى لكان أشد اعتدالا لكنه للوزن حذف بعضه للعلم

(٥) الوحف الكثير الملتف . يقول : ان لها من الشعر الكثيف الملتف مايقوم لها فى

وقابلَنى رُمَّانتَا غُصْنِ بَانةٍ يَمِيلُ بهِ بَدْرٌ ويُمْسِكُهُ حِقْفُ (١)

أكَيْدًا لَنَا يابَيْنُ واصلْتَ وَصلَنَا فَلاَ دارُنا تَدْنو ولاَ عَيشُنَا يَصفُو (٢)

أُرَدِّدُ وَيْلِى لَوْ قَضَى الوَيْلُ حَاجةً وَأُكْثِرُ لَهْفِى لَوْ شَفَى غُلَّةً لَهْفُ (٣)

ضَنًى فى الهَوَى كالسُّمِّ فى الشَّهْدِ كامِناً لَذِذْتُ به جهلاً وَفى اللَّذَّةِ الحَتْفُ (٤)

فأَفْنَى وَمَا أَفْنَتْهُ نَفْسِى كأنَّمَا * أَبُوالفَرَجِ القاضى لهُ دُونَها كَهْفُ (٥)

قَليلُ الكَرَى لوكانَتِ البِيضُ والقَنَا * كآرائهِ مَا أغْنَتِ البَيضُ والزَّغْفُ (٦)

سترها اذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر الى قول القائل

رأتْ عينَ الرقيب علَى تدانٍ فأسبلت الظلام على الضياء

(١) الحقف ما اعوج من الرمل . أراد بالرمانتين ثدييها وبالغصن قدها وبالبدر وجهها وبالحقف ردفها ، يعنى : أنها قامت عند الوداع بحذائى فقابلنى من ثدييها رمانتان على قد كالغصن يميله وجه كالبدر والمعنى أنها إذا قصدت شيئا بوجهها مالت اليه نحو الوجه فكأن وجهها يميل قامتها ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة فلا تقدر على سرعة الحركة (٢) أكيدا أى أتكيد كيدا ، فهو منصوب على المصدر . يقول : أتكيد لنا أيها البين — البعد — فتواصل وصلنا — أى تلازمه — أى كلما تواصلنا تعرض لنا فتفرقنا فلا تدنو لنادار ولايصفولنا عيش (٣) ويل كلمة يقولها كل واقع فى هلكة واللهف التحسر على مافات . والغلة العطش وحرارة الجوف . يقول : انى أكثر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدى أياهما ، وهذا على حكاية ما كان يقول (٤) ضنى مبتدا خبره فى الهوى وهو شبه الهزال من المرض وكامنا حال من السم . والحتف الموت . يقول : فى الهوى ضنى مستتر كما يكمن السم فى الشهد — العسل — اذا مزج به ، وقد استلذذت الهوى جهلا بذلك الضنا وحتفى فى تلك اللذة (٥) فأفنى أى الضنى . والكهف هنا الملجأ . يقول : فأفنى الضنى نفسى وما أفنيته كأن الممدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على افنائه . وهذا من حسن التخلص (٦) البيض الأولى بكسر الباء السيوف والثانية بفتح الباء جمع بيضة الخوذة من حديد . والقنا الرماح والزغف جمع زغفة الدرع السابغة أى اللينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله

يَقُومُ مقَامَ الجيشِ تقطيبُ وَجهِهِ * وَيستغرقُ الأَلفاظَ مِن لفظِهِ حرف (١)

وَإِنْ فَقَدَ الاعطَاءَ حنّتْ يمينُه إِليهِ حنينَ الإِلفِ فَارَقَهُ الإِلفُ (٢)

أَديبٌ رَسَتْ لِلعِلْمِ فى أَرْضِ صَدْرِهِ جِبالٌ جبالُ الأَرْضِ فى جَنْبِهَا قُفُّ (٣)

جَوَادٌ سَمَتْ فى الخيرِ وَالشرِّ كفُّهُ سمُوًّا أَوَدَّ الدهرَ أَنَّ اسْمَه كَفُّ (٤)

بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله من المجد والعلاء، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما أغنت الدروع والخوذ عن أصحابها شيأ. وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام

يَقْظانُ أحصدت التجارب عَقْدَه شَزْرا وثَقَّف حزمَه تثقيفا
واستل من آرائه الشعلَ التى لو أنهن طُبِعن كُنَّ سيوفا

(١) يقال: قطب وجهه اذا جمع ما بين عينيه عبوسا. يقول: هو مهيب اذا عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش، وإذا قال قام القليل من كلامه مقام الخطب الطوال فهو لبلاغته يجمع المعانى الكثيرة فى اجزأ اختصار، وفى مثل هذا يقول البحترى

وإذا خِطابُ القَوْمِ فى الخطبِ اعتلَى فَصَلَ القَضِيَّةَ فى ثلاثةِ أحرُفِ

(٢) يقول: ألفت يده الاعطاء حتى لو لم يعط لحنت — اشتاقت — يده إلى الاعطاء كما يحن الالف إلى الالف اذا فارقه. وفى مثله يقول أبو تمام

وَاجِدٌ بالعَطَاءِ مِنْ بُرَحاءِ الشوْ قِ وِجْدَانَ غيرِه بالحبيبِ

(٣) القف الغليظ من الارض لايبلغ أن يكون جبلا، واستعار لعلمه اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الارض لان الجبال تكون على الارض ثم فضلها على جبال الارض فضل الجبال على القفاف، يعنى ان جبال الارض تصغر فى جنب جبال العلم التى فى صدره (٤) أود الدهر حمله على أن يود ويتمنى. والدهر وعاء الخير والشر والعرب تعزو اليه مايوجد فيه. يقول: ان لكفه الذكر العالى فى كل خير لأوليائه وشر لاعدائه — لأنهما يصدران منه — حتى أن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشارك كفه — الذى هو مجمع الخير والشر — فى الاسم فيسمى الكف ولا يسمى الدهر لان كفه أغلب فيهما من الدهر

وَأَضْحَى وَبَينَ النَّاسِ فِي كُلِّ سَيِّدٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي سِيَادَتِهِ خُلْفُ (١)

يفَدُّونَهُ حتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ ... لِجَارِي هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمِ تَقْفُو (٢)

وُقُوفَينِ فِي وَقْفَيْنِ شُكرٍ وَنَائِلٍ ... فَنَائِلُهُ وَقْفٌ وَشُكْرُهُمُ وَقْفُ (٣)

وَلَمَّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشْفُنَا * عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ (٤)

وَمَا حَارَتِ الأَوْهَامُ فِي عُظْمِ شَأْنِهِ ... بِأَكْثَرَ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ (٥)

وَلَا نَالَ مِنْ حُسَّادِهِ الْغَيْظُ وَالأَذَى ... بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفْرِهِ الْعُرْفُ (٦)

---

(١) يقول : أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يدافع فى ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف (٢) تقفو تتبع . يقول : من حب الناس اياه يقولون له نفديك بأنفسنا فكأن هواه جرى أولا فى عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم ، أى أن حب الناس اياه أشد من حبهم أنفسهم (٣) وقوفين نصب على الحال منه ومن الناس والعامل فيه يفدونه كما تقول رأيتك راكبين أى أنا راكب وأنت راكب ، وأراد بالوقوف الواقف مصدر يوصف به الواحد والجمع . يقول : ان الناس والممدوح فريقان واقفان فى شيئين وقفين — محبوسين — أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثانى على الممدوح من الناس وهو الثناء يعنى أنه أبدا يعطى والناس أبدا يشكرونه . وفى مثل هذا يقول ابن الرومى

أموالُه وَقفٌ على تنقيلنا ... وثناؤُنا وقفٌ على تحقيقِه

« تنقيلنا اصلاحنا من نقل الخف أو النعل رقعه وأصلحه »

(٤) يقول : لما فقدنا نظيره ولم نجد مثله فى المجد والسخاء كشفنا — بحثنا — عن أحد يشاكله وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد أى لم نجد أحدا وانكشف — افتضح او زال وبطل — الكشف — اى البحث — لانا يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظير (٥) يقول : حارت الاوهام فى عظم شأنه ، والطرف — النظر — فى حسنه وجماله ، وليست حيرة الاوهام بأكثر من حيرة الطرف ، اى أنه بلغ الغاية فى العظمة والحسن (٦) الوفر المال . والعرف الجود واصطناع المعروف . يقول : ان الحسد قد نال من حساده واثر فيهم نقصا وهزالا كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ،

تفكّرُهُ علمٌ ومَنْطِقهُ حكمٌ وَباطِنُهُ دينٌ وَظاهرهُ ظَرْفُ [1]

أَمَاتَ رِيَاحَ اللُّؤمِ وَهْيَ عَواصِفٌ ومغْنَى العُلَى يُودِي وَرَسْمُ النَّدَى يعفُو [2]

فَلَمْ نَرَ قبلَ ابْنِ الحسَيْنِ أَصَابعاً إِذَا مَاهطَلْنَ اسْتَحيَتِ الدِّيَمُ الوُطْفُ [3]

وَلا ساعياً فى قُلَّةِ المَجْدِ مُدْرِكاً بأَفْعَالهِ مالَيْسَ يُدْرِكُهُ الوَصْفُ [4]

وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا (١) يقول : اذا فكر فانما يفكر فى العلم واذا نطق نطق بالحكمة وباطنه ينطوى على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الاخلاق . قال الخزيمى

فتًى جهرُهُ ظَرف وباطِنُهُ تُقًى تَزَيَّنَ ما يُخفِى بِصالحِ ما يُبدِى

قال ابن جنى: هذه القصيدة من الضرب الاول من الطويل وعروض الطويل أبدا تجيء مقبوضة على مفاعلن إلا ان يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن او فاعولن فيتبع العروض الضرب وليس هذا البيت مصرعا وقد جاء عروضه على مفاعلن وهو تخليط منه،واقرب ما يصرف اليه ان يقال انه رد مفاعلن إلى أصلها لضرورة الشعر كما ان للشاعر اظهار التضعيف وصرف ما لا ينصرف واجراء المعتل مجرى الصحيح وقصر الممدود ونحو ذلك مما ترد فيه الاشياء إلى اصولها. قال الواحدى:ولو هو قال ومنطقه هدى او تقى لصح الوزن (٢) اللؤم ضد الكرم اى الخسة . والمغنى المنزل . ويودى يهلك . والرسم اثر الديار . ويعفو ينمحى . والواو فى قوله ومغنى العلا واو الحال . ولما استعار للؤم رياحا استعار للعلى مغنى وللندى رسما اذ ان الرياح تعفو الرسوم وتمحو المغانى. يقول: سكن الممدوح رياح اللؤم عن مغنى العلى ورسم الندى وقد كادت تعفوهما ، اى ان اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم

(٣) هطلت السماء اشتد انصباب مائها . والوطف جمع الوطفاء وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها . والديم جمع الديمة وهى المطر يدوم أياما . يقول : لم ير قبل هذا الممدوح أحد اذا أعطى استحيت السحب وخجلت من عطائه.وفى هذا يقول أبو نواس.

إن السَحَاب لَتَسْتَحْيِي إذا نظرَتْ إلى نَدَاكَ فقاسته بما فيها

(٤) قلة المجد أعلاه . يقول: ان الممدوح أدرك بمساعيه الحسام وأفعاله الضخام فى

وَلَمْ نَرَ شيئاً يَحْمِلُ العِبْءَ حَمْلَهُ وَيَسْتَصْغِرُ الدُّنْيا وَيَحْمِلُهُ طِرْفُ (١)

وَلاَ جلَسَ البَحْرُ المُحيطُ لِقاصِدٍ * وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ (٢)

فَوَاعجباً مِنّى أُحاوِلُ نَعْتَهُ * وَقدْ فَنِيَتْ فيهِ القَرَاطِيسُ وَالصُّحْفُ (٣)

وَمِنْ كَثْرَةِ الأَخْبارِ عَنْ مَكْرُماتِهِ يَمُرُّ لهُ صِنْفٌ وَيأْتِى لهُ صِنْفُ (٤)

وَتَفْتَرُّ مِنْهُ عَنْ خِصَالٍ كأَنَّهَا ثَنايَا حَبِيبٍ لا يُمَلُّ لهَا رَشْفُ (٥)

قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمِ * كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كالذَّنَبِ الأَنْفُ (٦)

قلة المجد ما لايدركه الوصف وقد انفرد بذلك دون غيره (١) العبء الحمل الثقيل . والطرف الفرس الكريم . يقول : أنه يحمل من أثقال المهمات مالايستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة وهو مع ذلك يحمله طرف وذلك لعظمة نفسه وبعد مرتقى همته وقوة نجدته إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم (٢) جعله كالبحر المحيط بالدنيا فى كثرة عطاياه وغزارة نداه يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يقله ومن فوقه سقف يظله (٣) القراطيس جمع قرطاس الورق . والصحف جمع الصحيفة الكتاب . وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام

تركتهم سيراً لو أنها كتبت لم تبق فى الارض قرطاساً ولاقلما

(٤) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لاحد لها ولذلك تتجدد يمر صنف منها ويأتى غيره وهكذا حتى لاآخر لها . ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه أى لكثرة مايسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتى صنف يقصدونه وقوله له أى لأجله (٥) وتفتر أى الأخبار اى تسفر وتنجلى وأصله الابتسام اذا بدت له الاسنان . شبه خصاله فى حسنها وحلاوتها بثنايا حبيب لا يمل رشف — مص — ريقها (٦) يقول : إنى قصدتك والحال ان الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ولكنى آثرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الانف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الحطيئة

قومٌ همُ الانفُ والأذنابُ غيرهمُ ومن يُسوِّى بأنف الناقة الذنبا

وقد كان الحطيئة مدح بهذا قوما كانوا ينبزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه فلما قال فيهم هذا فخروا بلقبهم

ولا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ والتِّبْرُ واحِدٌ نَفُوعانِ لِلْمُكْدِي وبَيْنَهُما صَرْفُ (١)

ولَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الغَيْثُ دُونَهُ * ولا مُنْتَهَى الجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفُ (٢)

ولا واحِدًا فِي ذَا الوَرَى مِنْ جَماعَةٍ ولا البَعْضَ مِنْ كُلٍّ ولَكِنَّكَ الضِّعْفُ (٣)

ولا الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفُ (٤)

(١) نفوعان أى هما نفوعان . والمكدى الفقير الذى لاخير عنده . والصرف الفضل تقول له على صرف أى فضل والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة سواء وان اجتمعا فى المنفعة وكذلك الفرق بينك وبينهم . ومثل هذا لابن الرومى

وجدتكمو مثل الدنانير فيهم وسائر هذا الخلق مثلَ الدراهم

(٢) يقول: لست خسيسا فيرتجى الغيث دونك ولا ترتجى أنت . وليس وراءك للجود منتهى ، يعنى أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك كما قال بعضهم

ما قصَّر الجودُ عنكم يابنى مطر ولا تجاوزكم يا آلَ مسعود

يَحُل حَيثُ حللتم لايفارقكم ما عاقب الدهر بين البيض والسود

وقال أشجع السلمى

فما خَلْفَه لامرىء مطمع ولا دونه لامرىء مَقنع

وقال أبو تمام

اليك تناهَى المجدُ من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث تصير

وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ورفع خلف لانه جعله اسما لاظرفا (٣) ولا واحدا عطف على خبر ليس فى البيت السابق . يقول : ولست واحدا من جماعة الناس ولا بعضا من كلهم ولكنك ضعف جميعهم أى أنت تغنى غناءهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشىء على الشىء (٤) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين فتكون أنت ضعف ضعف الضعف ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ونصب مثله لانه نعت نكرة — وهو ألف — قدم عليها كما قال القائل

* لمية مُوحِشاً طلَلُ *

أَقاضِيَنا هَـذا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ غَلِطْتُ ولا الثُّلْثانِ هذا ولا النِّصْفُ (١)
وَذَنْبِي تَقْصِيرِي وَماجِئْتُ مادِحاً بِذَنْبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسأَلُ أَنْ تَعْفُو (٢)

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسَناً * فقال كيف تراه

فقال مرتجلا

بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْ مُباشِرِهِ الحُتُوفُ (٣)
فَدَعْهُ لَقًى فإِنَّكَ مِنْ كِرامٍ جَوَاشِنُها الأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ (٤)

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلماناً له ليوقعوا به فلحقوه بظاهر حلب ليلا فرماه أحدهم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبي العشائر فقال أبو الطيب *

وألف خبر مبتدا محذوف أي بل أنت ألف مثله . وفي هذا البيت من الفثاثة والتكلف والغلو ماترى (١) يقول : أنت أهل لما أثنيت به عليك ثم قال غلطت ـــ ليس هذا ثلثي ما أنت أهله ولا نصفه . والهمزة في أقاضينا للنداء (٢) يقول : إن تقصيري في مدحك ذنب والذنب لا يمدح به فأنا لم أجيء مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب * الجوشن الدرع

(٣) يقول : ان لابس هذا الجوشن ـ الدرع ـ يشق صفوف الاعداء يوم القتال آمنا على نفسه لحصانته ، ولا تعمل الحتوف ـ المنايا ـ في من لبسه (٤) لقى أي ملقيا يقول: ألقه ولا تلبسه فان مثلك يدفع عن نفسه بالرماح والسيوف لمكانه من الشجاعة ولا يحتاج الى الدروع ، وفي مثله يقول الآخر

وَنحنُ أُناسٌ لا حُصُونَ بأرضِنا نَلُوذُ بِها إلا القَنا والقواضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته واغدق عليه عطاياه فاوغر ذلك صدور قوم من حساده فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه فانشده أبو الطيب القصيدة الميمية التي مطلعها

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِي إلى مَنْ أُحِبُّهُ ... وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ (١)

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ ... حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفُ (٢)

وَكُلُّ وِدَادٍ لا يَدُومُ على الأذَى ... دَوَامَ وِدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ (٣)

فإنْ يكُنِ الفِعلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا ... فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ (٤)

وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ... وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنِيفُ (٥)

وقال فى عبده اذ أخذ فرسه وأراد قتله

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافَا ... أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنَافَا (٦)

وفيها يعرض ببنى حمدان أبناء عم سيف الدولة وكان ذلك بمحضر من أبى العشائر فلما خرج أبو الطيب الحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليوقعوا به وقد تقدم ذلك فى موضعه

(١) الى من احبه يعنى ابا العشائر — يقول : هو منتسب الى من احبه ولكنه مع ذلك ارادقتلى فللنبل حوالى من يديه صوت يخف بى (٢) يقول: لما ذكر اسم أبى العشائر هاج شوقى وحنينى اليه ، وما كان شوقى اليه فى هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع لان الكريم طبعه الالفة (٣) دوام نصب على المصدر يقول : ان كل وداد لايدوم مع معاناة الاذى كما دام ودادى للحسين — أبى العشائر — هو وداد ضعيف (٤) يريد ان احسانه أكثر من اساءته والقليل لايعفى الكثير ولايغلبه يقول: ان ساءنى بفعل واحد فقد سرنى بأفعال كثيرة ، وفيه نظر الى قول الآخر

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَنْ أَسَأْتُهُ ... بِصالِحِ أَيَّامِى وَحُسْنِ بَلَائِيَا

(٥) نفسى له أى أنا مملوك له اذ أسرنى باحسانه لكنه مالك عنيف لا يرفق بى كما قال الآخر

أريد حياته ويريد قتلى

وقوله نفسى الفداء لنفسه دعاء أى افديه بنفسى (٦) يعنى بالغادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله يقول : أعددت لهم سيوفا أجدع — أقطع — بها أنوفهم ،

لَا يَرْحَمُ اللّٰهُ أَرْؤُساً لَهُمُ — أَطِرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافَا(١)

مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ — وَأَنْ تَكُونَ المِئُونَ آلَافَا(٢)

يَاشَرَّ لَحْمٍ فَجَعْتُهُ بِدَمٍ — وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَافَا(٣)

قَدْ كُنْتَ أُغْنِيتَ عَنْ سُؤَالِكَ بِي — مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا(٤)

وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَعَرَّضَهُ — وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافَا(٥)

لَا يُذْكَرُ الخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلَا — تَتْبَعُكَ المُقْلَتَانِ تَوْكَافَا(٦)

إِذَا امْرُؤٌ رَاعَنِي بِغَدْرَتِهِ — أَوْرَدْتُهُ الغَايَةَ الَّتِي خَافَا(٧)

يعنى أنظلم به وأنكل (١) الهام جمع هامة أعلى الرأس . والاقحاف جمع قحف بكسر القاف العظم الذى فوق الدماغ يقول : لارحم الله رؤسهم التى أطارت السيوف قحوفها عن هامها

(٢) يقول : ماينقم السيف — أى ماينكر ويعيب ويكره — إلا قلة عددهم ، أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعا ، وأن تكون المئون منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا فقوله وأن تكون أى وأن لا تكون فحذف لا وهو يريدها (٣) الخامعات الضباع لأنها تخمع فى مشيها — أى تمشى مشى الأعرج — يقول — لمن قتل من عبيده : ياشر لحم أسلت دمه ففجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها (٤) كان هـذا العبد سأل عائفا عن حال المتنبي فذكر له من حاله مازين له الغدر به . وقوله سؤالك بى أى عنى كما قال تعالى فاسأل به خبيرا . وزجر الطير وعيافتها ضرب من التكهن كانت العرب تذهب إليه فكانت تنفر الطير فان نفر عن يمين تفاءلت أو عن شمال تشاءمت يقول — للعبد الذى قتله —: لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى إقدامك على وتعرضك للغدر به (٥) يقول : وعدت هذا السيف — يعنى سيفه — أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ولما اعترضت لسيفى بالغدر بى وأخذ خيلى خفت ان تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف ، أى أن لا أفى بوعدى إياه

(٦) التوكاف تفعال من الوكف وهو قطران الماء — جريانه — يقول لم يكن فيك خير تذكر به ولا تبكى عليك العين (٧) يقول : إذا راعنى — خوفنى — امرؤ بغدرته

قافية القاف

وَقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية

أَيَدْرِى الرَّبْعُ أَىَّ دَمٍ أَرَاقَا ... وَأَىَّ قلوبِ هذَا الرَّكْبِ شاقَا (١)

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ ... تلاَقَى فى جُسُومٍ مَا تَلاَقَى (٢)

وَمَا عَفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَلاًّ ... عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمِ وَسَاقَا (٣)

كافأته بالقتل وهو غاية ما يخافه المرء (١) هذا إستفهام إنكار واستعظام لما فعله الربع من قتله بشوقه الى أحبته . يقول : هل يدرى هذا الربع — ربع الاحبة — ما فعل من اراقة — سفح — دمى وما هاج فى قلبى من الشوق،وذلك أن وقوفه بالربع هيج شوقه وجدد له ذكرالاحبة فكان البكاء والنحيب وكانت اللوعة والاسى . وكان حق الكلام أن يقدم شاق على أراق لان الربع اذا لم يشق لم يرق الدم لكن الواو لا توجب الترتيب . وشاقه يشوقه حمله على الشوق (٢) يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربع — يعنى الاحبة — قلوب تلاقى — أى تتلاقى — فى جسوم ماتتلاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكروننا فكاننا نتلاقى بالقلوب كما قال ابن المعتز

إِنَّا عَلَى البِعادِ والتفَرُّقِ ... لَنَلْتَقِى بِالذِكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

(٣) يقول : لم تعف — لم تدرس — الرياح لهذا الربع منزلا فلا ذنب للريح فى دروس منازله إنما عفاه الحادى الذى ساق الابل بأهله فلولم يخرجوا منه لما درس الربع ، وهذ كما قال أبو الشيص

مَا فَرَّقَ الْأُلاَّفَ بَعْ ... دَ اللهِ إِلاَّ الْإِبِلُ

والنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا ... بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

وَمَا إِذَا صَاحَ غُرَا ... بٌ فِى الدِّيَارِ احْتَمَلُوا

ولا عَلَى ظَهْرِ غُرَا ... بِ الْبَيْنِ تُطْوَى الرِحَلُ

وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلـــلاَّ نَاقَةٌ أَوْ جَمَل

فَلَيْتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كانَ عَدْلاً ... فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا[1]

نَظَرْتُ إِلَيْهِمِ وَالْعَيْنُ شَكْرَى ... فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا[2]

وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَدْرُ فِيهِمْ ... وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقَا[3]

وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ ... يَقُودُ بِلاَ أَزِمَّتِهَا النِّيَاقَا[4]

وَطَرْفٌ إِنْ سَقَى الْعُشَّاقَ كَأْساً ... بِهَا نَقْصٌ سَقَانِيهَا دِهَاقَا[5]

---

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية وأن الهوى حمله مالا يطيق فجار عليه ، وهذا ينظر إلى قول الآخر

فَيَارَبِّ قَدْ حَمَّلْتَنِي فَوْقَ طَاقَتِي ... مِنَ الْحُبِّ حَمْلاً قَاتِلِي فَوْقَ مَا بِيَا

وإِلاَّ فَسَاوِ الْحُبَّ يَارَبِّ بَيْنَنَا ... يكونُ سواءً لا عليَّ وَلا لِيَا

(٢) عين شكرى ملأى بالدمع . والماق طرف العين مما يلى الانف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إلى الاحبة لدى إرتحالهم والعين ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كأن جميع الجوانب ماق يسيل الدمع منه

(٣) المحاق بضم الميم وكسرها نقصان القمر آخر الشهر . يقول : لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم الكمال فى الحسن والاشراق وأنا لسقمى كأنه أعطانى المحاق ، يعنى : أن الحبيب كان فى الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا فى الدقة والنحول كالقمر فى المحاق ، وقد أخذ هذا القائل

يَامَنْ يُحَاكِي الْبَدْرَ عِنْدَ تَمامِهِ ... إِرْحَمْ فَتًى يَحْكِيهِ عِنْدَ مُحَاقِهِ

(٤) الفرع الشعر . والضمير فى أزمتها للنياق وجاز تقديمه لأنه مؤخر فى الرتبة . لما جعله بدراً والبدر لايخص النور بعضه وصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور ، والنياق — جمع ناقة — الركب تهتدى بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة — جمع زمام — ويجوز أن يريد بالنور وجهه وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التى بين شعره وقدميه فبدأ بالوجه ثم ثنى بالطرف ثم ثلث بالخصر ، وفى هذا البيت نظر إلى قول أبى العتاهية

وَلَوْ أَنَّ رَكْباً يَمَّمُوكَ لَقَادَهُمْ ... نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ

(٥) دهاقا ملأى . يقول : وله طرف ساحر اذا سقى عشاقه كأساً ناقصة سقانيها مترعة ، يعنى أنه أعشق العشاق له ، وفيه نظر إلى قول القائل

وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الأَبْصَارُ فِيهِ　　كأَنَّ عليْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا[١]

سَلِي عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَيْفِي　　وَرُمْحِي وَالْهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا[٢]

تَرَكْنَا مِنْ وَرَاءِ الْعِيسِ نَجْدًا　　وَنَكَّبْنَا السَّمَاوَةَ وَالْعِرَاقَا[٣]

فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ　　لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ ائْتِلاقَا[٤]

ومَا لَبِسَ الْعُشَّاقُ مِنْ حُلَلِ الهوَى　　ولا أَخْلَقُوا إلاَّ الثِّيَابَ الَّتِي أُبْلِي

ولا شَرِبُوا كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ حُلْوَةً　　وَلا مُرَّةً إلاَّ شَرَابُهُمُ فَضْلِي

(١) يقول : أن الابصار تثبت فى خصره استحسانا له وتكثر عليه من الجوانب حتى تصير كالنطاق عليه . وفى هذا المعنى يقول بشار

وَمُكَلَّلاتٍ بِالْعُيُو　　نِ طَرَقْنَنِي وَرَجَعْنَ مُلْسا

« يريد بشار انهن لحسنهن تعلو الأبصار إلى وجوههن ورؤسهن حتى كأن لهن إكليلا من العيون » ويقول أبو العتاهية

أَحَاطَتْ عُيُونُ الْعَاشقِينَ بِخَصْرِهِ　　فَهُنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ

(٢) الهملعة الناقة السريعة . والدفاق المتدفقة فى السير. يخاطب محبوبته يقول : سلى عن حال سيرى هذه الاشياء تخبرك بأقدامى وتجلدى للأهوال ، يعنى انه كان وحده لم يصحبه غير ماذكر فلا يستخبر عن سيره غير الفرس والرمح والسيف والناقة (٣) العيس الابل البيض . والسماوة فلاة بين الشام والعراق . يقول : خلفنا — فى قصدنا إلى الممدوح — نجدا وراءنا وملنا عن طريق السماه وطريق العراق ومنتوانا حلب (٤) الائتلاق البريق والالتماع يقال ائتلق البرق وتألق اذا لمع . يقول : لم تزل العيس ترى نور وجه سيف الدولة فى ظلمة الليل يسطع لها فتستصبح به ويقتادها وهذا من قول سحيم

إذا نَحْنُ أَوْلَجْنَا فَأَنْتَ إِمَامُنَا　　كَفى لمطايانا بوجهِكَ هَادِيا

ومثله قول أبى الطمحان القينى

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ　　دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الجزعَ ثَاقِبُهُ

أَدِلَّتُهَا رِيَاحُ الْمِسْكِ مِنْـهُ ... إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا[١]

أَبَاحَكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الأَعَادِي ... فَلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقَا[٢]

وَلَوْ تَبِعْتِ مَا طَرَحَتْ قَنَاهُ ... لَكَفَّكِ عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا[٣]

وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْـهِ فِى طَرِيقٍ ... مِنَ النِّيرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقَا[٤]

إِمَامٌ لِلأَئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ ... إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقَا[٥]

يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَامًا ... وَلِلْهَيْجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقَا[٦]

---

(١) يقول : أدلة العيس فى طريقها الى سيف الدولة انتشاقها رياح المسك منه اذا فتحت مناخرها ، وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى

فَهَدَتْ عُيُونَهُمُ لَهُ أَضْوَاؤُهُ ... وَهَدَتْ أُنُوفَهُمُ لَهُ أَرْوَاحُهُ

ويقول أيضا

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْغِى لَنَا مَنْزِلاً ... فَقُلْ لَهُ يَمْشِى وَيَسْتَنْشِقُ

ولعلهم يريدون المعنى المجازى فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون بائتلاقه مجده ومكارمه (٢) التعرض القصد والرفاق جمع رفقة وهى الجماعة فى السفر . يقول : — للوحش — ان سيف الدولة اباحك أعداءه بأن قتلهم فلم تقصدين الرفاق التى تسير اليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة ايقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على من يمارسه ، قال الواحدى قوله فلم تتعرضين له الرفاقا تقديره فلم تتعرضين الرفاق له أى رفاقه (٣) تبع بمعنى اتبع . والرذايا المهازيل من الأبل واحده رذية . يقول : لوتتبعت أيها الوحش ماطرحت رماحه من القتلى لكفك ذلك عن مطايانا ولكان لك فيه غناء عن التعرض لنا لكثرته (٤) يقول: نحن آمنون فى طريقنا اليه حتى لوسرنا فى النيران ماقدرت على احراقنا ، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون اليه فى أمن وطمأنينة (٥) يقول : هو أمام للخلفاء — يعنى خلفاء بنى العباس — اذا شاقهم عدو — أى تمرد عليهم — يحذرون شقاقه — خلافه وعصيانه — تقدمهم اليه وكفاهم ذلك العدو وذلك لعلو قدره وارتفاع أمره وشدة سطوته . فقوله الى من يتقون متعلق بما فى امام من معنى التقدم وقد بين هذه الامامة فى البيت التالى (٦) يقول : فهو سيفهم الذى يبطشون به عند غضبهم واذا قامت حرب فهو ساقها الذى تعتمد عليه

فلاَ تَسْتَنْــكِرَنَّ لَهُ ابْتِسَاماً ... إِذَا فَهِقَ المَكَرُّ دَماً وَضَاقَا[1]

فَقَدْ ضَمِنَتْ لهُ المُهَجَ العَوَالِي ... وَحَمَّلَ هَمَّهُ الخَيْلَ العِتَاقَا[2]

إِذَا أُنْعِلْنَ فِى آثَارِ قَوْمٍ ... وَإِنْ بَعُدُوا جَعَلْنَهُمُ طِرَاقا[3]

وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيخُ إِلَى مَكَانٍ ... نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقا[4]

فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُما جَوَاباً ... وَكَانَ اللَّبْثُ بَيْنَهُما فُوَاقا[5]

---

(١) الفهق الامتلاء ومنه المتفيهق الذى يفهق فمه بالـكلام . والمكر مجال الحرب . يقول : لاتنكر تبسمه فى أهوال ساعة الحرب — وهو عند ضيق المكر بازدحام الابطال وامتلائه بالدم ، ثم بين علة ترك الانكار لتبسمه فى البيت التالى وفى مثل هذا يقول البحترى

ضحوكٌ إلى الأبطال وَهوَ يَرُوعهم ... وللسيفِ حدٌّ حين يسطو ورَوْنَقُ

(٢) العوالى الرماح . وهمه همته . والعتاق الخيل الكرام . يقول : لا تنكر ابتسامه فى هذه الحالة لانه لا كلفة عليه فى الحرب اذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه، واذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله فقد حملت همته وقد كشف عن هذا المعنى فى البيت التالى (٣) إنعال الخيل تصفيح أيديها بالحديد . والطراق نعل تحت نعل . يقول : اذا أنعلت خيله لقصد قوم أدركتهم فداستهم بحوافرها حتى تصير جلودهم ولحومهم طراقا لنعالها وان بعد المطلوبون ، ومثل هذا للحمانى

لَمْ تَشْكُ خَيْلُهُمُ الوَجَا مِنْ رَوْحَةٍ ... إلاَّ انْتَعَلْنَ مِنَ الدِّمَاءِ قَتِيلاَ

(٤) نقع ارتفع صوته وبعد . والصريخ المستغيث . والمؤللة المحددة يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْبَطِرِّ النَقْعِ دَامِيَةً ... كأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلاَمِ

يقول : اذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها المرهفة لاستماعه لانها تعودت اجابة المستغيث وان كان يدعو غيرها وهذا معنى قوله الى مكان أى الى مكان سوى مكانهن

(٥) الفواق بضم الفاء وفتحها مقدار ما بين الحلبتين ويضرب مثلا فى السرعة والفواق أيضا الشهقة الغالبة للانسان . يقول : ان خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطعان من غير بطء فى اجابته فتجعل الطعن جوابا ومقدار اللبث بين الاجابة وبين

مُلاَقِيَةً نَوَاصِيهَا المَنَايا مُعَاوِدَةً فَوَارِسُهَا العِنَاقَا[1]

تَبِيتُ رِمَاحُهُ فَوْقَ الهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ العَجَاجُ لَهَا رِوَاقَا[2]

تَمِيلُ كأَنَّ فِي الأَبْطَالِ خَمْرًا عُلِلْنَ بِهَا اصْطِبَاحًا وَاغْتِبَاقَا[3]

تَعَجَّبَتِ المُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا[4]

دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة أو فواق انسان أى لالبث بينهما . ولله سلامة بن جندل حين يقول

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ[1]

(١) النواصى جمع ناصية شعر مقدم الرأس. وملاقية ومعاودة حالان من الخيل والعامل فيهما المصدر من قوله وكان الطعن. يقول: ان خيله تلقى نواصيها المنايا مقدمة عليها بوجهها مسرعة وقد اعتادت فوارسها معانقة الابطال فى الحرب قالوا: والمعانقة آخر حالة فى الحرب وأولها الملاقاة من بعيد ثم المراماة بالسهام ثم المنازلة بالرماح ثم المنازلة الى الاقران ثم المعانقة

(٢) أراد بالهوادى أعناق الخيل والعجاج الغبار . يقول: تبيت رماحه فوق أعناق خيله فى سراه الى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم وكأنها من الغبار الذى تثيره تحت رواق

(٣) العلل الشرب مرة بعد أخرى . والاصطباح الشرب فى الصباح . والاغتباق الشرب فى العشى . يقول: تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خمر علت بها صباحا وغبوقا ، فهى لسكرها تميل وميلانها انما هو للينها ، وفيه اشارة إلى أنه كثير الغارات لاتفتر خيله جائلة غدوا وعشيا ، وفى مثل هذا يقول البحترى

يتعثَّرنَ فى النحور وفى الأو جُه سكرًا لما شرِبْنَ الدماء

(٤) يقول: شرب سيف الدولة الخمر فلم تغلبه الخمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه وذلك لقوته ومتانته ، ولما جاد بالمال لم يفق من سكر الجود ولم يصح من أريحيته ، وقد أحسن البحترى فى هذا المعنى

تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ الكُؤُوسِ عَلَيْهِمِ فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يُحْدِثْنَ فيك تَكَرُّما

---

(١) يقول: اذا استغاث بنا مستغيث كان جوابه الجد فى نصرته ويقال قرع لهذا الامر ظنبوبه اذا جد فيه والظنبوب طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنبوب

أَقامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايا ... فَلَمَّا فاقَتِ الأَمْطَارَ فاقا(١)

وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْماءِ مِنْهُ ... وَوَفَّيْنا الْقِيانَ بِهِ الصَّدَاقا(٢)

وَحاشَا لِارْتِيَاحِكَ أَنْ يُبارَى ... وَلِلْكَرَمِ الَّذِى لَكَ أَنْ يُبَاقَى(٣)

وَلَكِنَّا نُدَاعِبُ مِنْكَ قَرْماً ... تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حِقَاقا(٤)

فَتًى لا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ ... وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الأَسْرَى الْوِثاقا(٥)

وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَيَّ سَهْوًا ... وَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ مِنْكَ اسْتِرَاقا(٦)

فَأَبْلِغْ حاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّى ... كَبا بَرْقٌ يُحَاوِلُ بِى لَحَاقا(٧)

(١) يقول : أقام الشعر ببابه ينتظر عطاياه فلما فاقت عطاياه الامطار فى كثرتها فاق الشعر الامطار كذلك ، يعنى كثرت عطاياه وكثرت الاشعار فى مدحه

(٢) الدهماء يريد الفرس الدهماء أى السوداء . والقيان جمع قينة الجارية المغنية وغير المغنية . والصداق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاه فرسا وجارية . يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه ،أى ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه

(٣) حاشا كلمة للاستثناء والتبعيد للشىء . وبارى يجارى . ويباقى من البقاء . وقد استدرك فى هذا البيت ماذكره فى البيت السابق من انه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أى لجودك أن يبارى بشىء فهو أكثر من أن يعارضه شىء ، وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقى من كرم غيرك يعنى أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذى نجازيهما به (٤) القرم الفحل الكريم من الابل ثم أطلق على السيد الشريف والحقاق جمع حقة وهى التى دخلت فى السنة الرابعة فاستحقت الركوب والحمل . يقول : بيد أنى قلت ذلك — أى أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر — ممازحة ، فنحن نداعب منك سيدا كل سيد فى جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة فى جنب الفحل الكريم

(٥) يقول : اذا قتل قتيلا لم يأخذ سلبه ترفعا عن ذلك ولكن عفوه يسلب أسراه — جمع أسير — أغلالهم وقيودهم ، أى يعفو عنهم ويطلقهم (٦) يقول : انك لم تحسن الى غفلة منك وانما عن علم وتجربة أحسنت الى ، ولم أظفر باحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيأ ولكنى كنت أهلا لما أسديت وكنت أنت مصيبا فيما أوليت

(٧) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوننى عليك أنهم لايلحقوننى ولا يبلغون شأوى

وهَلْ تُغْنِى الرَّسَائِلُ فى عَدُوٍّ ... إِذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُبًى رِقَاقَا (١)

إِذَا ما النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ ... فَإِنِّى قَدْ أَكَلْتُهُمُ وَذَاقَا (٢)

فَلَمْ أَرَ وُدَّهُمْ إِلاَّ خِدَاعًا ... وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلاَّ نِفَاقَا

يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرٍ ... وَعَمَّا لَمْ تُلِقْهُ مَا أَلاَقَا (٣)

ولَوْلاَ قُدْرَةُ الْخَلاَّقِ قُلْنَا ... أَعَمْدًا كانَ خَلْقُكَ أَمْ وِفَاقَا (٤)

فَلاَ حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرْجًا ... وَلاَ ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقَا (٥)

وقال يمدحه ويذكر الفداء الذى طلبه رسول ملك الروم
وكتابه اليه

لِعَيْنَيْكِ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِى ... وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّى وَمَا بَقِى (٦)

لان البرق إذا حاول اللحاق بى كبا على وجهه — عثر وسقط — واذا لم يلحقنى البرق فكيف يلحقونى هم ؟ قال الواحدى : وتحميله الممدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله عليك . (١) الظبى جمع ظبة وهى حد السيف . وهذا استفهام إنكار . يقول : إن حاسدى لا تكفى أمرهم الرسائل إنما يكفى أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفينى منهم الرسالة إنما يشفينى منهم القتل بالسيف (٢) يقول : إنى أعرف المجربين الالباء بأحوال الناس لان غيرى اذا كان قد ذاقهم فأنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والآكل أعرف بالمأكول من الذائق (٣) ألاق الشيء أمسكه قال الشاعر

كفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمَا ... جُوداً وأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ دَمَا

يقول : كل بحر لا يبلغ شأوك فى الجود ، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم تمسكه وجدت به (٤) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقا — اتفاقا — أو عن عمد لاستبعاد الوهم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق

(٥) يدعو له . والهيجاء الحرب (٦) يقول : إن عينيك هما دائى فكل ما لقيه قلبى من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك ، وان الحب هو الذى أذاب جسمى

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ (١)

وَبَيْنَ الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَالْقُرْبِ وَالنَّوَى مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَقْرِقِ (٢)

وَأَحْلَى الْهَوَى مَاشَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ * وَفِي الْهَجْرِ فَهْوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي (٣)

وأكل لحمي فالذى لم يبق مني — وهو الذاهب — وما بقى كلاهما له يفنيه ويذهبه

(١) يذكر أنه عزهاة يعزف عن النساء ولا يميل إلى الغزل والعشق ولكن جفون عيني حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يعشق إلى العشق ، وفى هذا نظر الى قول صريع الغواني

وَمَا كَانَ لايصبُو ولكنَّ عَيْنَهُ رَأَتْ مَنْظَراً يُصْبِي القُلُوبَ فَرَانَهَا

(٢) يقول : انه يبكى فى كل حال رضى عنه المحبوب أو سخط عليه ، قرب منه أو بعد عنه لأنه فى حالة الرضى يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى البعد . والمترقرق الذى يجول فى العين ولا ينحدر وقد شرح هذا المعنى الحماسى حين يقول

وَمَا فِى الأرض أشقى من مُحِب وان وجد الهوى حُلوَ المَذَاقِ

تَرَاهُ بَاكِياً فِى كُلِّ وَقْتٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشْتِيَاقِ

فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقاً إِلَيهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِرَاقِ

فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِى وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التلاقِى

(٣) يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه شاكا بين الوصل والهجر لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً أما اذا تيقن الوصل فانه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء فالهوى عليه بلاء كله كما قال الآخر

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِى الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ يَاسِ

وفى هذا المعنى يقول قيس بن الرقيات

تَرَكْتِني واقِفاً على الشَّكِّ لَمْ أَصْدُرْ بِيأْسٍ مِنْكُمْ وَلَمْ أَرِدِ

ويقول ابن أبى زرعة الدمشقي

فَكَأَنِّى بَيْنَ الْوِصَالِ وَبَيْنَ الْـ ـهَجْرِ مِمَّنْ مُقَامُهُ الأَعْرَافُ

فِى مَحَلٍّ بَيْنَ الجِنَانِ وَبَيْنَ النَّـ ـارِ أَرْجُو طَوْراً وَطَوْراً أَخَافُ

وَغَضْبَى مِنَ الإِدْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصِّبَا   شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَيِّقِ (١)

وَأَشْنَبَ مَعْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ   سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِي (٢)

وَأَجْيَادِ غِزْلَانٍ كَجِيدِكِ زُرْنَنِي   فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ (٣)

وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلَا   عَفَافِي وَيُرْضِي الحِبَّ وَالخَيْلُ تَلْتَقِي (٤)

ولقد أحسن أبو حفص الشطرنجي فى قوله

وأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي   تُهَدَّدُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْعَتْبِ

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى   فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتْبِ

(١) وغضبى أى ورب غضبى. وريق الشباب أوله ومنه ريق المطر أوله . جعلها غضبى لفرط دلالها فهى ترى من نفسها الغضب دلالا على عاشقها ، وجعلها سكرى من الصبا والحداثة فهى مزهوة مختالة ثم جعل شبابه شفيعا اليها كما قال محمود الوراق

كَفَاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْباً عِنْدَ غَانِيَةٍ   وَبِالشَّبَابِ شَفِيعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

وقال البحترى

أَأُخِيبُ عِنْدَكِ وَالصِّبَا لِي شَافِعٌ   وَأُرَدُّ دُونَكِ وَالشَّبَابُ رَسُولِي

وقال أيضا

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الْهَوَى   أَلْفَاهُ نِعْمَ وَسِيلَةَ الْمُتَوَسِّلِ

(٢) وأشنب عطف على غضبى . والاشنب الابيض الاسنان الحسنها. والمعسول الحلو الذى كأن فيه عسلا. والثنيات الاسنان التى فى مقدم الفم . يقول : ورب حبيب حسن الاسنان حلو رضاب الثنايا واضح الوجه ــ ابيضه ــ تعففت عنه وتصونت بستر الفم منه عفة وتورعا كيلا يقبلنى فقبل رأسى اجلالا لى وميلا الى ، يريد أنه أحب وصله وتعفف هو عما لا يليق به (٣) الاجياد جمع جيد العنق . والعاطل الذى لا حلى عليه . والمطوق الذى قد تطوق بالحلى . يصف نفسه بالعفة والنزاهة وأنه قد زاره من الحسان عاطلات وحاليات فلم يعرف ذات الحلى ممن لا حلى عليها (٤) الحب بكسر الحاء المحبوب يقول : ليس كل عاشق عفيفا مثلى وقت الخلوة بالمحبوب ومع انى عفيف أرضى المحبوب فى الوعى ــ الحرب ــ بشجاعتى ؛ قال ابن جنى : سألته ــ المتنبى ــ عن معناه وقت القراءة عليه فقال المرأة من العرب تريد من صاحبها أن يكون مقداما فى الحرب فترضى

سَقَى اللهُ أَيَّامَ الصِّبَا مَا يَسُرُّهَا ... وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعَتَّقِ (١)

إِذَا مَا لَبِسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ ... تَخَرَّقْتَ وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ (٢)

وَلَمْ أَرَ كَالأَلْحَاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ ... بَعَثْنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ (٣)

حينئذ عنه . ومنه قول عمرو بن كلثوم

يَقُتْنَ جِيادَنا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ ... بُعُولَتَنا إِذا لَمْ تَمْنَعُونا

وفى مثل هذا المعنى يقول القائل

أَخَذْتُ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مِمَّا تُصِيبُهُ ... وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّى مَكانَ الْمُخَلْخَلِ

ويقول الآخر

لِى ما حَوَاهُ قِناعُها مِنْ فَوْقِ ما ... حَوَتِ الْجُيُوبُ وَلِى مَكانُ ثَرَاهَا

لَمْ تَلْفَ مُعْتَنِقَيْنِ لَيْسَ عَلَيْهِما ... حَرَجٌ سِوَاىَ مَعَ الْهَوَى وَسِوَاهَا

وقال العكبرى : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع محبة ائتلاف الارواح انما نمنع محبة اجتماع الأجسام فانما ذلك من طباع البهائم (١) البابلى الخمر نسبة الى بابل . يدعو لأيام الصبا يقول : سقاها الله مايورثها السرور والطرب ويفعل فعل الخمر المعتقة ، وهذا على عادة العرب من الدعاء بالسقيا وهو مجاز لان الايام ليست مما يسقى

(٢) يقول :ان الدهر مشتمل على ناسه اشتمال الثوب على لابسه بيد ان هذا الثوب ــ الدهر ــ باق لايبلى ــ أما ملبوسه ــ وهو الانسان ــ فانه يبلى ويفنى . ومن ثم يسمى الدهر الازلم الجذع ــ أى أنه باق على حاله لايتغير على طول اناه فهو أبدا جذع لايسن قال الأخطل

يا بِشْرُ لَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ ... أَلْقَى عَلَىَّ يَدَيْهِ الأَزْلَمُ الْجَذَعُ

وفى مثل هذا المعنى يقول ابن دريد فى مقصورته

إنَّ الجَدِيدَيْنِ إذا ما استَوْلَيا ... على جديد أدْنَياه لِلْبِلَى

(٣) بكل القتل أى بقتل فظيع يقول : لم أر مثل الالحاظ ولا مثل فعلها يوم رحيل الذين أحبهم ! بعثت لنا القتل أى قتلتنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها . والاصل فى هذا قول النابغة

فى إثْرِ غانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسِهامِها ... فَأَصابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ

أَدَرْنَ عُيُونًا حائِراتٍ كأَنَّها مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُها فَوْقَ زِئْبَقِ (١)

عَشِيَّةَ يَعْدُونَا عَنِ النَّظَرِ البُكا وَعَنْ لَذَّةِ التَّوْدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ (٢)

نُوَدِّعُهُمْ وَالبَيْنُ فِينَا كأَنَّهُ قَنَا ابْنِ أَبِي الهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقِ (٣)

« رماه فأقصده قتله فى المكان » (١) يقول: أكثرن — أى الحبيبات — من ادارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الموقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها — جمع حدق جمع حدقة سواد العين — مركبة على زئبق. وهو معروف أن الزئبق يوصف بقلة الثبات وبالترجرج، وقال بعضهم يصف عقعقا — طائر على شكل الغراب أو هو الغراب —

يُقلِّبُ عَيْنَيْنِ فِى رَأْسِهِ كأَنَّهُما قَطْرَتا زِيبَقِ

(٢) يعدونا يمنعنا ويصرفنا، والبكاء يمنع من النظر لان الدمع اذا امتلأت به العين غاض البصر كما قال القائل

نَظَرْتُ كأَنِّى مِنْ وَرَاءِ زُجاجَةٍ إِلى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبابَةِ أَنْظُرُ

وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ألا ترى الى قول البحترى

لا تَعْذُلَنِّى فى مَسِيرِ ى يَوْمَ سِرْتُ وَلَمْ أُلاقِكْ

إِنِّى خَشِيتُ مَواقِفاً لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكْ

وَذَكَرْتُ مَا يَجِدُ المُوَدْ دِّعُ عِنْدَ ضَمِّكَ واعْتِناقِكْ

فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا وَخَرَجْتُ أَهْرُبُ مِنْ فِراقِكْ

ومن هذا قول الآخر

يَوْمَ الفِراقِ شَكَوْتُ تَرْكَ وَدَاعِكُمْ والعُذْرُ فِيهِ مُوَسَّعٌ تَوْسِيعاً

أَوَهَلْ رَأَيْتَ وَهَلْ سَمِعْتَ بِوَاحِدٍ يَمْشِى يُوَدِّعُ رُوحَهُ تَوْدِيعاً

وقول الآخر

صَدَّنِى عَنْ حَلاوَةِ التَّشْيِيعِ حَذَرِى مِنْ مَرارَةِ التَّوْدِيعِ

لَمْ يَقُمْ أُنْسُ ذَا بِوَحْشَةِ هذا فَرَأَيْتُ الصَّوابَ تَرْكَ الجَمِيعِ

(٣) القنا الرماح. وأبو الهيجاء هو والد سيف الدولة. والفيلق الكتيبة من الجيش

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا ... إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسْجِ الْخَدَرْنَقِ (١)

هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجُيُوشِ كَأَنَّهَا ... تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ وَتَنْتَقِي (٢)

تَقُدُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ دِرْعٍ وَجَوْشَنٍ ... وَتَفْرِي إِلَيْهِمْ كُلَّ سُورٍ وَخَنْدَقِ (٣)

يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللُّقَانِ وَوَاسِطٍ ... وَيُرْكِزُهَا بَيْنَ الْفُرَاتِ وَجِلِّقِ (٤)

وَيُرْجِعُهَا حُمْرًا كَأَنَّ صَحِيحَهَا ... يُبَكِّي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّقِ (٥)

فَلَا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ ... شُجَاعٌ مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الطَّعْنُ يَشْتَقِ (٦)

يقول: ان البين — البعد — يفتك بنافتك رماح سيف الدولة بجيوش أعدائه. وهذا من حسن التخلص وهو بديع

(١) قواض قواتل يعني الرماح. ومواض نوافذ. ونسج داود الدروع. والخدرنق بالدال والذال العنكبوت. يقول: هي — أي رماح سيف الدولة — قواتل من يقصدها نوافذ فى دروع الابطال تخرقها اليهم كأنها تخرق نسج العنكبوت (٢) الاملاك الملوك. وتخير بحذف إحدى التاءين أى تتخير. والكماة جمع كمى البطل المستتر فى سلاحه. يقول: إن هذه الرماح تهدى أربابها أو تهتدى هى بنفسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تتخير الابطال، وفى مثل هذا يقول أبو تمام

قفا سند باباً والمنايا كأنها ... تُهَدَّى إلى الرُّوحِ الخَفِيِّ وتَهْتَدِي

(٣) الجوشن الدرع: يقول لا تحصنهم منها الدروع فانها تقدها — تقطعها — ولا الاسوار والخنادق فانها تفريها — تقطعها — وتأتى عليها (٤) اللقان بلد من بلاد الروم. وواسط بلد بالعراق بناها الحجاج. وجلق دمشق أو غوطتها. قال الواحدى: وكان أوقع ببنى البريدى بواسط. يريد كثرة غاراته وفشوها فى البلاد من العراق إلى أقاصى الروم، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقاصى الشام (٥) المتدقق المتكسر. يقول: يرد الرماح من القتال متلطخة بالدماء تقطر منها كأن صحاحها تبكى على ماتكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة

(٦) يقول — مخاطبا صاحبيه على عادة العرب — لاتبلغاه ماأقول فانه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطعان اشتاق اليها وحن، والبيت منقول

ضَرُوبٌ بأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ ... لَعُوبٌ بأَطْرَافِ الكَلَامِ المُشَقَّقِ (١)

كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الغَيْثَ قَطْرَةً ... كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكِ ارْفُقِ (٢)

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى جُدْتَ فى كُلِّ مِلَّةٍ ... وَحتَّى أَتَاكَ الحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ (٣)

رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَاحَكَ لِلنَّدَى ... فَقَامَ مَقَامَ المُجْتَدِي المُتَمَلِّقِ (٤)

وَخَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا ... لِأَدْرَبَ مِنْهُ بالطِّعَانِ وَأَحْذَقِ (٥)

وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُهَا ... قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ (٦)

من قول كثير

فلاَ تُذْكِرَاهُ الحَاجِبِيَّةَ إنَّهُ ... مَتَى تُذْكِرَاهُ الحَاجِبِيَّةَ يَحْزَنِ

(١) بنانه فاعل ضروب . والكلام المشقق الذى شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج يقول : انه شجاع فى الحرب بلغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع (٢) يقول : ان من يسأل الغيث قطرة يتكلف ماهو فى غنى عنه إذ أن قطر — مطر — الغيث مبذول لمن أراده ، كذلك من يسأل الممدوح يتكلف مالا حاجة به اليه إذ أنه يعطى بلا سؤال ، ولما كان الممدوح مطبوعا على الجود لم يكن فى استطاعته العدول عنه واذن يكون عاذله — لائمه — عليه كمن يقول للفلك ارفق فى حركتك ، فقوله كسائله خبر مقدم ومن يسأل مبتدأ مؤخر ومثله كعاذله من قال . وذهب ابن جنى إلى أن المعنى : كما أن الغيث لاتؤثر فيه القطرة كذلك سائله لا يؤثر فى ماله (٣) يقول : لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حمدوك جميعا لما نالوا من برك واحسانك (٤) يقول : لما علم ملك الروم انبساطك للجود وأريحيتك له تملق اليك تملق المجتدى — السائل — وفى هذا نظر إلى قول القائل

وَلَوْ لَمْ تُنَاهِضْهُ وَأَبْصَرَ عُظْمَ مَا ... تُنِيلُ مِنَ الجَدْوَى لَجَاءَكَ سَائِلَا

(٥) الرماح السمهرية نسبة إلى سمهر زوج ردينة كانا يقومان الرماح . وأدرب من الدربة وهى العادة يقال درب بالشىء اعتاده وضرى به . والحاذق الخبير بالشىء يقول : وترك — ملك الروم — الرماح صغارا لا اختيارا لمن هو أحذق بالطعان وأجرى عادة به منه — يعنى سيف الدولة — يعنى ترك الحرب صاغرا واستأمن بالكتاب (٦) يقول : ولاستأمن اليك من أرضه البعيدة لعلمه انها لا تبعد على خيلك السبق

وَقَدْ سَارَ فى مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ ... فَمَا سَارَ إِلاَّ فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ (١)

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ ... شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ (٢)

وَأَقْبَلَ يَمْشِى فى الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى ... إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِى أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِى (٣)

وَلَمْ يَثْنِكَ الأَعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ ... بِمِثْلِ خُضُوعٍ فى كَلاَمٍ مُنَمَّقِ (٤)

وَكُنْتَ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ ... كَتَبْتَ إِلَيْهِ فى قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ (٥)

فَإِنْ تُعْطِهِ مِنْكَ الأَمَانَ فَسَائِلٌ ... وَإِنْ تُعْطِهِ حَدَّ الْحُسَامِ فَأَخْلَقِ (٦)

فانك تدركه بها متى أردت (١) المسرى الموضع الذى يسار فيه ليلا : والهام الرؤس يذكر كثرة قتلاه فى أرض الروم وأن الرسول سار فى طريق سيف الدولة فما سار إلا فوق رؤس القتلى (٢) يقول : لما قرب الرسول أعشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمعان الاسلحة حواليه

(٣) فى البساط يروى فى السماط والسماط صف يقومون بين يدى الملك . وقوله إلى البحر أى أإلى البحر فحذف همزة الاستفهام . و يرتقى يصعد يقول : واقبل الرسول يمشى إليك بين السماطين فغشيه من هيبتك ما لا يعرض مثله الا لمن قصد الى البحر أو ارتفع الى البدر لعظم ماعاين (٤) يقول : لم يجد الاعداء شيأ يصرفونك به عن العبث بمهجاتهم — ارواحهم — واراقة دمائهم مثل أن يخضعوا لك فى كتاب يكتبونه اليك

(٥) القذال مؤخر الرأس : والدمستق القائد من قواد الروم . يقول : كنت قبل استغاثته بك اذا أردت مكاتبته كتبت اليه بما تحدثه سيوفك فى قذال الدمستق من الجراحات , أى ان هذه الجراحات التى تصيبه وهو منهزم كالكتاب اليه لأنه يتبين بها كيفية الامر كما تتبين بالكتاب ، وقد فصل ذلك أبو تمام وماأبدعه

كَتَبْتَ أَوْجُهَهُمْ مَشْقًا وَنَمْنَمَةً ... ضَرْبًا وَطَعْنًا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلُفَا

كِتَابَةً لاتَنِى مَقْرُوءَةً أَبَدًا ... وَمَا خَطَطْتَ بِهَا لاماً وَلا أَلِفَا

فَإِنْ أَلَطُّوا بِإِنْكَارٍ فَقَدْ تَرَكَتْ ... وُجُوهُهُمْ بِالَّذِى أَوْلَيْتَهُمْ صُحُفَا

« المشق مد الحروف . والنمنمة النقش . والصلف جمع صليف صفحة العنق . والطوا بانكار بالطاء والظاء لازموه ولم يفارقوه »

(٦) فأخلق أى فما أخلقك بذلك . يقول : فان أعطيته ما يطلب من الامان فهو

وَهَلْ تَرَكَ الْبِيضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمُ ... أَسِيرًا لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ (١)

لَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا ... وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ (٢)

بَلَغْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً ... أَنَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ (٣)

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةِ أَحْمَقٍ ... أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِ (٤)

وَمَا كَمَدُ الْحُسَّادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرَقِ (٥)

سائل يسألك ، وأنت لا تخيب سائلا وان قتلته فهو جدير بذلك لانه حربي مباح الدم

(١) يقول : انك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقا يعتق (٢) الضمير فى شفراتها — حدودها — للبيض الصوارم — السيوف القاطعة — والزردق الصف من الناس تعريب رسته . يقول : انهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حتى أفنيتهم (٣) وصفه بالنور لبعد صيته وشهرة اسمه في الناس شهرة النور المستضاء به يقول : هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيتى اشتهار النور فى المشرق والمغرب (٤) الاحمق الجاهل الذى لا عقل له. يقول : اذا أراد سيف الدولة أن يسخر من أحمق من الشعراء أمره باللحاق بى ، فهو بحمقه يظن أنه يقدر على ادراك شأوى وليس يقدر ، والغبار واللحاق استعارة من سباق الخيل ، قيل أن الخالديين أبا بكر وأخاه عثمان قالا لسيف الدولة انك لتغالى فى شعر المتنبى ، إقترح علينا ما شئت من قصائده حتى نعمل أجود منها فداوفهما زمانا ثم كررا عليه فأعطاها هذه القصيدة فلما أخذاها قال عثمان لاخيه أبى بكر ماهذه من قصائده الطنانات فلأى شىء أعطاناها ثم فكرا فقال أحدهما لصاحبه والله ما أراد الا هذا البيت فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملا شيأ (٥) يقول : لست أقصد أن أكمد حسادى لانى لا آبه لهم ولا أحفل الا أنهم لما تعرضوا لى لم يطيقوا مزاحمتى فكمدوا وحزنوا لذلك فكانوا كمن زاحم البحر فغرق فى تياره وقال الخطيب التبريزى المعنى : وما الأزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ولا التعجيز لهم قصدت فيما خلدته ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ، ويهلك من اعترضه غير عامد ،

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الأَمِيرُ بِرَأْيِهِ ... وَيُغْضِى عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مُمَخْرِقِ (١)

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ (٢)

فَيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِرْهُ تَمْتَنِعْ ... وَيَا أَيُّهَا الْمَحْرُومُ يَمِّمْهُ تُرْزَقِ (٣)

وَيَا أَجْبَنَ الْفُرْسَانِ صَاحِبْهُ تَجْتَرِئْ ... وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ (٤)

إِذَا سَعَتِ الأَعْدَاءُ فِى كَيْدِ مَجْدِهِ ... سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعْيَ مُحْنَقِ (٥)

وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ (٦)

---

(١) الممخرق لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العبث والخاريق «الهلاس» والمخراق شيء يلعب به آما منديل يلف أو خشب ومنه قول عمرو بن كلثوم

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ ... مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

يقول : يمتحن الناس بعقله ليعرف ما عندهم ثم يغضى مع علمه بذى العبث منهم فلا يفضحه لكرمه (٢) الاطراق ان ترمى ببصرك الى الارض . وطرف العين نظرها. يقول : ان اغضاءه عن هؤلاء العابثين لاينفعهم اذا كان يعرفهم بقلبه فلا يخفى عليه حالهم ، وفى هذا نظر إلى قول ابن الرومى

والفؤاد الذكىُّ للناظرِ الْلُطْ * رِفِ عينٌ يرى بها مَنْ وراه

(٣) يقول : يامن يطلب فيخاف طالبه كن جارا له حتى تصير منيعا لا يصل اليك سوء ، ويامن حرم حظه من الرزق اقصده سائلا تصر مرزوقا فهو ذو نجدة يحمى الذمار معطاء (٤) يقول : ان من صاحبه صار جريئا إما لانه يعديه بشجاعته واما ثقة بنصرته ، ومن فارقه وان كان شجاعا فرق — خاف وفزع — وصار جبانا قال على بن جبلة

بِهِ عَلِمَ الإِعْطَاءَ كُلُّ مُبَخَّلٍ ... وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرَّوْعِ كُلُّ جَبَانِ

(٥) المحنق المغضب يقول : اذا سعت اعداؤه ليكيدوا مجده ويبطلوه سعى جده — سعده — فى ابطال كيدهم سعى مجد محنق ويروى سعى جده فى مجده أى فى تشييد مجده أى ان جده يرفع مجده اذا قصد الاعداء وضعه

(٦) يقول : لايعينك فضلك المبين — أى الظاهر — اذا لم يعنك جدك القاهر ،

وقال يمدحه ويذكر ايقاعه ببني عقيل وقشير وبني العجلان وكلاب لما عاثوا في نواحي أعماله ، وقصده اياهم واهلاك من أهلكه منهم وعفوه عمن عفى بعد تضافرهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ ... مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ (١)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ ... بِفَضْلَةِ مَا قَدْ كَسَّرُوا فِي الْمَفَارِقِ (٢)

وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ ... كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فِي الْمَرَافِقِ (٣)

أي أنه اذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل صاحبه شيأ ، قال حسان

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا ... لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

« الحلم العقل والجهل الحمق وعدم العقل » وقال ابن دريد

لا يَرْفَعُ الجدُّ بلاَ لُبٍّ ولا ... يَحُطُّكَ الجهْلُ إذا الجدُّ عَلاَ

(١) العذيب وبارق موضعان بظاهر الكوفة . والعوالي الرماح . والسوابق الخيل ومابين لك أن تجعله ظرفا لتذكرت ومجر عوالينا بدل منه بدل اشتمال كأنه قال مجر عوالينا فيه ولك أن تجعل ما زائدة وبين العذيب ظرفا لمجر ، ومجرى بفتح الميم وضمها وهو ومجر مصدران ميميان ، يقول : تذكرت نزولنا بين هذين الموضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان ونتسابق على الخيل (٢) القنيص الصيد . والمفارق جمع مفرق موضع افتراق الشعر في الرأس . يقول : وتذكرت صحبة قوم صعاليك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الابطال ، وكانوا من الايد وشدة السواعد وإجادة الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في رؤس الأعداء (٣) الثوية موضع بقرب الكوفة : والمرافق جمع مرفق مرفق اليد . يقول : وتذكرت ليلا اتخذنا فيه هذا المكان وسائد — مخدات — لنا أي نمنا عليه وكان طيب التراب فكأن ثراه — ترابه — الذي ارتفقنا به حين اتكأنا عليه عنبر في المرافق . وقال ابن جني : المرافق جمع مرفقة وهي الوسادة. وهذا غير موائم للمقام لانه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على مشقة السفر وأن

بِلَادٌ إِذَا زَارَ الحِسَانَ بِغَيرِهَا ... حَصَا تُرْبِهَا ثَقَّبْنَهُ لِلْمَخَانِقِ [1]

سَقَتْنِي بِهَا القُطْرُبُّلِيَّ مَلِيحَةٌ ... عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقِ [2]

سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ ... وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقِ [3]

وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ ... عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقِ [4]

أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ ... بَلَا كُلَّ سَمْعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَائِقِ [5]

الفضلات المكسرة من السيوف مداهم والارض وسائدهم ، ولا يفتخر الصعلوك بوضع الرأس على الوسادة (١) حصى فاعل زار . والمخانق جمع مخنقة وهي القلادة ، يقول: هذه البلاد بلاد اذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبنه كما يثقب اللؤلؤ وجعلنه قلائد لهن لحسنه ونفاسته ، وفيه نظر الى قول دعبل

فكأنما حصباؤها في أرضها ... خرز العقيق نظمن في سلك

(٢) قطربل ضيعة من أعمال بغداد تنسب اليها الخمر القطربلية ، يقول: سقتني الشراب القطربلي امرأة مليحة على وعدها الكاذب ضوء الوعد الصادق ، أي يستحسن كلامها فيقبل كذبها قبول الصدق ، ويجوز أن يريد انها تقرب الامر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك فهو ضوء الصدق ،ويجوز أن يريد أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفي مثله يقول منصور النميري

تعلله منها غداة يرى لها ... ظواهر صدق والبواطن زور

(٣) قال ابن جني : أي قد اجتمعت فيها ـــ أي المليحة ـــ الاضداد فعاشقها لاينام شوقا اليها ، واذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهي سقام لبدنه، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جني كما ترى إلى أن البيت صفة المليحة وقال العروضي : انما يصف القطربلي ـــ الخمر ـــ والخمر تجمع هذه الاوصاف فان من اشتغل بشربها لها عن النوم وهي بشعاعها كالشمس للناظر وهي ترخي الاعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض وهي طيبة الرائحة فهي مسك لمن شمها ، والاظهر ماذهب اليه ابن جني

(٤) وأغيد عطف على مليحة : والاغيد الناعم المتثنى لينا يقول : وسقاني أغيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم فالفاسق يميل اليه حبا لجسمه والعاقل العفيف ـــ الذي لايفسق ـــ يصبو إلى روحه لخفته وظرفه (٥) المزهر العود ، يقول : اذا تناول العود

يُحَدِّثُ عمَّا بَيْنَ عادٍ وَبَيْنَهُ ... وَصُدْغاهُ فى خَدَّىْ غُلامٍ مُرَاهِقِ (١)

وَمَا الْحُسْنُ فى وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لهُ ... إِذَا لمْ يكُنْ فى فِعْلِهِ وَالخَلائِق (٢)

وَمَا بَلَدُ الإِنْسَانِ غيرُ المُوافِقِ ... وَلا أَهلُهُ الأَدْنَوْنَ غيرُ الأَصادِق (٣)

لجس الاوتار أتى بما يشغل كل سمع عما سوى الاوتار لحذقه وجودة ضربه كما قال الآخر

إذا ما حَنَّ مِزْهَرُها إِلَيْها ... وَحَنَّتْ نحْوَهُ أُذنُ الْكِرَامُ

وأَصغَوْا نحْوَها الأَسْماعَ حَتَّى ... كأَنَّهُمُ — وماناموا — نِيامُ

ووصفه بالادب إما لان ضرب العود من آداب اليد وإما لانه يحفظ الابيات الحلوة والاشعار النادرة ، ويؤكد هذا البيت التالى (١) عاد هى تلك القبيلة العربية القديمة والمراهق الذى قد راهق الحلم أى داناه وقاربه يقول: أنه يأتى بالالحان القديمة والاشعار التى قيلت فى الدهور الماضية فهو بغنائه يحدث عما بين عاد وبينه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم

(٢) الخلائق كالشمائل الخصال أى الاخلاق ، يقول : اذا لم تكن أفعال الفتى واخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفا له قال العباس بن مرداس

فما عُظْمُ الرِّجالِ لهمْ بِفَخْرٍ ... ولكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخِيرُ

وقال الفرزدق

ولا خَيْرَ فى حُسْنِ الْجسُومِ وطُولِها ... إِذا لمْ يَزِنْ حُسْنَ الجسُومِ عقُولُ

وقال دعبل

وماحُسْنُ الْجسُومِ لهمْ بِزَيْنٍ ... إِذا كانَتْ خَلائِقُهُمْ قِباحَا

(٣) الادنون الاقربون والاصادق جمع أصدقاء جمع صديق . قال الواحدى: هذا حث على السفر والتغرب يقول : ليس بلد الانسان إلا ما يوافقه ولا أقاربه إلا أصدقاؤه يعنى أن كل مكان وافقه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الادنون قال العكبرى : وأخذ صدره من قول القائل

يُسْرُ الْفَتَى وطَنٌ لهُ ... والفَقْرُ فى الأَوْطانِ غُرْبَهْ

وأخذ عجزه من قول الآخر

دَعوْتُ وقَدْ دَهَتْنى داهِيَاتٌ ... وَلِلأَيَّامِ دَاهِيَةٌ طَرُوقُ

صَدِيقًا لاَ شَقِيقًا فيهِ غِلٌّ ... أَلاَ إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الشَّقِيقُ

وَجَائِزَةٌ دَعْوَى المَحَبَّةِ وَالْهَوَى ... وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ المُنَافِقِ (١)
بِرَأْيِ مَنِ انْقَادَتْ عُقَيْلٌ إِلَى الرَّدَى ... وَإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطِ خَالِقِ (٢)
أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى ... وَيُوسِعُ قَتْلَ الجَحْفَلِ المُتَضَايِقِ (٣)
فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ ... وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَالِقِ (٤)
لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ ... وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَاحِقِ (٥)
وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا ثِيَابًا طَغَوْا بِهَا ... رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ (٦)

(١) يقول: يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ، ويظاهربها من لا يلتزمها ، ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه ، قال الواحدى : يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب اذ طرحوا أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم يبدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر

والعَيْنُ تَعلَمُ مِنْ عَيْنَيْ مُحَدِّثِها ... مَنْ كانَ مِنْ حِزْبِها أَوْمِنْ أَعادِيها

ويقول القائل

خَلِيلَيَّ لِلبَغْضاءِ حالٌ مُبِينَةٌ ... ولِلْحُبِّ آياتٌ تُرَى ومَعارِفُ

(٢) عقيل بن كعب قبيلة من قبائل قيس عيلان ومنهم كان رؤساء الجيش الذين اوقع بهم سيف الدولة . يقول : من الذى أشار على عقيل هذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم الى التهلكة وأشمتوا أعداءهم واسخطوا الله سبحانه ؟ يعنى أنهم أساؤا فى هذا التدبير (٣) على هو سيف الدولة. ويوسع يكثر . والجحفل الجيش العظيم والذى يعجز الورى هو عصيان سيف الدولة يقول : أرادوا عصيانك الذى يعجز الناس — لانه لا يقدر احد على أن يعصيك — والذى يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرته وازدحامه

(٤) يقول : حين عصوه وقاتلوه بسطوا أكفهم الى من قطعها وحملوا رؤسهم الى من فلقها (٥) يقول : لقد أقدموا على الحرب ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الاقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الاقدام ولا الهرب (٦) كعب قبيلة منهم : يقول : لما انعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طغوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم النعمة بالاغارة

وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِى كَفَرُوا بِهِ سَقَى غَيْرَهُ فِى غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ (١)

وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ * كَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقِ (٢)

أَتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَنَا سَنَابِكُهَا تَحْشُو بُطُونَ الْحَمَالِقِ (٣)

عَوَابِسَ حَلَّى يَابِسُ الْمَاءِ حُزْمَهَا فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ (٤)

فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ طِوَالَ الْعَوَالِى فِى طِوَالِ السَّمَالِقِ (٥)

عليهم وتقتيلهم . فكأنه خرق بأسنته ماألبسهم من ثياب نعمته (١) أراد بالغيث انعامه عليهم وقوله سقى غيره أى سقاهم كأس الموت فى غير بوارق الغيث يعنى فى بوارق السيوف والمعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أتاهم من عسكره فى مثل السحائب البارقة فكانت ضد السحائب التى أحسن إليهم بها فكفروها. وفى مثل هذا يقول البحترى

لَقَدْ نَشَأَتْ بِالشَّامِ مِنْكَ سَحَابَةٌ تُؤَمَّلُ جَدْوَاهَا وَيُخْشَى دَمَارُهَا

فَإِنْ سَأَلُوا كَانَتْ غَمَامَةَ وَابِلٍ وَغَيْثًا وَإِلَّا فَالدَّمَارُ قِطَارُهَا

(٢) يقول : ان اساءته اليهم أوجع من اساءة غيره لانه كان محسنا اليهم وهم تعودوا احسانه فاذا تنكر لهم كان أشد عليهم (٣) بها أى بالخيل وإن لم يجر لها ذكر. والعجاجة واحدة العجاج الغبار . والقنا الرماح . والسنابك أطراف الحوافر . والحمالق بحذف الياء لانها الحماليق جمع حملاق بطن جفن العين يقول : أتاهم بالخيل وقد أحاطت بها الرماح والغبار فهى حشو هذين ، وحوافرها تحشو العيون بما تثير من الغبار وقال العروضى: أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رؤس القتلى فتحشو حماليقها بسنابكها ، فأما أن يرتفع الغبار فيدخل فى العيون فلا كثير افتخار فى هذا

(٤) عوابس أى كالحة لما أصابها من الجهد وأراد بيابس الماء ماجف من العرق وعرق الخيل إذا جف ابيض : والحزم جمع حزام . والمناطق جمع منطقة ما يشد به الوسط يقول : أتتهم الخيل كالحة وقد جف العرق على حزمها فابيض فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالفضة . (٥) أبو الهيجا كنية والد سيف الدولة ، وتدمر البلد القديم المعروف . والعوالى الرماح . والسمالق جمع سملق المفازة المستوية الارض المترامية

وَسَوْقَ عَلِيٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغيرِها قَبَائِلَ لا تُعْطِي الْقُفِيَّ لِسَائِقِ (١)

قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلاَنِ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فى أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ (٢)

تخلّيهِمِ النِّسْوَانُ غيرَ فَوَارِكٍ وَهُمْ خَلَّوُا النِّسْوَانَ غيرَ طَوَالِقِ (٣)

يُفَرِّقُ مَا بَينَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا بِضَرْبٍ يُسَلِّى حَرُّهُ كلَّ عاشِقِ (٤)

أَتَى الظُّعْنَ حتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ مِنَ الْخَيْلِ إلاَّ فى نُحُورِ الْعَوَاتِقِ (٥)

بِكلِّ فَلاَةٍ تُنْكِرُ الإِنْسَ أَرْضُهَا ظَعَائِنُ حُمْرُ الْحَلْيِ حُمْرُ الأَيَانِقِ (٦)

الاطراف . يقول: ليت أباك حي فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة فى المفاوز الطوال (١) القفى جمع قفا . وعلى اسم سيف الدولة . يقول : وبراك تسوق أمامك من بنى معد وغيرهم قبائل لا تنهزم من أحد ولا تولى أقفيتها من يسوقها ، يعنى : إنك أذللت من العرب من لم يذلله غيرك . واللام فى لسائق زيادة فى التوكيد (٢) بلعجلان يريد بني العجلان فحذف النون لمشابهتها اللام كما قالوا فى بنى الحارث بلحارث . وقوله فيها أى فى القبائل . يقول : إن هاتين القبيلتين قد تبدد شملهما بين ما تبدد من القبائل التى هربت بين يديك فقلتا وخفيتا خفاء راءين فى لفظ الثغ إذا كررهما (٣) فركت المرأة إذا ابغضت الزوج فهى فارك . يقول : لشدة ماحقهم من الخوف تركت النساء أزواجهن من غير بغضة والرجال النساء من غير طلاق.

(٤) يقول : يفرق سيف الدولة بين الابطال وبين نسائهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه (٥) الظعن جمع ظعينة وهى النساء فى الهوادج . والرشاشة واحدة الرشاش ماترشش من الدم ونحوه . والعواتق جمع عاتق وهى الجارية التى قد أدركت وشبت فى بيت أبيها . يقول : إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكانت إذا طعنوا تناضح الدم فى نحور النساء ، وإذا لحقت بالعواتق فهو أعظم من لحاقها بغيرهن لانهن أحق بالصون والحماية . هذه رواية ابن جنى وتفسيره . وروى ابن فورجه ☆أتى الطعن حتى ما يطير رشاشه☆ أى طاعن الاعداء وهم في بيوتهم حتى يطير رشاشه فى نحور النساء أى أنه غزا العدو فى عقر داره (٦) بكل خبر مقدم وظعائن مبتدا مؤخر. والظعائن جمع ظعينة وهى النساء المحمولات فى الهوادج . وحمر الحلى أى أن حليهن الذهب . والايانق جمع أينق جمع ناقة . أى أنهن من الاشراف ذوى اليسار حليهن.

وَمَلْمُومَةٍ سَيْفِيَّةٍ رَبَعِيَّةٍ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحَ اللَّقَالِقِ (١)
بَعِيدَةُ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةُ بَيْنَ الْبِيضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ (٢)
نَهَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ فَمَا تَبْتَغِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ (٣)
تَوَهَّمَهَا الأَعْرَابُ سَوْرَةَ مُتْرَفٍ تُذَكِّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السُّرَادِقِ (٤)

النهب ومركوبهن النياق الحمر — وهى أكرم النياق عند العرب . يقول : انهم أبعدوا فى الهرب حتى انتشرت نساؤهم فى كل فلاة منقطعة لا عهد لها بالانس ومع ذلك أدركهم فما ينفعهم هربهم . أو تقول : حمر الحلى وحمر الايانق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق فحمر حليهن ونوقهن فيكون الكلام متصلا بما قبله (١) وملمومة عطف على ظعائن والكتيبة الملمومة المجتمعة . وسيفية نسبة إلى سيف الدولة، وربعية لانه من ربيعة — واللقالق جمع لقلق طائر كبير كثير فى العراق . ويصيح الحصى فيها أى عند وقع حوافر الخيل عليه شبه صوت الحصى بصوت اللقالق . يقول إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة

(٢) بعيدة صفة لملمومة . والقنا الرماح . والبيض جمع بيضة الخوذة تكون على الرأس . واليلامق الاقبية جمع يلمق . وغبر جمع أغبر وكان الوجه أن يقول غبراء اليلامق لانها صفة للكتيبة لكنه جمع ذهابا إلى المعنى لان الكتيبة جماعة وهذا كما تقول مررت بكتيبة صفر الاعلام طوال الرماح . يقول : إن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها ، وهم متضايقون متكاثفون مجتمعون لازدحامهم فتقارب ما بين رؤسهم ، وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار ، وفى هذا اشارة إلى أن الفلوات التى لجأ اليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجدهم فقد أقحمها عليهم ولم يتهيب اختراقها (٣) جوده يروى سيبه . والحقائق جمع الحقيقة ما حق حمايته من أهل ومال ونحوها. يقول : إن جود سيف الدولة يغنيهم عن نهب الاموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام

إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِى الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

(٤) السورة الوثبة . يقول : توهم الاعراب ان حربك سورة متنعم اذا صار فى

فَذَكَّرْتَهُمْ بِالْمَاءِ سَاعَةَ غَبَّرَتْ سَمَاوَةُ كَلْبٍ فِى أُنُوفِ الْحَزَائِقِ (١)

وَكَانُوا يَرُوعُونَ الْمُلُوكَ بِأَنْ بَدَوْا وَأَنْ نَبَتَتْ فِى الْمَاءِ نَبْتَ الْغَلَافِقِ (٢)

فَهَاجُوكَ أَهْدَى فِى الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ وَأَبْدَى بُيُوتًا مِنْ أَدَاحِى النَّقَانِقِ (٣)

وَأَصْبَرَ عَنْ أَمْوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ وَآلَفَ مِنْهَا مُقْلَةً لِلْوَدَائِقِ (٤)

البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعيم كعادة الملوك فانصرف عنهم وتركهم هربا من العطش والحر ، وفى هذا نظر الى قول البحترى

أَلُوفُ الدِيارِ فَإِن أَزمعَ الـ ـترحُّلَ حرَّمَ إيطانَهَا

اذا همَّ لم يَهْتَدِمْ عزْمَه مَقاصيرُ يعْتادُ أكْنانَهَا

وإلى قول النميرى

كَذَبَ الْعِدَا لَوْ كُنْتَ صَاحِبَ نَعْمَةٍ صَرَعَتْكَ بَيْنَ إِقَامَةٍ وَكَلَالِ

(١) سماوة كلب أى سماوة بنى كلب وهى برية معروفة بناحية العواصم . والحزائق جمع حزيقة وهى الجماعة . يقول : فى هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أى حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم فى برية السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعنى عرفتهم صبرك عن الماء وان الامر لم يكن علي ما ظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تتبعهم (٢) بأن بدوا أى بأنهم أقاموا بالبادية . والغلافق جمع غلفق وهو الطحلب . يقول : ان هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بأنهم نشأوا فى البادية فلا يكترثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء ، وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء لانهم نشأوا فيه كما ينشأ الطحلب فى الماء فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك

(٣) الفلا جمع فلاة . واداحى جمع ادحى كـكرسي موضع بيض النعام من الرمل. والنقانق جمع النقنق ذكر النعام . يقول : فهيجوك وأثاروك عليهم بعصيانهم فكنت أهدى اليهم فى الفلوات من النجم وأظهر بيوتا فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لاعش لها ولـكنها تدحو الرمل برجلها أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل ولـكن ينزل على وجه الصحراء معرضا لحر الشمس

(٤) الضباب جمع ضب الدويبة البرية المعروفة . والودائق جمع وديقة شدة الحر عند دنو الشمس من الرؤس . واصبر عطف على أهدى فى البيت السابق . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب ــ والضب لا يرد الماء قط ــ وكنت آلف مقلة

وَكَانَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكْتَهَا مُهَلَّبَةَ الأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ (١)

فَمَا حَرَمُوا بالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً وَلَكِنْ كَفَاهَا البَرُّ قَطْعَ الشَّوَاهِقِ (٢)

ولا شَغَلُوا صُمَّ القَنَا بِقُلُوبِهِمْ عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ (٣)

أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ العِدَا * وَيَجْعَلُ أَيْدِي الأُسْدِ أَيْدِي الخَرَانِقِ (٤)

للهجير — شدة الحر — من الضب التى تسكن الفلوات . وكل هذا اشارة الى أنهم أخطأوا فى تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار وأنهم عجزوا عما بدا منه من الأيد والجلد (١) أسم كان ضمير فيها وهديرا خبرها والتقدير وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير صوت البعير اذا ردده فى حنجرته . والمهلبة المقطوعة الهلب وهو شعر الذنب . والشقاشق جمع الشقشقه وهى لهاة البعير اذا هدر أخرجها من فمه يقول : كان طغيانهم وغيهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم — فحل كريم يعنى سيف الدولة — مصعب وضغمها — عضها بملء فمه يريد نال منها — وسار عليها فتركها — صيرها — مهلبة الاذناب ساكنة الهدير، يعنى أذلهم وصغر أمرهم ، لان الفحل اذا أخذ هلبه ذل لان الفحول انما تتخاطر بأذنابها واذا أخذ شعر ذنبها ذلت قال الشاعر

* أَبَى صِغَرُ الأَذْنَابِ أَنْ تَخْطُرُوا بِهَا *

(٢) الشواهق جمع شاهق الجبل الشامخ العالى . يقول : أنهم بفرارهم منك وإحواجهم اياك الى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لانك لو لم تذهب اليهم لقصدت الروم . ولما قصدت هؤلاء الاعراب أغني خيلك السير فى البرارى عن تجشم قطع الجبال بأرض الروم

(٣) ركز الرمح غرزه فى الارض قائما لا يطمئن به . والدماسق جمع دمستق على حذف التاء والدمستق قائد الروم . يقول : انك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم ، فهم انما شغلوا رماحك بحربهم عن طعن قلوب قواد الروم أى فلا راحة لخيلك ولا لسلاحك (٤) المسخ قلب الخلقة . والخرانق جمع خرنق بكسر الخاء وهن الاناث من أولاد الارانب أو الصغار منها . يريد بمسخه الاعداء أن يجعل الشجعان منهم جبناء والاقوياء ضعفاء فتصير الايدى القوية التى كأنها أيدى الاسد أيدى ضعيفة كأنها أيدى الارانب . وفى هذا المعنى يقول أبو تمام

لَوْ أَنَّ أَيْدِيكُمْ طِوَالٌ قَصُرَتْ عَنْهُ فَكَيْفَ تَكُونُ وَهْيَ قِصَارُ

وَقَدْ عايَنُوهُ فى سِواهُمْ وَرُبَّمَا أَرَى مارِقاً فى الحَرْبِ مَصْرَعَ مارِقِ (١)

تَعَوَّدَ أَنْ لا تَقْضَمَ الحَبَّ خَيْلُهُ إذا الهامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ العَلائِقِ (٢)

وَلا تَرِدَ الغُدْرَانَ إلاَّ وَماؤُها مِنَ الدَّمِ كالرَّيْحانِ تَحْتَ الشَّقائِقِ (٣)

لِوَفْدُ نُمَيْرٍ كانَ أَرْشَدَ مِنْهُمُ وَقَدْ طَرَدُوا الأَظْعَانَ طَرْدَ الوَسائِقِ (٤)

أَعَدُّوا رِماحاً مِنْ خُضُوعٍ فَطاعَنُوا بِها الجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الفَيالِقِ (٥)

---

(١) المارق فى الاصل الذى يمرق من الدين والمراد الخارج عن الطاعة من مروق السهم . يقول : قد عاينوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديرا بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصى المتمرد عليه حتى يعتبر الثانى بالاول كما قال أشجع

شَدَّ الخِطَامَ بِأَنفِ كلِّ مُخالفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لهُ الذِى لمْ يُخْطَمِ

(٢) القضم أكل الشىء اليابس . والهام الرؤس . والعلائق جمع عليقة وهى المخلاة تعلق من رأس الدابة لتعتلف وجنوبها نواحيها . قال ابن جنى سألته — المتنبى — عن معنى هذا البيت فقال : الفرس اذا علقت عليه المخلاة طلب لها موضعا مرتفعا يجعلها عليه ثم يأكل ، فخيله أبدا إذا أعطيت عليقها رفعته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرتهم حولها ، فقد تعودت خيله ذلك في غزواتها (٣) ولا ترد عطف على لا تقضم والغدران جمع غدير وهو ما غدره السيل — تركه — والشقائق نور أحمر يقال له شقائق النعمان . قال ابن جنى : أى لكثرة ما قتله من أعدائه جرت دماؤهم الى الغدرن فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم ، والماء يلوح من خلال الدم وماء الغدير أخضر من الطحلب فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق . وقال ابن فورجه : انما يعنى انه لا يروم الهوينا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الاعداء كما قال بشار

فَتًى لا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ ولا يَشْرَبُ المَاءَ إلاَّ بِدَمْ

(٤) نمير قبيلة منهم استسلمت لسيف الدولة كما سيذكر فى البيت التالى . والاظعان جمع ظعن جمع ظعينة المرأة مادامت فى الهودج . والوسائق جمع وسيقة الطريدة من الغنم أو الابل . يقول : ان هؤلاء الذين وفدوا اليك من بنى نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين وطردوا نساءهم كما تطرد الوسائق (٥) غرب كل شىء حده .

فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَيْرَ مُخَاتِلٍ وَأَسْرَى إِلى الأَعْدَاءِ غيرَ مُسَارِقِ (١)

تُصِيبُ المَجَانِيقُ العِظَامُ بِكَفِّهِ دَقَائِقَ قَدْ أَعْيَتْ قِسِيَّ البَنَادِقِ (٢)

وقال فى صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن

ابن الرضى الازدى

أَرَقٌ على أَرَقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ (٣)

جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أُرَى عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ (٤)

والفيالق جمع فيلق القطعة من الجيش . يقول : ان هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاضعين فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم ، وهذا كما يقول أبو تمام

تَخَاطَلَهُ الإِقْرَارُ بالذَنْبِ رُوحَهُ وجُثْمَانَهُ إِذْ لَمْ تَحُطْهُ قَنَابِلُهْ

(١) المخاتل المخادع والمسارق الذى يترقب غفلة . يقول : لم أر أحدا يرمى أعداءه جهارا ويسرى إلى أعدائه معالنا غير مسر كما يرمى هو ويسرى ، فهو لا يحتاج إلى المخاتلة والمسارقة فى الظفر بعدوه وفى هذا يقول البحترى

فنُدْرِكُ بالإِقْدَامِ بُغْيَتَنَا الَّتِى نُطَالِبُهَا لا بالخَدِيعَةِ والمَكْرِ

وهو معنى قديم (٢) المجانيق جمع منجنيق آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون فى الحصار . والبنادق جمع بندقة مايعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : انه يقدر على مالايقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رميه وتعذر ضبطه من الاشياء الدقيقة مايعجز غيره عن أن يصيبه بالقسي — جمع قوس — التى ترمى بها البنادق ، يعني انه معان موفق مؤيد (٣) الأرق فقد النوم . والجوى الحرقة من حزن أو عشق . والعبرة الدمعة تتردد فى العين وتقول رقرقت الماء فترقرق مثل أسلته فسال . يقول : لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثلى ممن كان عاشقا يسهد لامتناع النوم عليه وحرقته تزداد كل يوم ودمعه يسيل

(٤) جهد الصبابة مبتدأ خبره أن تكون . والجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاقة والوسع وقيل هما لغتان بمعنى . والصبابة رقة الشوق . يقول :

ما لاحَ برقٌ أَوْ ترنَّمَ طائرٌ ... إلَّا انْثَنَيْتُ وَلِي فؤادٌ شَيِّقُ(١)

جَرَّبْتُ مِنْ نارِ الْهَوَى ماتنطفى ... نارُ الْغَضَى وَتَكِلُّ عَمَّا تُحْرِقُ(٢)

وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حتَّى ذُقْتُهُ ... فَعَجِبْتُ كيفَ يَمُوتُ مَنْ لا يَعْشَقُ(٣)

وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنَّنِي ... عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ فيهِ مَا لَقُوا(٤)

أَبَنِي أَبِينَا نحنُ أَهْلُ منازلٍ ... أَبَدًا غُرابُ الْبَيْنِ فيها يَنْعَقُ(٥)

غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التى أنا فيها ، وقال البحترى

هَلْ غايَةُ الشَّوْقِ الْمُبَرِّحِ غَيْرَ أَنْ ... يَعْلُو نَشِيجٌ أَوْ تَفِيضَ مَدَامِعُ

(١) الشيق المشتاق . وهو معلوم أن لمعان البرق يهيج العاشق ويحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجعة وفراقهم ، ولان البرق ربما لمع من الجانب الذى هم به ، وكذلك ترنم الطاير . وهذا كثير فى اشعارهم (٢) الغضى شجر معروف يستوقد به فتكون ناره أبقى . يقول : جربت من نار الهوى ناراتكل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفىء عنه ولا تحرقه يريد أن نار الهوى أشد احراقا من نار الغضى

(٣) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية فى الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أى من لم يعشق يجب أن لايموت لانه لم يقاس مايوجب الموت وإنما الذى يوجبه هو العشق

(٤) يقول : لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق فى وقوعهم فى العشق وفى جزعهم وعرفت انى أذنبت بتعييرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت فى العشق من الشدائد مالقوا ، وفى مثل هذا يقول على بن الجهم

وقدْ كُنْتُ بالعُشَّاقِ أَهْزَأُ مَرَّةً ... وهاأنا بالعُشَّاقِ أَصْبَحْتُ باكِيا

ويقول أبو الشيص

وكُنْتُ إذَا رَأَيْتُ فتًى يُبَكِّي ... عَلَى شَجَنٍ هَزَأْتُ إذا خَلَوْتُ

وأَحْسَبُنِي أَدَالَ اللهُ مِنِّي ... فَصِرْتُ إذا بَصُرْتُ بهِ بَكَيْتُ

(٥) نعق الغراب ونغق صاح . انتقل أبو الطيب من النسيب إلى الوعظ وذكر الموت ، ومثل هذا — كما قال الواحدى — يستحسن فى المراثى لافى المدح . وقوله ابنى أبينا

نَبْكِي عَلى الدُّنْيَا وَمَامِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمُ الدُّنيَا فلَمْ يَتفرَّقُوا

أَيْنَ الأَكاسِرَةُ الجَبابِرَةُ الأُلَى كَنَزُوا الْكنوزَ فمابقِينَ وَلا بَقُوا (١)

مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الفَضَاءُ بِجَيْشِهِ حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّق (٢)

خُرْسٌ إذا نودُوا كأَنْ لمْ يَعلَمُوا أَنَّ الكلامَ لَهُمْ حَلالٌ مُطلَقُ (٣)

وَالمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفائِسٌ وَالمُسْتَغِرُّ بمَا لَدَيْهِ الأَحْمَقُ (٤)

وَالمَرْءُ يَأْمُلُ وَالحَياةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ (٥)

أى ياإخوتنا يجوزأن يكون نداء لجميع الناس لان الناس كلهم بنو آدم ويجوز أن يريد قوما مخصوصين إما العرب وإما رهطه وقبيلته . يقول : نحن نازلون فى منازل يتفرق عنها أهلها بالموت . وانما ذكر غراب البين لان العرب تتشاءم بصياح الغراب يقولون اذاصاح الغراب في دار تفرق أهلها وهو كثير فى اشعارهم (١) الألى أى الذين وبقين أى الكنوز وبقو أى الاكاسرة (٢) من فى أول البيت للتفسير . وثوى أى أقام فى قبره . يقول : أولئك الذين ذكرناهم من كل ملك كثرت جنوده حتى ضاق بهم الفضاء لجمعه لحد — شق فى جانب قبر — ضيق بعد ان كان الفضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع

وأَصْبَحَ فى لَحْدٍ مِنَ الأَرْضِ ضَيِّقٍ وكانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحاصِحُ

(٣) يقول : انهم موتى لايجيبون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لايحل لهم أن يتكلموا . ولو قال خرس اذا نودوا لعجزهم عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن لان الميت لايوصف بما ذكره ... قاله الواحدى

(٤) النفيس الشيء الذى ينفس به أى يضن به . والمستغر المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وان كانت نفوسهم عزيزة ، والكيس لايغتر بماجمعه من الدنيا لعلمه أنه لايبقى ولا يدفع عنه شيأ ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق وروى المستعز أى الذى يطلب العز بماله هو أحمق ، قال

وإِنَّ امْرَأً أَمِنَ الزَّمَا نَ لَمُسْتَغِرٌّ أَحْمَقُ

(٥) شهية مشتهاة طيبة . وأوقر من الوقار . والشبيبة اسم بمعنى الشباب، وأنزق أخف

وَلَقَدْ بَكَيْتُ على الشَّبَابِ ولِمَّتي ... مُسْوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِي رَوْنَقُ (١)

حَذَرًا عليْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ ... حتى لَكِدْتُ بماءِ جَفْني أَشْرَقُ (٢)

أَمَّا بَنُو أَوْسِ بْنِ مَعْنِ بْنِ الرِّضَا ... فأَعَزُّ مَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الأَيْنُقُ (٣)

كَبَّرْتُ حَوْلَ دِيارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ ... مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا المَشْرِقُ (٤)

وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ ... مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لا تُورِقُ (٥)

وأطيش . يقول: ان المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لانه يفيده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لانه يحمله على الطيش والخفة

(١) اللمة من الشعر ما جاوز شحمة الاذن . والرونق الحسن والنضارة . (٢) حذرا مفعول لاجله والعامل فيه بكيت . ويقال شرق بالماء كما يقال غص بالطعام . يقول : لكثرة دموعي كاد يشرق بها جفني أي يضيق عنها ، واذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يبلعه ريقه ويكون التقدير بسبب ماء جفني أشرق بريقي ، وفي هذين البيتين نظر إلى قول الآخر — وهو من باب غير هذا الباب

ما كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتِ رَاضِيَةً ... عَنِّي بِذَاكِ الرِّضَا بِمُغْتَبِطِ

عِلْمًا بأَنَّ الرِّضَا سَيَتْبَعُهُ ... مِنْكِ التَّجَنِّي وكَثْرَةُ السَّخَطِ

(٣) الاينق النياق جمع ناقة على غير قياس والقياس الانوق . يقول : هؤلاء أعز من يقصدهم الناس (٤) جعلهم كالشموس في علو ذكرهم واشتهارهم أو في حسن وجوههم . يقول : كبرت لله أي قلت الله أكبر تعجبا من قدرته حين أطلع شموسا لامن المشرق ، وكانت منازل الممدوحين في جهة المغرب . (٥) يقول : اذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى أيديهم على ندى السحاب أي كان من حقها أن تلين حتى تنبت الورق . وهذا من قول البحتري يصف أيام المتوكل

أَشْرَقْنَ حتى كادَ يَختَبِسُ الدُّجَى ... وَرَطُبْنَ حتى كادَ يَجْرِي الجَنْدَلُ

« يختبس الدجى يروى يقتبس الدجى » ويقول أبو الشمقمق — وكان مع طاهر ابن الحسين في حراقة في دجلة — :

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الحُسَـــيْنِ كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَغْرَقُ

وَتَفُوحُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحٌ ... لَهُمُ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ (١)

مِسْكِيَّةُ النَّفَحَاتِ إِلاَّ أَنَّهَا ... وَحْشِيَّةٌ بِسِوَاهُمُ لا تَعْبَقُ (٢)

أَمُرِيدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فِي عَصْرِنَا ... لا تَبْلُنَا بِطِلاَبِ مَالا يُلْحَقُ (٣)

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... أَبَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لا يَخْلُقُ (٤)

يَاذَا الَّذِي يَهَبُ الْجَزِيلَ وَعِنْدَهُ ... أَنِّي عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ (٥)

وبَحْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا واحِدٌ ... وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ

وأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُهَا ... وقَدْ مَسَّهَا كَيفَ لا تُورِقُ

ويقول مسلم

لَوْ أَنَّ كَفًّا أَعْشَبَتْ لِسَمَاحَةٍ ... لَبَدَا بِرَاحَتِهِ النَبَاتُ الأَخْضَرُ

(١) مكانة أى مكان . والثناء يوصف بطيب الرائحة لان طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى الانوف مشمومة . يقول : ان أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة المثنين عليهم ، ولله ابن الرومى حين يقول

أَعْبَقْتَهُ مِنْ طِيبِ رِيحِكَ عَبْقَةً ... كَادَتْ تَكُونُ ثَنَاءَكَ المَسْمُوعَا

ولآخر

لوْ كَانَ يُوجَدُ رِيحُ مَجْدٍ فَائِحًا ... لَوَجَدْتَهُ مِنْهُ عَلَى أَمْيَالِ

(٢) يقول : روائح مايسمع من الثناء عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا انها نافرة لاتعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ، يعنى لايثنى على غيرهم كما يثنى عليهم

(٣) يقول : يامن يريد أن يوجد له نظير لا تمتحنا بطلاب مالا يدرك ، أى أنه لايوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول النميرى

ولَئِنْ طَلَبْتُ نَظِيرَهُ إِنِّى إِذَنْ ... لَمُكَلَّفٌ طَلَبَ المُحَالِ رِكَابِى

(٤) يقول : اذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلا كان طلب مثله محالا (٥) وعنده اى وفى اعتقاده أنى اذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر ، والاصل فى هذا قول زهير

تَرَاهُ — إِذَا مَاجِئْتَهُ — مُتَهَلِّلاً ... كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً ... وَانْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لا أَغْرَقُ [1]

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهْلِهِ ... مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ [2]

وقال فى صباه ارتجالا

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي ... أَيَّ عَظِيمٍ أَتَّقِي [3]

وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللّـ ... ـهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ [4]

مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي ... كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي [5]

وقال يمدح الحسين بن اسحق التنوخي

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى الْحَزَائِقُ ... وَيَا قَلْبِ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ [6]

---

(١) ثرة غزيرة كثيرة الماء . يقول: اجعل سحاب جودك ماطرا على مطراً غزيراً ثم ارحمنى بأن تحفظنى من الغرق كيلا أغرق فى كثرة مطرك

(٢) كنى بالفاعلة عن الزانية . يقول : كذب من قال ان الكرام قد ماتوا مادمت فى الاحياء مرزوقا . ويروى ترزق بفتح التاء أى ترزق الناس أى تعطيهم أرزاقهم والاولى أجود (٣) أى استفهام معناه الانكار. يقول : لم يبق محل ولا درجة فى العلو الا وقد بلغها ، وليس يخاف عظيما (٤) (٥) المفرق وسط الرأس حيث يفترق الشعر . وقوله ومالم يخلق قال الواحدى ليس معناه مالا يجوز أن يكون مخلوقا كذات البارى عز وجل وصفاته لانه لو أراد هذا لزمه الكفر بهذا القول وانما أراد وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد (٦) هو كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا الاضمار على شريطة التفسير كقوله تعالى قل هو الله أحد . وحتى ابتدائية . وتأنى بحذف احدى التاءين أى تتمهل وتترفق . والحزائق الجماعات جمع حزيقة يقول : هو البين يفرق كل شيء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق اذا جرى فيها حكم البين ثم خاطب قلبه فقال وأنت أيضا ـ على مالك من علائق القرب ـ ممن أفارقه ! يعنى ان الاحبة اذا فارقونى ذهب القلب معهم ففارقنى وفارقته

وَقَفْنا ومِمَّا زادَ بَثًّا وُقُوفُنا فَرِيقَيْ هَوًى مِنَّا مَشُوقٌ وَشائِقُ (١)
وَقَدْ صارَتِ الأَجْفانُ قَرْحَى مِنَ البُكا * وَصارَ بَهارًا فِى الخُدُودِ الشَّقائِقُ (٢)
علىٰ ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِماعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيْتٌ وَمَوْلودٌ وَقالٍ وَوامِقُ (٣)
تَغَيَّرَ حالِى وَاللَّيالِى بِحالِها وشِبْتُ وَما شابَ الزَّمانُ الغُرانِقُ (٤)

(١) البث الحزن . وفريقى هوى نصب على الحال من الضمير فى وقوفنا . يقول : وقفنا للوداع ومما زادنا حزنا انا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى ، منا مشوق — وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه — وشائق — وهو المعشوق يشوق عاشقه — وجمل هذه الحالة تزيده حزنا لان فراق الاحبة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف الذين لا علاقة بينك وبينهم (٢) قرحى كجرحى ومرضى جمع قريح أى جريح . والبهار زهر أصفر والشقائق جمع شقيقة زهر أحمر يقال له شقائق النعمان يقول: صارت الجفون قرحىٰ من كثرة البكاء ، وحمرة الخدود صفرة لاجل البين كما قال عبد الصمد ابن المعذل

بَا كَرَتْهُ الحُمَّى وراحَتْ عَلَيْهِ فَكَسَتْهُ حُمَّى الرَّواحِ بَهارًا
لَمْ تَشِنْهُ لَمَّا أَلَحَّتْ ولَكِنْ بَدَّلَتْهُ بالاِحْمِرارِ اصْفِرارًا

وقال أبو تمام

لَمْ تَشِنْ وجْهَهُ المَلِيحَ ولَكِنْ حَوَّلَتْ وَرْدَ وجْنَتَيْهِ بَهارًا

وقال أيضا

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ احْتِراقٌ يُعِيدُ بَنَفْسَجًا وَرْدَ الخُدُودِ

(٣) يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم يقول : على هذا مضى الناس قبلنا ، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة ، ومنهم ميت يموت ومولود يولد ، و منهم قال — مبغض — ووامق — محب — كما قال الاعشى

شَبابٌ وشَيْبٌ وافتِقارٌ وثَرْوَةٌ فللهِ هٰذا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

وقال الآخر

وما النَّاسُ والأَيَّامُ إلاَّ كَما تَرَى رَزِيَّةُ مالٍ أَوْ فِراقُ حَبِيبِ

(٤) الغرانق الشاب الناعم الجميل وجمعه غرانق بفتح الغين ويقال غرانيق وهو فى

سَلِ البيدَ أَيْنَ الجنُّ منَّا بجوْزِها ... وَعَنْ ذِي المَهارِي أَيْنَ منَّا النَّقانِقُ (١)

وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كأَنَّا جلتْ لنَا ... مُحَيَّاكَ فيه فاهتَدَيْنَا السَّمالِقُ (٢)

فَمَا زَالَ لَوْلَا نورُ وَجْهِكَ جُنْحهُ ... وَلا جابَهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الأَيانِقُ (٣)

وَهزٌّ أَطَارَ النَّوْمَ حتَّى كأَنَّنِي ... مِنَ السُّكْرِ فِي الغَرْزَيْنِ ثوبٌ شُبَارِقُ (٤)

شَدَوْا بِابْنِ اسحقَ الحُسَيْنِ فَصَافَحتْ * ذَفارِيَهَا كِيرانُهَا وَالنَّمارِقُ (٥)

---

(١) جوز كل شيء وسطه . والمهارى جمع مهرية وهى الابل المنسوبة إلى قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان . والنقانق جمع نقنق وهو ذكر النعام . يقول ــ لصاحبه ــ : سل البيد تخبرك أين تقع الجن منا بهذه المفازة أى اننا كنا أسرع فيها من الجن ، وعن ابلنا أين تقع منها الظلمان فى السرعة ، أى أن ابلنا كانت أسرع من النعام الاصل طائر مائى يشبه الكركى

(٢) دجوجى مظلم . وجلت كشفت وأظهرت . والمحيا الوجه . والسمالق فاعل جلت جمع سملق وهى الأرض البعيدة الطويلة . يقول : رب ليل مظلم كأن السمالق التى كنا نقطعها أظهرت لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره وهذا من قول مزاحم العقيلى

وُجُوهٌ لَوَ انَّ المُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بها ... صَدَعْنَ الدُّجَى حتى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

ويقول أشجع السلمى

مَلِكٌ بِنُورِ جَبِينِهِ ... نَسْرِي وبَحْرُ اللَّيْلِ طامِي

(٣) زال من الزوال أى ذهب وجنحه فاعل وجنح الليل اقباله بظلامه يجنح على النهار أى يميل عليه فيذهب ضوءه . وجابها قطعها أى السمالق . والايانق النياق جمع ناقة يقول : لولا نور وجهك لما زال الظلام ولولا النياق لما قطعنا السمالق

(٤) وهز عطف على الإيانق . والمراد بالسكر النعاس: والغرز ركاب للابل من جلد ويقال ثوب شبارق خلق ممزق . والهز التحريك يعنى تحريك الابل ركبانها فى سرعة سيرها وذلك يمنع النوم حتى يصير الانسان من غلبة النوم مائدا بين الغرزين كالثوب الخلق لكثرة تمايله يقول : لولا هذا الهز الذى وصفه والذى سببه الاسراع لما قطعنا السمالق اليه (٥) شدوا أى غنوا بمدح ابن اسحق . والذفرى الموضع الذى يعرق

بِمَنْ تقشعِرُ الأَرْضُ خَوْفاً إِذا مَشَى   عليها وَتَرْتَجُّ الجِبالُ الشَّوَاهِقُ (١)

فتىً كالسَّحابِ الجُونِ يُخشى وَيُرْتَجَى * يُرَجَّى الحيا منها وتُخشى الصَّوَاعق (٢)

وَلكنها تَمضِى وَهذا مُخَيِّمٌ   وَتكذبُ أَحيانًا وذا الدَّهرَ صادِق (٣)

تخلَّى من الدُّنيا لِيُنْسَى فما خَلَتْ   مغاربُها مِن ذِكرِهِ وَالمشارق (٤)

من البعير خلف الاذنين والسكيران جمع السكور وهو الرحل والنمارق جمع نمرقة وهى الوسادة تحت الراكب يقول : غنوا بمدح ابن اسحاق فنشطت الابل ورفعت رؤسها حتى صالحت ــ ماست ــ اقفاؤها الرحال والوسائد التى عليها ــ وذلك لطيب مدحه وأن الابل طربت مع حداتها لمدحه ، وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى

لاتَضْرِبُ الرَّكبُ الطَّلائحَ نَحْوَهُ   بَلْ باسْمِهِ يَزْجُرْنَ كلَّ طَلِيحِ

ويقول اسحق بن خلف

إذا ما حُدِينَ بمَدْحِ الأَميرِ   سَبَقْنَ لحاظَ الحَثِيثِ العَجِلْ

(١) بمن بدل من ابن اسحاق الا أنه أعاد العامل والاقشعرار أن ينتفش شعر الرجل على بدنه اذا أصابه خوف وترتج تضطرب وتتحرك والشواهق جمع شاهق وهو العالى يقول : تهابه الارض اذا مشى عليها ، وتتحرك الجبال خوفا منه

(٢) الجون جمع جون بفتح الجيم وهو الاسود والسحاب من الجموع التى بينها وبين مفردها الهاء ولذلك وصفها بالجون الذي هو جمع . والحيا المطر يقول : انه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب يرجى مطره وتخشى صواعقه ، وفى مثل هذا يقول البحترى

سَماحاً وبأساً كالصَّواعِقِ والحَيَا   إذا اجْتمعَا فى العَارِضِ المُتراكِمِ

ويقول الآخر

هُو عارِضٌ زَجِلٌ فمَنْ شاءَ الحَيَا   أَرضَى ومَنْ شاءَ الصَّواعِقَ أَغضبا

(٣) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمضى وهذا مقيم فى كل وقت ، والسحاب قد تكذب فى الرعد والبرق بأن لايكون فيها مطر والممدوح صادق فيما يعد ويقول (٤) يقول : زهد فى الدنيا وانقطع عن أهلها لينسى اعراضا عن الخلق فلم يزده ذلك الاجلالة قدر وبعد صيت اذ لم تخل الدنيا من ذكره لان صنائعه عامة ومعروفه شامل

غَذَا الهِنْدُوانيَّاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ المَخَانِقِ (١)

تُشَقَّقُ مِنهُنَّ الجُيُوبُ إِذَا غَزَا وَتُخْضَبُ منهنّ اللِّحَى وَالمَفَارِقُ (٢)

يُجَنِّبُهَا مَنْ حَتْفُهُ عنهُ غافلٌ وَيَصلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنهُ طالِقُ (٣)

يُحَاجَى بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهْوَ ساكِتٌ

يُرَى ساكِتاً وَالسَّيْفُ عَنْ فيهِ ناطِقُ (٤)

---

(١) الهندوانيات السيوف الهندية أى التى عملت ببلاد الهند والهام الرؤس . والطلى الاعناق . والمدارى جمع مدرى وهو مايفرق به الشعر . والمخانق جمع مخنقة وهي القلادة . يقول : غذى سيوفه بلحوم رؤس الاعداء وأعناقهم ، فقد طالت صحبتها للرؤس والاعناق كما تصاحبها المدارى والمخانق ، يعنى اذا علت سيوفه الرؤس صارت بمنزلة المدارى واذا علت الاعناق صارت بمنزلة المخانق

(٢) تشقق بحذف احدى التاءين أى تتشقق ويروى تشقق بضم التاء على البناء للمجهول والجيوب نائب فاعل . والجيوب جمع جيب ماينفتح على النحر من أعلى الثوب . والمفارق جمع مفرق وسط الرأس . يقول : اذا غزا شققت الثاكلات جيوبهن من جراء ماتفعله سيوفه من القتل ، وخضبت لحى الفرسان ومفارقهم بما يسيله من الدماء

(٣) جنبته الشيء اذا باعدته عنه . وصلى بالامر يصلى اذا قاسى حره وشدته وأصله من صلى بالنار اذا قاسى حرها . يقول : من غفل عنه حتفه — موته وهلاكه — ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها ، وأما الذى يقاسى بلاءها هو من نفسه طالق منه أى مفارقته كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه ، اذ هى لامحالة قاتلته

(٤) يحاجى به أى يغالط من الاحجية وهى الكلمة المخالفة اللفظ للمعنى كالشىء الملغز به يلقى على الانسان ليستنبط معناه كما قال أبو نروان : ماذو ثلاث اذان ، يسبق الخيل بالرديان ، يعنى السهم وآذانه قذذه ، واصل الكلمة من قولهم حجا يحجو اذا أقام وثبت فقيل لها أحجية لان الملقى عليه يحتاج الى التثبت والتفكر . يقول : ان الناس يحاجى بعضهم بعضا بهذا الممدوح يقولون ماناطق وهو ساكت ، ثم فسر هذا بالمصراع الثانى فقال يرى ساكتا — يعنى الممدوح — لايفتخر ولايذكر شجاعته والسيف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى ان الناس اذا سأل بعضهم بعضا عمن بهذه الصفة

نَكِرْتُكَ حتى طَالَ مِنكَ تَعَجُّبِي ... ولا عجبٌ من حُسْنِ ما اللهُ خالقُ (١)

كأنكَ في الاعطاءِ لِلمالِ مُبغضٌ ... وفي كلِّ حَرْبٍ للمنيَّةِ عاشقُ

أَلاَ قلَّمَا تبقَى على ما بَدَا لهَا ... وحَلَّ بهَا مِنكَ القنَا والسَّوابقُ (٢)

سَيُحيي بكَ السُّمَّارُ مالاحَ كَوْكَبٌ ... ويَحْدُو بكَ السُّفَّارُ ماذَرَّ شارقُ (٣)

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذَا الجمَالَ بِبُرْقُعٍ * فإنْ لُحْتَ ذَابَتْ في الخدورِ العواتقُ (٤)

فما تَرْزُقُ الأَقْدَارُ مَنْ أَنتَ حَارِمٌ * ولاتحرِمُ الأَقْدَارُ مَنْ أَنتَ رَازِقُ (٥)

ولا تَفْتُقُ الأَيَّامُ ما أَنتَ رَاتِقٌ ... وَلاَ تَرْتُقُ الأيَّامُ ما أَنتَ فاتقُ (٦)

فالجواب الحسين بن اسحاق (١) نكرت الشيء وأنكرته اذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر الا هذا اللفظ لفظ الماضي ومنه قول الاعشى

وأَنكَرَتني وما كانَ الذي نَكِرَتْ ... مِنَ الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

يقول : أنكرت أن يكون أحد مثلك فى فضلك واستغربت ذلك حتى طال تعجبي ثم علمت ان الله قادر على أن يخلق ما يريد واذن لا عجب (٢) القنا فاعل تبقى . والسوابق الخيل . يقول : ان الرماح والخيل لاتبقى على ما نزل بها منك . من كثرة استعمالها فى الحروب والغارات

(٣) السمار جمع سامر الذين يسمرون ليلا . وذر طلع . والشارق الكوكب . وقوله مالاح وماذر فما مصدرية زمانية أى مدة ظهور الكواكب وهذا كناية عن الدوام والتأبيد يعنى : أنت أبدا يحيي السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغني المسافرون بمدائحك فيحدون الابل بها (٤) العواتق جمع عاتق الشابة من النساء . والخدور جمع خدر . يقول استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك فانك ان ظهرت ذابت الشواب فى خدورهن شوقا اليك وهياما بك ، ويروى حاضت وذلك أن المرأة اذا اشتدت شهوتها وأفرطت سال ــ زعموا ــ دم حيضها (٥) و (٦) الرتق ضد الفتق . يقول : ان الاقدار والايام لاتخالفه فيما يصنع من حرمان ورزق ورتق وفتق بل هى موافقة له مؤاتية كما قال أشجع

فلا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطهُ ... ولا يَضِيعُ النَّاسُ ما يَرْفَعُ

لكَ الخيرُ غيرِى رَامَ مِنْ غيرِكَ الغِنَى ... وَغيرِى بِغَيرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ (١)

هِىَ الغَرَضُ الأَقصى وَرُؤْيتكَ المُنَى ... وَمنزِلكَ الدُّنْيَا وَأَنتَ الخلائِقُ (٢)

وعرض عليه بدر بن عمار الصبحة فى غد فقال ارتجالا

وَجَدْتُ المُدَامةَ غلَّابةً ... تُهَيِّجُ لِلقلْبِ أشْوَاقَهُ (٣)

تُسِيءُ مِنَ المَرْءِ تأْدِيبَهُ ... وَلكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ (٤)

وَأَنْفَسُ مَا لِلفتى لُبُّهُ ... وَذُو اللُّبِّ يَكْرَهُ إنفَاقَهُ (٥)

وَقَدْ مُتُّ أَمْسِ بهَا مَوْتَةً ... وَلا يَشْتهِى المَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ (٦)

وقال فى وصف لعبة عند بدر بن عمار

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لا عَيْبَ فِيها ... سِوَى أَنْ لَيْسَ تَصلُحُ لِلْعِنَاقِ (٧)

---

(١) لك الخير دعاء للممدوح بأن يرزق الخير . ورام قصد . واللاذقية بلد الممدوح . يقول : غيرى يطلب الغنى من غيرك أى أنا لا أطلبه الا منك ، وغيرى يلحق بغير بلدك أى أنا لا أقصد الا بلدك

(٢) يقول : ان بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الابعد أى هى غاية مايطلبه الانسان فاذا بلغها لم يطلب بعدها شيأ ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ، وأنت جميع الناس

(٣) المدامة الخمر . وغلابة تغلب العقل ثم قال وتحرك الشوق كما قال البحترى

مِنْ قَهْوةٍ تُنْسِى الهُمُومَ وَتبْعَثُ الشَّـوْقَ الَّذِى قدْ ضَلَّ فى الاحشَاءِ

(٤) أراد بسوء الأدب مايكون من الشارب من قول الخنا والعربدة والحركات المفرطة وبتحسين الأخلاق ماتحدثه فيه من السماحة والبذل وفى الخمر يقول القائل

رأيتُ أَقلَّ الناسِ عَقلاً إذَا انْتَشَى ... أَقلَّهُمْ عَقْلاً إذا كانَ صَاحِيَا

تَزِيدُ حُمَيَّاها السَّفِيهَ سَفَاهةً ... وتترُكُ أَخْلاقَ الكَرِيمِ كمَاهِيَا

(٥) يقول : أعز وأثمن ماللانسان عقله ، والعاقل يكره ضياع عقله (٦) جعل غلبة السكر على عقله كالموت ثم قال ومن مات مرة لايشتهى العود اليه (٧) الغدائر جمع غديرة الذؤابة من الشعر ، يقول . هذه لعبة ذات شعر ولكنها لاتصلح للعناق لانها غير آدمية

أَمَرْتَ بِأَنْ تُشَالَ فَفَارَقَتْنَا ... وَمَا أَلِمَتْ لِحَادِثَةِ الْفِرَاقِ (١)

إِذَا هَجَرَتْ فَعَنْ غيرِ اخْتِيَارٍ ... وَإِنْ زَارَتْ فَعَنْ غيرِ اشْتِيَاقِ

وعرض عليه محمد بن طغج الشرب

فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال

سَقَانِي الخَمْرَ قَوْلُكَ لِي بِحَقِّي ... وَوُدٌّ لَمْ تَشُبْهُ لِي بِمَذْقِ (٢)

يَمِيناً لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاءٍ ... عَلَى قَتْلِي بِهَا لَضَرَبْتُ عُنْقِي (٣)

وقال يصف فرساً تأخر الكلأ عنه بوقوع الثلج

وهي من الرجز والمتدارك

مَا لِلْمُرُوجِ الْخُضْرِ وَالحدائِقِ ... يشكو خَلَاهَا كَثْرَةَ الْعَوَائِقِ (٤).

أَقَامَ فِيهَا الثَّلْجُ كَالْمُرَافِقِ ... يَعْقِدُ فَوْقَ السِّنِّ رِيقَ الْبَاصِقِ (٥).

ثُمَّ مَضَى لَا عَادَ مِنْ مُفَارِقِ ... بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وسائِقِ (٦).

كَأَنَّمَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ ... يَأْكُلُ مِنْ نَبْتٍ قَصِيرٍ لَاصِقِ (٧).

---

(١) تشال ترفع

(٢) المذق المزج وشابه خلطه يقول : انما شربت الخمر لانك أقسمت بحياتك فشربتها ولأني أحبك حبا خالصا غير مشوب (٣) يقول : سقانيها أقسامك على بذلك قسما لو أقسمته تريد به قتلي لفعلت ذلك (٤) المروج جمع مرج الموضع تمرج فيه الدواب أي ترسل لترعى . والخلا الكلأ الرطب : والعوائق جمع عائق مايعوق عن النفاذ في الشيء ، يقول : نبتها يشكو كثرة الموانع من الطلوع ، وأراد بالعوائق – الموانع – البرد والثلج التي تمنع من الظهور (٥) يقول : أقام الثلج في هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل اذا بصق جمد ريقه فوق أسنانه (٦) ثم مضى أي الثلج باذابة الحر إياه ، وجعل أوائل ماذاب من الثلج قائدا له وأواخره سائقا ، يعني أن الثلج قد انحسر بذوبه فكأن الذوب قاده وساقه حتى ذهب : و يروى من دونه أي من قدامه وذلك أن قائد الشيء يكون أمامه وسائقه يكون خلفه (٧) الطخرور اسم فرسه

كَقَشْرِكَ الْحِبْرَ عَنِ الْمَهَارِقِ　　أَرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوذَانِقِ (١)

بِمُطْلَقِ الْيُمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ　　عَبْلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَافِقِ (٢)

رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ　　ذِي مَنْخِرٍ رَحْبٍ وَأَطْلٍ لَاحِقِ (٣)

مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كُمَيْتٍ زَاهِقِ　　شَادِخَةٍ غُرَّتُهُ كَالشَّارِقِ (٤)

كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ (٥)

وباغى طالب والآبق الهارب ولاصق أى بالارض لا يرتفع عنها يقول : انه لأعواز المرعى كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يثبت فى مكان واحد كأنه يطلب آبقا لتردده فى طلب المرعى (١) المهارق جمع المهرق وهو الصحيفة يكتب فيها معرب مهره كرده وذلك انهم كانوا يأخذون الخرق ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ويكتبون عليها ، شبه رعى فرسه النبات اللاصق بالارض بقشر الحبر عن الصحيفة والشوذانق الشاهين ــ الصقر ــ معرب سه دانك أى نصف درهم يراد أنه كنصف البازى يقول : أرود ــ أى أطلب ــ الكلأ والنبات من هذا الفرس بفرس كالشوذانق لخفته ، يريد فرسه على سبيل التجريد

(٢) بمطلق اليمنى بدل من بكالشوذانق . والمراد بكونه مطلق اليمنى أنه لا تحجيل فيها بناء على تشبيه التحجيل فى القوائم الثلاث بالقيد . والفائق مغرز الرأس فى العنق ، واذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ، وعبل الشوى ضخم الاطراف . والمرافق جمع مرفق موصل الذراع فى العضد واذا تدانت مرافقه كان أمدح له (٣) رحب اللبان واسع الصدر ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعا يجيء ويذهب ليكون خطوه أبعد فانه انما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق فالطرائق طرائق اللحم ونائه من ناه الشيء ينوه اذا علا ونهت به ونوهته اذا أشدت به والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية وقال ابن جني الطرائق الاخلاق أى مرتفع الاخلاق شريفها لعتقه وكرمه . وقال ابن جنى الرواية نابه يقال امرؤ نابه اذا كان عظيما جليلا . وقوله ذى منخر رحب فانه يستحب سعة المنخر لئلا يحبس نفسه . والاطل الخاصرة ولحوقها ضمورها (٤) التحجيل بياض القوائم . والنهد العالى المشرف . والزاهق الذى بين السمين والمهزول . والغرة البياض فى وجه الفرس والغرة الشادخة التى تملأ الوجه والشارق الشمس شبه بياض وجهه بالشمس (٥) البارق السحاب

بَاقٍ عَلى الْبَوْغاءِ والشَّقَائِقِ (١) وَالأَبْرَدَيْنِ والْهَجِيرِ المَاحِقِ (٢)

لِلْفَارِسِ الرَّاكِضِ مِنْهُ الْوَاثِقِ خَوْفُ الجَبَانِ فِى فُؤَادِ العَاشِقِ (٣)

كَأَنَّهُ فى رَيْدِ طَوْدٍ شَاهِقِ (٤) يَشْأَى إلى السَّمْعِ صَوْتَ النَّاطِقِ (٥)

لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ المَشَارِقِ جاءَ إِلى الْغَرْبِ مَجِىءَ السَّابِقِ

يَتْرُكُ فِى حِجَارَةِ الأَبَارِقِ آثَارَ قَلْعِ الحَلْىِ فى المَنَاطِقِ (٦)

مَشْيًا وإِنْ يَعْدُ فَكَالْخَنَادِقِ (٧)

لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقِ لأَحْسَبَتْ خَوَامِسَ الأَيَانِقِ (٨)

ذو البرق . جعل غرته برقا وباقى الجسد سحابا (١) و (٢) البوغاء التربة الرخوة . والشقائق جمع الشقيقة وهى أرض يكون فيها رمل وحصى . والابردان الغداة والعشى . والهجير شدة الحر وقت الهاجرة – نصف النهار – والماحق الذى يمحق كل شىء بحرارته . يقول : ان فرسه ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد

(٣) للفارس خبر مقدم وخوف مبتدأ مؤخر . وركض الفرس ضربه برجله ليعدو يقول : لنشاطه وشدة قوته اذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كانه خوف الجبان – ضد الشجاع – اذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق

(٤) فى ريد أى على ريد والريد الحرف الشاخص من الجبل . والطود الجبل والشاهق العالى . يقول : لعظم هذا الفرس كأن فارسه منه على جبل عال (٥) يشأى يسبق . يقول: لسرعته وحدته فى جريانه يسبق الى الاذن صوت الصارخ فيصل اليها قبل وصول الصوت (٦) الابارق جمع الابرق وهوا كام فيها حجارة وطين . وآثار مفعول يترك . والمناطق جمع منطقة ما يشد بها الوسط . يقول : لشدة عدوه وقوة وطئه اذا وطىء الابرق بحوافره ترك فيه آثارا كآثار الحلى اذا قلع من المناطق

(٧) مشيا حال على تأويله بالوصف . يقول : ان هذا التأثير الذى ذكره انما يكون اذا مشى فان عدا ترك آثارا كالخنادق (٨) غب سحاب أى بعده . واحسبت كفت ومنه حسبنا الله أى كفانا . والخوامس الابل التى ترد الخمس – بكسر الخاء – وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع . والايانق جمع أينق جمع ناقة.

إذا اللِّجَامُ جاءَهُ لِطَارِقِ شَحَا لَهُ شَحْوَ الغُرَابِ النَّاغِقِ (١)
كأَنَّمَا الجِلْدُ لِعُرْىِ النَّاهِقِ مُنْحَدِرٌ عَنْ سِيَتَىْ جُلاَهِقِ (٢)
بَذَّ المَذَاكِى وهْوَ فى العَقَائِقِ وزَادَ فى السَّاقِ على النَّقَانِقِ (٣)
وزَادَ فى الوَقْعِ على الصَّوَاعِقِ وزَادَ فى الأُذْنِ على الخَرَانِقِ (٤)
وزَادَ فى الحِذْرِ على العَقَاعِقِ يُمَيِّزُ الهَزْلَ مِنَ الحَقَائِقِ (٥)
ويُنْذِرُ الرَّكْبَ بِكلِّ سَارِقِ يُرِيكَ خُرْقًا وهْوَ عَيْنُ الحَاذِقِ (٦)

يقول : لو أوردت هذه الآثار التى هى كالخنادق بعد اقلاع سحاب صادق المطر لكان فيها من الماء ما يكفى نياقا عطاشا ترد الخمس ، يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الارض اذا عدا (١) شحا فتح فاه . والناغق — بالغين والعين — الصائح . يقول : اذا ألجم لحادث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنعيق ، يريد أنه مع شدته وعتقه لا يمتنع من الالجام ويريد أيضا أنه واسع الفم (٢) الناهق عظم ناتىء فى مجرى الدمع من الفرس وهما ناهقان ويستحب عريهما من اللحم . وسيتا القوس جانباه . والجلاهق البندق الذى يرمى به . يقول : ان هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيتى قوس البندق (٣) المذاكى جمع مذك الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة . والعقائق جمع عقيقة وهى الشعر الذى يولد المولود وهو عليه والنقانق جمع نقنق وهو ذكر النعام يقول: انه سبق الخيل المسنة وهو بعد فلو صغير لا يزال شعر الولادة عليه وزاد على النعام فى طول الساق وصلابته كما قال امرؤ القيس

* لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامةٍ *

(٤) الخرانق جمع الخرنق وهو ولد الارنب يقول : ان صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق قال الواحدى : ويجوز أن يريد ان ناروطء حوافره تزيد على صواعق السحاب ثم قال المتنبى : وان أذنه تزيد فى الدقة والانتصاب على آذان الارانب

(٥) العقاعق جمع عقعق ضرب من الغربان يضرب به المثل فى الحذر فيقال أحذر من عقعق وقوله يميز الهزل من الحقائق يريد انه إذا أحضره صاحبه — أى ركضه — فطن الى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد فلعب أو جد حسب مراد صاحبه

(٦) يقول : انه لذكائه وحذقه اذا أحس سارقا بليل صهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل

يَحُكُّ أَنَّى شَاءَ حَكَّ الْبَاشِقِ ... قُوبِلَ مِنْ آفِقَةٍ وَآفِقِ (١)

بَيْنَ عِتَاقِ الْخَيْلِ وَالْعَتَائِقِ ... فَعُنُقُهُ يُرْبِى عَلَى الْبَوَاسِقِ (٢)

وَحَلْقُهُ يُمْكِنُ فِتْرَ الْخَانِقِ ... أَعْدَدْتُهُ لِلطَّعْنِ فِى الْفَيَالِقِ (٣)

وَالضَّرْبِ فِى الأَوْجُهِ وَالْمَفَارِقِ ... وَالسَّيْرِ فِى ظِلِّ اللِّوَاءِ الْخَافِقِ (٤)

يَحْمِلُنِى وَالنَّصْلُ ذُو السَّفَاسِقِ ... يَقْطُرُ فِى كُمِّى عَلَى الْبَنَائِقِ (٥)

الاعراب ، والخرق ضد الحذق ؛ أى لشدة جريه وتناهيه فى العدو — الجرى — تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق — ماهر — وحذقه أنه لا يخرج ماعنده من الجرى مرة واحدة وانما يعرف ما يراد منه فيستبق جريه كما قال القائل

وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عُلَالَةً ... مِنَ الْجَذَعِ الْمُرْخَى وَأَبْعَدُ مَنْزَعا

وفيه نظر الى قول أبى تمام

ذُو أَوْلَقٍ عِنْدَ الْجِرَاءِ وَإِنَّمَا ... مِنْ صِحَّةٍ إِفْرَاطُ ذَاكَ الأَوْلَقِ

« الاولق الخفة من النشاط كالجنون » (١) يصفه بلين المعاطف وانه يحك بدنه كيف شاء وأين شاء كالباشق — طائر من أصغر الجوارح — الذى ينتهى رأسه ومنقاره الى أى موضع أراد من جسده ، ثم قال : ان العتق — الكرم — يكتنفه من قبل أبيه وأمه فكرم الام يقابل فيه كرم الاب . فالآفق من كل شىء فاضله وشريفه

(٢) البيت تتمه لما فى المصراع الاخير من البيت السابق والعتاق من الخيل الكرام والاناث عتائق . والبواسق جمع باسقة النخلة العالية يقول : ان أبويه آفقان بين كرام الخيل وكرائمها أى أنه وسيط فى العتق ثم قال : وعنقه يزيد على النخل الطوال طولا والخيل توصف بطول الاعناق كما قال القائل

* وَهَادِيهَا كَأَنْ جِذْعُ سَحُوقُ *

(٣) يقول : ان أعلى حلقه دقيق حتى لو أراد الخانق أن يطوقه بفتره — مابين الابهام والسبابة — لاستطاع وأمكنه ذلك ، والفيالق الكتائب من الجيش

(٤) وَالضرب عطف على الطعن (٥) النصل حديدة السيف وسفاسقه طرائقه والبنائق جمع بنيقة لبنة القميص يقول : يحملنى فى الحرب وسيفى يقطر دما — دم

لا أَلحَظُ الدُّنيَا بِعَيْنَيْ وَامِقٍ ... وَلا أُبالي قِلَّةَ المُوَافِقِ [1]

أَيْ كَبْتَ كُلِّ حَاسِدٍ مُنَافِقِ ... أَنْتَ لَنا وَكُلُّنا لِلْخالِقِ [2]

وقال يهجو اسحق بن كيغلغ وقد بلغه أن غلمانه قتلوه

قالوا لَنامَاتَ اسْحقُ فقُلْتُ لَهُمْ ... هَذَا الدَّوَاءُ الَّذي يَشْفي مِنَ الْحُمقِ [3]

إِنْ ماتَ ماتَ بِلاَفَقْدٍ وَلاَ أَسَفٍ ... أَوعاشَ عاشَ بلاخَلْقٍ ولاخُلُقِ [4]

مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هامَتَهُ ... خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الغَدْرِ في المَلَقِ [5]

وَحَلْفَ أَلْفِ يَمِينٍ غيرِ صادِقَةٍ ... مَطْرُودَةٍ كَكُعُوبِ الرُّمْحِ في نَسَقِ [6]

القتلى ـ في كمي على بنائق ، أي يحملني والسيف هذه حاله (١) الوامق المحب يقول : لا أنظر الى الدنيا بعيني عاشق محب لها فيذل لطلبها ولا أبالي أن لا أجد فيها من يوافقني على طلب معالي الامور بل أعمل على طلبها وحدي (٢) أي حرف نداء وكبت عدوه أذله ورده بغيظه وكبته الله لوجهه صرعه قال ابن جني يخاطب ممدوحا له. وقال الواحدي : انما يخاطب الفرس الذي وصفه يقول : أنت تكبت حسادي لانهم يحسدونني عليك ثم قال . أنت لنا ونحن وأنت لله (٣) يقول : لادواء للاحمق الا الموت كما قال البحتري

ماقضى اللهُ للجَهولِ بِشيْءٍ ... يَتلافاهُ مِثلَ حَتفٍ قاضِ

(٤) يقول : ان موته وحياته سواء فان مات مات وليس من يأسف على موته ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقودا كما قال

* فإذا مُتَّ مُتَّ غيرَ فقيد *

وان عاش عاش وليس من يحفل به أو يبال اذ ليس له خلق كريم اوخلقة جميلة كما قال الخبز أرزي

فأنت في الخَلق لاوجهٌ وَلا بدنٌ ... وأَنْت في الخُلْقِ لا عقلٌ ولا أدبُ

(٥) هامته رأسه والخون الخيانة . والملق اظهار المحبة يقول : ان العبد الذي قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفي قلبه دغل فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه (٦) وحلف عطف على خون يقول : وتعلم منه أن يحلف ألف

مازِلْتُ أَعْرِفُهُ قِرْداً بِلاَ ذَنَبٍ ... صِفْراً مِنَ البَأْسِ مَمْلُوّاً مِنَ النَّزَقِ (١)

كَرِيشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ ساقِطَةٍ ... لاَ تَسْتَقِرُّ عَلَى حالٍ مِنَ القَلَقِ (٢)

تَسْتَغْرِقُ الكَفُّ فَوْدَيْهِ وَمَنْكِبَهُ ... وَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الجَوْرَبِ العَرِقِ (٣)

فَسائِلُوا قاتِلِيهِ كَيْفَ ماتَ لَهُمْ ... مَوْتاً مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتاً مِنَ الفَرَقِ (٤)

وَأَيْنَ مَوْقِعُ حَدِّ السَّيْفِ مِنْ شَبَحٍ ... بِغَيْرِ رأْسٍ وَلاَ جِسْمٍ وَلاَ عُنُقِ (٥)

لَوْلاَ اللِّئامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشابَهَةٍ ... لَكانَ أَلْأَمَ طِفْلٍ لُفَّ فِي خِرَقِ (٦)

يعين كاذبة مطرودة — مطردة متتابعة — كما يهب الرمح ، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه

شَرَفٌ تتابعَ كابراً عن كابر ... كالرُمح أُنبوبا على أُنبوبِ

وقوله أيضا

نسبٌ كمااطَّرَدَت كُعوب مثقَّفٍ ... لَدْنٍ يَزيدك بسطةً فى الطُولِ

(١) يقول : مازلت أعرفه قردا الا أنه لا ذنب له ، وأعرفه فارغا من الشجاعة إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشا ولله ابن الرومى حين يقول

معشرٌ أَشبهوا القرودَ ولكن ... خالفوها فى خِفَّة الأَرْواحِ

(٢) يقول : هو من القلق كريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر من القلق على حال، يصفه بالطيش وأنه لايثبت على حال كما قال ابن الرومى

لَحِلمك أطيشُ من ريشةٍ ... ورُوحكَ من هضبةٍ أَرْجحُ

(٣) الفودان جانبا الرأس . والجورب هو «الشراب» الذى توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعرق الذى بله العرق . يقول : هو صغير الرأس قصير العنق وهو أيضا شيء حقير فاذا صفع استغرقت أكف الصافعيه هذه المواضع من بدنه فتكتسى أكفهم نتنا منه لنتن رائحته (٤) الفرق الخوف والفزع . يقول : هوجبان فسائلوا قاتليه هل مات خوفا أو مات بالضرب ، ولله أبو تمام حين يقول

وإلا فأَعلِمه بأنك ساخطٌ ... عليه فان الخوفَ لا شكَّ قاتلُهْ

(٥) يصفه بانه غير شيء لدمامته وصغر قدره فكأنه لا أعضاء له (٦) يريد باللئام

كَلَامُ أَكْثَرِ مَنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ ... مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الآذَانِ وَالْحَدَقِ (١)

وقال يمدح أبا العشائر الحسن بن على بن الحسن بن الحسين

ابن حمدان العدوى

أَتُرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ ... تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي (٢)

كَيْفَ تَرْثِي الَّتِي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ ... رَاءَهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِي (٣)

آباءه يقول: لولا أنهم سبقوه فى اللؤم وجاء مشابها لهم فيه لكان ألأم طفل ولكنهم شركاؤه فى ذلك فليس هو الا لأم وفى هذا نظر الى قول بعضهم

إذا ولدَتْ حليلةُ باهليٍّ ... غلاماً زِيدَ فى عددِ اللِّئامِ

(١) ومنظره، أى وجهه او النظر اليه ويشق يثقل يقول: ان أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لما فيه من السقط والهذر ومنظره على الاحداق ــ العيون ــ لما ينطوى عليه من الغل والخبث واضمار غير الجميل وان كان يلقاك بالبشر

يلقاك والعسلُ المصفَّى يُجتنى ... مِنْ قوله ومن الفعالِ العلقمُ

يُبدى الهوى ويثورُ ــ إنْ عَرَضت لهُ ... فُرَصٌ ــ عليك كما يثورُ الأرقمُ

«الابيوردى»

فلا تغرَّنْك ألسنةٌ رِطابٌ ... بطائنهنَّ أكبادٌ صوَادِ

«الديلمى»

فيارُبَّ وجهٍ كصافى النمير ... تشابهَ حاملهُ والنَمِرْ

«شوقى»

إن شئتَ أن يسودَّ ظنُّك كلُّهُ ... فأجِلْهُ فى هذا السوادِ الأعظمِ

ليس الصديقُ بمن يُعيرك ظاهراً ... مُتبسما عن باطنٍ متجهِّمِ

«أبو تمام»

(٢) أترها أتظنها. والمآقى جمع مؤق مؤخر العين مما يلى الانف. يقول ــ لصاحبه: أتظنها لكثرة ما ترى الدمع فى مآقى عشاقها تتوهم أنه خلقه فيها فلا ترحم من يبكى ولا ترثى له كما قال فى البيت التالى (٣) راءها أصلها رآها قدم الالف وأخر الهمزة

أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكِ لكِنَّكِ عُوفِيتِ مِنْ ضَنًى وَاشْتِيَاقِ (١)

حُلْتِ دُونَ المَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْ تِ لَحَالَ النُّحُولُ دُونَ العِنَاقِ (٢)

إِنَّ لَحْظًا أَدَمْتِهِ وَأَدَمْنَا كَانَ عَمْدًا لَنَا وَحَتْفَ اتِّفَاقِ (٣)

لَوْ عَدَا عَنْكِ غَيْرَ هَجْرِكِ بُعْدٌ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ المَنَاقِي (٤)

وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الأَرْمَاقِ (٥)

ضرورة . وغير الاولى منصوبة علي الاستثناء والثانية على الحال . وراق أى منقطع الدمع وأصله راقىء تقول رقأ الدمع والدم يرقأ اذا انقطع ، فلينه يقول : ان هذه المعشوقة لا ترحم باكيا وكيف ترحمه وهي ترى كل جفن من الناس الا جفنها سائل الدمع لهجرها فهى لا ترحم أحدا لانها تظن الدموع فى أجفان العشاق خلقة

(١) يقول : أنت أيضا من معشر عشاقك أى أنت عاشقة لنفسك حين منعتها منا الا أنك عوفيت من الضنى ــ النحول ــ والاشتياق لانك واصلت محبوبك وهو نفسك، ومعنى فتنت نفسك أى بالحب أى فأنت مفتونة بعشق نفسك ، والاصل فى هذا المعنى قول جحظة

لو ترى ما أراهُ منكَ إذا ما جال ماء الشباب فى وجْنتَيْكا

لتمنَّيت أن تقبِّلَ خدَّيْـ ك وإن لم تَصلْ إلى خدَّيكا

(٢) يقال حال دونه حائل كما يقال عاق دونه عائق والمزار هنا مصدر بمعنى الزيارة . يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نحلت شوقا اليك فلو زرتنى اليوم لم تقدرى على معانقتى لشدة نحولى ودقة جسمى ، فاليس فى بقية لعناقك (٣) يقول : ان النظر الذى كررته الينا وكررناه اليك كان عن تعمدمنا فانفق لنا فيه الحتف ــ الهلاك ــ من غير قصد منا اليه

(٤) عدا عنك صرف عنك ومنع من لقائك . وارار بمعنى أذاب . والرسيم ضرب من سير الابل . والمناقى جمع منقية وهى الناقة السمينة التى فى عظامها نقى أى مخ . يقول : لوكان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لا هجرك لواصلنا السير اليك حتى تنفى الابل ويسيل مخها أى لأتعبناها فى طى البعد بيننا ولكن الذى يحول بيننا هو الهجر وهو مالا سبيل الى قطع مسافته بالسير كما قال أيضا

أبْعدُ نأيِ المليحةِ البخَلُ فى البُعدِ مالاَ تكلفُ الابلُ

(٥) الضمير فى عليها للمناقى . والارماق جمع رمق بقية الروح : يقول : ولسرنا ولو

مابنا منْ هوَى العُيُونِ اللَّوَاتِى لَوْنُ أَشفَارِهِنَّ لَوْنُ الحِدَاقِ (١)
قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيالِى المَواضى فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيالى البَوَاقى (٢)
كاثَرَتْ نائِلَ الأَمِيرِ مِنَ المَا لِ بِمَا نَوَّلَتْ مِنَ الإِيرَاقِ (٣)
لَيْسَ إِلاَّ أَبَا العشائِرِ خَلْقٌ سادَ هذَا الأَنامَ باستِحْقاقِ (٤)

وصلنا وقد نحلنا وهزلنا من شدة الشوق حتى نصير من الخفة كأننا أنفاس على أرماق أى على ابلنا التى نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها الا الذماء فكانها ارماق كما قال الآخر

* أَنْضَاءُ شَوْقٍ عَلَى أَنْضاءِ أَسْفارِ *

وكما قال هو أيضا

بَرَتْنى السُّرَى بَرْىَ المُدَى فرددنَنى أخفُّ على المركوبِ من نفَسى جِرْمِى

(١) مابنا استفهام معناه التعجب . والاشفار جمع شفر منبت الهدب . والحداق جمع حدقة يقول : أى شيء أصابنا من هوى العيون الكحلاء الجفون السوداء الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتها بالهجران ، وأيام الوصال توصف بالقصر وأيام الهجر توصف بالطول وقوله وأطالت بها أى أطالت ليالى الهجر بليالى الوصال أى بذكرها والتحسر عليها (٣) قال الواحدى : الايراق مصدر قولهم أورق الصائد اذا لم يصد شيأ وأورق الغازى إذا لم يغنم ، قال : وكان الخوارزمى يقول فى تفسير هذا البيت : هي تطلب باسهادها الغاية طلب الامير بانالته النهاية ، فكانها تكاثره نوالا لكن نوالها الارق ونواله الورق . قال الواحدى : فان كان أبو الطيب أراد بالايراق هذا — أى أنه من الارق — فقد أخطأ لانه لايبنى الافعال من الارق انما يقال أرق يأرق أرقا وأرقه تأريقا ، والاولى أن يحمل الايراق على منع الوصل والتجنب منه يقول: هى فى منعها وصلها فى النهاية كما أن الامير فى بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكاثر عطاءه بمنعها ، ولا يخفى مافى البيت من حسن التخلص

(٤) خلق اسم ليس وأبا العشائر خبرها أو تقول خلق اسم ليس وخبرها الجملة بعده وأبا العشائر مستثنى ، ومما يتصل بمعنى البيت قول البحترى

قدرهُ مرتفع عن حظِّهِ لا يرُعك الحظُّ لم يوجد بِحقْ

طَاعِنُ الطَّعْنَةِ الَّتِى تَطْعَنُ الْفَيْــــلَقَ بِالذُّعْرِ وَالدَّمِ الْمُهْرَاقِ (١)
ذَاتُ فَرْغٍ كَأَنَّهَا فِى حَشَا الْمُخْــــبَرِ عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الإِطْرَاقِ (٢)
ضَارِبُ الْهَامِ فِى الْغُبَارِ وَمَا يَرْ هَبُ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِى هُوَ سَاقِ (٣)
فَوْقَ شَقَّاءَ لِلأَشَقِّ مَجَالٌ بَيْنَ أَرْسَاغِهَا وَبَيْنَ الصِّفَاقِ (٤)
مَا رَآهَا مُكَذِّبُ الرُّسْلِ إِلاَّ صَدَّقَ الْقَوْلَ فِى صِفَاتِ الْبُرَاقِ (٥)
هَمُّهُ فِى ذَوِى الأَسِنَّةِ لا فِيــــهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنِّطَاقِ (٦)

---

(١) طاعن خبر مبتدا محذوف أى هو طاعن . والفيلق الجيش . والذعر الفزع . والمهراق المصبوب . يقول : اذا طعن واحدا من الجيش فرأوا الطعنة وسعتها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفا شديدا فكأنه طعن الجيش كله (٢) ذات خبر مبتدا محذوف أى طعنته ذات فرغ . ومن نصب ذات فهى حال من الطعنة بمعنى واسعة كأنه قال تطعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه اذا خفضه وطأطأه . والمخبر يروى بفتح الباء وبكسرها . يقول : ان طعنته واسعة حتى كأن دمها يجرى من فرغ دلو ، واذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفا واستعظاما حتى لكأنها فى جوفه (٣) يقول : هو ضارب الهام — الرؤس — فى الهيجاء ويسقى الاقران كؤس الموت ولايبالى أن يشرب مايسقيهم شجاعة وولوعا بالمجد والفخار ومن ثم لايبالى بالموت (٤) فوق شقاء أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء مؤنث أشق ويقال فرس أشق اذا كان رحب الفروج طويل القوائم . والارساغ جمع رسغ وهو مستدق مابين الحافر ومفصل الوظيف . والصفاق جلدة البطن . يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان — الذكر — الطويل بين قوائمها وبطنها

(٥) البراق هو ذلك الذى روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله عليه ركبه ليلة الاسراء وقطع به مابين الارض والسماء فى ليلة وقيل فى وصفه انه يضع يديه عند منتهى بصره وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : ان هذه الفرس تجرى جرى البراق فاذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ماقيل فى وصف البراق (٦) يقول : اذا احاطت به الابطال حتى صارت اسنتها — رماحها — حوله كالنطاق فان همته حينئذ انما هى

ثاقبُ الرأيِ ثابتُ الحِلْمِ لا يَقْـــدِرُ أَمْرٌ لهُ عَلَى إِقْلاَقِ[(١)]

يا بَنِي الحرثِ بنِ لُقْمَانَ لا تَعْـــدَمْكُمُ في الوَغَى مُتُونُ العِتَاقِ[(٢)]

بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الأَعادِي فكانَ القِتالُ قَبْلَ التَّلاَقِي[(٣)]

وَتَكادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الأَعْنَاقِ[(٤)]

وَإِذا أَشْفَقَ الفَوَارِسُ مِنْ وَقْـــعِ القَنَا أَشْفَقُوا مِنَ الإِشْفَاقِ[(٥)]

كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي المَوْتِ حُسْناً كَبُدُورٍ تَمَامُهَا فِي المُحَاقِ[(٦)]

فى الابطال وأخذ أرواحهم لافى اتقاء رماحهم فهو لايبالى بها ولاهى تثنيه عنهم (١) ثقوب الرأى نفاذه واصل الثاقب المضىء ويروى ثاقب العقل . والحلم الاناة والتعقل . يقول : لايقلقه أمر من الامور لثبات حلمه (٢) الحارث بن لقمان جد أبى العشائر . والعتاق الخيل الكريمة . يدعولهم بأن لايفارقوا ظهور الخيل فرسانا فى الوغى ـــ الحرب ـــ قال ابن جنى وقوله فى الوغى حشو إلا أن فيه نكتة وهى أنهم ملوك انما يركبون الخيل لحرب أو دفع ملم لذلك خص حالة الحرب اذ لو لم يقل فى الوغى لاقتضى الدعاء أن لايفارقوا ظهورها فى وقت وهذا من افعال الرواض لامن أفعال الملوك (٣) يقول : بعثوا خوفهم فى قلوب الاعداء قبل وصولهم اليهم فكأنهم قاتلوهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء . قال أبو تمام

لَوْ لم يزاحفهمْ لزاحفَهم لهُ ما فى قلوبهم من الأوجالِ

(٤) المراد بالظبا هنا السيوف نفسها . وتنتضى تستل . يقول : انهم عودوا السيوف أن تغمد فى الاعناق فهى لذلك تكاد تخرج من أغمادها إلى الاعناق قبل أن يستلها أحد

(٥) الاشفاق الخوف والفزع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا هم من الخوف ومن أن ينسبوا الى الجبن والجزع فتجلدوا وصبروا

(٦) الذمر الرجل الشجاع . وكل خبر مبتدا محذوف أى هم ـــ الممدوحون ـــ كل ذمر الخ والمحاق آخر ليالى القمر . يقول : انهم إذا قتلوا فى طلب المجد والرفعة ازداد شرفهم فازداد حسن ذكرهم بموتهم كالبدور فانها تستفيد الكمال بالمحاق وما لم تصر الى المحاق لم تتم لانها فى المحاق ترتفع إلى درجة الكمال فمحاقها سبب كمالها ، كذلك هؤلاء

جاعلٍ درعَهُ منيّتَهُ إنْ ... لمْ يكنْ دونها من العارِ واقِ (١)

كَرَمٌ خشّنَ الجوانبَ منهمْ ... فهْوَ كالماءِ فى الشفارِ الرّقاقِ (٢)

ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمْ ... لزِمتْهُ جنايةُ السُّرّاقِ

يا ابنَ منْ كلّما بدوْتَ بدا لى ... غائبَ الشخصِ حاضرَ الأخلاقِ (٣)

لوْ تنكّرْتَ فى المكرِّ لقومٍ ... حلفوا أنّكَ ابنهُ بالطّلاقِ (٤)

كيفَ يقوى بكفِّكَ الزَّنْدُ والآ ... فاقُ فيها كالكفِّ فى الآفاقِ (٥)

قلَّ نفعُ الحديدِ فيكَ فما يلقـ ... ـاكَ إلاّ منْ سيفهُ منْ نفاقِ (٦)

اذا قتلوا اكتسبوا ذكرا وشرفا (١) جاعل صفة لذمر . يقول : أنه يتقى العار ولو بموته ، فاذا لم يجد واقيا من العار غير منيته جعلها درعا له فاتقى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك . قال أبو تمام

وقد كان فوتُ الموتِ سهلا فردّهُ ... إليه الحِفاظُ المرُّ والخلقُ الوعرُ

(٢) الكرم ضد اللؤم . والشفار جمع شفرة حد السيف . والرقاق هنا الحداد القاطعات يقول : ان لهم كرما خشن جوانبهم على الاعداء لان هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الخسف ويقبلوا الاهانة ، ثم شبه ذلك الكرم بالماء فهو مع لينه وعذوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابة ومضاء ونفاذا كذلك كرمه فيه لين لاوليائه وخشونة على أعدائه (٣) يقول : أنت شديد الشبه بأبيك فاذا ظهرت لى شاهدت فيك أخلاقه وان غاب شخصه . وقال ابن الرومى

إذا سلفٌ أودى وخلف مثلَهُ ... فما ضرّه أن غيّبتهُ الرَوامسُ

(٤) تنكرت غيرت زيك حتى لاتعرف ، والمكر مكان الكر فى الحرب . يقول : لو غيرت زيك فى ساحة الحرب حتى لايعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التى لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنت ابنه ، وقال التبريزى : حلفوا أنك ابنه أى بن المكر اذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب فكأن المكر أب يشفق عليك من أن يصل اليك جرح أو طعنة (٥) يقول : كيف يطيق زندك حمل كفك وهى قد اشتملت على نواحى الارض أى استولت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس اليها كالكف بالقياس الى الآفاق (٦) يقول : ان أعداءك لايقدرون

إِلْفُ هذا الهواءِ أَوقعَ فى الأنفـــسِ أَنَّ الحِمامَ مُرُّ المَذَاقِ [١]

وَالأَسى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ وَالأَسَى لا يكُونُ بعدَ الفِراقِ [٢]

كم ثَرَاءٍ فَرَّجْتَ بِالرُّمْحِ عَنْهُ كان مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ فِى وِثَاقِ [٣]

وَالغِنَى فِى يَدِ اللَّئِيمِ قَبِيحٌ قَدْرَ قُبْحِ الْكَرِيمِ فِى الإِمْلاقِ [٤]

عليك بسيوف الحديد لامتناعك على أسلحتهم بأسك وشجاعتك وشدة شوكتك ، فلا يلقونك الا بسيف النفاق ، يعنى أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب الى موارابك بالنفاق (١) قال أبو العلاء المعرى : أن هذا البيت والذى بعده يفضلان كتابا من كتب الفلاسفة لانهما متناهيان فى الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : ان نفوسنا الفت هذا الهواء فظنت أن الموت كريه الذوق وذلك لألفها الهواء الرقيق الطيب وهذا أوقع فى الأنفس أن الموت مر الطعم. قال الواحدى : وفى هذا بيان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجاهروه بالحرب لان حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام ، قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام لايتصل بما قبله (٢) يقول : ان خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء والا فهو معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه لا جزع بعد الموت لعدم حس الميت بشىء مما هو فيه ، قال الواحدى. وهذا البيت والذى قبله حث على الشجاعة وتحذير من الجبن وتهوين الموت لئلا يخافه الانسان فيترك الاقدام

(٣) الثراء كثرة المال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه فتلت أربابه فأطلقته من اساره ، وأبحته لطلابه (٤) الاملاق الفقر والعدم . يقول : ان المال فى يد اللئيم قبيح ــ لانه يضن به عن حقوقه ــ كما يقبح الفقر فى يد الكريم ، فقوله قدر قبح الكريم في الاملاق يريد أن يقول قدر قبح الاملاق فى الكريم فقلب للضرورة والقافية . والمصراع الاول من قول ابن تمام

كم نعمةٍ لله كانتْ عِندهُ فـكأنها فى غُربةٍ وإسارِ

وقول العطوى

نعمةُ الله لا تُعابُ ولـكنْ ربما استُقْبِحَتْ على أقوامِ

لا يليقُ الغِنى بوجه أبى يَعْـ لى ولا نُورُ بهجةِ الأسلامِ

لَيْسَ قَوْلِى فى شَمْسِ فِعْلِكَ كالشَّمْـــ ـسِ وَلٰكِنْ فى الشَّمْسِ كالإِشْرَاقِ (١)

شَاعِرُ المَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْـــ ـظِ كِلانَا رَبُّ المَعَانِى الدِّقَاقِ (٢)

لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ المَدِيحَ وَلٰـكِنَّ صَهِيلَ الجِيَادِ غَيْرُ النُّهَاقِ (٣)

لَيْتَ لِى مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِى الأَدْهُرِ أَوْ رِزْقِهِ مِنَ الأَرْزَاقِ (٤)

أَنْتَ فِيهِ وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ يَشْتَهِى بَعْضَ ذَا عَلَى الخَلَّاقِ (٥)

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثر سؤّاله وغاشيته

فقال له انسان جعلت مضربك على الطريق فقال أحب أن

يذكره أبو الطيب فقال

وَسِخِ الثَّوْبِ والقلانسِ والبرِ ذَوْنِ والوجهِ والقفا والغُلامِ

(١) يقول : ان قولى لا يبلغ فعل الممدوح فى الشرف والرفعة ولكنه يدل عليه فهو بمنزلة الاشراق من الشمس ، وتروى ولكن كالشمس فى الاشراق أى ان قوله فى فعل الممدوح الذى هو كالشمس ليس كالشمس كذلك فيكون كفؤاله ولكنه بالقياس اليه كالشمس بالقياس الى اشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل الممدوح بأشعة الشمس التى تملأ الكائنات (٢) يقول : أنت شاعر المجد أى العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ فكلانا صاحب المعانى الدقيقه ؟ وأراد بالخدن نفسه جعل نفسه خدنا ـ صاحبا وصديقا ـ للممدوح ترفعا وافتخارا ، ومثل هذا البيت قول ابى تمام

غربت خلائقهُ وأغربَ شاعرٌ فيهِ فأبدعَ مُغربٌ فى مُغربِ

(٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الاشعار فى مديحك ـ لانك ملك همام كثير المداح ـ ولكن شعرى يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحمير

(٤) يقول : ان دهرك مجدود ـ محظوظ ـ مرزوق بك ، فليت لى مثل ماله من الحظ والرزق ثم بين ذلك فى البيت التالى (٥) يقول: كان كل عصر يشتهى بعض هذه السعادة لانه لايطمع فى كلها ، ومثله لمسلم بن الوليد

فالدَّهرُ يحسُدُ أولاه أواخرَهُ إذ لم يكن كانَ فى أعصارهِ الأُوَلِ

لَامَ أُنَاسٌ أَبَا الْعَشَائِرِ فِى — جُودِ يَدَيْهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرِقِ (١)

وَإِنَّمَا قِيلَ لِمْ خُلِقْتَ كَذَا — وَخَالِقُ الْخَلْقِ خَالِقُ الْخُلُقِ (٢)

قَالُوا أَلَمْ تَكْفِهِ سَمَاحَتُهُ — حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطُّرُقِ (٣)

فَقُلْتُ إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ — تُرِيهِ فِى الشُّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ (٤)

بِضَرْبِ هَامِ الْكُمَاةِ تَمَّ لَهُ — كَسْبُ الَّذِى يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ (٥)

أَلشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا — يَحْجُبُهَا بُعْدُهَا عَنِ الْحَدَقِ (٦)

كُنْ لُجَّةً أَيُّهَا السَّمَاحُ فَقَدْ — آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْغَرَقِ (٧)

(١) العين الذهب . والورق الفضة . (٢) يقول : ان الذى يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما ، أى أنه طبع على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الانسان لان المطبوع على الشيء لا يستطيع أن يحيد عنه الى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته (٣) كان أبو العشائر بميافارقين فضرب بيتا على الطريق ليتابه الناس فلا يرون دونه حجابا فذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سماحته ونداه فى البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصاد ؟ (٤) الشح البخل . والفرق الخوف والذعر . يقول : ان الشجاع لا يكون بخيلا وانما يتجنب البخل كما يتجنب الخوف وذلك أن الشح خوف الفقر والشجاع لا يفرق كما قال الجاحظ : البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله (٥) الهام الرؤس . والكماة جمع كمى الشجاع المستتر فى سلاحه . يقول : ان كل احد يحبه لشجاعته كما يحب من يتملق الناس ويلين لهم ويتودد اليهم فتم له بضرب الهام ما يكسبه المتملق كما قال

ومن شرف الإقدام أنك فيهم — على القتل موموق كأنك شاكد

(٦) يقول : أنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع بعدها يراها كل راء (٧) يقول : كن أيها الجود بحرا ذا لجة مهلكا فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر على اغراقه بالفقر لان سيفه قدامنه من ذلك لانه كلما أعطى سؤاله وقصاده مالا أخذ له سيفه اضعاف ذلك ، وقيل المعنى : كن أيها الجود بحرا ان شئت فانه لا يخاف ان يغرق لان سيفه أعطاه الامان من كل تهلكة ، يريد انه مع سماحته شجاع حتى لو صار الجود تهلكة ما خافه

« تم الجزء الاول من شرح المتنبى »